

مركز تحقيق التراث

جزء
معين التاريخ
لأهل التاريخ
نهاية الأرب
في
فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النُّويري

٦٧٧ - ٧٣٣ هـ

الجزء الثامن والعشرون

مققه وروضع مواثبه

دكتور محمد هاني محمد أحمد
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

دكتور محمد محمد أمين
كلية الآداب - جامعة القاهرة



١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وفريته وتابعيه إلى يوم الدين .

وبعد فهذا هو الجزء الثامن والعشرون من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري، وهو الجزء السادس والعشرون من مخطوطة الكتاب المحفوظة بمكتبة كوبريللي بالأستانة، والتي توجد منها نسخة مصورة بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ٥٤٩ معارف عامة .

ويختلف منهج التحقيق في هذا الجزء بالذات عن منهج تحقيق الأجزاء السابقة، فضلا عن الأجزاء اللاحقة، ذلك، أنه توجد عدة نسخ غير متكاملة من مخطوط نهاية الأرب لدرجة أنه توافرت لبعض الأجزاء أربع نسخ، منها نسخة بخط المؤلف في بعض الأحيان، مما جعل مهمة تحقيق النص أكثر سهولة، ولكن الأمر يختلف بالنسبة لهذا الجزء بالذات، فلا توجد نسخ أخرى كاملة من هذا الجزء بين ما هو معروف من نسخ كتاب نهاية الأرب .

وتزداد صعوبة العمل في تحقيق هذا الجزء لوجود نقص في أوله — قد لايزيد عن بضع ورقات — كما يوجد نقص في آخره — قد يكون ورقة واحدة —، كما أن سياق الكلام والحوادث غير متصل فيما بين اللوحتين ١٢٤، ١٢٥ .

فأوراق هذا الجزء تبدأ باللوحة رقم ٧ ، وعلى هامشه إشارة لأحد العاملين بدار الكتب «الأصمعي» في الثلاثينات من هذا القرن ، تفيد أن الأوراق من ١ إلى ٦ موضوعة خطأ . وبالبحث عن هذه الأوراق المفقودة ، وبالرجوع إلى سلبات تصوير هذا الجزء ، والتي ترجع إلى سنة ١٩٢٣ ، تبين أن هذه الأوراق موجودة بالسلبية ، ولكن بها أخبار حوادث سنوات ٥٩٩ هـ - ٦٠٢ هـ ، وهذه الأحداث تقع ضمن الجزء التالي ، وأن الأوراق التي نزعنا من بداية الجزء ٢٦ نقلت إلى موضعها في بدايات الجزء ٢٧ من المخطوطة .

وإزاء هذا الوضع لم نجد بُدًّا من تقديم المتن الموجود من الجزء ٢٦ من المخطوط كما هو ، مع الإشارة إلى مواضع النقص .

وإزاء عدم وجود نسخ أخرى من هذا الجزء كان لزاما الرجوع إلى المصادر التي نقل عنها النويري للمقابلة عليها في محاولة لتقديم نص أقرب ما يكون لنص المؤلف ، ولم يكن الأمر سهلا ، فرغم أن النويري يبدأ عباراته بلفظ «قال» ، أو «قال المؤرخ» ، فإنه لا يذكر لنا من الذي قال ، أو من هو المؤرخ إلا في حالات محدودة ذكر فيها صراحة أنه نقل عن «ابن جلب راغب في تاريخ مصر» ، وهو المعروف بابن ميسر .

وعن طريق متابعة هذه الإشارات ، مع مقارنة النصوص ومقابلتها على المصادر المعاصرة للأحداث أمكن التعرف على أهم مصادر النويري في هذا الجزء .

وطبيعة هذا الجزء الذي يتناول فيه النويري «أخبار ملوك الديار المصرية» من بداية العصر الطولوني حتى دخول الملك العادل الأيوبي القاهرة في أوائل العصر الأيوبي ، جعلت النويري ينتقى لكل فترة

مصدرا أو أكثر يأخذ عنه مادته العلمية، فعل سبيل المثال، عندما يتناول أخبار الدولة الفاطمية في شمال أفريقيا يعتمد على كتاب افتتاح الدعوة للقاضي النعمان، وعندما تنتقل الدولة إلى مصر يعتمد على كتاب أخبار مصر لابن ميسر، وعندما يتحدث عن الحملة الصليبية الأولى يعتمد على كتاب الكامل لابن الأثير، وهكذا.

وبالإضافة إلى هذه المصادر الأساسية كان النويرى ينقل عبارات أو مقتطفات من مصادر أخرى يضمنها كتاباته، وعلى سبيل المثال أيضا ما كان يأخذه عن كتاب أخبار الدول المنقطعة لابن ظافر.

لذلك استلزم تحقيق هذا الجزء بالذات مقابلة ما ورد به مع المصادر المعاصرة للأحداث، في محاولة لتقديم نص متكامل أقرب ما يكون إلى نص المؤلف، واقتضى الأمر إضافة بعض الكلمات أو العبارات، أو تصحيح بعضها وفقا لما يرد في هذه المصادر.

وفي جميع الأحوال أشرنا إلى ذلك في الهوامش، فكل ما أضيف إلى المتن وضع بين حاصرتين []، وكل ما تم تصحيحه تم التنبيه عليه في الهوامش.

وبالإضافة إلى معالجة النص تم التعريف بالأعلام والأماكن والمصطلحات بقدر الإمكان، وذلك عند ورودها لأول مرة، مع ترك المعروف منها والمتواتر حتى لا تنتقل الهوامش ويطغى التعليق على النص الأصلي للمؤلف.

ولما كان هذا الجزء يتناول أساسا العصر الفاطمي، من الورقة ٢١ إلى الورقة ١٠٥، فقد كان للنصوص التي نشرت حديثا عن هذا العصر

أهمية خاصة في تحقيق هذا الجزء ، وعلى سبيل المثال : أخبار الدول المنقطعة لابن ظافر والذي صدر عام ١٩٧٢ ، والجزء الثالث من اتعاظ الحنفا للمقريزى عام ١٩٧٣ ، وكتاب افتتاح الدعوة للقاضى النعمان عام ١٩٧٥ ، وأخبار مصر للمسيحي عام ١٩٧٨ ، وأخبار مصر لابن ميسر عام ١٩٨١ ، ونصوص من أخبار مصر لابن المأمون عام ١٩٨٣ .

وقبل أن أختتم هذه المقدمة أحب أن أشير إلى أن مؤسسة التأليف والترجمة سبق وأن عهدت إلى المرحوم الدكتور محمد حلمى محمد أحمد الأستاذ بكلية دار العلوم جامعة القاهرة بتحقيق هذا الجزء من كتاب نهاية الأرب ، وقد قام رحمه الله بإنجاز هذا التحقيق فى حوالى سنة ١٩٦٥ ، ولكن لأسباب مختلفة تأخر طبع أجزاء كتاب نهاية الأرب .

وعندما شرع مركز تحقيق التراث فى تقديم هذا الجزء إلى المطبعة فى عام ١٩٨٥ رأى أن التحقيق المقدم من المرحوم الدكتور محمد حلمى محمد أحمد منذ عشرين عاما فى حاجة إلى استكمال . ولم يكن فى وسع أحد أن يستكمل ما بدأه الدكتور محمد حلمى محمد أحمد نظرا لاختلاف مناهج التحقيق ، فضلا عن ظهور العديد من المصادر والمراجع التاريخية التى لم تكن متوافرة وقت أن حقق المرحوم الدكتور محمد حلمى محمد أحمد هذا الجزء ، ومن ثم أصبح من الضرورى إعادة قراءة هذا الجزء وتحقيقه فى ضوء المصادر التى ظهرت بعد سنة ١٩٦٥ .

ورغم عدم إمكانية الإفادة من التحقيق الذى قام به الدكتور محمد حلمى محمد أحمد — للأسباب المذكورة — فإنى رأيت أن أضع اسم المرحوم الدكتور محمد حلمى محمد أحمد — كمحقق مشارك — على غلاف هذا الجزء باعتبار أنه — رحمه الله — أول من عمل فى تحقيق هذا

الجزء ، وأن ظروف وفاته هي التي حالت دون أن يظهر هذا الجزء بتحقيقه ، وذلك تكريماً له ، وإحياءً لذكراه ، رحمه الله .

وفي ختام هذه المقدمة لايسعني إلا أن أتقدم بالشكر إلى كل من الأستاذ محمد كامل محمد شحاته ، وكيل الوزارة ورئيس قطاع دار الكتب والوثائق القومية ، والأستاذ على عبد المحسن زكى مدير عام مركز تحقيق التراث ، لما قاما به من تذليل للصعاب والمعوقات الإدارية ، وتوفيرهما للمخطوطات والمصورات التي احتجت إليها عند تحقيق هذا الجزء .

كما أوجه الشكر إلى السيد / محمد محمد صقر الباحث الأول بمركز تحقيق التراث لما بذله من جهد في الإشراف على طبع هذا الجزء وتصحيح تجارب الطباعة ، مما أدى إلى إخراج الكتاب على هذا النحو .
كذلك أوجه الشكر إلى السيدة / حكمت الحضرى لما بذلته من جهد في إعداد (ماكيت) الكتاب .

وبعد ، فالكمال لله وحده ، ولايسعني إلا أن أذكر قوله تعالى : ﴿رَبُّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ ، وأدعوه سبحانه وتعالى أن يوفقنا لخدمة التراث الإسلامى ،

والله ولى التوفيق ..

دكتور محمد محمد أمين

القاهرة ١٥ شعبان ١٤٠٦ هـ

في ٢٤ ابريل ١٩٨٦ م

[الباب الثاني عشر من القسم الخامس]

من الفن الخامس

أخبار ملوك الديار المصرية ^(١)

[الدولة الطولونية] ^(٢)

[٧] فتجهز أحمد للمسير إلى الشام ^(٣) ، وسار في شوال سنة أربع وستين لقصده ^(٤) . واستحلف على مصر ابنه العباس ، وعصده بأحمد بن محمد الواسطي . وكتب إلى علي بن أماجور وإلى أصحاب أبيه الذين أقاموه يذكر أن الخليفة ^(٥) أقطعه الشام والثغور مضافاً إلى ما بيده . فأجابوه بالسمع والطاعة . وتلقاه ابن أماجور بالرملة . فأقره عليها . وسار إلى دمشق فلما إليها وأقر قواد أمجور على إقطاعاتهم . وسار إلى حمص فتلقاه عيسى الكرخي ،

(١) [إضافة من خاتمة جـ ٢٥ من مخطوط نهاية الأرب عن نسخة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١٢١٤ معارف عامة . وهي صورة عن نسخة بخط المؤلف محفوظة بكتبة أمانة خزينة باستنبول تحت رقم ١٣٧١ .

(٢) [إضافة تتفق مع الموضوع التالي ، وهو أخبار الدولة الطولونية .

(٣) هذه بداية ما وجد من الجزء السادس والعشرين من مخطوط نهاية الأرب .

وفي سيرة ابن طولون : « ومن إقبال أحمد بن طولون أيضاً موت ماجور . وكان أحد من يعرب عليه ، ويسمى في أذنيه فلا تمكنه ، فلما بلغه موته حمد الله عز وجل على ذلك ، واستخلف ابنه العباس على مصر ، وخرج من وقته » - ص ٩١ .

(٤) المقصود هنا علي بن أماجور ، وورد في الكامل : « وفي هذه السنة (٢٦٤ هـ) توفي أماجور مقطوع دستق ، وولى ابنه مكانه . فتجهز ابن طولون ليمير إلى الشام فيملكه » - جـ ٧ ص ٣١٦ . ورد أن خروج أحمد بن طولون كان في شعبان - الولاة والقضاة ص ٢١٩ .

(٥) المقصود هو الخليفة العباسي أبو العباس أحمد المعتد على الله . وفي الخلافة في الفترة من ٢٥٦-٢٧٩ هـ / ٨٧٠-٨٩٢ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢ .

وكان يتقلدُها ، فشكاهُ أهلُها فعزله عنهم [وولَّاهُ يُمنَ التركي] ^(١) . وملك حَمَاة وحلب .

وأُرسل إلى سِيا الطويل بأنطاكية يدعوه إلى طاعته لِيُقَرَّ على ولايته ، فامتنع ، فعَاوَدَه ، فلم يُطعه ، فَسَارَ إليه . ودَلَّوه على عَوْرَةِ أنطاكية فنصب عليها المجانيق ، وملك البلد عنوة ، وقاتله سِيا الطويل حتى قتل ، فسَاءَ أحمد قتله لأنَّه كان نصيحه قديماً ^(٢) ؛ وكان ذلك في المحرم سنة خمس وستين ومائتين .

ورحل عن أنطاكية إلى طرسوس ^(٣) . فدخلها في جَمْعٍ عظيم ، وعزم على المُقام بها ومُلازمة الغزو ، فعَلَا السَّعْرَ وضَاقَتْ بِعَسَاكِرِهِ ، فركب أهلُها إليه بالمُخَيَّم وقالوا له : لقد ضَيِّقَتْ علينا بلدنا وأَغْلَبَتْ أَسْعَارُنَا ، فإِذَا أَقَمْتَ فِي عَدَدٍ يَسِيرٍ وَإِذَا رَحَلْتَ عَنَّا ، وَأَغْلَظُوا له في القول وشَعَبُوا عليه ، فقال لأَصْحَابِهِ أَنْ يَنْهَضُوا عَنِ الطَّرْسُوسِيِّينَ وَيَرْتَحِلُوا عَنِ الْبَلَدِ ، لِيُظْهَرَ لِلْعَدُوِّ أَنَّ ابْنَ طُولُونَ عَلَى كَثَرَةِ عَسَاكِرِهِ لَمْ يَقْوِ لَأَهْلَ طَرْسُوسَ ، وَأَنَّهُ أَنْهَزَمَ عَنْهُمْ ، لِيَتَمَقَّ مَهَابَتُهُمْ فِي قُلُوبِ الْعَدُوِّ .

وعاد إلى الشام ، فَأَتَاهُ خَبْرُ وَلَدِهِ الْعَبَّاسِ أَنَّهُ عَصَى عَلَيْهِ بِمِصْرَ وَأَخَذَ الْأَمْوَالَ وَسَارَ إِلَى بَرْقَةِ ، فَلَمْ يَكْتَرِثْ أَحْمَدُ لَذَلِكَ ، وَقَضَى أَشْغَالَهُ ، وَحَفِظَ

(١) [إضافة من سيرة ابن طولون للتوضيح .

(٢) أمر أحمد بن طولون رجاله ألا يقتلوه وإن أمكن قتله ، وألا يرموه ، وأن يأخذوه سليماً ، ولكن أهل أنطاكية رموه بالطوب والمجارة من منازلهم ليفضهم له ، فتحير في الميدان ، ولحقه سهم فصدعه ، فقتل في المعركة ، ولم يعلم أحد إلا بعد انتهائها — سيرة ابن طولون ص ٩٦ ، انظر أيضاً الكامل ج ٧ ص ٣١٧ .

(٣) طَرْسُوس : بفتح أوله وثانيه ، مدينة بشفور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم — معجم البلدان .

أطرافَ بلادِهِ . وبعث إلى حَرَّانَ ^(١) أحمد بن جَيْغَوِيَه في جيشٍ كثيفٍ ،
ونزل غلامُهُ لؤلؤَ بالرَّقَّةِ ^(٢) في جيشٍ كثيفٍ ، وكانت حَرَّانُ لِمُحمَّد بن
أَتامش ، فأخرجهُ أحمد بن جَيْغَوِيَه عَها ، وهزَمَهُ هَزِيمَةً قَبِيحَةً ، فأتَصَلَ
خَبْرُهُ بِأَخِيهِ مُوسَى بن أَتامش ، وكان شجاعاً بطِلاً ، فجمع عسكراً كثيراً ،
وسارَ بِهِم إلى نَحْوِ حَرَّانَ . فأتَصَلَ ذَلِكَ بِأَبْنِ طُولُون ، فَأَهَمَّهُ وَأَقْلَقَهُ
وَأَزَعَجَهُ ، فنظرَ إليه رجلٌ من الأعرابِ يقال لَهُ أَبُو الأَغَرِّ ، فقال لَهُ : أَيُّها
الأميرُ أراكَ مَفَكِّراً منذُ أَتاكَ خَبَرُ ابنِ أَتامش ، وما هذا مَحَلُّهُ ، فإنه طائشٌ
قَلْبِي ، ولو شاءَ الأميرُ أَنتِيَه بِهِ أُسِيرًا . فغَاظَهُ قَوْلُهُ ^(٣) ، وقال : لَقَدْ شَتَّتَ أَنْ
تَأْتِيَنِي بِهِ أُسِيرًا [فقال الاعرابي] ^(٤) فاضْمُمْ إِلَيَّ عَشْرِينَ أَخْتَارُهُمْ .
قال : أَفْعَلْ . فانتَقَاهُم أَبُو الأَغَرِّ ، وسارَ بِهِم .

فَلَمَّا قَارَبَ عَسْكَرَ مُوسَى ، كَمَنَّ بَعْضُهُمْ ، وجعلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ إِشَارَةً إِذَا
مَمَرُها ظَهَرُوا .

ثُمَّ دَخَلَ العَسْكَرَ فِيمَنْ بَقِيَ مَعَهُ عَلَى زَيِّْ الأَعْرَابِ ، وَأَصْحَابِ مُوسَى
عَلَى غَرَّةٍ ، وَقَدْ تَفَرَّقَ بَعْضُهُمْ فِي حَوَانِجِهِمْ ، فَأَتَزَعَجَ العَسْكَرُ وَرَكِبُوا ، فَرَكِبَ
مُوسَى ، فَانْهَزَمَ أَبُو الأَغَرِّ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَأَتَّبَعَهُ حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنَ العَسْكَرِ ، وَاسْتَمَرَّ
حَتَّى جَاوَرَ الكَمِينَ ، فَنَادَى أَبُو الأَغَرِّ بِالْإِشَارَةِ الَّتِي بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ، فَتَارُوا ،

(١) حَرَّانُ : يَفْتَحُ الحَاءُ وَتَشْدِيدُ الرَّاءُ . قَصْبَةُ دِيَارِ مِصْرَ بِالْمِجْرِيَّةِ . عَلَى الطَّرِيقِ الرَّئِيسِيَّةِ الْمُوصِلَةِ
إِلَى الْمُوصَلِ وَالشَّامِ . وَإِلَى مَنطَقَةِ النُّفُورِ - مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ .

(٢) الرَّقَّةُ : بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ وَالْقَافِ : بَلَدَةٌ عَلَى الْفَرَاتِ اتَّخَذَهَا بَعْضُ الْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ مُصْطَفَا
لَهُمْ - مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ .

(٣) يَرَى الْبَلَوِي أَنَّ الْأَمِيرَ الَّذِي أَغَاظَهُ هَذَا الْقَوْلُ هُوَ ابْنُ جَيْغَوِيَه . وَلَيْسَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونٍ . كَمَا
يَذْكُرُ التَّوِيرِيُّ وَابْنُ الْأَثِيرِ - سِيرَةُ ابْنِ طُولُونٍ ص ١٠٤ . وَانْظُرِ الْكَامِلَ ج ٧ ص ٣٦٨ .

(٤) [إِضَافَةٌ مِنْ سِيرَةِ ابْنِ طُولُونٍ ص ١٠٤ .

وعطف أبو الأغر على موسى فأسره ، وأخذوه حتى وصلوا به إلى ابن جيعونه
وإلى ابن طولون فاعتقلاه ، ورفع إلى مصر . وكان وصوله إليها في سنة ست
وستين (١) ..

ذكر عصيان العباس بن أحمد بن طولون على أبيه وما كان من أمره

وفي سنة خمس وستين ومائتين عصى العباس بن أحمد على أبيه ، وسبب
ذلك أن أباه لما استخلفه بمصر ، كما ذكرناه ، وخرج إلى الشام ، حسن
للعباس جماعة كانوا عنده أخذ الأموال والإنسراح (٢) إلى برقة ، ففعل
ذلك ، وحمل معه أحمد بن محمد الواسطي كاتب أبيه ، وأمين الأسود
مقيدين .

فلما رجع أحمد إلى مصر وجدته قد أخذت ألف دينار ، واستألف من
التجار ثلاثمائة ألف دينار ، وأمر صاحب الخراج أن يضمها لهم ، ففعل .
فراسل أحمد ابنه واستعطفه ، فلم يرجع ، فخاف من معه وأشاروا عليه
بقصد إفريقية ، فسار إليها ، وكاتب وجوه البربر ، فأتاه بعضهم وامتنع
بعضهم . وكتب إلى إبراهيم بن الأغلب (٣) يقول : إن أمير المؤمنين قللني

(١) « وكان ذلك في سنة خمس وستين ومائتين » - الكامل ج ٧ ص ٣١٨ .

(٢) « الإنسراح » في الكامل ج ٧ ص ٣٢٤ .

(٣) هو إبراهيم (الثاني) بن أحمد بن محمد بن الأغلب ، كان على رأس دولة الأغالية التي
استقلت بنونس عن الدولة العباسية ، وولى إبراهيم الحكم في الفترة من ٢٦١ - ٢٨٩

هـ / ٨٧٥ - ٩٠٢ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٤٦ .

إفريقية وأعمالها ، ورحل حتى أتى حصن لينة^(١) ، ففتح أهله له ،
فقابلهم أسوأ مقابلة ، ونهيم ، ففض أهل الحصن إلى إلياس بن منصور
القنوصي ، رئيس الإياضية هناك ، فاستغاثوا به ، فغضب لذلك ، وسار إلى
العباس ليقاتله .

وكان إبراهيم بن الأغلب قد أرسل إلى عامل طرابلس جيشاً وأمره بقتال
العباس ، فالتصموا واقتتلوا قتالاً شديداً حتى حجز بينهما الليل . فلما كان الغد
والفهم إلياس ابن منصور الإياضي في اثني عشر ألفاً من الإياضية ، فأجمع
هو وعامل طرابلس على قتال العباس . فاقتتلوا ، فقتل من أصحابه خلق
كثير ، وانهمز أقيح هزيمة ، وكاد أن يُوسر . فخلصه مولى من مواليه ، ونهبوا
سوقه ، وأكثر ما حمله من مصر . فعاد إلى برقة أقيح عود .

[وشاع بمصر أن العباس قد انهزم]^(٢) [٨] فاغتم أبوه لذلك غمّاً
شديداً ، وسير إليه العساكر ، فقاتلهم وقاتلوه ، فانهزم ، وكثر القتل في
أصحابه ، وأخذ أسيراً ، وحمل إلى أبيه . فحبسه في حجرة في الدار إلى أن
قدم المسكريبية الأسرى من أصحابه . فمأ قديموا أحضرهم أحمد عنده ،
والعباس معهم ، وأمره أن يقطع أيدي أعيانهم وأرجلهم ، ففعل ذلك .
فلما فرغ منهم وبخه أبوه وذنبه . وقال له : هكذا يكون الرئيس والمقدم !
كان الأحسن أنك ألقيت نفسك بين يديّ وسألت الصّفيح عنك وعنهم ،

(١) لينة : مدينة فينيقية قديمة ، تقع شرق طرابلس بشمال سيب - بنحو ١٢٤ كم - معجم
البلدان اللبية ص ٢٩٥ .

(٢) « وكان الأغلب قد أنفذ إلى محمد بن قرقب عامل طرابلس بخادم له يعرف ببلاغ في جمع من
أهل القبروان كثير » - سيرة ابن طولون ص ٢٥٤ .

(٣) [١] هذه العبارة مشطوبة بالأصل ، وأنتهاتها اعتداء بما جاء في سيرة ابن طولون ص
٢٥٥ ، والكمال جـ ٧ ص ٣٢٥ .

فكان ذلك أَعْلَى لِمَحَلِّكَ . وكنت قضيت حقوقهم^(١) . ثم أَمَرَ به ففُضِرَ به مائة مِقْرَعَةٍ ، ودُمُوعَ أَحْمَدَ تَجْرِي عَلَى خَدَّهِ رِقَّةً عَلَى وَلَدِهِ ، ثم رَدَّه إِلَى الْحِجْرَةِ واعتقله ، وذلك فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ .

ذِكْرُ خِلَافِ لَوْلُو عَلَى أَحْمَدَ

كَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ مُهَاجِرٍ^(٢) غَلَبَ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ ، وَحَسَنَ لَهُ جَمْعُ الْأَمْوَالِ وَمَتَّعَهُ مِنْ سَمَاحَتِهِ وَجَرَّهَ عَلَى عَوَائِدِهِ الْجَمِيلَةِ ، فَتَغَيَّرَتِ الْقُلُوبُ عَنْ أَحْمَدَ ، وَتَغَيَّرَتِ الْخَوَاطِرُ عَلَيْهِ ، فَتَنَكَّرَ لَهُ غَلَامُهُ لَوْلُو ، وَكَانَ عَمْدَتَهُ عَلَيْهِ . وَكَانَ فِي يَدِهِ حَلَبٌ وَحَمَصٌ وَقُنْسَرِينَ وَدِيَارٌ مُضَرٌ . وَكَانَ أَحْمَدُ إِذَا أَنْكَرَ عَلَى لَوْلُو شَيْئًا أَوْقَعَ بِكَاتِبِهِ مُحَمَّدَ بْنَ سَلِمَانَ . وَيَقُولُ لَهُ : هَذَا مِنْكَ لَيْسَ مِنْهُ ، فَحَمَلَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلِمَانَ الْخُوفُ مِنْ أَحْمَدَ عَلَى أَنْ حَسَنَ [٢٠] (٣) لَوْلُو حَمَلَ جُمْلَةَ مِنَ الْمَالِ إِلَى الْمَوْفِقِ^(٤) . فَحَمَلَ ذَلِكَ إِلَيْهِ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ عَنْ لَوْلُو كِتَابًا يَعْرِفُهُ رَغْبَتُهُ فِي الْمَصِيرِ إِلَيْهِ ، وَالتَّصَرُّفِ تَحْتَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ . وَتَدْخُولُ فِي طَاعَتِهِ ، فَسَرَّ الْمَوْفِقُ لِذَلِكَ وَاسْتَبَشَرَ . نِمَا فِي نَفْسِهِ مِنْ أَحْمَدَ ، وَرَأَى أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْفُرْصِ الَّتِي يَتَعَيَّنُ انْتِهَازُهَا . فَأَجَابَهُ بِأَحْسَنِ جَوَابٍ ، وَنَقَذَ إِلَيْهِ خِلْعًا .

(١) « وَكَتَبَ قَضِيَّةَ حَقُوقِهِمْ » فِي الْأَصْلِ . وَالتَّصْحِيحُ مِنْ سِيرَةِ ابْنِ طُولُونَ ص ٢٧١ . الْكَامِلُ

ج ٧ ص ٣٢٥ .

(٢) « الْحُسَيْنُ بْنُ مُهَاجِرٍ » فِي سِيرَةِ ابْنِ طُولُونَ ص ٢٧١ .

(٣) [لـ] إِضَافَةٌ مِنْ سِيرَةِ ابْنِ طُولُونَ ص ٢٧٦ تَتَّفَقُ وَسِيَاقُ الْكَلَامِ .

(٤) هُوَ طَلْحَةُ وَيُقَالُ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُتَوَكَّلِ . الْمَوْفِقُ أَبُو أَحْمَدَ . وَلِيَ عَهْدَ أَخِيهِ الْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ الْمُعْتَمِدِ

عَلَى اللَّهِ . وَكَانَ فِي خِلَافٍ مَعَ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ ، وَتَوَفَّى الْمَرْمُوزُ سَنَةَ ٢٧٨ هـ / ٨٩١ . -

شَدْرَاتُ الذَّهَبِ ج ٢ ص ١٧٢

وكانت مع لؤلؤ طائفة من خواص أحمد ، فلما أنكروا حاله ، وأطلعوا على ما فعله ، فارقوه ، والتحقوا بأحمد ، وأطلعوه على ما كان من أمر لؤلؤ . فتألم لذلك . وأخذ في إعمال الحيلة والمخادعة لؤلؤ والتلطّف به ، ومكاتبة محمد بن سنيار ، فلم يُفدّ ذلك عنده . فكتب أحمد إلى المعتمد على الله كتاباً يقول فيه : إني خائفٌ على أمير المؤمنين من سوء يلحقه ، وقد اجتمع عندي مائة ألف عتارٍ أتجاد ، وأنا أرى لسيدى أمير المؤمنين الانجذاب إلى مصر ، فإن أمره يرجع بعد الامتحان إلى نهاية العز ، ولا يتهيأ لأخيه الموفق شيء مما يخافه عليه . وجهّز له قرين ذلك ، سفانج^(١) بمائة ألف دينار ، وذلك في سنة ثمانٍ وستين ومائتين . وأظهر أحمد الخروج لهذا الأمر . فلما وصل كتابه إلى الخليفة ، تجهّز لقصده مصر ، فكان من خروجه ورجوعه إلى بغداد ما ذكرناه في أخباره .

وأما أحمد فإنه تجهّز إلى الشام ، وأخذ معه ابنه العباس مقيداً ، واستخلف ابنه خمارويه على مصر . فسار ، فوصل إلى دمشق وهو يُظهر الانتصاف للمعتمد ، ويَقْصِدُ لؤلؤاً غلامه . فعند ذلك التحق لؤلؤ بالموفق ، وكان لحاقه به في سنة تسعٍ وستين .

وانتهى إلى أحمد عوّذ المعتمد ، وأنه نسب عليه ، فأحضر أحمد قضاة أعماله وفيهم بكّار بن قُتيبة^(٢) والعمري وأبو حازم ، وغيرهم ، وخلع الموفق ، فكلّهم وافقه على ذلك إلا بكّار . وأسقط أحمد دعوة الموفق ، وقلع اسمه

(١) سفنجة - سفانج : صك مالى ، أو حوالة مالية - القاموس المحيط ، السلوك ج ٢ ص

(٢) ، ولى قضاء مصر من قبل الخليفة العباسى المتوكل ، سنة ٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م . وتوفى سنة

من الطُّرُز . فلما بلغ الموفق ذلك أمر بلعن أحمد بن طولون في المنابر في سائر الأمصار . ثم رجع الموفق عن ذلك ، وأمر كاتبه صاعد بن محمد وجماعة من خاصته بمكاتبة أحمد بن طولون وتوبيخه على ما فعله ، فكتبوا إليه واستألوه ، فعلم أن ذلك عن رأي الموفق وإذنه لهم ، فأجابهم بأحسن جواب . فعرضوا كُتبه على الموفق ، فسرّه ما تضمنته ، وعلم أن ابن طولون إنما فعل ذلك للمنالاته في المناصحة هم . وكان الموفق كامل العقل ، فسكن ذلك منه ما كان في نفسه على أحمد ، ومال قلبه إليه . وكتب الموفق إلى أخيه المعتمد يُعلمه برجوعه عن أمر أحمد ونذمه على ما كان منه في حقّه ، وسأله أن يكتب إليه ، فسرّ المعتمد بذلك ، وكتب إلى أحمد كتاباً بخطه ، وأمره بالرجوع عما هو عليه من أمر الموفق ، وبعث إليه كتاب الموفق برجوعه عن لغته ، وأتفد الكتاب مع الحسن بن عطف . فلما بلغ الرقة بلغه وفاة أحمد ابن طولون^(١) ، فرجع إلى الحضرة .

وأما لؤلؤ فإنه بلغه أن مولاه أحمد باع أولاده وخدمه بسوق الرقيق بمصر ، وقبض على أملاكه ، فبلغ ذلك منه كل مبلغ ، وتقدّم إلى الموفق وبكى ، وسأله إنفاذ الجيوش معه ، وضّمين له أخذ البلد من مولاه ، وبسط لسانه في سيرته ، فخلع الموفق عليه ، وحمله على دابة ، ووعدّه ، وأمر بتجريد الجيوش [٩] معه ، كل ذلك وهو يسخر به ويماطله إلى أن يعود جواب أحمد مع الحسن ابن عطف ، فقبض حيثنّ على لؤلؤ وردّه إلى مولاه ، واستفتح ما فعله لؤلؤ في حقّ سيده ، فلما اتفق وفاة أحمد ، أقام لؤلؤ في

(١) تولى أحمد بن طولون سنة ٢٧٠هـ / ٨٨٣ م - الكامل ج ٧ ص ٤٠٨ ، شذرات الذهب ج

٢ ص ١٥٧ ، وانظر ما يلي عن وفاته .

خدمته الموفق إلى سنة ثلاث وسبعين ، فقبض الموفق عليه ، وأخذ منه أربع مائة ألف دينار ، وكان لؤلؤ يقول : ليس لي ذنب إلا كثرة مالى .

ولم تزل أمور لؤلؤ في إذبار إلى أن افتقر ، ولم يبق له شيء ، فعاد إلى مصر في آخر أيام هارون بن خنارويه بغلام واحد . وهكذا تكون ثمرة القدر وكفر الإحسان .

ذكر وفاة أحمد بن طولون وشيء من أخباره وسيرته

كانت وفاته في نصف الليل من ليلة الأحد لعشر ليالٍ خلون من ذي القعدة سنة سبعين ومائتين .

قيل : وكان سبب وفاته أن نائبه بطرسوس^(١) وثب عليه يازمان^(٢) الخادم وقبض عليه ، وأظهر الخلاف على أحمد . فجمع أحمدُ العساكر ، وسار إليه . فلمّا وصل إلى أذنة^(٣) كاتبه وراسلّه واستماله ، فلم يلتفت

(١) ولى في الفترة من ٢٨٣ — ٢٩٢ هـ / ٨٩٦ — ٩٠٥ م — تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢٨ .

(٢) كان نائب أحمد بن طولون بطرسوس أخوه موسى ، فلما حضرته الوفاة استخلف عليها أحد أعوانه يسمى خليفة طخسى ، وهو الذى ثار عليه يازمان — سيرة ابن طولون ص ٣٦٠ .

(٣) ورد في المخطوط بمدة صور : مازيار ، بازمار ، يازيار ، وورد في الكامل يازمار ، وورد في سيرة ابن طولون ، والنجوم الزاهرة يازمان ، فوجدنا الرسم طبقاً للصورة الأخيرة لورودها في سيرة ابن طولون ، والولاية والقضاء .

(٤) أذنة = أطنة : بفتح أوله وثانيه ، من بلاد النصارى — قرب المصيصة — معجم البلدان .

يا زمان الخادم إلى رسالته . فسار أحمد إليه وحَصَره ، فخرق يا زمان نهر البلد^(١) على مَتَرَة العسكر ، فكاد الناس يهلكون . فرحل أحمد حَتَفًا ، وكان الزمان شتاء ، وكتب إلى يا زمان : إني لم أرحل إِلَّا خَوْفًا أَنْ تُنْخِرَ حرمةُ هذا الثَّغر ، ويطمع العدو فيه . وعاد إلى أنطاكيَّة ، فأكل من لبن الجواميس وأكثر منه ، فأصابته هبضة واتصلت به حتى صار منها ذَرَبٌ^(٢) . وكان الأطباء يعالجونه ، وهو يأكلُ سرًّا غير ما يصفونه ، فلم ينجع الدَّواء فيه . فمات رحمه الله .

هكذا ذكر ابن الأثير الجزري في تاريخه الكامل في سبب وفاته^(٣) . وأما صاحبُ الدَّول المنقطعة^(٤) فإنه قال : إِنَّه رجع إلى مصر واعتلَّ بزلق للمعدة . واشتدَّت به العلة وطالت ، فعهد إلى ابنه أبي الجيش خُارويه ، وأطلقَ ابنه العباس من قيده ، وذلك في القعدة سنة سبعين ومائتين ، وخلع عليه وقلَّده جميع الأعمال الخارجة عن أعمال مصر من الشَّامات والثُّغور ، وأوصاه بتَقْوَى الله وطاعة أخيه . ثم تُوَفِّي رحمه الله وسِتُّه يومئذٍ خمسون سنة وشهرٌ وثمانية وعشرون يومًا ، ومدة إمرته على مصر ست عشرة سنة وشهر واحد وسبعة وعشرون يومًا^(٥) .

(١) كان يسمى « نهر اليردان » ، ويعرف حاليًا بنهر « قره صوره » ، أى النهر الأسود — سيرة ابن طولون ص ٣١٠ .

(٢) ذرب : فساد المعدة .

(٣) الكامل ج ٧ ص ٤٠٩ .

(٤) هو على بن طاهر ، جمال الدين ، المتوفى سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م — انظر مقدمة الجزء المطبوع من كتابه : أخبار الدول المنقطعة ، نشر أندريه فريد — القاهرة ١٩٧٢ .

(٥) انظر أيضًا تفاصيل أمر مرضه ووفاته في سيرة ابن طولون ص ٣١٢ وما بعدها ، الولاية والقضاء ص ٢٣١ .

وأما سيرته ، فإنه ، رحمه الله ، كان عادلاً شجاعاً ، كريماً متواضعاً ،
حسن السيرة ، يُبَاشِرُ الأمور بنفسه ويتفقد رعاياه ، ويحبُّ أهل العلم ، ويُدْنِي
مجالسهم . وكان كثير الصدقات . وهو الذي بنى قلعة يافا ، وكانت المدينة
بغير قلعة .

أولاده ثلاثة وثلاثون ^(١) . منهم ^(٢) : أبو القُضَيْل العباس ، أبو الجيش
خُثَارَوِيه ، أبو العشائر مُصَر . أبو الكرم ربيعة ، أبو المقانب شيان ،
أبو ناهض عياض ، أبو معدة عدنان ، أبو الكراديس خزرج . أبو حبشون
عدي ، أبو شجاع كندة ، أبو منصور أغلب ، أبو بهجة ميسرة ، أبو البقاء
هدى ، أبو المفوض غسان ، أبو الفرج مبارك ، أبو عبد الله محمد ، أبو الفتح
مظفر .

والبنات ست عشرة ، وهُنَّ : فاطمة ، وليس ، وتعلب ^(٣) ،
وصفية ، وغالية ^(٤) ، وخديجة ، وبمونة ، ومريم ، وعائشة ، وأم
القرى ^(٥) ، ومؤمنة ، وعزيزة ، وزينب ، وسمانة ، وسارة ، وغريرة .

وخَلَّفَ من الأموال والعين والورق كثيراً ، ومن الغلمان أربعة وعشرين
ألف غلام ، ومن الموالى سبعة آلاف رجل ، ومن الخيل سبعة آلاف وثلاثمائة
وخمسين رأساً ، منها : لركابه ثلاثمائة وخمسون ، ومن الجمال ثلاثة آلاف

(١) « منهم سبعة عشر ذكراً ، وست عشرة أنثى » سيرة ابن طولون ص ٣٤٩ .

(٢) هكذا بالأصل ، والواقع أن المؤلف أوردتهم جميعاً حسب رواية البلوى .

(٣) هكذا بالأصل ، وفي سيرة ابن طولون ، ولعله محرف عن « تغلب » .

(٤) لم تذكر في سيرة ابن طولون .

(٥) « أم الهدى » في سيرة ابن طولون .

جمل ، وألف بغل ، ومن المراكب الحربية الكبار مائتي مركب بآلتها ، ومن الأمتعة والفُرُش والآلات والأواني ما لا يُحصى كثرة ولا يُعدّ اتساعا ، وأنفق على الجامع مائة ألف وعشرين ألف دينار ، وعلى اليمسارستان ستين ألف دينار ، وعلى العين التي بالمعافر مائة ألف وأربعين ألف دينار ، وعلى حصن الجزيرة مائة ألف دينار . وأنفق في بناء الميدان مائة ألف وخمسين ألف دينار ، وعلى مرمات الثغور وحصن يافا مائتي ألف دينار .

وكانت صدقاته في كلّ شهر ألف دينار سوى المرتبات ، وكانت له وظائف من خبز ولحم تجرى على قوم مستورين ، في كلّ شهر ألفا دينار . وكان يصنع في كلّ جمعة من أصناف الأطعمة والحلو أشياء كثيرة يحضرها الناس من فقير ، ومستور ، ومتجمل ، ومحتاج ، وكان إذا عاب ذلك وهو بمشرف عالم يسجد لله تعالى شكراً تارة ، ويصلي تارة ، ويدعو تارة ، ويبكي تارة . فكانت سيرته رحمه الله أجمل سيرة ، وفراسته أعظم فراسة . بحيث إنّه كان ينظر إلى الرجل فيدرك [١٦] بفراسته غرضه ، ولما مات ملك بعده ولده .

ذكر ولاية أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون وهو الثاني من ملوك الطولونية

ملك بعد وفاة أبيه في يوم الأحد لعشر خلون من ذى القعدة سنة سبعين ومائتين ، وهو ابن عشرين سنة وشهور ، في خلافة المعتمد على الله . وذلك أنه لما توفى والده اجتمع الأجناد وقتلوا ولده العباس الأكبر وولّوا خمارويه ، فاستقل بالأمر .

ذكر مسير إسحاق بن كنداجق^(١) ومحمد بن أبي الساج إلى الشام

قال المؤرخ^(٢) : لما توفي أحمد بن طولون كان إسحاق بن كنداجق على الموصل والجزيرة ، وابن أبي الساج^(٣) على أرمينية والجهال ، فطلعا في الشام ، واستصغرا أولاد أحمد بن طولون ، فكاتبوا الموفق واستمداه ، فأمرهما بقصد الشام ، ووعدهما إنفاذ الجيوش . فجتمعا وقصدا ما يجاورهما من البلاد ، فاستوليا عليها ، وأعانهما نائب دمشق الذي كان من قبل أحمد بن طولون ووعدهما الأنحياز إليهما ، وأظهر العصبان ، واستولى إسحاق على حلب وحمص وأنطاكية ودمشق .

فلما انتهى الخبر إلى أبي الجيش خوارويه ندب العساكر المصرية إلى الشام ، فملكوا دمشق ، وهرب نائبها . وسار عسكر خوارويه من دمشق إلى شيزر^(٤) لقتال إسحاق وابن أبي الساج ، فظاولهم إسحاق ينتظر المدد من العراق . وهجم الشتاء على الطائفتين ، وأضر بأصحاب خوارويه ، ففترقوا في المنازل بشيزر . ووصل العسكر العراقي إلى ابن كنداجق وعليهم أبو العباس أحمد بن الموفق ، وهو المعتضد بالله . فلما وصل سار مجداً إلى عسكر

(١) « بن كنداجق » في الكامل جـ ٧ ص ٤٠٩ . « بن كنداج » في الولاة والقضاة ص ٢٢٥ .

النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ٥٠ .

(٢) المقصود ابن الأثير . فالمؤلف يكاد ينقل عنه الأحداث التالية — الكامل جـ ٧ ص ٤٠٩ —

٤١٠ .

(٣) هو محمد بن ديوداد أبي الساج — الولاة والقضاة ص ٢٢٥ .

(٤) شيزر : بتقديم الزاي على الراء . وفتح أوله . كانت ناهية لحمص — معجم البلدان .

خُجَارُويه بشيزر ، فكبسهم في المساكن ووضع فيهم السيف ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وسار مَنْ سَلِمَ منهم إلى دمشق على أقبح صورة . فسار المعتضد إليهم ، ففارقوا دمشق وتوجهوا إلى الرملة ، وأقاموا بها . ودخل أبو العباس المعتضد إلى دمشق في شعبان سنة إحدى وسبعين ومائتين . وكتب عسكر مصر إلى خُجَارُويه ، فخرج من مصر بعساكره .

ذكر وقعة الطواحين

وفي سنة إحدى وسبعين ومائتين كانت وقعة الطواحين ^(١) بين أبي العباس أحمد بن الموفق ، وهو المعتضد ، وبين أبي الجيش خُجَارُويه بن أحمد . وكان سبب هذه الوقعة أن المعتضد لما ملك دمشق سار بعساكره إلى الرملة لقصْد عسكر خُجَارُويه ، فأتاه الخبر بوصول خُجَارُويه إلى عسكره وكثرة مَنْ معه من الجموع ، فهم المعتضد بالعود ، فلم يُمكنه مَنْ معه من أصحاب ابن طولون الذين صاروا معه . وكان المعتضد قد أوحش ابن كنداجق وابن أبي السَّاج ونسبا إلى الجبن ، حيث انتظراه حتى وصل إليهما ولم ينجزا عسكر خُجَارُويه للحرب ، ففسدت نيأتهما .

قال : ورحل خُجَارُويه ونزل على الماء الذي عليه الطواحين [عند الرملة] ^(٢) وملكه ، فنسبت الوقعة إليه . ووصل المعتضد وقد عبأ أصحابه ، وفعل خُجَارُويه كذلك ، وجعل كمينًا عليهم سعد الأيسر ، فحملت ميسرة المعتضد على ميمنة خُجَارُويه فانهمزمت . فلما رأى خُجَارُويه ذلك ، ولم يكن

(١) الطواحين : موضع قرب الرملة — معجم البلدان ، وورد أن هذا الموضع على « نهر أبي فطرس » — الولاة والقضاة ص ٢٣٥ .

(٢) [إضافة للتوضيح من الكامل ج ٧ ص ٤٦٤ .

رأى مصافاً قبله ، ولّى منهزماً في طائفة من الأحداث الذين لا عِلْمَ لهم بالحرب ، ولم يقف دون مصر .

ونزل المعتضدُ إلى خيام خُجَارَوِيه وهو لا يشكُّ في تمام النَّصر ، فخرج سعد الأيسر بالكمين وانضاف إليه مَنْ بَقِيَ من الجيش ، ونادَوْا بشعارهم ، وحملوا على عسكر المعتضد وقد اشتغلوا بتهب السَّواد ، فوضع المصريون السَّيفَ فيهم . فظنَّ المعتضدُ أنَّ خُجَارَوِيه قد عاد ، فركبَ وانهمز لا يُلَوِّى على شيء ، ووصل إلى دمشق فلم يفتح له أهلها ، ففضى منهزماً حتَّى وصل طرسوس . واقتتل العسكران وليس لواحدٍ منها أمير [١١] ، وطلب سعد الأيسر خُجَارَوِيه فلم يجده . فأقام أخاه أبا العشائر مقامه . وتمت الهزيمة على العراقيين ، وقتل منهم خلق كثير ، وأسر خلق كثير .

وجاءت البشائر بالنَّصر إلى مصر ، فسُرَّ خُجَارَوِيه بالظَّفَر ، وتخلَّج من الهزيمة ، وأكثر الصدقة ، وفعل مع الأسرى ما لم يُسبق إليه ، وقال لأصحابه : هؤلاء أضيقُكم ، فأكرمهم . ثم أحضرهم بعد ذلك وقال : من اختار المَقام عُدْنَا فله الإكرام والمواساة ، وَمَنْ أَرَادَ الرُّجوعَ جَهَّزْنَاهُ وسيرناه ، فعينهم من أقد ، ومنهم من عاد مكرماً . وسارت عساكرُ خُجَارَوِيه إلى الشَّام ففتحته أجمع ، واستقر ملك خُجَارَوِيه (١) .

وفي سنة اثنتين وسبعين ومائتين زُلزِلت مصر في جُأدى الآخرة زلزلةً شديدةً أخرجت الدُّور والمسجد الجامع ، وأحصى بها في يومٍ واحدٍ ألف جنازة .

(١) انظر الكامل ج ٧ ص ٤١٤ - ٤١٥ .

ذكر اختلاف محمد بن أبي الساج وإسحاق بن كنداجق والخطبة لخمارويه بالجزيرة

وفي سنة ثلاث وسبعين ومائتين فسدت الحال بين محمد بن أبي الساج وإسحاق بن كنداجق^(١)، وكانا قبل ذلك متفقين بالجزيرة .
وسبب ذلك أن ابن أبي الساج نأفَسَ إسحاق في الأعمال وأراد التقدّم ، فامتنع إسحاق عليه ، فكأبَّ محمد بن أبي الساج خُمارويه وانضمَّ إليه ، وخطب له بأعماله ، وهي قنُسرِين ، وسير ولده ديوذاد^(٢) إلى خمارويه رهينةً ، فأرسل خُمارويه إلى الشام ، واجتمع هو وابن الساج ببالس^(٣) .
وعبر ابنُ أبي الساج الفرات إلى الرقة فلقبه إسحاق ، وكان بينهما حرب انجلت عن انهزام إسحاق ، واستولى ابنُ أبي الساج على ما كان معه . وعبر خُمارويه الفرات ونزل الرافقة^(٤) ، وانهمز إسحاق إلى قلعة ماردين^(٥) ، فحصره ابنُ أبي الساج بها ، وسار عنها إلى سنجار^(٦) ، وأوقع بطائفة من

(١) أحمد بن إسحاق بن كنداجق « في الأصل ، والتصحيح مما سبق ، ومن الكامل جـ ٧ ص ٤٢٢ .

(٢) « ديوداد » في الكامل جـ ٧ ص ٤٢٢ .

(٣) بالبس : بين حلب والرقة ، كانت على الضفة الغربية للفرات ، ثم انحرف عنها الفرات شرقاً حتى صار منها على مسافة أربعة أميال — معجم البلدان .

(٤) الرافقة : بلدة متصلة البناء بالرقة على الفرات — معجم البلدان .

(٥) ماردين : قلعة على قمة جبل بإقليم الجزيرة ، ومنازلها متدرجة على سفح الجبل — معجم البلدان .

(٦) سنجار : بلدة في لحف جبل عال ، قرب الموصل — معجم البلدان .

لأعراب . وسار إسحاق إلى الموصل فلقبّه ابنُ أبي السّاج بِبَرْقَعِيد^(١) ،
وَكَمَّنَ له ، واقتتلوا ، فخرج الكمينُ على إسحاق ، فانهزم وعاد إلى مَارِدِينَ .
فقوى ابنُ أبي السّاج وظهر أمره ، واستولى على الجزيرة والموصل ، وخطب
لخارويه فيها ، ثمّ لنفسه بعده .

وفيهما أيضًا ثار السودان بمصر ، وحصروا صاحبَ الشرطة^(٢) ، فركب
خُارويه بنفسه ، ويده سيفٌ مسلول ، وقصد دَارَ صاحبِ الشرطة ، فقتل
مَنْ لقيه من السودان ، فهزموا ، وكثر القتل فيهم ، وسكنت مصر .

ذكر الاختلاف بين خارويه ومحمد بن أبي السّاج والحرب بينهما

وفي سنة أربع وسبعين ومائتين خالف محمد بن أبي السّاج على خُارويه ،
فسار خارويه إلى الشّام ، فقَدِمَهَا في آخر السّنة ، وسار ابنُ أبي السّاج إليه ،
فالتقوا عند ثنية العقاب^(٣) ، على مرحلة من دمشق إلى جهة حمص .
واقتتلوا في المحرم سنة خمس وسبعين ، فانهزمت ميمنة خُارويه ، وأحاط
عسكرُ خارويه بابن أبي السّاج ، فانهزم ، واستُبيحَ عسكره .

وكان قد خلّف بمحمص أموالًا كثيرة ، فندب خُارويه إليها قائدًا من قوّاده
في جيشٍ جريده^(٤) ، فسبقوا ابنُ أبي السّاج إليها ومنعوه من الدّخول

(١) برقعيد : بلدة من أعمال الموصل — معجم البلدان .

(٢) هو موسى بن طونيق ، الذي صرف في مستهل المعرم سنة ٢٧٤ هـ / ٨٨٧ م — الولاة
والقضاة ص ٢٣٦ ، ٢٣٨ .

(٣) ثنية العقاب : بالضم . تشرف على غوطة دمشق ، في الطريق من دمشق في اتجاه حمص —
معجم البلدان .

ورود في الكامل « فالتقيا في الثنية من أعمال دمشق » — ج ٧ ص ٤٢٨ .

(٤) الجريده : الفرقة من العسكر الفرسان ، والفرقة من الجند إذا خرجت مسرعة من غير أنقال
لمهمة تستدعى الإسراع في الخروج — لسان العرب .

والاعتصام بها ، واستولوا على أمواله ألقى بها . فضى إلى حلب ، ومنها إلى الرقة ، فتبعه خُمارويه ، ففارقها . وعبر خمارويه الفرات وسار في أثره ، فوصل إلى مدينة بَلَد^(١) ، وسبقه ابنُ أبي السَّاج إلى الموصل ، ثم فارقها إلى الحديثة^(٢) ، وأقام خمارويه ببَلَد ، وعُمِّلَ له سريراً طويلَ الأرجل ، وكان يجلس عليه في دجلة .

ذكر الدعاء لخمارويه بطرسوس

وفي سنة سبعٍ ومائتين دعا يازمان بطرسوس لخمارويه . وسببُ ذلك أنَّ خمارويه أنفَذَ إليه ثلاثين ألف دينار ، وخمسمائة ثوب ، وخمسمائة مطرف ، وسلاحاً كثيراً ، فلما وصل ذلك إليه ، دَعَا له ، ثمَّ وجَّهَ إليه خمسين ألف دينار .

ثم توفى يازمان في جُادى الآخرة سنة ثمانٍ وسبعين ، فخلفه ابنٌ عجيف ، وكتب إلى خمارويه بوفاة يازمان ، فأقرَّه على ولاية طرسوس ، وأمدَّه بالخيْل^[١٢] والسَّلاح والذُّخائر ، ثمَّ عزله ، واستعمل عليها ابنَ عمِّه محمدَ ابن موسى بن طولون .

ذكر الفتنة بطرسوس

وفي سنة ثمانٍ وسبعين ومائتين ثار النَّاسُ بطرسوس بالأمير محمد بن موسى ، فقبضوا عليه . وسببُ ذلك أنَّ الموفق كان له خادِم من خواصه يقال

(١) بلد : اسم لمواضع كثيرة ، والمقصود هنا بلدة من نواحي دجيل قرب الحظيرة وحرى ، من أعمال بغداد — معجم البلدان .

(٢) الحديثة : هي حديثة الموصل : كانت على دجلة بالجانب الشرقي قرب الزاب الأعلى — معجم البلدان .

له راعب ، فلما مات الموفق اختار راعب الجهاد ، فسار إلى طرسوس على عزم المقام بها ، فلما وصل إلى الشام سبر ما معه من دواب وآلات وخيام وغير ذلك إلى طرسوس ، وسار هو جريدة إلى خمارويه ليؤوره ويعرفه ما عزم عليه ، فلقى خمارويه بدمشق ، فأكرمه خمارويه وأنس به وأحبه ، فاستخيا راعب أن يطلب منه المسير إلى طرسوس ، فقال مقامه عنده . فظن أصحابه أنه قبض عليه ، وأذاعوا ذلك ، فاستغظمه الناس ، وقالوا : يعمد إلى رجل قصد الجهاد في سبيل الله فيقبض عليه ، فشعّبوا على أميرهم ، وقبضوا عليه ، وقالوا : لا تزال في الحبس حتى يطلق ابن عمك خمارويه راعباً ، ونهبوا داره ، وهتكوا حرمة .

وبلغ الخبر خمارويه فأطلع راعباً عليه ، وأذن له في المسير إلى طرسوس . فلما دخلها أطلق أهلها أميرهم محمد بن موسى ، فسار عنها إلى البيت المقدس . ولما سار عنها وليها أحمد العجفي ، وكان يليها قبل ذلك (١) .

ذكر زواج المعتض بالله بآبنة خمارويه

ابن أحمد بن طولون

قال : ولما توفي المعتض على الله (٢) وتولى المعتض بالله (٣) بآدر خمارويه

(١) انظر الكامل ج ٧ ص ٤٥٠ .

(٢) توفي في ١٩ رجب ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م — الكامل ج ٧ ص ٤٥٥ ، شذرات الذهب ج ٢ ص

١٧٣

(٣) هو أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل ، المعتض بالله ، ولي الخلافة العباسية في بغداد في الفترة

٢٧٩ — ٢٨٩ هـ / ٨٩٢ — ٩٠٢ م — تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢ .

إليه بالهدايا الجليلة على يد الحسين^(١) بن عبد الله بن منصور بن الجصاص الجوهري ، فأقره المعتضد بالله على ما بيده من الأعمال . وسأل خُارويه المعتضد أن يزوجه ابنته قطر الندى^(٢) للمكتفى بالله وليّ العهد ، فقال المعتضد بل أنا أتزوجها . [وكان ذلك]^(٣) في سنة ثمانين ، وحُمِلت إليه في سنة إحدى وثمانين ومائتين ، وأُصْدَقَهَا أَلْف أَلْف دِرْهَم .

وقيل : إنَّ المعتضد بالله إنما قَصَدَ بزواجها إِفْقَارَ الطُّلُوبَةِ ، وكذلك كان ، فإنَّ خُارويه جهَّزها بجهاز لم يسمع بمثله^(٤) ، حتى قيل إنه كان لها أَلْف هاون من ذهب ، وشرط المعتضد على خُارويه أن يحمل في كلِّ سنة مائتي ألف دينار ، بعد القيام بجميع وظائف مصر واربزاق الجند ، فأجاب إلى ذلك .

ذكر مقتل أبي الجيش خُارويه

كان مقتله في ليلة الأحد لثلاثِ بَقِينٍ من ذى القعدة سنة اثنين وثمانين ومائتين ، وقيل^(٥) في ذى الحجة منها بدمشق .

(١) « الحسن » في الأصل ، وهو الحسين بن عبد الله بن الحسين المعروف بابن الجصاص ، التاجر الجوهري . ت سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م - وفيات الأعيان ج ٣ ص ٧٧ .

(٢) قطر الندى ، واسمها أسماء ، توفيت سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م . ودفنت داخل قصر الرصافة ببغداد - وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٥٠ .

(٣) [إضافة تنفق وسياق الكلام .

(٤) عن جهاز قطر الندى انظر المراءظ والاعتبار ج ١ ص ٣١٩ ، وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٠٥ ، ج ٢ ص ٢٤٩ - ٢٥٠ ، النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٦٦ وما بعدها .

(٥) الكامل ج ٧ ص ٤٧٤

وكان سبب قتله أنه قيل له إن جواري داره قد اتخذت كل واحدٍ منهنَّ خَصِيًّا وجعلته لما كالأزواج ، وقال له الناقل إن شئت [أن] ^(١) تعلم صحّة ذلك فقررَّ بعض الجواري بالضرب ، فكذب من وقته إلى نائبه بمصر بأمره أن يسير إليه الجواري ، فاجتمع جماعة من خدام الخاصّة وتواعدوا على قتله ، فذبحوه على فراشه ليلاً . فلما قُتل قُتل من خدمه الذين اتهموا بقتله نيفٌ وعشرون نفساً .

وحُمِل خمارويه إلى مصر فدفن بجبل المقطم . وكانت مدّة ملكه ثنتي عشرة سنة وأياماً .

ذكر ولاية أبي العشائر جيش

ابن أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون

وهو الثالث من الملوك الطولونية

ملك بعد وفاة أبيه في يوم الأحد لثلاث بقين من دى القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين . وذلك أن خمارويه لما قُتل اجتمع القواد على ابنه أبي العشائر [١١٣] وبايعوه ، وكان مع أبيه بدمشق ، وهو أكبر ولده ، ففرق فيهم الأموال ، ورجع إلى مصر ، وكان صبيّاً غيّراً .

(١) [إضافة يقتضيها سياق الكلام من الكامل ج ٧ ص ٤٧٥ .

ذكر عصيان دمشق على جيش وخلاف جنده وقتله

وفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين خرج جماعة من قواد جيش بن خمارويه وجاهره بالخلاف ، وقالوا : لانرضى بك أميراً ، فاعتزلنا حتى نولى الإمارة ^(١) عمك .

وكان سبب ذلك أنه لما ولي قُرب الأحداث والسفل ، وأخذ إلى سماع أقوالهم ، فغبروا نيته على قواده وأصحابه ، فصار يقع فيهم ويدمهم ، ويظهر العزم على الاستبداد بهم ، وأخذ نعمهم وأموالهم ، فاتفقوا على قتله وإقامة عَمّه . فبلغه ذلك فلم يَنْتَه ، وأطلق لسانه فيهم ، ففارقه بعضهم ، وخلعه طُغج بن جُف ^(٢) أمير دمشق .

وسار القواد الذين فارقه إلى بغداد ، وهم : محمد بن إسحاق بن كنداجق ، وخاقان المفلحي ، وبدر بن جُف أخو طغج ، وغيرهم من قواد مضر ^(٣) . فسلكوا البرية وتركوا أموالهم وأهلهم ، فتأهوا أياماً ، ومات جماعة منهم من العطش ، وخرجوا فوق الكوفة بمرحلتين ، وقَدِمُوا على المعتضد ، فخلع عليهم ، وأحسن إليهم . وبقي سائر الجند بمصر على خلافهم ، فسألهم كاتبه على بن أحمد الماذرائي أن ينصرفوا يومهم ذلك ،

(١) « ففتح عنا حتى نولى عمك نصر بن أحمد بن طولون » في النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٩٣ .

(٢) ولي حكم دمشق وطبرية من قبل خمارويه - وفیات الأعيان ج ٥ ص ٥٧ .

(٣) عن هؤلاء القواد انظر النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٨٩ - ٩٠ .

فرجموا ، فقتل جيش عمّين من عمومته (١) ، فثار الجند إليه ، فرمى لهم بالرّاسين ، فهجم الجند عليه وقتلوه ، ونهبوا داره ، ونهبوا مصر وأحرقوها (٢) . وكانت ولايته تسعة أشهر ، وقيل ثمانية ، والله أعلم .

ذكر ولاية أبي موسى هارون ابن أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون وهو الرابع من ملوك الدولة الطولونية

ملك بعد مقتل أخيه في سنة ثلاث وثمانين ومائتين ، وهو ابن عشر سنين ، فاختلّت الأحوال ، واختلف القوّاد وطمعوا ، فانحلّ النظام ، وتفرّقت الكلمة ، ثم اتفقوا على أن جعلوا أبا جعفر بن أبي التّركي مدبّر الدولة ، وكان مقدّمًا عند أبيه وجده . فأصلح الأحوال جهّد طاقته . وجّهز جيشًا إلى دمشق عليه بدر الحامى والحسن بن أحمد الماذرائى ، فأصلحا حالها ، وقرّرا أمور الشّام ، واستعملا على دمشق طُغج بن جُفّ القرغاني ، وهو والد الإخشيد ، ورجعّا إلى مصر ، وفي الأمور اختلالٌ ، والقوّاد قد تغلبوا ، وضمّ كلٌّ منهم إلى نفسه طائفةً من الجند . ولم يزل الأمر على ذلك إلى سنة إحدى وتسعين ومائتين .

(١) أحدهما نصر بن أحمد بن طولون - النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٩٣ .

(٢) تعددت الروايات في قتله انظر تاريخ الطبرى ج ١٠ ص ٤٥ ، الولاة والفضة ص ٢٤٢ .

والروايات المختلفة التي وردت في النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٨٩ وما بعدها .

ذكر انقراض الدولة الطولونية

كان انقراضها في يوم الخميس لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيْنَا مِنْ صَفَرٍ ، سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتَسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ

وسببُ ذلك أن الخليفة المكتفي بالله^(١) ندب محمد بن سليمان كاتب الجيش في سنة إحدى وتسعين ومائتين ، وخلع عليه وعلى جماعة من القواد ، وأمرهم بالمسير إلى الشام ومصر وانتزاعها من هارون بن خنارويه ، لِمَا ظهر من عجزه واختلاف أصحابه عليه .

فسار عن بغداد في شهر رجب ، هو عشرة آلاف ، ووصل إلى حدود مصر في المحرم سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، ووجه المكتفي أيضًا دميانة الرومي غلام يازمان بالراكب ، فوصل إلى تنيس^(٢) ودخل نهر النيل ، فوجه إليه هارون جماعة من القواد ، فالتقوا ، فهزمهم دميانة ، وزحف محمد بن سليمان بالجيوش في البر حتى دنا من مصر ، وكاتب من بها من القواد ، فكان أول من خرج إليه والتحق به بدر الحامى ، وهو رئيس القواد ففت ذلك في أعضاد المصريين . وتتابع القواد إليه . فلما رأى هارون ذلك خرج بمن بقي معه من القواد لقتال محمد بن سليمان ، فكانت بينهم حروب ، ثم وقع بين

(١) هو علي بن أحمد بن طلحة ، أبو محمد ، المكتفي بالله . ول الخلافة العباسية ببغداد في الفترة من ٢٨٩ — ٢٩٥ هـ / ٩٠٢ — ٩٠٨ م — تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢ .

(٢) تنيس : من المدن المصرية القديمة . ما بين الفرما ودمياط . وهي جزيرة ببحيرة المنزلة — القاموس الجغرافي — القسم الأول ص ١٩٧ — ١٩٨ .

أصحاب هارون في بعض الأيام ، فاقتلوا ، فخرج هارون ليسكنهم ، فرماه بعض المغاربة بـمِزْرَاقٍ^(١) فقتله ، وقيل بل قتل ذلك عمه شيان ، وذلك لانتفى عشرة ليلة بقيت من صفر ، سنة اثنتين وتسعين ومائتين .

وكانت مدة ولايته نحوًا من تسع سنين تقريبًا .

فبايع الأجناد عمه [١٤] أبا المقانب شيان بن أحمد بن طولون ، وهو الخامس من ملوك الدولة الطولونية ، وعليه انقرضت .

قال : ولما يبيع بذل الأموال للجند فأطاعوه^(٢) ، وقاتلوا معه قتالاً شديداً ، ثم لم يلبثوا أن وافتهم كُتُب بدر الحامى يدعوهم إلى الأمان فأجابوه إلى ذلك . وسار محمد بن سليمان إلى مصر ، فدخلها في يوم الخميس لليلتين بقيتا من صفر ، سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، فأرسل إليه شيان يطلب منه الأمان ، فأمنه ، فخرج إليه ولم يعلم به أحد من جنده ، فلما أصبحوا قصدوا دار الإمارة فلم يجدوه ، فبقوا حياري .

واستولى محمد بن سليمان على مصر ، وعلى منازل آل طولون وأموالهم ، وقبض عليهم كلهم ، وهم عشرون رجلاً ، فقيدهم وجسهم ، واستصفي أموالهم . وكتب بالفتح إلى الخليفة ، فأمره بإشخاص آل طولون وأشياءهم^(٤) من مصر والشام إلى بغداد ، فحملهم وأتباعهم وأنقأض

(١) مِزْرَاق : ما زرق به ، وهو نوع من الرماح ، صغير ، ويرمي به من اليد - خزائن السلاح ص ٣٨ .

(٢) « فأتلقوه » في الكامل ج ٧ ص ٥٣٦ .

(٣) « قصدوا داره » في الكامل ج ٧ ص ٥٣٦ .

(٤) « وأسأهم » في الأصل ، و « وأسأهم » في الكامل ج ٧ ص ٥٣٦ ، تاريخ الطبری ج ١٠ ص ١١٩ .

قصورهم ، وعاد إلى بغداد ، ووَلَّى معاوية ^(١) مصر عيسى النوشري ^(٢) .

وانقرضت الدولة الطولونية ، وكانت مدتها من لَدُنْ ولاية أحمد بن طولون وإلى آخر أيام أبي المقانب سبعا وثلاثين سنة وخمسة أشهر وخمسة أيام ، وملك منهم خمسة نفر .

(١) « معاوية » في الأصل ، والتصحيح مما يل ، ومن الكامل جـ ٧ ص ٥٣٦ .

(٢) انظر الولاة والقضاة ص ٢٥٨ .

وهو عيسى بن محمد النوشري ، الأمير أبو موسى — النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ١٤٥ .

ذكر أخبار من ولي مصر بعد انقراض الدولة الطولونية
وإلى قيام الدولة الإخشيدية من الأعمال
وملخص ما وقع في أيامهم من الحوادث

لما انقرضت الدولة الطولونية كما ذكرنا ، كان أول من ولي مصر
عيسى النوشري ، رتبته في ولاية معونتها محمد بن سليمان الكاتب ، فلما
سار محمد إلى العراق ظهر بمصر رجل يسمى إبراهيم الخليلجي وتقلب
عليها .

ذكر إبراهيم الخليلجي ^(١) وما كان من أمره

كان إبراهيم هذا من القواد الطولونية ، وكان قد تخلف عن محمد بن
سليمان ^(٢) ، فاستمال جماعة وخالف على السلطان وكثر جمعه . وعجز النوشري
عنه ، فسار إلى الإسكندرية ، ودخل الخليلجي مصر . وكتب النوشري إلى
الملكنتي بالخبر ، فندب إليه الجنود مع فائق مولى المعتضد ، وبدر الحامي ،
فساروا في شوال سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، ووصلوا إلى نواحي مصر في سنة

(١) ورد اسمه في الصادر بصور مختلفة فهو « ابن الخليلج » في الولاة والقضاة ص ٢٥٩ .
و « إبراهيم الخليلجي » في تاريخ الطبري ج ١٠ ص ١١٩ . و « محمد بن علي الخليلج » في
المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٣٢٧ . و « محمد بن علي الخليلجي » في النجوم الزاهرة ج ٣
ص ١٤٧ . و « الخليلجي » في الكامل ج ٧ ص ٥٣٦ .

(٢) « كان تخلفه في دمشق ومعه شفيح الخادم الطولوني » - النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٤٧ .

ثلاث ، فتقدم أحمد بن كيغلغ^(١) في جماعة من القوّاد ، فلقبهم الخليجي بالقرب من العريش ، فهزمهم أقبح هزيمة ، فندب من بغداد جماعة من القوّاد فيهم إبراهيم بن كيغلغ^(٢) فخرجوا في شهر ربيع الأول . وأُتصلت الأخبار بقوة الخليجي حتى برز المكتفى بالله إلى باب الشماسية على عزم السير إلى مصر ، ثم التقى القوّاد بالخليجي ، واقتتلوا قتالاً شديداً عدة دفعات ، كان آخرها أن انهزم الخليجي ودخل فسطاط مصر ، واستتر عند رجل من أهلها ، ودخل عسكر الخليفة فظفروا به وأخذوه هو والذى استتر عنده^(٣) وحبسوها ، وكتبوا بذلك إلى الخليفة ، ووجه فاتك إبراهيم الخليجي إلى بغداد ، فدخلها هو ومن معه في شهر رمضان ، فحبسهم المكتفى .

واستقر عيسى النوشري بمصر إلى سنة سبع وتسعين ومائتين ، فتوفي في شعبان منها ، وحمل إلى البيت المقدس فدفن به .

واستعمل المقتدر^(٤) على مصر تكين الخاصة^(٥) في منتصف شهر رمضان من السنة .

(١) ولى حكم مصر مرتين سنة ٣١١ هـ / ٩٢٣ م ، ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م — الولاية والقضاء ص ٢٧٩ ، ٢٨٢ ، وفيات الأعيان ج ٥ ص ٦٢ — ٦٣ ، وانظر ما يلى .

(٢) توفي سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م — وفيات الأعيان ج ٥ ص ٦٣ .

(٣) وذلك في رجب سنة ٢٩٣ هـ / ٩٠٥ م — الولاية والقضاء ص ٢٦٢ .

(٤) هو جعفر بن أحمد بن طلحة ، أبو الفضل ، المقتدر بالله ، ولى الخلافة العباسية في بغداد في الفترة من ٢٩٥ — ٣٢٠ هـ / ٩٠٨ — ٩٣٢ م — تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢ .

(٥) ولى حكم مصر ثلاث مرات ، وتوفي بها في المرة الثالثة سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م — وفيات الأعيان ج ٥ ص ٦٢ ، وانظر ما يلى .

وفي سنة ثلاثمائة ندب تكين عسكريًا وجعل مقدمه أبا النمر^(١) أحمد بن صالح ، فضى إلى برقة والتقى مع عسكر حُباسَة قائد المهدي ، وأبلى بلاء حسنًا ، ثم صرفه تكين وولى حر المنصوري فضى إلى برقة فوجد أبا النمر موافقًا لحُباسَة ، فلَمَّا علم أبو النمر بعزله تخاذل حنقا^(٢) على تكين ، فاعتنم حُباسَة الفرصة وحاربها ، فكسرها ، وعادًا إلى مصر .

ذكر استيلاء حُباسَة على الإسكندرية

[١٥] وفي المحرم سنة اثنتين وثلاثمائة سار حُباسَة قائد المهدي من برقة ودخل الإسكندرية وملكها ، فوصل من بغداد أحمد بن كيغلف ، وأبو قابوس محمود بن حمد ، والقاسم بن سبأ ، في جمع من القواد والعساكر ، وكان وصولهم في العشرين من صفر ، فخرج بهم تكين إلى الجيزة في يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الأولى فعسكر بها ، وسار حُباسَة من الإسكندرية بعسكر مستوفى ، ونودى في فسطاط مصر بالتفير في العشرين من الشهر ، فخرج الناس إلى الجيزة ، ولم يتخلف أحد من الخاصة والعامة ، وتقدم حُباسَة في جيوشه والتقى الفريقان وكثرت القتل بينهم ، فقتل أكثر رجال حُباسَة ، وانهمز بمن بقى معه .

ثم قدم مؤنس الخادم من العراق في منتصف شهر رمضان من السنة ، ومعه جمع من الأمراء ، وأمر أحمد بن كيغلف بالسير إلى الشام ، وصرف

(١) هكذا بالأصل ، والولاية والقضاة ص ٢٦٨ ، و« أبو اليمن » في المواقظ والاعتبار ج ١ ص

٣٢٧ ، و« أبو اليمن » في النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٧٢ .

(٢) « حقا » في الأصل والتصحيح يتفق وسباق الكلام .

تكنين الخاصة عن ولاية مصر لأربع عشرة ليلة خلت من ذى القعدة . فكانت مدة ولايته خمس سنين وشهرين .

وفي سنة ثلاث وثلاثمائة قدم أبو الحسن ذكا (١) الأعرور الرومي أميراً على مصر ، وذلك لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر ، وخرج مؤنس بجيوشه إلى العراق لثمان خلون من شهر ربيع الأول ، وخرج ذكا إلى الإسكندرية لإصلاحها ، وجعل فيها ولده مظفرًا وتتبع من كان يذكر بمكاتبة المهدي ، فحبس جماعة منهم ، وقطع أيدي جماعة وأرجلهم .

ذكر وصول أبي القاسم بن المهدي إلى الديار المصرية واستيلائه على الإسكندرية والقيوم والأشمونين

وفي سنة سبع وثلاثمائة ، في الثاني من صفر ، وصل أبو القاسم بن المهدي بجيوش المغرب إلى الإسكندرية وملكها . وهي التبعة الثانية ، فإنه كان قد قدم في سنة إحدى وثلاثمائة وملكها أيضاً ، ثم عاد إلى أفريقية .

ووافق وصوله الآن والجند مخالفون لذكاً أمير مصر ، فتقاعدوا عن الخروج معه للقاء عسكر المهدي ، فخرج إلى الجيزة في عسكر قليل في النصف من صفر ، وابتقى حصناً بالجيزة ، واحتفر خندقاً على عسكره ، ثم صُرف ذكا ، وتوفي لليلة خلت من شهر ربيع الأول من السنة ، وكانت مدة إمارته أربع سنين وأياماً .

(١) « دعا » في الأصل ، كما ورد في الأصل بعد ذلك « وكا » . والتصحيح هنا وفيما يلي من الولاية والقضاة ص ٢٧٣ ، النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٨٦ .

وقدم أبو قابوس محمود بن حمد أمير الشام بمساكره نُصرةً لعساكر مصر، فكان قدومه لثمان خلون من شهر ربيع الأول، ونزل الجيزة، ثم قدم إبراهيم بن كيغلق لسبع بقين من شهر ربيع الآخر. ودخل تكين الخاصة متولياً لإحدى عشرة ليلة خلت من شعبان سنة سبع وثلاثمائة، ونزل الجيزة، وحفر خندقاً ثانياً، وأقبلت مراكب المهدي صاحب إفريقية، وهي مائة مركب حربية^(١)، وعليها سليمان الحاكم^(٢)، فبعث تكين إلى بَعال الخادم أمير طرسوس أن ينجده، فحضر إليه في مراكبه^(٣)، وانتهى إلى نهر رشيد، والتقت مراكبه بمركب المهدي لعشر بقين من شوال من السنة، وكان بينهم حرب شديدة، وهبت ريح على مراكب المهدي فألقته إلى البر، وتكسر أكثرها، وأسر من فيها، وقتل منهم خلق كثير، ودخل من بقي منهم إلى القسطنطينية، وهم سبعمائة نفر، فقتلوا عن آخرهم.

وقدم مؤنس الخادم من بغداد في الخامس من المحرم سنة ثمان وثلاثمائة^(٤)، وتولّى إمرة مصر من بغداد هلال بن بدر، ودخلها في السادس من ربيع الآخر سنة تسع وثلاثمائة، وأقام إلى سنة^(٥) عشرة،

(١) «ثمانون مركباً» في انعاظ الحنفيا ج ١ ص ٧١.

(٢) هكذا بالأصل، و«عليها سليمان الخادم ويعقوب الكنانى» في انعاظ الحنفيا ج ١ ص ٧١. وانظر أيضاً الولاة والقضاة ص ٢٧٦.

(٣) في انعاظ الحنفيا أن الخليفة المقتدر هو الذى أمر بإرسال مراكب طرسوس ج ١ ص ٧١.

(٤) «وصرف تكين عن مصر يوم الأحد لثلاث عشرة خلت من ربيع الأول سنة تسع وثلاثمائة وولى مؤنس عليها أبا قابوس محمود بن حك فأقام عليها أياماً. ثم رد تكين عليها يوم الجمعة لخمس بقين من ربيع الأول فأقام أربعة أيام» — الولاة والقضاة ص ٢٧٨.

(٥) «وأقام إلى ست عشرة» في الأصل، والتصحيح من الولاة والقضاة ص ٢٧٩.

فشغب عليه الجند ، وكثر النهب والقتل والفساد بمصر فصُرف هلال عن مصر في شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وثلاثمائة . فكانت مدة ولايته نحو ستين .

وتولى مصر أحمد بن كيغلق فقدمها في شهر رجب من السنة ، فأقام بمينة الأصيح^(١) ، وأحضر الجند ، ووضع العطاء فيهم ، وأسقط كثيراً من الرجال ، فسعت الرجال عليه ، وخرجوا لقتاله ، فانتقل إلى فاقوس وأقام بها إلى أن قدم رسول تكين الخاصة بولاية مصر ، وذلك في ذى القعدة من السنة .

وقدم تكين من العراق لعشر مضي من المحرم سنة ثنى عشرة وثلاثمائة ، فكان بها إلى أن توفي في السادس من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ، وحمل إلى بيت المقدس فدفن هناك ، فكانت مدة ولايته هذه تسع سنين وأربعة أشهر إلا أربعة أيام ، واستخلف ابنه محمد ، وكان الوزير بمصر والمتولى لخراجها يومئذ محمد بن علي الماذرائي^(٢) فوقع بينه وبين محمد

(١) « قنعت » في الأصل ، والتصحيح من الولاية والقضاء ص ٢٧٩ .

(٢) مينة الأصيح : قرية تنسب إلى أبي ريان أصيح بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، أنشأها على الخليج المصري عرفت باسمه ، وعرفت في العصر الفاطمي بقرية الخندق ، وهي في شرق القاهرة حالياً بوسط منطقة دير الملاك ، القاموس الجغرافي - القسم الأول ص ٤٢٨ .

(٣) اختلفت المصادر - في رسم هذا الاسم ، ففي الأصل ، وعقد الجمان ، « المارداني » ، وفي المواعظ والاعتبار « المارداني » ، و « المازرائي » في الولاية والقضاء ص ٢٤٤ .

ونسبت هذه الأسرة إلى مازاريا : من أعمال البصرة ، ويقول ياقوت : ينسب إليها المازرائيون ، كتاب الطولونية بمصر - معجم البلدان .
ولذلك تم تصحيح الاسم هنا وفي المواضع التالية .

ابن تكين فتنة لأربع بقين من الشهر ، وانتشرت حتى قامت الحرب بينها ، وقتل فيها جماعة من الفريقين وأُحرق دور الماذرائى الوزير وجماعة من أصحابه .

[١٦] وخرج محمد بن تكين هارباً من مصر ، ودُعى بمصر لمحمد ابن طُفج بن جُف الإخشيدى فى يوم الجمعة لانتقى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان من السنة ، ثم دُعى لأحمد بن كيغلف^(١) فى شوال من السنة ، ثم رجع محمد بن تكين إلى مصر فى يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ، وأقام بالجيزة أياماً ، ودخل دار الإمارة بمصر ، واستقر بها لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول ، ودُعى له بالأمانة ثم وقع بينه وبين عرب المغاربة حرب انجلت^(٢) عن انهزامهم إلى الصعيد ، وأقام محمد بن تكين ثلاثة أشهر واثنين وعشرين يوماً ، ثم هرب مع جماعة من أصحابه لخمس خلون من شهر رجب . ودخل أحمد بن كيغلف فى يوم السبت السادس من الشهر ، ثم رجع محمد بن تكين لقتاله لثلاث بقين منه ، وكان بينها حرب انجلت^(٣) عن انهزام محمد بن تكين ، ثم نفى بعد ذلك إلى الصعيد ، فلم يزل هناك إلى أن جاء محمد بن طُفج .

(١) « لمحمد بن كيغلف » فى الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح من الولاية والقضاة ص ٢٨٢ .
النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٤٢ ، وما يلى .

(٢) ، (٣) « أجلت » فى الأصل ، والتصحيح يتفق وسباق الكلام ، وما جاء فى الولاية والقضاة ص ٢٨٢ .

ذكر أخبار الدولة الإخشيدية وابتداء أمر من قام بها وكيف كان سبب ملكه وقيامه ومن ملك بعده إلى أن انقرضت أيامهم

كانت هذه الدولة بمصر والشام ، وهى من الدول المشهورة . وأول من ولى من ملوكها الإخشيد أبو بكر محمد بن طنج . واسم طنج عبد الرحمن ابن جف بن يلتكين بن قورى بن خاقان الملك ، وهو من فرغانة ، وكان طنج من القواد الطولونية ، وتولى لخمارويه بن أحمد [بن طولون] (٢) دمشق والشام . ولما مات طنج ترك من الأولاد أبا بكر محمدا الإخشيد ، وأبا القاسم عليا ، وأبا المظفر الحسين ، وأبا الحسن عبيد الله ، وكان أبو بكر أكبرهم فتولى الولايات وتنقل فى المراتب إلى أن ملك مصر والشام .

وكان ابتداء ولايته الديار المصرية والدعاء له بها فى يوم الجمعة لاثنتى عشر ليلة خلت من شهر رمضان سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ، كما قدمناه ، ولم تثبت ولايته هذه . ثم دعى لأحمد بن كبلغ ، وكان ما ذكرناه ، ثم ولى مصر فى سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة فى خلافة الرضى بالله (٣)

(١) « بن قورى » فى الأصل ، والتصحيح من وفيات الأعيان — انظر ترجمة أبو بكر محمد بن أبى محمد طنج ج ٥ ص ٥٦ رقم ٦٨٩ .

(٢) [إضافة للتوضيح .

(٣) هو أحمد بن جعفر المقتدر بالله ، أبو العباس الرضى بالله ، ولى الخلافة العباسية فى بغداد فى الفترة من ٣٢٢ — ٣٢٩ هـ / ٩٣٤ — ٩٤٠ م — تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢ .

وكانت هذه الولاية مفتعلة في ابتدائها ، وذلك أن التقليد من دار الخلافة ببغداد خرج باسم محمد بن تكين الخاصة ، وكان بن طنج بالساحل قبض على الرسول الواصل من دار الخلافة وأخذ منه التقليد وكشط « تكين » وكتب « طنج » وأنفذ التقليد إلى مصر فورد في يوم السبت لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان ، فاعتزل أحمد بن كيغلف النظر ، وامتنع محمد ابن علي الماذرائي الوزير من التسليم له ، وكان غالباً على أمر أحمد [بن كيغلف ^(١)] ، وعزم على قتال محمد بن طنج ، فبلغه ذلك ، فبعث صاعد بن كلمم بمراكب كثيرة من ساحل الشام ، وسار هو في البر ، فقدمت عساكره مصر براً وبحراً ، ووصل صاعد إلى الجزيرة في يوم الخميس لخمس بقين من شعبان ، وأقام خمسة أيام ، وأحرق الجسر ، ووصل الإخشيد إلى مصر فلقبه محمد بن علي الماذرائي الوزير وأحمد بن كيغلف ومحمد بن عيسى النوشري وبرزوا لقتاله . فلما تصافوا للقتال انحاز أحمد بن كيغلف وانضم إلى الإخشيد ، وقاتل الماذرائي وابن النوشري قتالاً شديداً ، ثم انهزما إلى الفيوم .

ودخل الإخشيد مصر بعد القتال في يوم الأربعاء لسبع بقين من شهر رمضان من السنة ، فنذب صاعداً لقتال الماذرائي وابن النوشري ، فوقع بينهما حرب المجلى ^(٢) عن قتل صاعد وهرب النوشري إلى برقة ، وراسل القائم ^(٣)

(١) [إضافة للتوضيح .

(٢) « أجلى » في الأصل . والتصحيح يتفق وسياق الكلام . وما ورد في الولاة والقضاة من

٢٨٧ .

(٣) هو الخليفة الفاطمي الثاني بالمغرب ، وهو القائم بأمره أبو القاسم محمد . ولما خلافة بالمغرب في الفترة من ٣٢٢ - ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ - ٩٤٥ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٣٣ .

صاحب إفريقية يطلب نجدة ، فسير إليه عسكرياً عليه أبو تازرت^(١) فدخلوا الإسكندرية وملكوها ، فخرج إليهم أبو المظفر الحسين بن طنج ومعه صالح ابن نافع ، ووقع بينهم القتال ، فانهزم النوشري وعسكر المغاربة ، وقتلوا أبو تازرت ، وأسر عامر المجنون ، وجماعة منهم . وأما محمد بن علي الماذرائي الوزير فإنه استتر ، ودام استتاره إلى أن دخل الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات المعروف بابن حنزابه وتلقاه الإخشيد ، وزينت له مصر ، فأخرجه . ثم وصل التقليد من دار الخلافة لمحمد بن طنج في سنة أربع وعشرين وثلاثمائة .

وفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة نعت الخليفة الراضي بالله محمد بن طنج بالإخشيد بسؤال منه في ذلك . ومعنى الإخشيد ملك الملوك .

وفي سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة خرج الإخشيد إلى الشام واجتمع بالخليفة المتقي بالله بالرقّة ، وخدمه ، ومشى بين يديه ، وسأله المسير معه إلى مصر [١٧] وخوفه من توزون التركي ، فلم يقبل منه . فضم إليه الإخشيد عسكرياً وقائداً من قواده ورجع الإخشيد إلى الشام ، ثم إلى مصر . وولاه المتقي مصر والشام والحرمين ، وعقد لولديه من بعده ،

(١) « أبو تازرت » في الأصل . والتصحيح من الولاة والقضاة ص ٢٨٨ .

(٢) « المتقي بالله » في الأصل ، وهو تحريف .

وهو أبو إسحاق إبراهيم المتقي بالله ، ولي الخلافة العباسية في بغداد في الفترة من

٣٢٩ - ٣٣٣ هـ / ٩٤٠ - ٩٤٤ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢ .

أَنُوجُورَ وَعَلَى ، عَلَى أَن يَكْفُلَهَا كَافُورَ الْخَصَى . وَكَانَ عَوْدُ الْإِخْشِيدِ إِلَى
مِصْرَ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ الثَّالِثِ عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى ، وَأَخَذَ الْبَيْعَةَ عَلَى
النَّاسِ لَوْلَاهُ أَبِي الْقَاسِمِ أُنُوجُورَ لِلْيَلْتَيْنِ بَقِيَّتَا مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْهَا .

(١١) « أُنُوجُورَ وَعَلَى ، وَعَلَى أَن يَكْفُلَهَا » فِي الْأَصْلِ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، وَسَيَجْرَى تَصْحِيحُ اسْمِ
أُنُوجُورَ فِيمَا يَلِي طَبَقًا لَضَبْطِهِ فِي عَقْدِ الْجَمَانِ وَهُوَ « يَفْتَحُ الْمِرْمَزَةَ وَضَمَّ النُّونَ وَالْجِيمَ بِمَدِّهَا
وَقَبْلَهَا وَאו ساكنة »

ذكر مسير الإخشيد إلى الشام ووفاته وشىء من أخباره وسيرته

وفي خامس شعبان سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة خرج الإخشيد إلى الشام والتقى بأصحاب ابن حمدان^(١)، على لَدَ^(٢)، وهزَمَهُمْ. ثم سار إلى حمص وقتل سيف الدولة بن حمدان، ومضى إلى حلب. ثم وقع الصلح بينهما، وتسلم الإخشيد من سيف الدولة حلب وحمص وأنطاكية^(٣)، وتزوج سيف الدولة بنت عبيد الله بن طنج أخى الإخشيد. ثم عاد الإخشيد إلى دمشق فتوفى^(٤) بها في يوم الجمعة لثمان بقين من ذى الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وكان عمره ستاً وستين سنة وخمسة أشهر وسبعة أيام، وكانت مدة ولايته الثانية^(٥) من لدن دخوله إلى مصر وإلى حين وفاته إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر إلا يوماً واحداً.

قال التنوخي^(٦): وكان الإخشيد حازماً شديداً، يتيقظ في حروبه،

(١) هو على بن عداة بن حمدان، سيف الدولة، أبو الحسن حكم حلب في الفترة ٣٣٣ -

٣٥٦ هـ/ ٩٤٤ - ٩٦٧ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٢٤٤.

(٢) لَدَ: بالضم والتشديد: هي مدينة اللد، من فلسطين - معجم البلدان.

(٣) عن تفاصيل الصراع بين الإخشيد وسيف الدولة انظر الكامل ج ٨ ص ٤٤٥، النجوم

الزاهرة ج ٣ ص ٢٥٤ - ٢٥٦، الولاة والقضاة ص ٢٩٢، مصر في عصر الإخشيد ص

٣٦٧ - ٣٧٢.

(٤) «فتولى بها» في الأصل، وهو تحريف، والتصحيح من الولاة والقضاة ص ٢٩٣.

(٥) «الاولى» في الأصل، والتصحيح يتفق وسير الأحداث - انظر ما سبق.

(٦) هو المحسن بن أبي القاسم على بن محمد، القاضي أبو على التنوخي، صاحب كتابي الفرج

بعد الشدة، وجامع التواريخ المسمى بكتاب نشوار المعاصرة وأخبار المذاكرة، والمتوفى سنة

٢٨٤ هـ/ ٩٩٤ م - ولها الأعيان ج ٤ ص ١٥٩ رقم ٥٥٧.

حسن التدبير ، مكرماً للأجناد ، أيداً^(١) في نفسه ، لا يكاد يجر قوسه الأفعاذ
من الناس لقوته ، حسن السيرة في رعيته ، وكان جيشه يحتوى على أربعة
آلاف رجل ، وله ثمانية آلاف مملوك ، يجرسه في كل ليلة منهم^(٢) ألفا مملوك .
وكان إذا سافر يتنقل في الخيام عند النوم حتى كان ينام في خيمة الفراشين .
قال وترك الإخشيد سبع بيوت مال ، في كل بيت مال منها ألف ألف دينار
من سكّة واحدة .

أولاده : أبو القاسم أنوجور ، أبو الحسن على .
كتابه : أبو جعفر بن المنفق ، وابن قوماقس ، وابن الرودباري .
ولما مات ملك بعده ابنه أنوجور .

ذكر ولاية أبي القاسم أنوجور

ومعنى أنوجور محمود ؛ ابن أبي بكر محمد بن طنج ، وهو الثاني من
ملوك الدولة الإخشيدية .

كانت ولايته بالشام بعد وفاة أبيه لثمان بقين من ذى الحجة سنة أربع
وثلاثين وثلاثمائة ، ويبيع له بمصر عند ورود الخبر بوفاة الإخشيد في اليوم
الثاني من المحرم سنة خمس وثلاثين ، وعمره يومئذ اثنتا عشرة سنة . وقام
ببيعته الوزير أبو بكر محمد بن علي بن مقاتل^(٣) . وكان أبو المظفر الحسن بن

(١) د . يثيد . أيداً : اشتد وقوى وصلب - القاموس .

(٢) « منها » في الأصل ، والتصحيح يثنى والسهل ، فالضمير عائد على ثمانية آلاف مملوك .

(٣) هو صاحب خراج مصر يومئذ - الولاة والقضاة ص ٢٩٤ ، النجوم الزاهرة ج ٣ ص

طنج بمصر فقبض على الوزير محمد بن علي المذكور في ثالث المحرم ، وعزله ،
وولى الوزارة ^(١) محمد بن علي الماذرائي ، وحبس ابن مقاتل ، فلم يزل في
الاعتقال إلى أن قدم كافور بالعسكر من الشام فأفرج عنه . وكان قدوم كافور
بالعسكر في يوم الثلاثاء لثمان مضي من صفر سنة خمس وثلاثين .

ثم خرج كافور بالعسكر إلى الشام ومُقتمه أبوالمظفر بن طنج ، أخو
الإخشيد ، وذلك لسبع بقين من شهر ربيع الأول . وكان سبب خروجه أن
سيف الدولة بن حمدان طمع في ملك الشام لما توفى الإخشيد ، فسار إلى
دمشق وملكها ، ثم سار إلى الرملة فلقبه كافور بها وقاتله ، وكانت الهزيمة على
ابن حمدان . واستعاد الإخشيدية ما كان سيف الدولة استولى عليه ، وأقام
كافور بالشام .

ذكر قيام أبي نصر غلبون بن سعيد المغربي وما كان من أمره

كان قيامه في سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة ، وكان يتولى « بل اسيوط »
وأخميم من صعيد مصر ، فعزله [١٨] كافور عنها وهو بالشام ، فامتنع ،
وطمع لخلو البلاد من الأستاذ كافور ، فندب إليه عسكراً فهزمهم غلبون ،
وهزم عسكراً ثانياً ، وتقوى بما أخذ مناهم . ثم سار إلى الشرقية في أواخر
السنة ثم سار منها ونزل على بركة الحبش ^(٢) فخرج إليه جماعة من الإخشيدية

(١) « وولى مكانه على الحراج » في النجوم الزاهرة ، « وجعل مكانه » في الولاة والقضاة .

(٢) بركة الحبش : من أجل متزهات مدينة القسطنطينية . وكانت تعرف ببركة المغافر وحير ،
وتعرف باسمطبل قماش ، وكانت في ملك أبي بكر محمد بن علي الماذرائي - المراءظ
والاعتبار جـ ٢ ص ١٥٢ .

فهزمهم . فرحل عند ذلك أبو القاسم أنوجور وأخوه وأهلها ^(١) ، والوزير إلى الشام ، وأخليت دار الإمارة ، فدخل غلبون مصر وسير عسكرياً إلى أبي القاسم فتبعه إلى مسجد تبر ^(٢) . ومسيك الوزير محمد بن الماذرائي وحجى به إلى غلبون ، فلما رآه أطلقه .

وسار أبو القاسم نحو الشام ، فلقبه مرتاح الشراي في أثناء الطريق ، وقد قدم من قبل كافور في جماعة من الإخشيدية ، فردّه . وعاد أبو القاسم إلى مصر بالمسكر فوجدوا غلبون وقد تفرق عنه أصحابه في البلد ، فحاربهم في نفر يسير ، فانهزم . ودخلوا دار الإمارة ، فوجدوا الوزير ابن الماذرائي ، فهما بقتله ، فأخذوه القائد منجح وخباه عنده ، ونهبت دُورَه وأحرق بعضها .

ووصل الخبر إلى كافور بالشام فقبض على ولده ، واستوزر عوضاً عنه أبا الفضل جعفر ^(٣) بن الفرات المعروف بابن حنزابة ، ثم قديم الأستاذ كافور من الشام في شهر رمضان ، سنة ست وثلاثين ، فأطلق الوزير ابن الماذرائي وأكرمه ، وردّ عليه ضياعه وأملاكه ، واستوزر محمد بن علي بن مقاتل .

وفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة لست خلون من صفر زلزلت مصر ، وتتابعت الزلازل بها ، فتهدم أكثر دُورها ، وسقط من الجامع العتيق بمصر

(١) « وأهلهم » في الأصل والتصحيح يتفق وسياق الكلام .

(٢) مسجد تبر : خارج القاهرة ، وعرف قديماً بالهنر والجميزة ، وتسميه العامة مسجد التين وهو خطأ . وموضعه خارج القاهرة من المطرية — وتبر أحد الأبرام الأكابر في أيام كافور — المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٤١٣ .

(٣) هو جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات ، المعروف بابن حنزابة ، توفي سنة ٣٩١ هـ / ١٠٠٠ م — وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٤٦ رقم ١٣٣ .

قطعة ، وتوالت الزلازل في سنة أربعين أيضًا ثلاثة أيام متوالية ، وخُصِفَ بعضُ القرى وهلك من كان بها .

فقال محمد بن عاصم من قصيدة مدح بها كافر جاء منها :
 مَا زُلْزِلَتْ مِصْرُ مِنْ سُوءٍ يُرَادُّ بِهَا وَأِنَّمَا رَقَصَتْ مِنْ عَذْلِهِ فَرَحًا
 وفي سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة انقضت نارٌ من السماء فأحرقت أكثر
 دُور مصر .

ذكر وفاة الوزير أبي بكر محمد بن الماذرائي وشيء من أخباره ومآثره

وفي شوال من سنة خمس وأربعين وثلاثمائة مات الوزير أبو بكر محمد بن
 علي بن أحمد بن إبراهيم الماذرائي ، وزير الخمارويه بن أحمد ولغيره من أمراء
 مصر ، ومولده بالعراق سنة سبع وخمسين ومائتين ، وكان له ضياعٌ
 وأملاكٌ ، قيل إن مقدار ارتفاعها ^(١) في كل سنة أربعمائة ألف دينار . وواصل
 الحجَّ من سنة إحدى وثلاثمائة إلى سنة اثنين وعشرين ، وكان ينفق في كل
 حجة مائة ألف وخمسين ألف دينار ، وكان يحمل معه أحواضًا من الخشب
 على الجمال ، مزروعٌ فيها الخضروات ، وكان لا ينصرف عن الحجاز إلا وقد
 استغنى فقراؤه . ثم واصل الحج من سنة ثمان وعشرين إلى سنة أربعين . وقام
 أربعين سنةً يصوم .

(١) « وزير » في الأصل ، والتصحيح ينفق وسياق الكلام .

(٢) ارتفاعها : إيرادها .

وقال المسبحى فى تاريخه (١) : حبس هذا الوزير على مكة والمدينة ضياعاً ارتفاعها نحو مائة ألف دينار فى كل سنة ، منها كورة سيوط ، ومنها نوير ، ومنها بركة الحبش . وحبس أيضاً عليها بالشام . وقال فى كُتُب وقفه : من بلغها فرسولُ الله صلى الله عليه وسلم خصمه . رحمه الله تعالى .

وفى سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة خالف شبيب العقيلي ، وكان والياً على لزملة والساحل ، وسار إلى دمشق وفتحها ، ودخل إليها من باب الجابية ، فوقع عن فرسه ميتاً ، واختلِف فى موته ، فقيل إن امرأة أرخت عليه حجر طاحون ، وقيل بل مات حتف أنفه ، وأتصل الخبرُ بالأستاذ كافور فسكن بعد قلق عظيم . والله أعلم .

ذكر وفاة أبى القاسم أنوجور وولاية أخيه أبى الحسن على بن الإخشيد

كانت وفاته لسبع (٢) خلون من ذى القعدة سنة تسع وأربعين وثلاثمائة ، وكانت مدة وقوع اسم الملك عليه أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وأياماً . وكان كافور هو الغالب على أمره والحاكم [١٩] فى دولته ، وليس لأبى القاسم معه إلا مجرد الاسم .

(١) هو محمد بن عبيد الله بن أحمد ، الأمير المختار عز الملك المسبحى ، المتوفى سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م . صاحب كتاب أخبار مصر . ولم يصل إلينا منه سوى الجزء الأربعين ويتناول أحداث سنتي ٤١٤ ، ٤١٥ هـ . ونشره أمين فؤاد سيد ، وتبارى بيانكى — المعهد العلمى الفرنسى بالقاهرة ١٩٧٨ .

(٢) « لثمان » فى الولاية والقضاء ص ٢٩٦ . « سابع أو ثامن » فى النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٩٣ .

ولما مات عُمَيْدَت البيعة بعده لأخيه أبي الحسن عليّ في يوم الأحد لثمانين
 خلّون من ذى القعدة ، فجرى الأستاذ كافور معه على قاعدته مع أخيه ،
 وزاد على ذلك بأن حجّبه ومنّعه من الظهور إلى الناس إلّا معه .
 ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن تُوفّي لإحدى عشرة ليلة خلت من المحرم
 سنة خمس وخمسين^(١) وثلاثمائة ، وكان مدة ملكه خمس سنين وشهرين
 وأيامًا ، وقيل : إن وفاته كانت في هذا التاريخ من سنة أربع وخمسين ،
 وكان مولده لأربع بقين من صفر سنة ست وعشرين وثلاثمائة ،
 وخلف ولدًا واحدًا وهو أبو الفوارس أحمد .

ذكر ولاية أبي المسك كافور الخصمي الإخشيدى واستقلاله بملك مصر دون شريك ولا منازع

كانت ولايته بعد وفاة أبي الحسن عليّ ، ابن سيده ، لإحدى عشرة ليلة
 خلت من المحرم سنة خمس وخمسين وثلاثمائة . وقيل في هذا التاريخ من سنة
 أربع وخمسين .

قال الفرغاني المؤرخ : لما توفي عليّ بن الإخشيد استدعاني كافور وقال
 لي : ما ترى أن أصنع ؟ فقلت له : أيها الأستاذ إن للمرحوم عندك صنائع
 وآثارًا تقتضي أن يُنظر لعقبه ، والرأي عندي أن تنصب أحمد بن الأمير عليّ
 مكان^(٢) أبيه ، وتدبر أنت الدولة كما كنت . فاعتذر بصغره ، فقلت : قد

(١) اتفق على هذا التاريخ الكندي : الولاية والقضاء ص ٢٩٦ . وابن تفرى بردى : النجوم
 الزاهرة ج ٣ ص ٣٢٦ .

(٢) « ما كان » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

عُقد لأبيه ولم يبلغ سنّه ، وأجاز ذلك ثلاثة أئمة : المتقي والمستكني^(١) والمطيع^(٢) . فقال ننظر في ذلك . وانصرفت . فبلغني أنّه قال بعدى : أبو محمد لا يشك في ولائه^(٣) لكنه يميل إلى الفرغانيّة ، ثم لم يقبل ما أشار به الفرغاني ، بل وثب على الأمر وأنزل اسم مواليه عن المنابر ، وأقام كذلك إلى أن توفّي في يوم الثلاثاء لعشرين بقيّين من جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة .

وكان سبب وفاته أنّه سُمّ في لوزينج^(٤) قدمته له إحدى جواريه وقد أتى من الميدان وهو جائع ، فأكله ومات ، وقُتِلَت الجارية بعده ، وكانت قد وضعت لذلك . ومات وله من العمر خمس وستون سنة على التقدير ، فإنه جُلِبَ في سنة ثنتي عشرة وثلاثمائة وعمره أربع عشرة سنة ، وبيع بأثني عشر دينارًا^(٥) .

قال المؤرخ : وكان لكافور معروف في كل سنة للحاج أكثر ما^(٦) يُنْقِذُ معهم مالاً وكسوة وطعاماً ، ويبيع معهم صندوقين من كسوة بدنيّه تُفَرَّقُ على الأشراف . وكان له من الغلمان الأتراك ألف وسبعون غلاماً يغلّق عليهم باب داره ، وتنام الأثني غلام روم ، سيوى المولّدين والسودان ، يكون عدّة

(١) هو أبو القاسم عبد الله المستكني بالله ، الخليفة العباسي ببغداد . ولى في الفترة من ٣٣٣ -

٣٣٤ هـ / ٩٤٤ - ٩٤٦ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢ .

(٢) هو أبو القاسم الفضل المطيع لله ، الخليفة العباسي ببغداد ، ولى في الفترة من ٣٣٤ -

٣٦٣ هـ / ٩٤٦ - ٩٧٤ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢ .

(٣) « في ولايته » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

(٤) لوزينج : نوع من الحلوى .

(٥) « اشتراه سيده أبو بكر محمد الإخشيد بثمانية عشر ديناراً من الزياتين » - النجوم

الزاهرة ج ٤ ص ١ .

(٦) « في كل سنة لحاج أكثر » في الأصل ، والتصحيح يتفق مع السياق .

غلمانه أربعة آلاف غلام . وكان راتبه في مطبخه في كل يوم ألف وسبعمائة رطل لحمًا سوى الدجاج والفرايح والخراف المشوية والحلوى وغير ذلك . وخطب له بالحرمين الشريفين ، ونفذ حكمه في الشام والحجاز وطرسوس . وكانت له خزانة شراب يُفَرَّق منها في كل يوم خمسون قرابة (١) من سائر الأشرية في الحاشية . ولما مات كافور خلف في خزائنه عيًّا وجوهرًا وثيابًا وسلاحًا بمبلغ ألف ألف دينار .

وحكى عنه أنه كان في ابتداء أمره قبل اتصاله بالإخشيده لحقه جرب حتى كان لا يقابل فطرده سيده ، وكان يمشى في سوق بني جاسة ، وفيه طبّاخ يبيع الطبخ ، فطلب كافور منه أن يطعمه ، فصره بالمغرفة على يده ، وهي حارة ، فسقط مغشيًا عليه ، فأخذه رجل من المصريين وداواه حتى وجد العافية فأتى إلى سيده فقال له سيده : خُذْ أَجْرَةَ مَا فَعَلْتَ . فأبى ؛ وقال : أَجْرِي عَلَى اللَّهِ . وكان كافور كلما عَزَّتْ نَفْسُهُ يَذْكُرُهَا بِضَرْبِ الطَّبَّاخِ بِالْمَغْرَفَةِ ، وربما يركب ويأتى ذلك المخطئ وينزل ويسجد شكرًا لله عز وجل .

وحكى أيضًا أنه اجتاز يومًا بالنحّاسين وهو في موكبه فوقف على حانوت هَرَّاس (٢) ، وكان إلى جانبه الوزير ابن الفرات فبكى كافور بكاءً شديدًا وكان يقول في بكائه : فاز الجمال فاز الجمال ، وساق وهو على تلك الحال ، فلما استقر بمكانه وسكن ، سأله الوزير عن سبب بكائه ، فقال : لَمَّا طَلَعْتُ مِنَ الْمَرْكَبِ مِنْ بَحْرِ الْحِجَاز ، وَكَانَ يَوْمُئِذٍ سَيِّدِي الَّذِي جَلِبْنِي إِبْرَاهِيمَ الْبِلُوقُ ،

(١) قرابة : من الآنية : ما قارب الامتلاء — والمقصود راوية الماء التي تصنع من جلد الحيران ، وتستخدم في نقل الماء .

(٢) هراس : أى بائع الهريسة ، وهي نوع من الحلوى .

فركب الجمل وقصدنا قُوص ونزلنا في بعض الأيام وجلسْتُ مع الجمال ورجلي آخر كان معنا قد وصل من الحج ، فقال الرجل : أشتى على الله قُدر هريسة قدامي . فقلتُ : أنا أشتى على الله ملك مصر ، فقال الجمال اشتيتُ على الله الجنة . وغاب عني هذا الحديث . فاتفق أن سيدي إبراهيم باعني لمحمد بن هاشم ، ثم باعني لأبي أحمد بن عيَّاش ، فوهبني لجارية له ، ثم وهب [٢٠] أبو أحمد الجارية بعد مدو الإخشيد ، فطلبني تكين الخاصة من الإخشيد فأهداني إليه فلم أزل إلى أن ملكت مصر . وصاحبُ الخانوت الذي وقفتُ عنده هو الذي اشتى القُدر الهريسة ؛ فعرفت أن ذلك الوقت وهب الله لكلِّ منا ما اشتى ، ففاز الجمال بالجنة .

وحكى أبو جعفر المنطقي قال : دعاني كافور يوماً وقال لي : أتعرف منجماً . كان يجلس عند دار فلان ؟ فقلت : نعم . قال : ما صنع ؟ قلت : مات منذ سنين كثيرة . فقال : مررتُ عليه يوماً فدعاني وقال : أنظرُ لك ؟ قلت : افعل . فنظر ، ثم قال : ستَملك هذه المدينة وتأمُر فيها وتنهى . وكان معي درهمين فدفعتهما إليه ، وقلت : ما معي غيرهما . وقال : وأزيدك ؛ ستَملك هذه المدينة وغيرها وتبلغ مبلغاً عظيماً ، فاذكرني . فانصرفت . فلما نمتُ البارحة رأيته في منامي وهو يقول لي : ما على هذا فارسي وأريد أن تمضي وتسأل عن حاله ، وهل له ورثة ؟ فسألتُ عنه فقليل : له ابنتان إحداهما بكر والأخرى متزوجة ، وأعلمته ؛ فاشتريها داراً بأربعمائة دينار ، ودفع للبكر مائتي دينار تتجهز بها .

وقال الحسن بن زولاق المصري المؤرخ : كان الشريف عبد الله بن أحمد

الحسيني ، وهو ابن طباطبا ، يرسل إلى كافور في كل يوم جامين (١) حلوى (٢) ورغيفاً في مندبل محترم ، فحُوطِب كافور في الرغيف وقيل له الحلوى حسنٌ فما تصنع بالرغيف ؟ فأرسل إليه وقال : يُجَرِّبني الشريفُ في الحلوى على العادة . ويعضني من الرغيف ، فركب الشريف إليه وقال : أبداً الله ، أنا ما أنفذ الرغيف تطاولاً ولا تعاضماً وإنما هي صبيّة حسنيّة تعجبه بيدها وتحبزه ، فأرسله (٣) على سبيل التبرك ، فإذا كرهته قطعناه . فقال : لا والله ، ولا يكون قوتي سيواه .

وقيل أنه ركب يوماً في موكبه والشريف أبو جعفر (٤) نقب الطالبين يسايره ، فوقعت مقرعته ، فترل الشريف فتأوله إياها ، فتذمم كافور من ذلك وتأوه وبلغ منه مبلغاً عظيماً . فلما نزل إلى داره أرسل إلى الشريف جميع ما كان يملكه في موكبه من ممالك ودواب وآلة واعتذر منه . قال التنوخي في نشوار المحاضرة : وكان قيمة ما سيره إليه خمسة عشر ألف دينار (٥) .

وفي سنة ست وأربعين وثلاثمائة قدم عليه أبو الطيب المنشي (٦) فأكرمه وخلع عليه ، وأنزله بدار ، وحمل إليه ألوفاً من المال ، فقال أبو الطيب

(١) الجام : إنا من فضة — القاموس المحيط .

(٢) « حلوا » في الأصل .

(٣) « فبرسله » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

(٤) هو مسلم بن عبيد الله بن طاهر العلوي النسابة ، أبو جعفر — النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٣ .

(٥) انظر تفصيل ذلك في النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٣ - ٤ .

(٦) هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الكندي الكوفي ، أبو الطيب المنشي ، الشاعر

المشهور ، توفي سنة ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م ، وفيات الأعيان ج ١ ص ١٢٠ رقم ٥٠ .

قصيدته التي أولها :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا وحسب^(١) المنايا أن تكون أمانيا
تَمَنِّيْتُهَا لما تَمَنِّيْتُ أن أرى صديقا ، فأعيا أو عدواً مداجيا

وجاء منها في مدح كافور :

فجاءت^(٢) به إنسان عین زمانه وخلصت بياضا خلقها وماقيا

فَحَسُنَ موقعه عند كافور ، ثم هرب منه وهَجَاهُ بما هو مسطور في ديوانه^(٣) .

ولما مات كافور قام بالأمر بعده أبو الفوارس أحمد بن علي بن الإخشيد محمد بن طنج بن جُف ، كانت ولايته بعد الأستاذ كافور لعشر بقين من جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة . وذلك أن القواد والغلمان الإخشيدية اجتمعوا وتحالفوا ألا يختلفوا ، وعقدوا الرئاسة له ،

(١) « وحب » في الأصل ، والتصحيح من ديوان المتنبي .

(٢) « فجاءت بنا » في النجوم الزاهرة جزء ٧ ص ٧ .

(٣) للمتنبي في كافور أمّاج كثيرة ، أشهرها قصيدته الدالية ، التي قالها في يوم عرفة قبل مفارقتها مصر بيوم واحد والتي مطلعها :

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديس
ومنها :

من علم الأسود المخصى مكربة أقوم به البيض أم أباه الصبد
أم أذنه في يد النخاس دامية أم قدره وهو بالفلسين مردود

انظر ديوان المتنبي ، النجوم الزاهرة جزء ٨ ص ٨ .

وهو ابن إحدى عشرة سنة ، وجعلوا الخليفة عنه الحسن^(١) بن عبد الله ابن طنج ، وهو ابن عم أبيه ؛ وردوا تدبير العساكر والرجال إلى شمول^(٢) الإخشيدى ، وتدبير الأموال إلى جعفر بن حنزابة^(٣) الوزير ؛ وذلك كله قبل دفن كافور . ؟

وأقام الأمر على ذلك ثلاثة أشهر وثمانية عشر يوماً ، واشترك معه ابن عم أبيه الحسن بن عبيد الله بن طنج ، وكان يخطب لها جميعاً بمصر والشام والحرمين ، يبدأ في الخطبة بأبي الفوارس ويثنى بأبي محمد الحسن .

ثم سار الحسن إلى الشام لقتال القرامطة ، وصادر الوزير جماعة من المصريين ، وقبض على يعقوب بن كلّس وصادره على أربعة آلاف وخمسمائة دينار ، وقبض على إبراهيم بن مروان النصراني ، كاتب أنوجور وعلى ابني الإخشيد وصادره على عشرة آلاف دينار . ولم يقدر الوزير على رضا الإخشيدية والكافورية لتباين أغراضهم ؛ فاضطرب التدبير على الوزير ، واستتر مرتين ، ونهبت داره ودور أصحابه ، فكتب جماعة من وجوه البلد إلى المعز بإفريقية يستدعون منه إنفاذ العساكر .

وكان بمصر في هذه السنة غلاء شديد وفناء عظيم ، فإن النيل انتهت زيادته في سنة ست وخمسين وثلاثمائة إلى اثني عشر ذراعاً وتسعة عشر

(١) « حسين » في الأصل ، والتصحيح من بعض المواضع التالية فقد ذكر حسين وأحياناً الحسن ، ومن النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٩ .

(٢) « شمول » في النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢١ .

(٣) هو جعفر بن الفرات ، أبو الفضل ، انظر ما سبق ، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٠ .

(٤) هو معد بن إسماعيل ، أبو تمم ، المعز لدين الله ، أول الخلفاء الفاطميين بمصر ، توفي بالقاهرة سنة ٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م — وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٢٤ رقم ٧٢٧ .

أصبغاً ، ولم يوف في السنة التي قبلها ، فاشتد الغلاء ، وكثر الوباء .
نقل بعضُ المؤرخين أنه أحصى من كُفِّن ودُفِن خارجاً ، عداً من رُمي في
البحر ، ستمائة ألف إنسان .

وفي سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة قدم الحسن بن عُبيد الله من الشام
[٢١] منزهاً من القرامطة ، ودخل مصر ، وقبض على جعفر بن الفرات
الوزير ، واستوزر الحسن بن جابر الرياحي ، ثم أطلق الوزير بن الفرات ،
بوساطة أبي جعفر مسلم الحسيني الشريف ، وفوض إليه الوزارة ، ثم سار
الحسن بن عُبيد الله إلى الشام في مستهل شهر ربيع الآخر ، وخرج جماعة من
الأولياء والكتاب والأشراف إلى الشام ، وخرج يعقوب^(١) بن كلّس إلى
الغرب مستتراً ، ثم صار منه ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ثم تواترت الأخبار في جُادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة أن المعزَّ
صاحب إفريقية قد جهّز عساكره مع غلامه جوهر إلى مصر ، فجمع الوزيرُ
القوّاد ووقع رأيهم على تقديم تحرير سويران فاستدعوه من الأشمونين^(٢) ،
وعقدوا له الرئاسة عليهم .

ووصل الخبر بوصول جوهر إلى برقة ، فاجتمع رأى الجماعة على أن بعثوا
الشريف أبا جعفر مسلماً الحسنى وأبا إسماعيل بن أحمد الزينبي وأبا الطيب

(١) هو يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هارون بن داود بن كلّس ، أبو الفرج ، استوزره العزيز
بأمر الخليفة الفاطمي ، وتوفى ابن كلّس سنة ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م - وفات الأعيان ج ٧ ص
٢٧ رقم ٨٣٦ ، ذيل تاريخ دمشق ص ٣٢ ، الإشارة إلى من نال الوزارة ص ٩٩ ، كنز الدرر
ج ٦ ص ٢٢٦ وما بعدها ، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٥٨ ، وانظر ما يلي في خلافة العزيز
بأمره .

(٢) الأشمونين : من المدن المصرية القديمة ، وهي حالياً قرية من قرى مركز ملوى ، محافظة
أسيوط - القاموس الجغرافي ج ٢ ص ٤ - ٥٩ - ٦٠ .

العباس بن أحمد العباسي والقاضي أبا ظاهر ، وغيرهم ، لتقرير الصلح بينهم وبين جوهر على تسليم البلاد له ، فساروا في يوم الاثنين لاثني عشرة ليلة بقيت من شهر رجب سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة فلقوه على تروجة^(١) ، فأكرمهم وأجابهم إلى ما طلبوه ثم بعد انفصالهم اجتمع القواد على إبطال المصالحة وتجهزوا للحرب ، ورجع أولئك التقر بكتاب الأمان ، فلم يقبل القواد ذلك ، وخرجوا إلى الجيزة بأجمعهم .

ووصل جوهر وابتدأ القتال يوم الخميس الحادي عشر من شعبان من السنة ، ثم سار جوهر بعد ذلك إلى منية شلقان^(٢) وملك المحايض ، فبعث المصريون مزاحيم بن أرتق لحفظها فلم يحفظها ، وخامر عليهم ، وعدى^(٣) جوهر ، وانهمز الإخشيديون ، ودخل جوهر مصر بعد العصر من يوم الثلاثاء ثلاث عشرة ليلة بقيت من شعبان منها ، وندب القائد جوهر المعزى بعد ذلك جعفر بن فلاح إلى الشام ، والتقى هو والحسن بن عبيد الله على الرملة في شهر رجب سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، واقتتلا^(٤) فانهزم الحسن وأسر ، وملك جعفر الشام أجمع .

وانقرضت الدولة الإخشيدية ، وكانت مدتها خمسا وثلاثين سنة ، وتسعة أشهر ، وأياما .

(١) تروجة : من القرى المصرية القديمة . من أعمال البحيرة . مكانها اليوم كوم تروجة بمركز أبو المطاير بمحافظة البحيرة - القاموس الجغرافي ق ١ ج ١ ص ١٩٠ .

(٢) منية شلقان : من القرى المصرية القديمة . من أعمال القليوبية . وحاليها تبع مركز قليوب - القاموس الجغرافي ق ٢ ج ١ ص ٥٦ .

(٣) « عدا » في الأصل .

(٤) « واقتتلوا » في الأصل .

ذكر أخبار الدولة العبيدية

التي انتسب ملوكها إلى الشرف

والحقوا نسبهم بالحسين بن علي بن أبي طالب

رضي الله عنها

هذه الدولة من الدول التي امتدت أيامها واتسعت ممالكها ، واستولت
ملوكها على كثير من الممالك المشهورة شرقاً وغرباً ، ببلاد المغرب ، والديار
المصرية . والبلاد الشامية ، والتغور والعواصم ، وغير ذلك .
وكان ابتداء ظهور هذه الدولة ببلاد المغرب ، وإنما أوردناها في أخبار
ملوك الديار المصرية ، وألحقنا ملوكها بملوك هذا الوادي لأن الديار المصرية
قاعدة ملكهم وبها قام أكثر ملوكهم .

ولنبداً بذكر أخبار ملوك هذه الدولة وابتداء أمرهم . وما قيل في نسبهم
وإلى من ينسبون ، وكيف تنقّلت^(١) بهم الحال إلى أن ملكوا البلاد ،
واستولوا على الأقاليم . وهذه الدولة أسباب ولوازم وشيعة : هم الذين مهدوا
لهم البلاد . ووطّئوا الممالك . وهرموا الجيوش ، وفتحوا الأقاليم ، وأبادوا
الأبطال . حتى استقر الملك للملك هذه الدولة وتسلموه عفواً صفواً .

(١) « تنقلب » في الأصل .

لأبد لنا أن نبتدئ بذكر أخبارهم ، وما فتحوه واستولوا عليه قبل ظهور المهديّ الذي هو أول ملوك هذه الدولة ، ثم نذكر عاقبة أمر من قرر لهم الملك معهم ، ونذكر من ملك من ملوك هذه الدولة واحداً بعد واحد إلى أن انقرضت دولتهم وبادت أيامهم .

فنعول وبالله التوفيق :

أول من ملك منهم عبيد الله المنعوت بالمهديّ ، ونسب نفسه أنه : عبيد الله بن الحسن بن عليّ بن محمد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، وأهل العلم بالأنساب من المحققين يُذكرون ذلك ويتقوّنونه عن ^(١) الشرف ، ويقولون : اسم عبيد الله سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله القدّاح ^(٢) بن أبي شاذان ميمون بن ديصان بن سعيد الغضبان ، صاحب كتاب « الميدان في نصر الزندقة » ، وهو من أهل رَاهُزْمَر ^(٣) ، كورة من كور الأهواز ، وكان من خُرُمِيَّة المَجُوس ^(٤) ، ومن المؤرخين من زعم أن الحسين بن أحمد زوج أم سعيد وأن أبا سعيد يهودي . وقال القاضي أبو بكر بن الطيّب ^(٥) في كتابه المسمّى بكشف الأسرار

(١) للدراسة التفصيلية انظر : ذكر ما قيل في أنساب خلفاء الفاطميين - اتعاط الخنفا ج ١ ص ٢٢ وما بعدها .

(٢) « القراج » في الأصل .

(٣) راهزمر : وتسميها العامة : رامز تكاسلا ، وهي من نواحي خوزستان - معجم البلدان .

(٤) الحرّمية : حركة دينية ترجع إلى أصول مجوسية ، يعتقدون في تناسخ الأرواح ، ويتحللون من القيم الدينية - الكامل ج ٦ ص ٣٢٨ .

(٥) هو محمد بن الطيّب بن جعفر بن القاسم ، القاضي أبو بكر ، البصري ، البغدادي ، المالكي . الأشعري . المعروف بالهاقلاني ، توفي في بغداد سنة ٤٠٣ هـ / ٩٨٨ م - المعر ج ٣ ص ٨٦ .

وهتك الأستار : إن سعيداً هذا كان قد رياه عمه محمد بن أحمد المكنى بأبي
الشلغلغ [٢٢] وكانوا دُعَاةً لمحمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، يأكلون
البلاد باسمه ويدعّون أنّه حيٌّ يُرزق إلى زمانهم ، وفيه عمل ابن المنجم
قصيدته التي يقول فيها :

فإنك في دعواك أنك منهم كمن يدعى أن النحاس من الذهب
متى كان مولى الباهليين ملحقاً بآل رسول الله يوماً إذا انتسب

ولما ملك بهاء الدولة أبو نصر [بن] ^(١) عضد الدولة فناخسرو، ابن بويه ،
بغدادَ جمع الطالبين من آفاق العراق ، وسألهم عنهم ، فكلهم أنكرهم
ونفاهم ، وتبرأ منهم ، فأخذ خُطوطهم بذلك . وكان ممن شهد الشريفان
الرّضويّ ^(٢) والمرتضى ^(٣) وأبو حامد الأسفرايني ^(٤) ، وأبو الحسين

(١) [بن] إضافة يقتضيها السياق فهو بهاء الدولة أبو النصر فهرز بن عضد الدولة أبو شجاع
فناخسرو - تاريخ الدول الإسلامية ص ٢٩٠ ، وانظر ترجمة عضد الدولة في وفيات الأعيان
ج ٤ ص ٥٠ رقم ٥٣٢ .

وقد ولي أبو نصر بهاء الدولة حكم العراق في ظل الخلافة العباسية في الفترة من ٣٧٩ -
٤٠٤ هـ / ٩٨٩ - ١٠١٣ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٢٩٠ .

(٢) هو محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم . الشريف
الرضي أبو الحسن ، توفي ببغداد سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م - وفيات الأعيان ج ٤ ص ٤١٤
رقم ٦٦٧ .

(٣) هو علي بن الحسين بن موسى ، أخو السابق ، توفي ببغداد سنة ٤٣٦ هـ / ١٠٤٤ م - وفيات
الأعيان ج ٣ ص ٣١٣ رقم ٤٤٣ .

(٤) هو أحمد بن محمد بن أحمد الأسفرايني الشيخ أبو حامد ، الفقيه الشافعي . توفي ببغداد سنة
٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م - وفيات الأعيان ج ٢ ص ٧٢ رقم ٢٦ .

القُدُورِيُّ^(١) ، وغيرهم^(٢) ، وذلك في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة^(٣) بأمر القادر بالله^(٤) العباسي .

هذا مع ما ينسب إلى بني بويه من التشيع . فلنذكر ابتداء أمرهم وأول من قام منهم .

ذكر ابتداء أمرهم وأول من قام منهم

قال أبو محمد عبدالعزيز بن شَدَّاد بن الأمير تميم بن المعز بن باديس في كتابه المترجم بالجمع والبيان في أخبار المغرب والقيروان : أول من قام منهم أبو شاكر ميمون بن ديسان بن سعيد الغضبان ، وكان ميمَن صحبَ أبا الخطاب محمد بن أبي زينب مولى بني أسد^(٥) ، فآلَقُوا إلى كلٍّ من اختصُّوا به أن لكلِّ شيء من العبادات باطنًا ، وأنَّ الله تعالى ما أوجب على أوليائه صلاة ولا زكاة ولا صومًا ولا حجابًا ، ولا حرَم عليهم شيئًا من المحرمات ؛ وأباح لهم نكاح البنات والأخوات . وإنما هذه العبادات عذابٌ على الأمة وأهل الظاهر ، وهي ساقطة عن الخاصة . يقولون ذلك لِمَنْ يثقون به ويسكنون

(١) هو أحمد بن محمد بن أحمد ، أبو الحسين القدوري ، الفقيه الحنفي ، توفي ببغداد سنة ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦ م - وفات الأعيان ج ١ ص ٧٨ رقم ٣٠ .

(٢) عن أسماء الموقعين على هذا المحضر انظر الكامل ج ٩ ص ٢٣٦ ، اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٤٨ - ٤٩ .

(٣) « في سنة ٤٠٢ هـ » في كل من الكامل واتعاظ الحنفا .

(٤) هو أبو العباس أحمد القادر بالله ، ولي الخلافة العباسية ببغداد في الفترة من ٣٨١ - ٤٢٢ هـ / ٩٩١ - ١٠٣١ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢ .

(٥) هو محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع ، مولى بني أسد ، ويعرف أصحابه بالخطابية ، وهم من غلاة الشيعة - الملل والنحل ج ١ ص ١٧٩ .

إليه . ويقولون في آدمَ وجميع الأنبياء : كذَّابُونَ مَخَالُونَ طلابٌ للرئاسة .

فاشتدَّت شوكة هؤلاء في الدولة العباسية ، وتفرقوا في البلاد شرقاً وغرباً ، يُظهرون التقشُّف ، والزَّهد ، والتَّصوُّف ، وكثرة الصَّلَاة والصَّيام ، يُعرفون الناس بذلك وهم على خلافه ، ويذكرون أبا الخطاب إلى أن قامت البيئَة بالكوفة أن أبا الخطاب استَقَطَّ العبادات وأحلَّ المحارم ، فأخذه عيسى^(١) بن موسى الهاشمي ، مع سبعين من أصحابه ، فضربَ أعناقهم ، فتفرَّق بقيَّة أصحابه في البلاد ، فصار قومٌ مِنَّهم كان على مذهبه إلى نواحي خراسان ، وقومٌ إلى الهند ، وصار أبو شاذان ميمون بن سعيد إلى بيت المقدس مع جماعة من أصحابه ، وأخذوا في تعلُّم الشعبة^(٢) والتارنجيات^(٣) والحيل ومعرفة الرِّزق من صنعة التَّجْوِم والكيمياء ، ومخاتلون على كلِّ قوم بما يتفق عندهم ، وعلى العامة بإظهار الزَّهد والورع ، ونشأ لأبي شاذان ابن يُقال له عبد الله القدَّاح ، علَّمه الحيل وأطلعه على أسرار هذه النُّحلة ، فتحقَّق وتقمَّع ، وكانوا يظهرون التشيع والبكاء على أهل البيت ويزيدون أكاذيب خترعوها يخدعون بها ضعفاء العقول .

وكان من كبار الشعوية^(٤) رجل يسمى محمد بن الحسين بن جهاز نجار

(١) هو عيسى بن موسى بن محمد بن علي العباسي ، ولي عهد السفاح بعد أخيه المنصور ، خلعه المهدي ، توفي سنة ١٦٨ هـ / ٧٨٤ م — المعبر ج ١ ص ٢٥٣ .

(٢) يقال : شعوذ وشعوذة ، والشعوذة والشعبذة : خفة في اليد ، وأخذ كالسحر ، القاموس المحيط .

(٣) التارنجيات : هي الرقي أو الطلاسم أو السحر ، وعن أخبار أصحاب التارنجيات والحيل . انظر الفهرست لابن النديم ص ٤٢٩ - ٤٣٥ .

(٤) « الشعبية » في الأصل .

الملقب دندان^(١) وهو بنواحى الكرج^(٢) وأصفهان له حالٌ واسعة وضياح عظيمة ، وهو المتولّى على تلك المواضع ، وكان يبغض العرب ويذمهم ، ويجمع مهابيهم ، وكان كلٌّ من طَمِيع في نواله تقرب إليه بدمّ العرب ، فسمع به عبدُ الله بن ميمون القدّاح وما يتحلّه من بُغض العرب وصنعة التّجوم ، فسار إليه ، وكان عبد الله يتعاطى الطّبّ وعلاج العين ، ويقدّح الماء النّازل فيها ، ويُظهر أنه إنما يفعل ذلك حبسةً وتقرباً إلى الله عز وجلّ ، فطار له هذا الاسمُ بنواحى أصفهان والجبل ، فأحضره دندان وفاتحه الحديث ، فوجده كما يحبّ ويهوى ، وأظهر له عبد الله من مساوئ العرب والطعن عليهم أكثر مما عنده ، فاشتدّ إعجابه به ، وقال له : مثلك لا ينبغي أن يطبّ ، وإنّ قدرك يرتفع ويحلّ عن ذلك ، فقال : إنّما جعلت هذا ذريعةً لما وراءه ممّا أُلقي به إلى الناس وإلى من أسكن إليه على رفقٍ ومَهَل ، من الطّعن على الإسلام ، وأنا أنشِر عليك ألا تُظهر ما في نفسك إلى العرب ، ومن يتعصّب لهذا الدّين ، فإنّ هذا الدّين قد غلب على الأديان كلّها فما يطيقه ملوك الرّوم ، ولا الترك ، والفرس ، والهند ، مع بأسهم ونجدتهم ، وقد علمت شدّة بابك صاحب الحُرّمية^(٣) ومكره عساكره ، وأنّه لما أظهر ما في نفسه من بُغض الإسلام وترك التّسرّ بالتّشيع^(٤) [٢٣] كما يقول أوّلًا قُلِع أصله ،

(١) اختلفت المصادر في رسم هذا الاسم فهو زيدان ، وزندان ، وذيدان .. إلخ كما اختلفت في التعريف به المصادر السنية عن المصادر الشيعية - للتفصيل انظر اتعاظ الخنفا ج ١ ص ٣٩ هامش ٥ .

(٢) الكرج : مدينة بين أصفهان وهمدان - معجم البلدان .

(٣) بابك الحرمي : قائد حركة خارجة عن الدولة العباسية ، بدأت في سنة ٢٠١ هـ / ١٦٦ م . واستمرت هذه الحركة حتى سنة ٢٣٣ هـ / ٨٣٧ م - الكامل ج ٦ ص ٣٢٨ ، ص ٤٧٧ .

(٤) « ترك السير بالتشيع » في الأصل ، والصحيح يتفق والسياق .

قَالَتْ أَفَ أَنْ تُظْهَرُ مَا فِي نَفْسِكَ ، وَالزَّمِ الشَّيْعَ وَالْبُكَاءَ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ ،
فَإِنَّكَ تُجِدُ مَنْ يُسَاعِدُكَ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَيَقُولُ : هَذَا هُوَ الْإِسْلَامُ
[وَسُبُّ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٌ] ^(١) وَادَّعَى عَلَيْهَا عَدَاوَةَ الرَّسُولِ وَتَغْيِيرَ الْقُرْآنِ وَتَبْدِيلَ
الْأَحْكَامِ ، فَإِنَّكَ إِذَا سَبَّيْتَهَا سَبَيْتَ صَاحِبَهَا ^(٢) ، فَإِذَا اسْتَوَى لَكَ الطَّعْنُ
عَلَيْهَا فَقَدْ اسْتَفْتَيْتَ مِنْ مُحَمَّدٍ ، ثُمَّ تُعْمِلُ الْحِيلَةَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي اسْتِثْصَالِ دِينِهِ .
وَمَنْ سَاعَدَكَ عَلَى هَذَا فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ ، وَيَتِمُّ لَكَ
[الْأَمْرُ] ^(٣) كَمَا تَرِيدُ ، فَقَالَ دَنْدَانٌ ^(٤) : هَذَا هُوَ الرَّأْيُ .

ثُمَّ قَالَ لَهُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَدَّاحُ : إِنْ لِيَ أَصْحَابًا وَأَتْبَاعًا أَبْغَاهُمْ فِي الْبِلَادِ
فَيُظْهِرُونَ التَّقَشُّفَ وَالتَّصَوُّفَ وَالتَّشْيِعَ ، وَيَدْعُونَ إِلَى مَا تَرِيدُهُ بَعْدَ إِحْكَامِ
الْأَمْرِ . فَاسْتَضَوَّبَ دَنْدَانُ ذَلِكَ وَسُرَّ بِهِ ، وَبَذَلَ لِعَبْدِ اللَّهِ الْقَدَّاحِ أَلْفَ
دِينَارٍ . فَقَبِلَ الْمَالَ وَفَرَّقَهُ فِي كُورِ الْأَهْوَازِ وَالْبَصْرَةِ وَسَوَادِ الْكُوفَةِ ، وَبَطَالِقَانَ ،
وَحِرَاسَانَ ^(٥) ، وَسَكَنِيَّةً مِنْ أَرْضِ حَمَصٍ .

ثُمَّ مَاتَ دَنْدَانُ فَخَرَجَ عَبْدِ اللَّهِ الْقَدَّاحُ إِلَى الْبَصْرَةِ وَسَوَادِ الْكُوفَةِ ، وَبَثَّ
الدَّعَاةَ ، وَتَقَوَّى بِالْمَالِ ، وَدَبَّرَ الْأَمْرَ .

(١) [إضافة تتفق وسباق الكلام .

(٢) يقصد الرسول عليه الصلاة والسلام .

(٣) [إضافة تتفق والسباق .

(٤) « ديدان » في الأصل ، والتصحيح مما سبق .

(٥) « بطالقان خراسان » في الأصل ، والتصحيح من انحطاط الحنفية ج ١ ص ٤٠ .

وطالقان : مدينة بخراسان بين مرو الروذ وبلخ — معجم البلدان .

وحكى الشريف أبو الحسين محمد بن علي الحسين المعروف بأخي محسن^(١) في كتابه أن عبد الله بن ميمون هذا كان قد نزل عسكر مكرم^(٢) فسكن بساباط أبي نوح ، وكان يتستر بالتشيع والعلم ، فلما ظهر عنه ما كان يضمه ويهره من التعطيل والإباحة ، والمكر والخديعة ، ثار الناس عليه ، فأول من جاءه^(٣) الشيعة ، ثم المعتزلة وسائر الناس ، وكبوا داره ، فهرب إلى البصرة ومعه رجل من أصحابه يعرف بالحسين الأهوازي ، فقتل بيأهلة على مواله لآل عقيل بن أبي طالب ، وقال لهم : أنا من ولد عقيل ، وداع^(٤) إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر^(٥) . فلما أقام وانتشر خبره طلبه العسكريون فهرب وأخذ طريق الشام ومعه الحسين الأهوازي ، فلما توسطوا الشام عدّلا إلى سلمية^(٦) ليخفي أمرها فأقام بها عبد الله ونفى أمره .

نرجع إلى قول ابن شداد . قال : ثم مات عبد الله ، وكان له جماعة من الولد فخلفه منهم ابنه^(٧) أحمد ، فقام مقام أبيه ، وجرى على قاعدته ،

(١) علوي عاش في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري . وله مجلد يشتمل على بضع وعشرين كراسة في الطعن على أنساب الخلفاء الفاطميين — انظر اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٢٢ .

(٢) مكرم : من نواحي خوزستان — معجم البلدان .

(٣) « فأول من ثار عليه » في كنز الدرر ج ٦ ص ١٩ .

(٤) « داعي » في الأصل . والنصح من كنز الدرر ج ٦ ص ١٩ .

(٥) « فادعى أنه من ولد عقيل بن أبي طالب ، وأنه يدعو إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق » — اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٢٥ - ٢٦ .

(٦) سلمية : بفتح أوله وثانيه ، وسكون الميم ، وباء مثناه من تحت خفيفة — بلهدة من جهة البهية من أعمال حماة ، وكانت من أعمال حمص — معجم البلدان .

(٧) « أبيه » في الأصل . والنصح من اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٢٦ .

وَبَثَّ الدُّعَاةَ ، واستدعى رجلاً من أهل الكوفة يقال له أبو الحسين رسم بن الكرخيين بن حوشب بن زاذان النجار ؛ وكان هذا الرجل من الإمامية الذين يقولون بإمامة موسى^(١) بن جعفر ، فنقله إلى القول بإمامة إسماعيل^(٢) بن جعفر . وكانوا يرضدون مَنْ يَرُدُّ من المشاهد وينظرون إليهم ، فمن كان فيه مطمَعٌ وجهالة استدعوه ، ولا يستدعون إلا الجهال وَمَنْ له بأسٌ وجلدٌ ، وعشيرة ومال ، وعزٌّ ومنعة ، ويتجنبون الفقهاء والعلماء ، والأدباء والعقلاء .

وكانوا يطلبون أطراف البلاد ، فقال خم بعض من ورد عليهم : إن بجيشان^(٣) والملاحرة والجند^(٤) من أرض اليمن رجلاً جلدًا كثير المال والعشيرة ، يتشيع ، وبهذه الناحية شاعرٌ يقتل له ابن خيران يسبُّ في شعره أبا بكر وعمر ، المهاجرين والأنصار ، على مثل سبيل الحميري الشاعر ، فوردَ ذلك الرجل المذكور ، وهو أبو الخير محمد بن الفضل من أهل جيشان من اليمن ، ودخل إلى الحيرة ، فأراه يتيكى على الحُسين بن علي ، فلما فرغ من زيارته أخذ الداعى يده وقال له : إني رأيت ما كان منك من البكاء والقلق

(١) هو موسى بن جعفر الصادق ، أبو الحسن ، موسى الكاظم ، توفي سنة ١٨٣ هـ / ٧٩٩ م — وتنسب إليه الفرقة الموسوية — وفيات الأعيان ج ٥ ص ٣٠٨ رقم ٧٤٦ ، الملل والنحل ج ١ ص ١٦٨ .

(٢) هو إسماعيل بن جعفر الصادق ، وتنسب إليه الفرقة الإسماعيلية الواقعة الذين قالوا إن الإمام بعد جعفر إسماعيل نَصًّا عليه باتفاق أولاده . ومن ثم الإمامة بعده في أولاده — الملل والنحل ج ١ ص ١٦٧ .

(٣) جيشان : بالفتح ثم السكون ، مخلاف باليمن — معجم البلدان .

(٤) جند : بالفتح ثم السكون ، أحد أقسام اليمن الثلاثة في العصر الإسلامي الأول وهو أعظمها — معجم البلدان .

على صاحب هذا القبر ، فلو أدركته ما كنت تصنع قال : كنت أجاهد بين يديه ، وأجعل خلدَي أرضاً بطلاً عليها ، وأبذل مالى ودمى دونه . فقال له : أنظرن أن ما بقى لله حجة بعد صاحب هذا القبر ؟ قال : بلى ، ولكن لا أعرفه بعينه ، قال : فتريده ؟ قال : إى والله . فسكت عنه الداعى . فقال له محمد ابن الفضل : ما قلت لى هذا القول إلا وأنت عارف به . فسكت الداعى ، فقوى ظن ابن الفضل أن هذا الرجل يعرف الإمام والحجة ، فألح عليه وقال له : الله الله فى أمرى ، إجتمع بينى وبينه ، فإنى خرجت إلى الحجّ وجئت إلى هذه الزيارة أريد الله تعالى ، فسكت الداعى ، وازدادت رغبة ابن الفضل ، فصار يتضرع إليه ، ويسأله ، ويقبل يده . فقال له الداعى : اصبر ، ولا تتعجل ، وأقم ، فهذا الأمر لا يتم بسرعة ، ولا بد له من صبر ومهلة . فقال ابن الفضل لأصحابه ومن كان معه من جيشان : انصرفوا فلى بالكوفة شغل ، فانصرفوا ، وأقام هو واجتمع بالداعى ، فقال له : ما عملت فى حاجتى ؟ فقال انتظرنى حتى أعود إليك ، فانصرف عنه ومضى إلى أحمد بن القدّاح وعرفه حال ابن الفضل وحرصه على لقاء الحجة وإمام الزمان ، وبقى الداعى يرقبه ويراه لا يكاد يبرح من المسجد من غير أن يعلم ابن الفضل به ، فلمّا كان بعد أربعين يوماً أتاه إلى المسجد وهو جالس ، فقال له : أنت بعدّها هنا ؟ فقال : نعم ، ولولا تحنّى لأقمت فى هذا المسجد إلى أن أموت . فعلم الداعى أنه قد قصده ، فأخذه وجمع بينه وبين أحمد بن عبد الله ابن ميمون [٢٤] .

وحكى الشريف أبو الحسين محمد بن على الحسينى فى كتابه الذى صرح فيه بنى هؤلاء عن النسب إلى الحسين بن على ، رضى الله عنها ، واستدلّ

على ذلك بأدلة يطول شرحها - أن أحمد بن عبد الله بن ميمون لما قام بالأمر بعد أبيه عبد الله بعث الحسين الأهوازي^(١) من سلمية داعية إلى العراق ، فلما انتهى إلى سواد الكوفة لقي حمدان بن الأشعث ، وهو قرمط الذي يُنسب إليه القرامطة ، فصحبه ، وأتبعه قرمط ، وتابعه كثير من الناس . فلما مات الأهوازي أسند الأمر من بعده إلى حمدان بن الأشعث ، قرمط ، وقد ذكرنا هذه القصة في أخبار القرامطة .

نرجع إلى قول ابن شداد . قال : وكان أحمد يقول للحسن ابن حوشب الكوفي التجار : يا أبا القاسم هل لك في غربة في الله ؟ فيقول : الأمر إليك يا مولاي ، فلما اجتمع بابن الفضل قال له : قد جاء ما كنت تريد يا أبا القاسم ، هذا رجل من أهل اليمن ، وهو عظيم الشأن ، كثير المال ، ومن الشيعة ، قد أمكنك ما تريد ، وتم خلق من الشيعة ، فاخرج وعرفهم أنك رسول المهدي ، وأنه في هذا الزمان يظهر في اليمن . واجمع المال والرجال ، والزم الصوم والصلاة والتقشف ، واعمل بالظاهر ولا تظهر الباطن ، وقل لكل شيء باطن ، وإن ورد عليك شيء لا تعلمه فقل لهذا من يعلمه ، وليس هذا وقت ذكره . وجمع بينه وبين ابن الفضل ، وخرجا جميعاً إلى أرض اليمن .

ونزل ابن حوشب بعدن ، وكان فيها قوم من الشيعة يعرفون ببني موسى ، وخبرهم عند ابن ميمون ، فترز ابن حوشب بالقرب منهم ، وأخذ في بيع ما معه من القماش ، ولزم الزهد والتقشف . فقصده بنو موسى وقالوا له : فيم جئت ؟ قال : للتجارة . قالوا : لست بتاجر ، وإنما أنت رسول المهدي ،

(١) « إلى هوارى » في الأصل ، والتصحيح مما يلى . ومن انماط الحفا ج ١ ص ٢٦ .

وقد بلغنا خبرك . وعرفوه بأنفسهم ، فأظهر أمره عليهم ، وسار إلى عدن لآعة^(١) . وسار ابن الفضل إلى بلده . ولما وصل ابن حوشب إلى عدن لآعة قوى عزائمهم وقرب أمر المهدي عليهم ، وأنه من عندهم يخرج ، وأمرهم بالاستكثار من الخيل والسلاح

ولم يزل أمر ابن حوشب يقوى وأخباره ترد على من بالكوفة من الإمامية وطبقات الشيعة ، فيبادرون إليه ، ويقول بعضهم لبعض : دار الهجرة ، فكبر عددهم واشتد بأسهم ، وأغار على من جاوره ونهب وسبي ، وجبي الأموال ، وأنفذ إلى من بالكوفة من ولد عبدالله القداح أموالاً عظيمة ، وهدايا وطرفاً ، وكذلك لابن الفضل .

وكانوا نفذوا إلى المغرب رجلين ، أحدهما يعرف بالحلواني والآخر بأبي سفيان^(٢) ، وتقدموا إليهما بالوصول إلى أقاصى المغرب ، والبعد عن المدن والمنابر ، وقالوا لهما ينزل كل واحد منكما بعيداً من الآخر ، وقولاً : لكل شيء باطن ، ونحن فقد قيل لنا اذهبا فالمغرب أرض بور فاحرثاها واكثرباها حتى يأتي صاحب البذر ، فنزل أحدهما بأرض كتامة^(٣) بمدينة مرجنة^(٤) والآخر سوق^(٥) حمار ، فهالت قلوب أهل تلك النواحي إليهما ، وصارا يحملان

(١) عدن لآعة : قرية بجوار مدينة لآعة في جبل صبر باليمن - معجم البلدان .

(٢) « هما أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد ، وأخوه أبو العباس محمد بن أحمد بن محمد » في اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٢٦ .

(٣) « كتانة » في الأصل ، والتصحيح ثما يلى .

(٤) مرجنة = مرمجة : بالفتح ثم السكون ، قرية بأفريقية (تونس) لقبيلة هواة من البربر - معجم البلدان .

(٥) كذا في الأصل والكمال . و « سوق حماد » في اتعاظ الحنفا ، « سوجار » في افتتاح الدعوة ص ٢٩ .

التَّحَفُّفِ الَّتِي تُحْمَلُ إِلَيْهَا إِلَى ابْنِ الْقَدَّاحِ ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى قُرْبٍ مِنْهَا بَعْدَ أَنْ أَقَامَا سَنِينَ كَثِيرَةً .

فَقَالَ ابْنُ حَوْشِبٍ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ زَكَرِيَا الشَّيْعِيِّ ، وَكَانَ قَدْ هَاجَرَ إِلَيْهِ ، يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَرْضُ كِتَابَةِ مِنَ الْمَغْرِبِ قَدْ حَرَنُهَا الْحُلُوفَانِي وَأَبُو سَفْيَانَ وَقَدْ مَاتَا ، وَلَيْسَ لَهَا غَيْرُكَ ، فَبَادِرْ إِلَيْهَا فَإِنَّهَا مَوْطَأَةٌ مَهْمَدَةٌ لَكَ ، فَخَرَجَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَأَخْرَجَ ابْنُ حَوْشِبٍ مَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي مَلَّاحٍ ، وَأَمَدَهُ بِمَالٍ ، وَأَوْصَاهُ بِمَا يَعْمَلُ وَكَيْفَ يَحْتَالُ . وَكَانَ أَبُو^(١) عَبْدُ اللَّهِ قَدْ شَاهَدَ أَفْعَالَ ابْنِ حَوْشِبٍ وَعَرَفَ تَدْبِيرَهُ ، فَسَارَ إِلَى مَكَّةَ ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا نَذَكَرَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَأَمَّا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَيْمُونٍ فَإِنَّهُ لَمَّا قَوَّى أَمْرُهُ ، وَكَثُرَتْ أَمْوَالُهُ ، ادَّعَى أَنَّهُ مِنْ وَلَدِ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَهُمْ مَعَ هَذَا يَسْتُرُونَ أَمْرَهُمْ ، وَيُخْفُونَ أَشْخَاصَهُمْ ، وَيُغَيِّرُونَ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ دُعَائِهِمْ ، وَيَتَنَقَّلُونَ فِي الْأَمَاكِنِ . ثُمَّ مَاتَ أَحْمَدُ فَخَلَفَهُ مُحَمَّدٌ . وَكَانَ لِمُحَمَّدٍ وَلَدَانِ ، أَحْمَدُ وَالْحُسَيْنُ ، فَمَاتَ أَحْمَدُ وَصَارَ الْحُسَيْنُ إِلَى سُلْمِيَّةَ وَلَهُ بِهَا أَمْوَالٌ مِنْ وَدَائِعِ جَدِّهِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَدَّاحِ ، وَوُكَلَاءُ ، وَاتِّبَاعُ ، وَغُلَامَانُ . وَبَقِيَ يَبْغِدَادَ مِنْ أَوْلَادِ الْقَدَّاحِ أَبُو الشَّلَغْلَغِ^(٢) ، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَيْمُونِ بْنِ دَيْصَانَ ، وَهُوَ مُؤَدَّبٌ بِآدَابِ الْمُلُوكِ .

وَكَانَ الَّذِي بِسُلْمِيَّةَ يَدَّعَى أَنَّهُ الْوَصِيُّ وَصَاحِبُ الْأَمْرِ دُونَ بَنِي الْقَدَّاحِ ،

(١) « بن عبد الله » في الأصل ، وهو تحريف — انظر ما سبق .

(٢) « الشَّلَغْلَغُ » في انعاظ الحنفية ج ١ ص ٢٦ .

وفيه أيضًا اختلاف عما ورد هنا فيمن خلف أحمد بن عبد الله بن ميمون .

ويكاتب الدعاة ، ويراسلونه من اليمن ، والمغرب ، والكوفة . واتفق أنه جرى بحضرته بسلامية حديث النساء فوصفوا امرأة رجل يهودى حداد مات عنها زوجها ، وأنها فى غاية الجمال ، فقال لبعض وكلائه : زوجنى بها ، فقال إنها فقيرة ولها ولد ، فقال : ما علينا من الفقر ، زوجنى بها فأزغيتها وأبذل لها ما شأئت . فترجوها وأحبها ، وحسن موقعها عنده ، وكان ابنها يماثلها فى الجمال ، فأحبته وأدبه ، [٢٥] وعلمه ، وأقام له الخدم والأصحاب فتعلم الغلام ، وصارت له نفس كبيرة وهمّة عظيمة .

فمن العلماء من أهل هذه الدعوة من يقول : إن الإمام الذى كان بسلامية من ولد القدّاح مات ولم يكن له ولد ، فعهد إلى ابن اليهودى الحدّاد ، وهو عبيد الله الذى نُعت بالمهدى ، وأنه عرفه أسرار الدعوة من قول وفعل ، وأعطاه الأموال ، وتقدّم إلى أصحابه ووكلائه بطاعته ، وخدمته ومعونته ، وعرفهم أنه الإمام والوصى ، وزوجه ابنة عمّه أبى الشلغلغ .

هذا قول ابن القاسم الأبيض العلوى وغيره من العلماء بهذه الدعوة . وبعضُ الناس ، وهم قليل ، يقولون إن عبيد الله هذا ، المنعوت بالمهدى ، من ولد القدّاح .

ومنهم من يقول فيه قولاً آخر ، نذكر إن شاء الله عزّ وجلّ .

فهذا ما حكى فى ابتداء أمرهم ، فلنذكر أخبار الشيعى ببلاد المغرب ، والله أعلم .

ذكر أخبار أبي عبد الله الشيعي^(١)
داعي المغرب وما كان من أمره
وكيف ظهر وما فتحه من بلاد المغرب

قال أبو إسحاق إبراهيم^(٢) بن القاسم الكاتب المعروف بابن الرقيق : في تاريخ إفريقية ، وغير ابن الرقيق ممن ذكر أخبار هذه الدولة : كان أبو عبد الله الشيعي من أهل الكوفة ، وقيل من أهل صنعاء ، واسمه الحسين ابن أحمد بن محمد بن زكريا ، فاتصل بالذي يدعى أنه الإمام ، وهو ابن القداح الذي ذكرناه المختلف في نسبه ، فأرسله إلى أبي القاسم الحسن بن حوشب الكوفي النجار . وهو المعروف بالصناديق ، داعيتهن باليمن وكتب إليه أن ينصره ويرشده . وقال لأبي عبد الله : امثل سيرته ، وانظر^(٣) إلى

(١) « الشيعي » في الأصل ، والتصحيح مما يلى .

(٢) هو إبراهيم بن القاسم القروى الكاتب القيروانى ، أبو إسحاق ، المعروف بابن الرقيق .

توفى سنة ٣٨٣ هـ / ٩٩٢ م ، ومن مؤلفاته تاريخ القيروان — هدية العارفين ج ١ ص ٧ .

(٣) يعتمد التويرى ابتداء من هذا الجزء من الكتاب على كتاب افتتاح الدعوة ، للقاضي النعمان ، فنقل منه صفحات متتالية ، وأحيانا لجأ إلى الاختصار أو حذف بعض الفقرات ، وسوف نشير إلى نقاط الاختلاف الجوهرية بين الكتابين ، كما يتضح من الهوامش التالية .

وكتاب افتتاح الدعوة نشر في بيروت سنة ١٩٧٠ بتحقيق وداد القاضى وبعبنوان « رسالة

افتتاح الدعوة » ، ثم نشر في تونس سنة ١٩٧٥ . بتحقيق فرحات الدشراوى ، وبعبنوان

« كتاب افتتاح الدعوة » .

وسنعمد على هذه النشرة الأخيرة في مقابلة ما جاء بنهاية الأرب .

(٤) « إلى أبي القاسم رستم بن الحسن » في انعاظ الحنفيا ج ١ ص ٥٥ .

(٥) « وانتظر » في الأصل ، والتصحيح من افتتاح الدعوة ص ٣٠ .

مخارج أفعاله فاعمل بها ، ثم اذهب إلى المغرب . فخرج حتى انتهى إلى أبي القاسم ، فأنزله وأكرمه ، وأقام عنده من وقت انصراف الحاج من مكة إلى اليمن إلى وقت خروجهم في العام المقبل . فخرج أبو عبد الله مع الحاج إلى مكة .

فلما قضى الناس حجهم واستقروا بميمني جعل الشيعة يمشي بميمني وينظر إلى الناس ، فمر بجماعة من كتامة وهم في رحالهم ، وكانوا من الشيعة الذين تشيعوا بسبب الحلواني وفيهم حرث الجيمي وموسى بن وجاد^(١) فسمعها الشيعة يذكران لأصحابها فضائل علي بن أبي طالب ، رضى الله عنه . فجلس إليهما وذكر من ذلك شيئاً ، وأقبل على القوم وحديثهم طويلاً ، ثم نهض ليقوم فقاموا معه ، ومشوا بمشيته ، وعرفوا مكانه . ثم أتوا من الغد فأوسع لهم في الحديث ، فزادهم ذلك فيه رغبةً ، وعليه إقبالاً . ثم صاحبه في طول الطريق بعد انصرافهم من الحج إلى أن وصلوا إلى مصر ، وهم يبالغون في خدمته ، ويرحلون برحيله ، ويتزلون بتزوله ، وهو يسألهم عن بلادهم في خلال ذلك ، وعن طاعتهم لملوكهم ، فيقولون ما علينا طاعة لهم ، وهو لا يعرض لهم بقصده ولا رغبته في بلادهم . فلما أتوا مصر أظهر أنه يريد الإقامة بها ، فتألموا لفراقه ، وقالوا ما الذى تقصد بمقامك مصر؟ قال : التعليم . فسألوه أن يصحبهم إلى بلادهم وأنهم يوجبون له على أنفسهم أجرة في كل سنة ، وما أوجب . ولم يُجبه إجابة كلية ، ورغبته كل يوم تزيد فيه ، فأجابهم إلى الخروج معهم : ففرحوا بذلك واستبشروا ، وجعلوا يزيّدون في برّه ، ويقولون له : عندنا كثير من إخوانك ومن يذهب إلى

(١) « موسى بن مكارم » في افتتاح الدعوة ص ٣٤ .

مذهبك ، ولو رأوك ما رضوك إلا إلى شيوخهم ، فضلاً عن صبيانهم ، ولستنا نخليك للتعليم بل نعدك لما هو أعظم منه .

فلما عزم على السير معهم جميعاً دناير وأتوه بها ، فامتنع من قبولها ، وقال لم يكن مني ما يوجب ذلك ، فعظم في أنفسهم ، وزادت هيئته في صدورهم . وخرجوا به من مصر : وساروا حتى إذا كان بسوجار^(١) من أرض سماتة ، تلقاهم رجال من الشيعة ، فأخبروهم بخبر الشيعي ، ونظروا إلى تعظيم الكتامين له ؛ فرغب كل واحد منهم أن يكون نزوله عنده ، حتى رموا عليه السهام ، فخرج سهم أبي عبد الله الأندلسي فنزل عنده ، ونزل كل واحد على صاحبه . وأصاب أبو عبد الله عندهم من علم الشيعة أصلاً قوياً ، فزاد في الكلام معهم ، فأجلوه .

ثم سار القوم فدخلوا حد كتامة يوم الخميس النصف من شهر ربيع الأول سنة ثمانين ومائتين ، ومعهم أبو عبد الله الأندلسي وأبو القاسم الوراقجومي ، فأراد كل واحد من الكتامين نزول الشيعي عنده ، وتنازعوا في ذلك حتى خيروه في النزول ، فقال أي موضع عندكم [٢٦] فجع الأخيار ؟ فقالوا : عند بني سكتان فقال : فأياه نقصد ، ثم تأتي كل قوم منكم في موضعهم ، ونزورهم في بيوتهم ، ولا نجعل لأحد منكم حظاً من نفسي دون أحد إن شاء الله تعالى ، فأرضاهم كلهم بذلك ، وسار كل قوم إلى جهتهم ، وسار الشيعي مع موسى بن حريث وأبي القاسم الوراقجومي وأبي عبد الله الأندلسي إلى

(١) « بشرط حار » في الأصل ، والتي ذكرت من قبل على أنها « سوق حار » ، والتصحيح من افتتاح الدعرة ص ٤٠ .

(١) إيكجان موضع موسى من بني سكتان . قال ولما نزل عبد الله بإيكجان ومضى كل معه من الحجيج إلى مرافقهم أخبروا من قدموا عليه من أصحابهم بخبره ، ووصفوه لهم مع الناس ، فتسامع الناس به ، وأقبلوا إليه من كل ناحية ؛ فكان يجلس لهم ويحدثهم [بظاهر] (٢) فضائل على رضى الله عنه .

قال : فاتصل خبر الشيعى بإبراهيم (٣) بن أحمد صاحب إفريقية ، فكتب إلى موسى بن عبيد الله يسأل عن خبره فضعمف موسى أمره فكتب إليه ثانياً وأرسل ابن المعتصم المنجم ؛ وأمر إبراهيم بن أحمد موسى بن عبيد الله أن يتلطف في اتصاله إلى أبي عبد الله ، وأن يختبر أحواله ، ويأتبه بصحيح خبره ، وأوصاه بوصايا أمره أن يذكرها له .

فلما وصل إلى موسى أرسل إلى بني سكتان يخبرهم أن إبراهيم قد بعث برجل إلى أبي عبد الله ليجتمع به . فرفع ذلك إلى أبي عبد الله ، فأذن له . فلما انتهى إليه قربه وأقبل عليه ، فقال له ابن المعتصم : إن الأمير إبراهيم ابن أحمد وجهني إليك برسالة ، فإن أذنت لي أذيتها . فقال له : أذ رسالتك قال : وأنا آمن ؟ قال : نعم . فقال : يقول لك الأمير : ما حملك على التعرض لسخطي ، والوثوب في ملكي ، وإفساد رعيتي ، والخروج علىي ؛ فإن كنت تبغى عرضاً من أعراض الدنيا فإنك تجده عندى ، وإن أنت

(١) إيكجان — إيكجان : بالياء أو النون : من بلاد كتامة بالمغرب ، سماها أبو عبد الله الشيعى دار الهجرة — معجم البلدان .

(٢) [] إضافة من افتتاح الدعوة ص ٤٩ تنفق وسياق الكلام .

(٣) هو إبراهيم (الثانى) بن أحمد بن محمد الأغلب . كان على رأس دولة الأغلبية في الفترة ٢٦٦ - ٢٨٩ هـ / ٨٧٥ - ٩٠٢ م — تاريخ الدول الإسلامية ص ٤٦ .

(٤) « موسى بن العباس » في افتتاح الدعوة ص ٥٤ .

تَلَاقَيْتَ أَمْرَكَ ، وَرَجَعْتَ عَنْ غَيْبِكَ ، فَصَرَّ إِلَيَّ وَأَنْتَ آمِنٌ ، فَإِنْ أَرَدْتَ الْمَقَامَ
بِيَلَدِنَا أَقَمْتَ ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ الْأَنْصِرَافَ أَنْصَرَفْتَ . وَإِنْ كَانَ قَصْدُكَ قَصْدًا مِنْ
سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ الْخِلَافَ عَلَى الْأُمَّةِ ، وَاسْتَفْسَادَ جَهْلَةِ الْأُمَّةِ ، فَلَقَدْ عَرَفْتَ
عَوَاقِبَ مِنْ تُمْنِيهِ نَفْسُهُ أَمْنِيَّتِكَ ، وَسَوَّلَتْ لَهُ مَا سَوَّلَتْ لَكَ ، مِنْ الْهَلَاكِ
الْعَاجِلِ ، قَبْلَ سُوءِ الْمَصِيرِ فِي الْآجِلِ . وَلَا يَغُرُّكَ مَا رَأَيْتَ مِنْ إِقْبَالِ هَؤُلَاءِ
الْأَوْبَاشِ عَلَيْكَ ، وَاتِّبَاعِهِمْ إِيَّاكَ ، فَإِنِّي لَوْ صَرَفْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ لَأَسْلَمُوكَ ،
وَتَبَرَّءُوا مِنْكَ . وَاعْلَمْ أَنِّي إِنَّمَا أَرَدْتُ الْإِعْذَارَ إِلَيْكَ ، لِمُتَّظَاهِرِ الْحُجَّةِ
عَلَيْكَ . وَهَذَا أَوَّلُ كَلَامِي ^(١) وَآخِرُهُ ، لَا أَقْبِلُ لَكَ بَعْدَ هَذَا تَوْبَةً ،
وَلَا أَقْبِلُكَ عَثْرَةً ، وَلَا أَجْعَلُ جَوَابَ مَا يُمْكِنُ مِنْكَ إِلَّا التَّهْوُضَ إِلَيْكَ
بِنَفْسِي ، وَجَمِيعِ أَبْطَالِ رِجَالِي ، وَأَنْصَارِ دَوْلَتِي . وَجُمْلَةُ أَهْلِ ^(٢) مَمْلَكَتِي
فَعِنْدَ [ذَلِكَ] ^(٣) تَنْدَمُ حِينَ لَا يَنْفَعُكَ التَّدَمُّ ، وَلَا تَقْبَلُ مِنْكَ التَّوْبَةَ . فَانْظُرْ
فِي يَوْمِكَ لَعْنِكَ ، وَقَدْ أَعْذَرَ إِلَيْكَ مِنْ ^(٤) أَنْذَرُ .

فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْعِيُّ : قَدْ قُلْتَ فَاسْمَعْ . وَبَلَغْتَ فَأَبْلَغْ : مَا أَنَا
مِمَّنْ يُرْوَعُ بِالْإِعْيَادِ ، وَلَا مِمَّنْ يَهْوُلُهُ الْإِبْرَاقُ وَالْإِرْعَادُ . فَأَمَّا تَخْوِيفُكَ إِيَّائِي
بِرِجَالِ مَمْلَكَتِكَ ، وَأَنْصَارِ دَوْلَتِكَ ، أَبْنَاءَ حَطَامِ الدُّنْيَا : الَّذِينَ يَقْتَادُونَ لِكُلِّ
سَاقِقٍ ، وَيُحِبُّونَ كُلَّ دَاعٍ وَنَاعِقٍ ، فَإِنِّي فِي أَنْصَارِ نَذِيرٍ ، وَحُجَّةِ الْمُؤْمِنِينَ ،
الَّذِينَ لَا تَرَوَعُهُمْ كَثْرَةُ أَنْصَارِ الْبَاطِلِ ^(٥) ، مَعَ نَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَهُوَ أَصْدَقُ

(١) « كَلَامِكَ » فِي الْأَصْلِ . وَالتَّصْحِيحُ مِنْ افْتِتَاحِ الدَّعْوَةِ ص ٥٧ . وَتُنْفَقُ مَعَ السِّيَاقِ .

(٢) « أَهْلُ عَلِيٍّ » فِي الْأَصْلِ . وَالتَّصْحِيحُ مِنْ افْتِتَاحِ الدَّعْوَةِ ص ٥٧ .

(٣) [] إِضَافَةٌ مِنْ افْتِتَاحِ الدَّعْوَةِ ص ٥٧ .

(٤) يَوْجَدُ هَذَا النِّصْبُ مَعَ اخْتِلَافٍ مَحْدُودٍ فِي الْأَلْفَاظِ فِي افْتِتَاحِ الدَّعْوَةِ ص ٥٦ - ٥٧ .

(٥) « أَنْصَارُ الظَّالِمِينَ » فِي افْتِتَاحِ الدَّعْوَةِ ص ٥٧ .

القائلين : ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (١) فَأَمَّا مَا أَطْمَعَ بِهِ مِنْ دُنْيَاهُ وَعَرَضَهُ مِنْ زَبَدِهَا وَخُطَامِهَا ، فَلَسْتُ مِنْ أَهْلِ الطَّمَعِ فَأَمِيلُ إِلَيْهِ ، وَلَا مَنِّي يَرْغَبُ فِيهَا عِنْدَهُ فَيَأْتِيهِ . وَإِنَّمَا بَعَثْتُ (٢) رَسُولًا لِأَمْرِ قَدْ حَمَّ وَقَرَّبَ ، فَإِنْ سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ مَا وَعَدَ بِهِ ، وَدَعَتْهُ (٣) إِلَيْهِ ، فَسَوْفَ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ وَرَائِهِ وَلَنْ تَغْنَى عَنْهُ فِئَةٌ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (٤) فَهَذَا جَوَابُ مَا جِثَّتْ بِهِ ، فَبَلَّغَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قال (٥) : ولما اشتهر أمر الشيعة ببليد كنامة ، ونظر رؤساء القبائل وولاة البلدان فلم يَرَوْا فِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ نَهْضَةً فِي أَمْرٍ ، وَخَافُوا عَلَى زَوَالِ الرِّئَاسَةِ مِنْ أَيْدِيهِمْ ، وَتَقَدَّمَ مَنْ يُسَارِعُ إِلَى أَمْرِهِ عَلَيْهِمْ ، مِمَّنْ كَانُوا يَرَوْنَهُ دُونَهُمْ ، كَتَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فِي ذَلِكَ ، فَاجْتَمَعُوا وَتَعَاقَدُوا . وَكَانَ مِمَّنْ سَعَى فِي ذَلِكَ مُوسَى بْنُ عَبَّاشٍ صَاحِبُ مَيْلَةٍ (٦) ، وَمُحَلَّى بْنُ عَسْلُوجَةَ صَاحِبُ سَطِيفٍ (٧) وَحِيَّ بْنَ نَعِيمٍ صَاحِبُ بِلْزَمَةِ (٨) وَكُلُّ هَؤُلَاءِ أُمَرَاءُ هَذِهِ الْمَدِينِ . وَعِنْدَهُمُ الْعِدَّةُ وَالْعِدَّةُ وَالْأَمْوَالُ الْكَثِيرَةُ وَالتَّجْدَةُ ، وَالْقُوَّةُ ، وَمِنْ مُقَدَّمِي

(١) سورة البقرة رقم ٢ جزء من الآية رقم ٢٤٩ .

(٢) « يبعث » في الأصل ، والتصحيح من افتتاح الدعوة ص ٥٨ .

(٣) « ودعته » في الأصل ، والتصحيح من افتتاح الدعوة ص ٥٨ .

(٤) الجملة مقتبسة من الآية ١٩ من سورة الأنفال : ﴿... وَلَنْ تَغْنَى عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

(٥) المقصود هو القاضي النعمان صاحب كتاب افتتاح الدعوة الذي يأخذ عنه التويري .

(٦) ميل : مدينة صغيرة بأقصى إقليم أفريقية (تونس) بالقرب من قسنطينة — معجم البلدان .

(٧) سطيف : مدينة صغيرة في جبال كنامة . بين تاهرت والقيروان — معجم البلدان .

(٨) بلزمة : مدينة صغيرة قرب بحيرة بادغوس في الطريق من بجاية إلى بطننة — المغرب ص ٥٠ .

كتامة وكبارهم وولّاهم أمورهم : فتح بن يحيى المشالي^(١) ، وكان يقال له الأمير ، ومهدى بن كئاره^(٢) ، رئيس لهيضة ، وقرخ بن خيران^(٣) رئيس أنجّاته ، وثمّل بن فحل^(٤) رئيس لطاية ، واستعملوا آراءهم في أخذ الشيعة فعملوا ، أنهم لا يقدرّون عليه عنوةً من أيدي بني سكتان لأنهم يمنعونهم ، ويجمع عليهم جيملة وغيرها من قبائل كتامة ، ففرّق ذات البين ، ويكون ذلك داعيةً إلى أن يجعلوا له أنصاراً ، وتصير كتامة فريقين ، ولم يأمنوا سوء العواقب ، فقصّدوا بنان^(٥) بن صقلان ، وهو من وجوه بني سكتان ، ولم يكن له يومئذ دخل في أمر الشيعة ، وأرسلوا جماعةً منهم إليه ، وبعثوا له أربعة أفراس وأغنمًا وهدية . وقالوا له : إن هذا الرجل قد بدل الدين . وفرّق الجماعة ، وشتّت الكلمة ، وأدخل الاختلاف بين الأقارب [٢٧] وقد قصدناك في أمره ، وأملكناك في قطع هذا المكروه بأن تنقبض على الشيعة وتخرجه من بلدنا ، وتنفيه عنا إن كرهت قتله ، ونجعل لك بعد ذلك التقدمة على جميع كتامة والعرب ، فيكون لك شرف الدنيا وفخرها ، وثواب الآخرة وأجرها ، وتزيل عن أهل بيتك مكروهاً ، وتقطع عنهم شرّاً . وأخذوا معه في ذلك وحذّروه عواقب السلطنة .

فقال لهم بنان : هذا رجل صار بين أظهرنا ، وهو ضيف عندنا ، كيف ينبغي أن نفعل فيه مثل هذا الفعل . فتذرعوا في ذلك طويلاً ، وكان آخر خطاب بنان لهم أن قال : الرأي أن نجتمع العلماء إليه فيناظرهم ، فإن كان

(١) « المسالي » في افتتاح الدعوة ص ٨٠ .

(٢) « كئاره » في افتتاح الدعوة ص ٨٠ .

(٣) « بن خيران » في افتتاح الدعوة ص ٨٠ .

(٤) « وثمّل بن فحل » في افتتاح الدعوة ص ٨٠ .

(٥) « بنان بن صقلان » في افتتاح الدعوة .

على حقِّ فيها أولًا ، وإياكم بُصرتُه واثَّباعه ، وإن كان على باطلٍ عَرَفْنَا من اتَّبعه أن يرجعوا عنه .

فانصرفوا إلى أصحابهم وأخبروهم بما كان من بنان ، فخافوا أن تقوم حُجَّتُه ، ويستحكم أمره ، فتزول رئاستُهم بسببه . فأجمعوا على أن يَمْضُوا في جماعة ويُظهروا أنهم أتوا بالعلماء ، فإذا خرج إليهم قتلوه ، وانصرفوا على حِمَّة .

فاجتمعوا في عددٍ عظيمٍ من الخيل والرَّجُل ؛ فلما رآهم بنو سكتان ركبوا خيولهم ؛ والتقى الجمعان . فقالوا لبنان إنما أتيناك لِمَا كان بيننا وبينك . فقال : إنما كان بيننا أن تأتوا بالعلماء ، وقد أتيتُم بالرَّحف والمُعدَّة ، وعَلَا الكلامُ بينهم ، فالتحم القتال ، وتداعت جِئِلَّةٌ من كلِّ مكان ؛ فانهزم القوم ، وانصرف عنهم بنو سكتان . وكان الشيعي قد سُيرَ في مبادئ هذا الأمر ، وخاف عليه أصحابه .

ثم راسل الجماعة نانا مرةً ثانية ، وقالوا . قد كُنَّا نخطئُ فيما أتينا به من الجمع ، ولم يكن ذلك عن قصد ، ولكن تسامَعَ النَّاسُ بنا فتبعونا . وقد رجَّوناك لإصلاح جماعتنا . وقدَّمناك ، واختَرناك لأنفسنا . لتحقنَ دِمَاءَنَا . وتجمع ما تبدَّد من شملنا . فقد عَادَى من أجل هذا الرَّجُلُ الأخُ أخاه . والابنُ أباه ، والقريبُ قريبه ؛ وهذه فتنةٌ قد بدَّتْ . وردَّةٌ قد ظهرت . وهذا الرجل من أهل المشرق ؛ وهُم كما علمت شياطين . وعلماؤنا بربر . وقومٌ ليست لهم تلك الأذهان ؛ فإنهم إن^(١) ناظروه يظهر عليهم ولم يجدوا حجة . يحتجون بها عليه . وقالوا له : أترى نحن وآباؤنا والنَّاسُ كلُّهم في

(١) [إضافة يقتضيها السياق ، « وإن ناظروه ظهر عليهم » في افتتاح الدعوة .

صَلَاةً ، وهذا وحده على الحق والهدى . وكرّروا عليه ما وعدوه به من التَّقْدِيمَةِ . فأسغى إليهم ووعدهم أن يتلطّف في إخراجهم . فجعل يتكلم في ذلك ويحتجّ على أهل بيته ، ويخوفهم العواقب ، فاتصل كلام بنان بالشيعة فانتقل عنهم .

ذكر انتقال أبي عبد الله الشيعي عن بني سكتان إلى بني عصمة بتازرات^(١)

قال : واتصل هذا الخبر بالحسن بن هارون العصمي^(٢) ، وكان قد دخل في هذا الأمر ، وهو معروف بالأدب وكثرة التّعمة ، وهو مطاع في قومه . فأقى الشيعي ورغب إليه في الانتقال إلى مكانه ، ووعدّه بالذّب عنه ، والمدافعة بنفسه وأهله وماله ؛ وذكر ذلك لأصحابه فأشاروا عليه به . وعظم ذلك على بني سكتان وكرهوه . وقالوا له : نحن ندافع عنك بأنفسنا حتى نُقتل كلنا دونك . فشكر قولهم . وانتقل إلى الحسن بن هارون إلى تازرات فلتقاه من بها من أصحابه وغيرهم . وقام العصميون^(٣) بما احتاج إليه الشيعي وأصحابه . وقاسموه أموالهم . وأقبل أصحاب الشيعي من كلّ ناحية ، وكلّ

(١) « تازررت » في الأصل ، والتصحيح من المغرب في ذكر بلاد أفريقيا ص ١٦١ . وتازرات : تقع على مسافة يوم من جبل درن الذي يعترض الصحراء متصلاً بجبل نفوسة وجبل أوراس - المغرب ص ١٦٠ - ١٦١ .

وهي « تازروت » في افتتاح الدعوة ص ٨٧ .

(٢) « العسمي » في افتتاح الدعوة ص ٨٧ ، وما يلى ذلك .

(٣) « وأقام » في الأصل ، والتصحيح يتفق والباقي .

(٤) « وقام الغسمانيون » في افتتاح الدعوة ص ٨٨ . وما يلى ذلك .

منهم يأتي بما يملكه ، ويبدّله بين يديه . فاجتمع أمره ، وامتنع جانبُه ، واجتمعت عصمان على نُصْرته ، وخلق كثيرٌ من قبائل كتامة ، وندم بنان بن صقلان على ما كان منه في حقه ، وعَظُم شأنُ الحسن بن هارون بفعله . وكان للحسن أخ هو أسنُّ منه ، اسمه محمود . فَوَجِدَ في نفسه من ذلك ، وكان قبلَ ذلك مُقَدِّمًا على أخيه لِسِنِّه ، وكان أيضًا مُطَاعًا في أهل بيته ، فتَكلَّ بذلك ، وفشا^(١) عنه هذا والحسن يُدَارِيه ويستَعِظِفُه ، خوفًا من أن يفترق جماعةُ عصمان .

فلَمَّا صار أمر الشيعة . بتازرات إلى ما صار إليه وانتهى ذلك إلى القوم الذين كانوا تعاقدوا عليه أولاً ، فسقط في أيديهم ، وعظم أمره عليهم ، فرجوا أن يصلوا من محمود بن هارون إلى ما يريدونه من أمر الشيعة . فاجتمعوا إلى مهدي بن أبي كتامة اللهيبي^(٢) . فذكروا له ما بلغهم عن محمود ، وقالوا له : هذا جارُك وصديقُك ، فلعَلَّكَ أن تستميلَه فتُفَرِّقَ به جماعةُ عصمان ، فيمكننا ما نريد .

فركب مهدي إلى محمود . وذكر له اجتماعُ وجوه كتامة وأنهم أرسلوه إليه وقالوا إنه قد أجحف أخوك بنفسه وأهل بيته وجاء إلى عصمان بِلَيْيَّةٍ قد تَعَاَفَى منها بنو سكتان ، وتخلَّصُوا من شرِّها [٢٨] . وجعل يخوفه من سوء العواقب ، ووعدَه عنهم^(٣) بالتَّقدِمة على أنفسهم . فاستأله بذلك مع ما

(١) « فشق ذلك عليه . وتكلم به ، وفشا عنه » في افتتاح الدعوة ص ٨٩ - ٩٠ .

(٢) « مهدي بن كتانة اللهيبي » في افتتاح الدعوة . ص ٩٠ .

(٣) « ووعدهم عنه » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق ، وما جاء في افتتاح الدعوة ص ٩١ ويَعِدُه عنهم .

داخله^(١) من الحسد لأخيه والغيرة منه .

فقال : القول في ذلك ما قلت ، ولكنه قد تمكن وقوى وكثرت أتباعه ، وليس هو الآن كما كان في بني سكتان ، وقد أجابته عصمان وكثير من عامة كتامة ، فهم يقاتلون دونه ؛ ففتى دعوت من يطيعني من عصمان إلى أخذه صرنا فريقين ، وأهلك بعضنا بعضاً . وما أرى في أمره إلا ما رأى لي بنان^(٢) : أن يأتي بالعلماء إليه فيناظروه ، فإن قامت حججهم عليه وجدنا السبيل إليه ، وإن كانت الأخرى دبرنا رأياً آخر إن شاء الله تعالى .

وانصرف مهدي إلى القوم فأخبرهم . فقالوا : من الذي يُناظره من علمائنا وأنت ترى الواحد من جهالنا إذا دخل في أمره ناظرهم فقطعهم ، فكيف به فقال : قد رأيت من محمود شهوة في قتله ومال إلى ما وعدناه به من التقدمة ، مع ما داخله من الحسد لأخيه ؛ ولم أجد عنده غير ما فارقه عليه . وما علينا أن نأتي بالعلماء فإذا هم أخرجوه وقعن^(٣) عليه أسيافنا فقتلناه ، ويكون بعد ما عساه أن يكون . فأرسلوا في طلب العلماء من كل ناحية ، وقالوا لا نأتيه في احتفال كما فعلنا ببني سكتان .

واتصل الخبر بالحسن بن هارون ، وبالشيعي ، فقال لهم ليجتمع جماعة عصمان إلى محمود فيلاطفوه ويذكروا له ما اتصل بهم ، ويحذروه العار ، والتقص ، وسوء العواقب ، ويقدموه على أنفسهم ، ويعظموه ، ويرفعوا من شأنه . ففعلوا ذلك ؛ ووافاه أخوه الحسن وجماعة عصمان ، وقالوا : نحن

(١) « ما دخله » في الأصل ، والتصحيح من افتتاح الدعوة ص ٩١ .

(٢) « إلا ما رآه بيان » في افتتاح الدعوة ص ٩١ .

(٣) « وضعنا » في الأصل ، والتصحيح من افتتاح الدعوة ص ٩٢ .

أهل بيتك وعشيرتك وأنت أميرنا ومقدمنا ، وهذا الرجل ضيفك وضيفنا ، وقد رأيت ما لحق ببني سكتان من النقص في إخراجهم ، وأنهم ندبوا عليه ، وأن بنانا حاول رده إليه ليصلح ما أفسده على نفسه فلم يحبه إلى ذلك . فلا نجعل علينا عارا ولا نقصا . وحلفوا له وقدموه على أنفسهم قال إليهم .

فلما علم محمود أن أولئك القوم قرؤوا من تازارات ركب في جماعة وأركب الشيعي أصحابه معه وقال لهم : إن قدرتم أن تلتحموا الحرب^(١) فافعلوا . فلما التفتوا قالوا لمحمود : هؤلاء العلماء قد جئنا بهم ؛ وعزلوهم ناحية : فقال لهم محمود : انصرفوا ودعوهم عندنا حتى نجتمع بينهم وبين الرجل ، مع عشرة رجال من وجوهكم وخياركم ، في مجلس ، فننظر ما يكون بينهم . فأنحل ما عقدوه . فقالوا : وما عليكم أن تخرجوه إلى ها هنا ونشهد ما يكون منه ومن العلماء ، فيكون ذلك أشهر وأقطع للأمر : فقال لهم محمود : قد بلغنا عنكم أنكم عقدتم أمرا وطيعتم أن تنزعوا ضيفنا من أيدينا بالتغلب .

فردوا عليهم . فحمل عليهم هو وأصحابه ، والتحم القتال ، وقاتل محمود قتالا شديدا فجرح ، ثم افترقوا ، فأت محمود من جراحه ، فسُر أخوه والشيعي بموته ، وأظهروا الطلب بدمه . واجتمعت عصمان ألبا واحدا وصحت الرئاسة للحسن بن هارون وولاه الشيعي أعنة الخيل ، وقوده وعوده على جميع أصحابه .

واشتعلت الحرب بين عصمان وهيصه بسبب قتل محمود . واجتمع أمراء بلزمه وأكثر القبائل للشيعي وأظهر نفسه ، وكان يشهد الحرب ويأمرها .

(١) « أن تلتحموا الحرب » في افتتاح الدعوة ص ٩٣ .

وطالت الحرب بينهم ، ثم اصطَلَحَتْ هَيْصَةَ وَعَصْمَانَ بعد أن قتل مهدي ، وانضمُّوا كلهم إلى الشَّيعِي ، واشتدَّ أمرُهُ ، وحاربوا مَنْ بينهم من القبائل ، وشنُّوا الغارات على مَنْ بَعُدَ منهم . وبعث الشَّيعِيَّ خَيْلاً مُغِيرَةً إلى مزاتة ورئيس مزاتة^(١) يومئذ يوسف القنطاسي ، وكان قدم على إبراهيم بن أحمد فوصله وحيَّاه ، وكساه ، وأعطاه جاريةً ؛ فكبسته خيل الشَّيعِي ، وأخذوا جميعَ ما كان له ، وسبُّوا الجارية ، وقتلوا مَنْ قدروا عليه من أصحابه ، واختفى هو فنجا ، ووصلوا إلى الشَّيعِيَّ بالغنيمة فاصطفى الجارية لنفسه وهي أمُّ ولده .

فلما رأت القبائل ظُهور الشَّيعِي واجتماع هَيْصَةَ له : وقتل مهدي ، مشى بعضهم إلى بعض ، وأرسلوا إلى مزاتة ، فاجتمع رأيهم على أن يدخلوا إليه بِعِيَالِهِمْ وَيُحِيطُوا بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَتُسَلِّمَهُ عَصْمَانُ وَهَيْصَةُ وَمَنْ مَعَهُمْ وَيَسْتَأْصِلُوهُمْ . فانتهى الأمر إلى الشَّيعِي ، فجمع أصحابه كُلَّهُمْ بتازرار ، وجاءت كتامة من أطرافها وأحاطوا به . فخندق على نفسه ، وأشار عليه وَجُوهُ أَصْحَابِهِ أَنْ يَعتزل الحرب وهم يقاتلون . فشكرهم على ذلك ، وأبى أَنْ يَقْبَلَهُ . ووعدهم النَّصْرَ ، وحثَّهم على القتال ؛ فَأَخْرَجَ كُلُّ وَاحِدٍ مَا عِنْدَهُ مِنْ مَالٍ وَسِلَاحٍ وَكَرَاعٍ ، وَتَشَاوَرُوا فِيهِ ، وَكَمَلُوا عِدَّتَهُمْ وَعُدَّتَهُمْ ، فبَلَّغُوا سَبْعَةَ فَارِسٍ ، لَا يَزِيدُونَ وَلَا يَنْقُصُونَ ، وَالْفَقَى رَاجِلٌ . وَالتَّقْوَى بعد مراسلة لم تُجِدْ شَيْئًا وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا . وَدَامَ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ . وَدَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ إِلَى الْعَصْرِ ، وَكَانَ الظُّفْرُ لِأَصْحَابِ الشَّيعِي . وَانْهَزَمَ أَوْلَئِكَ ، وَتَبِعُوهُمْ وَقَدْ امْتَلَأَتْ أَيْدِي أَصْحَابِهِ مِنَ الْغَنَائِمِ وَالْأَمْوَالِ ؛ وَتَفَرَّقَ ذَلِكَ الْجَمْعُ . قَالَ : فَبِيعَ الْجِمَالُ كُلُّ عَشْرَةٍ بِدِينَارٍ [٢٩] وَالْحِمَارُ بِعَشْرٍ

(١) تسكن هذه القبيلة في الطريق إلى قفصة وقسطيلية - المغرب ص ١٤ .

بصلات ، وغنموا من الخيل ما لَا يُحصى . (١)

وانصرف الشيعة إلى تازرارث وابتنى بها قصرًا يسكنه ، واتخذها دار مقامه ، وأقطع أصحابه دُورًا حَوْلَ قصره . وارمحل إليه أصحابه من كل ناحية ، وابتنوا وسكنوا ، وقوى أمرهم . واستأنس إليه كثير من القبائل ، وشن الغارات ، وداوم الحرب ، فأقبل الناس إليه من كل جهة .

ولحق فتح بن يحيى يافريقية (٢) فقدم على أبي العباس [بن] (٣) إبراهيم ابن أحمد ، وهو يومئذ بتونس بعد خروج أبيه إبراهيم إلى صقلية ، فوصله وأدناه ، وأكرمه ، وسأله عن الشيعة ، فضغف أمره ، فقال : ليس قد اجتمعتم عليه في عساكر عظيمة فلم تقدرُوا عليه ، فقال : ليس أمرنا من أمرِك في شيء ، إنما نحن مُقاتلةٌ بغير رأس ، ونقاتل مَنْ يعرفنا من أهل بلدنا ، ولو جاءه عسكرٌ من قَيْلك لكانت هيبته في صدور الناس . فأطمعه أبو العباس ، ثم أمسك عنه .

قال : واستولى الشيعة على جميع بلد كتامة ، وظهرت دُعائه في كل ناحية منها ، وغلب عليها ، وكانت وقائع كثيرة ببلد كتامة .

وأقام بعد انهزام الجمع نحو ستين وهو يشن الغارات ، ويغنم الأموال ، حتى أجابوه ، وسلموا الأمر إليه . ولم يبق إلا المدينة الحصينة ومن فيها من

(١) انظر تفصيل ذلك في افتتاح الدعوة ص ١٠٣ - ١٠٩ .

(٢) وذلك بعد هزمته من الشيعة - انظر تفصيل ذلك في افتتاح الدعوة ص ١١١ - ١١٤ .

(٣) [إضافة من افتتاح الدعوة ص ١١٤ .

وهو أبو العباس عبد الله (الثاني) بن إبراهيم (الثاني) . الذي كان على رأس دولة الأغالبة في الفترة من ٢٨٩ - ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ - ٩٠٣ م - تاريخ الدول الإسلامية ص

أمرائها ومن انضمَّ إليها من القبائل .

ذكر تغلب أبي عبد الله الشيعي على مدينة ميّلة

قال ابن الرقيق : كان سبب ذلك أن قيس بن أبي جرير^(١) من وجوه أهل ميّلة ، وهم [من]^(٢) ربيعة وكان رئيسهم يومئذ حسن بن أحمد ، فوصل إلى الشيعي سرًا وأطلعه على أمر المدينة ، فتقدّم الشيعي إليها وقاتل من بها ، وغلب على جميع أرضها ، فدخل جميع من كان بها إلى الحصن ، ثم سألوا الأمان : فأمنهم ما لم يحدثوا حدثًا . ففتحوا أبواب المدينة ودخلها أصحاب الشيعي ، وخرج إبراهيم بن موسى بن عيَّاش مع جماعة منهم في الليل ، فهربوا إلى إفريقية ، إلى أبي العباس بن إبراهيم ، فأخبروه بالخبر ، وضعفوا عنه أمر الشيعي ، وسألوه في إخراج عسكر إليه ، وضمّينوا أمره . فأمر بالحثد . وجمع وجوه رجاله ، وأمر عليهم ابنه محمدًا المعروف بأبي حوال^(٣) فاجتمع له عساكر عظيمة انتقى منها اثني عشر ألف فارس . واتصل الخبر بالشيعي فاستعدَّ للقاء .

(١) هكذا في الأصل ، « وكان بنو أبي خنزير من وجوه أهل ميّلة » في افتتاح الدعوة ص ١٣٥ .

(٢) [إضافة من افتتاح الدعوة ص ١٣٥ للتوضيح .

(٣) « أبي حوال » في الأصل ، والتصحيح من افتتاح الدعوة ، في هذا الموضع والمواضع التالية .

ورود في الكامل « وبلغ الخبر أمير إفريقية ، وهو حينئذ إبراهيم بن أحمد ، فنفذ ولده

الأحول » ج ٨ ص ٣٤ ، وفيه تحريف ، فالقائد أبو حوال (أو الأحول) حفيد إبراهيم بن

أحمد وليس ابنه ، وانظر أيضا نهاية الأرب ج ٢٤ ص ١٤٥ .

ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ أَنِي عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْعِيِّ وَبَيْنَ أَنِي حَوَالِ مُحَمَّدِ بْنِ أَنِي الْعَبَّاسِ

قال ^(١) : وخرج أبوحوال بالعسكر الذي اختاره من مدينة تونس ، في سنة تسعٍ وثمانين ومائتين ، وكلَّ مَنْ مَرَّ عَلَيْهِ من القبائل ، بدأهم بالعطاء وخلع على وجوهمهم ، وقصد إلى سطيف ، فلم يصل إليها حتى زاد في عسكره مثله . وتلقاهم بنو غسولوجة أصحاب سطيف ^(٢) ، وبنو تميم أصحاب بلزمه ، ومن حولهم ممن لم يدخل في طاعة الشيعة ، فقتل من وجوهم قتلاً ذريعاً ، وانتهب أموالهم ، وسبى نساءهم وذرائعهم ، وقصد الشيعة بتازرار ، واتصل به الخبر ، فبرز إليه بمن معه ، والتقوا ببلد بلزمة ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم الشيعة وأصحابه ، وأتبعهم أبوحوال إلى الليل . ثم أصبح فلقوه واقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم الشيعة ثانية إلى تازرار وجاءهم ثلج عظيم ، فحال بينهم .

ولم ير الشيعة أن تازرار تحصنهم ، فأخذوا ما قدرُوا عليه ، وانضموا إلى إيكجان . فلما ارتفع الثلج تقدّم أبوحوال إلى تازرار فأخربها وهدم قصر الشيعة وسار إلى ميّلة ، ثم التقى هو والشيعة واقتتلوا إلى الليل ، فانهزم أبوحوال إلى تونس ، ورجع الكتاميون إلى ميّلة ، واعتلّ الحسنُ بن هارون فات بإيكجان ، وسكنها الشيعة وابتنى بها قصراً .

(١) مازال النويري يأخذ عن القاضي النعمان في كتابه افتتاح الدعوة .

(٢) انظر ما يلى عن فتح مدينة سطيف ، وأصحابها .

وجاء الخبر إلى الشيعة بوفاة إبراهيم بن أحمد وأن ابنه أبا العباس ولي الأمر بعده^(١) ، وجلس في المسجد ورد على الناس ظلاماتهم ، وأنه يجلس على حصير وبين يديه الدرة ، فاغتم لذلك لأن العوام مالت إليه . ثم أتاه الخبر بقتل أبي العباس ، وأن ابنه زيادة الله^(٢) قتله وولى مكانه ، وأنه شرب الخمر وارْتكب المحارم ، وعكف على الملاهي ، فسره ذلك ، وقال لهم : قد زال عنكم ما كنتم تخافونه ، وهذا آخر ما تُحاربون ، وسيصير الأمر إليكم .

قال : ثم خرج أبو حوال بالعساكر ثانية قبل وفاة أبيه ، فهزمه الشيعة واستولى على مبله ، وعاد أبو حوال إلى بلاده وقد ملك زيادة الله ، فقتله زيادة الله [٣٠] وقتل إخوته ، والله أعلم .

ذكر تغلب أبي عبد الله الشيعة

على مدينة سَطِيف

كانت مدينة سَطِيف لعلی بن حفص ، المعروف بابن عسلوجة ، وكان قد زحف مع أبي حوال لقتال الشيعة . فلما استقام أمر الشيعة وأخذ مبله ذهب بمجموعه إلى سَطِيف وأقام عليها أربعين يوماً وهو بقاتله ، ثم انصرف إلى

(١) توفي إبراهيم بن أحمد في ١٦ ذي القعدة ٢٨٩ هـ / ٢٢ أكتوبر ٩٠٢ م ، وولى بعده ابنه أبو العباس عبد الله ، والذي قتل في ٢٩ شعبان ٢٩٠ هـ / ٢٨ يولية ٩٠٣ م — انظر نهاية الأرب ج ٢٤ ص ١٤٣ وما بعدها .

(٢) هو عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب ، أبو مضر ، زيادة الله (الثالث) ، ولي دولة الأغالية في الفترة من ٢٩٠ — ٢٩٦ هـ / ٩٠٣ — ٩٠٩ م — نهاية الأرب ج ٢٤ ص ١٤٥ وما بعدها .

إيكجان فأقام بها شهراً ، وَجَمَعَ (١) مَنْ قَدَّرَ عَلَيْهِ ، وَعَادَ إِلَى مَدِينَةِ سَطِيف
فَأَحَاطَ بِهَا ، وَقَاتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ عَسْلُوجَةَ ، فَهَزَمَهُ الشَّيْعِيُّ فَتَحَصَّنَ بِالْمَدِينَةِ . وَأَقَامَ
أَيَّامًا يُحَاصِرُهُ ، فَاتَّ عَلِيُّ بْنُ عَسْلُوجَةَ ، هُوَ وَأَخُوهُ أَبُو حَبِيبٍ . فِي أَيَّامٍ
قَلِيلٍ فَاسْتَوَى الشَّيْعِيُّ عَلَيْهَا (٢) .

ذكر خروج إبراهيم بن حنبل إلى بلد كتامة

قال (٣) : لَمَّا اتَّصَلَ بِالْأَمِيرِ زِيَادَةَ اللَّهِ أَخْبَارُ الشَّيْعِيِّ ، وَظَهَرَهُ عَلَى بَلَدِ
كَتَامَةِ ، وَافْتَتَحَهُ مِيلَةً . وَوَصَلَ إِلَى زِيَادَةَ اللَّهِ مِنْ كَتَامَةِ مِنْ خَافَ عَلَى
نَفْسِهِ ، وَعَرَفُوهُ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يُعَاجِلِ الشَّيْعِيَّ زَادَ أَمْرُهُ ، أَخَذَ زِيَادَةُ اللَّهِ عِنْدَ ذَلِكَ
فِي الْإِحْتِشَادِ وَزَادَ فِي الْعَطَاءِ . فَاجْتَمَعَتْ لَهُ عَسَاكِرُ عَظِيمَةٍ ، فَقَدَّمَ عَلَيْهَا
إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَنْبَلٍ (٤) ، فَلَبِغَتْ عِدَّةٌ مِنْ خُرُجٍ مَعَهُ أَرْبَعِينَ أَلْفًا ، مِنْ فَارِسٍ
وَرَجُلٍ . وَأَخْرَجَ مَعَهُ أَمْوَالًا جَلِيلَةً وَسِلَاحًا كَثِيرًا ، وَعُدَدًا عَظِيمَةً ، وَأَمَرَ
بِيَذْلَ الْأَمْوَالِ ، وَأَخْرَجَ مَعَهُ وَجُوهَ رَجَالِهِ وَمَنْ وَصَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ كَتَامَةِ .

(١) « وجمع » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسهاق .

(٢) انظر تفصيل هذه الأحداث في افتتاح الدعوة ص ١٦٥ ما بعدها .

(٣) ما زال التويري ينقل عن افتتاح الدعوة ص ١٦٨ وما بعدها .

(٤) هكذا في الأصل ، ولم تتفق المصادر على رسم واحد لاسمه ، فهو « حنبل » في الكامل ج ٨

ص ٤٠ ، « حبش » في افتتاح الدعوة ص ١٦٨ ، و « حنبل » في انعاظ الحنفية ج ١ ص

٦٢ ... إلخ .

فسار إبراهيم بن حنبل حتى أتى قسطنطينية ^(١)، وبينها وبين إيكجان التي بها الشيعة نحو مئحتين، وأردفه زيادة الله بسديد بن أبي شداد ^(٢)، فاجتمع معه نحو مائة ألف. وأقام بقسطنطينية ستة أشهر لا يتقدم إليه الشيعة، فلما رأى ذلك زحف بعساكره كلها، فندب الشيعة خيلاً اختارها من كتامة ليختبروا بُروزَ حنبل، فأتوه. فلما رأى الخيل قصدها بنفسه. هذا والأفقال على الدواب؛ فانتشبت الحرب، واقتتلوا قتالاً شديداً. واتصل الخبر بأبي عبد الله الشيعة، فزحف بمن معه، فوقعت الهزيمة على ابن حنبل وأصحابه، وأسلموا الأفقال، وتبعهم أصحاب الشيعة يومهم ذلك إلى الليل، ومن الغد، يقتلون ويغنمون. فقتلوا منهم كثيراً وغنموا من الأموال والأمتعة والسلاح والكراع ما لا يحصى كثرة. ووصل ابن حنبل إلى باغية ^(٣) وكتب كتاباً بخطه إلى زيادة الله يخبره بالخبر. ثم قدم إلى إفريقية، فاضطربت وماجت بأهلها، وعظم أمر الشيعة ثم غلب على مدينة طُبنة ^(٤) ثم على مدينة بلزمة، ثم مدينة تيجس ^(٥)، ثم

(١) هكذا بالأصل، والكامل، وافتتاح الدعوة، و« قسطنطينية » في انماط الحنفا، وفي العبر وديوان المبتدأ ج ٤ ص ٣٥ « قسطنطينية » وما زالت تعرف بالاسم الأخير حتى الآن.

وهي مدينة مبنية على هضبة صخرية مرتفعة يحيط بها الوادي من جميع الجهات - انظر معجم البلدان.

(٢) هكذا بالأصل، و« شيب بن أبي الشداد » في افتتاح الدعوة ص ١٧٠.

(٣) « بالاية » في الأصل، والتصحيح من افتتاح الدعوة ص ١٧٢، وعامل هنا في نفس الورقة - انظر ما يلى.

(٤) طُبنة: بضم أوله ثم السكون ونون مفتوحة - من أكبر مدن نهر الزاب، وقد اندثرت الآن - معجم البلدان - دائرة المعارف الإسلامية.

(٥) تيجس: مدينة على الطريق من القيروان إلى قسنطينة. كان عليها سور صخر رومى - المغرب ص ٦٣.

مدينة بَاغَايَة ^(١) ، ثم قَفْصَة ^(٢) ، وقَضْطِيلِيَّة ^(٣) ، ثم مدينة الأَرُيس ^(٤) .
 وكان له في خلال هذه الفتوحات وقائع كثيرة كان آخرها مع إبراهيم بن أبي
 الأغلب لثمانين بقين من جُادى الآخرة ، سنة ست وتسعين ومائتين ، فانهزم
 إبراهيم إلى جهة القيروان واتبعهم أصحابُ الشيعة يقتلون ويغنمون
 ويأسرون ^(٥) .

ذكر هرب زيادة الله إلى المشرق

قال ^(٦) : ولَمَّا وَصَلَ خَبر هذه الهزيمة إلى زيادة الله وهو بِرَقَّادَة ^(٧) ،
 وكان قد علم أنه لا يقومُ له أمر إذا انهزم إبراهيم ، لأنه آخر ما جمع من
 الجيوش واستنفذَ فيه الوُسْع والطَّاقَة ، فَلَمَّا جَاءَ خَبر الهزيمة أظهر أنه جاءه
 الفتحُ ، وأرسل إلى السُّجُونِ فأحضَرَ رجالاً منها فضرب أعناقهم ، وأمر أن

(١) باغاية : مدينة كبيرة بين مجانة وقسنطينة ، وعلى مقربة منها جبل أوراس — معجم البلدان ،
 المغرب ص ٥٠ .

(٢) قَفْصَة : بالفتح ثم السكون ، وصاد مهملة ، بلدة صغيرة ، من عمل الزاب الكبير ، بينها وبين
 القيروان ثلاثة أيام من جهة المغرب — معجم البلدان .

(٣) قَضْطِيلِيَّة = قسطيلية : بالفتح ثم السكون وكسر الطاء ، مدينة كبيرة من أرض الزاب
 الكبير — معجم البلدان .

(٤) الأَرُيس : بالضم ثم السكون والهاء الموحدة مضمومة ، مدينة كبيرة ، بينها وبين القيروان
 ثلاثة أيام من جهة المغرب — معجم البلدان .

(٥) عن تفاصيل فتح هذه المدن — انظر افتتاح الدعوة من ص ١٧٣ إلى ص ٢٤٠ .

(٦) المقصود هو القاضي النعمان ، فما زال النويرى ينقل عن افتتاح الدعوة ص ٢٤٣ .

(٧) رقاد : مدينة بأفريقية بناها إبراهيم بن أحمد بن الأغلب ، وظلت دار ملك الأغالة حتى
 هرب منها زيادة الله وتركها لأبي عبد الله الشيعة — معجم البلدان .

بُطاف برءوسهم في القيروان ، وأخذ في تجهيز أنقاله ، وحملها وحمل أمواله ، وأئذ رخصته وأهل بيته بالخروج معه ، وعرفهم بالخبر ، فأشار عليه ابن الصائغ ^(١) بالمقام ، فأبى ذلك ، وخرج إلى مصر ، كما ذكرناه ^(٢) وأقبل الناس في صبيحة يوم هرب زيادة الله وانتهبوا رقادة . والله أعلم .

[٣١] ذكر رجوع أبي عبد الله الشيعي إلى إفريقية

قال : ولما وافاه الخبر بهرب زيادة الله أمير إفريقية ، وهو بناحية سبيبة ^(٣) رحل لوقته ، وخرج إليه شيوخ القيروان ، وتلقوه ، فأكرمهم ، ودخل أبو عبد الله الشيعي رقادة في يوم السبت غرة شهر رجب ، سنة ست وتسعين ومائتين ، ونزل ببعض قصورها ، وفرق دورها على كتامة ، ولم يكن قد بقي بها أحد من أهلها ، وأمر متاديه فتأدى في القيروان بالأمان ، فرجع

(١) هو عبد الله بن الصائغ . الذي ولي الوزارة والهريد لزيادة الله - نهاية الأرب ج ٢٤ ص ١٤٥ .

(٢) يشير المؤلف إلى ما سبق أن ذكره عند حديثه عن دولة الأغالة - انظر نهاية الأرب ج ٢٤ ص ١٤٧ وما بعدها .

(٣) « سبيبة » في الأصل ، فهر تحريف ، والنصح من افتتاح الدعوة ص ٢٤٣ ، الكامل ج ٨ ص ٤٦ .

سبيبة : بفتح أوله وكسر ثانيه . ناحية من أعمال القيروان - معجم البلدان .
أما سبيبة : فهي في أقصى بلاد المغرب في مواجهة جزيرة الأندلس ، على طرف مضيق جبل طارق - معجم البلدان - وهي بالتالي بعيدة عن مسرح الأحداث الواردة بالمتن .

الناس إلى أوطانهم . وغير المنكرات ، وولّى قضاء القيروان محمد^(١) بن عمر المروزي ، وأمره ، ورتب الخطباء وأمرهم أن يصلّوا على : رسول الله ﷺ ، وعلى ، والحسن والحسين وفاطمة ، وأمر بضرب السكّة ، وأن ينقش على الوجه الواحد « بلغت^(٢) حجة الله » . وعلى الوجه الآخر « تفرّق أعداء الله » ، ونقش على السلاح « عُدّة لسيل^(٣) الله » ، ونقش على خاتمه الذي يطع به الكتب (وتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا)^(٤) ورسم في جلال الخيل^(٥) « الملك لله » .

ذكر خروج أبي عبد الله الشيعي إلى سجلماسة^(٦)

قال^(٧) : ولَمَّا اسْتَقَرَّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْعِيُّ بِرَقَادَةَ ، أَنَاهُ أَخُوهُ أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ ، فَسَرَّ بِمَقْدَمِهِ ، وَكَانَ أَمْسَنَ مِنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَأَحَدَ ذَهْنًا ،

(١) هو محمد بن عمر بن يحيى بن عبد الأعلى المروزي (المروذي) أصله من خراسان ، وتوفي سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م — افتتاح الدعوة ص ٢٤٧ ، طبقات علماء أفريقية ص ٢٣٩ ، وانظر ما يلي في أخبار وفاة المهدي .

(٢) « بلقب » في الأصل ، والتصحيح من افتتاح الدعوة ص ٢٥٠ ، الكامل ج ٨ ص ٤٧ .

(٣) « عدة في سبيل الله » في افتتاح الدعوة ، والكامل .

(٤) سورة الأنعام آية ١١٥ .

(٥) الجمل للداية : كالنوب للإنسان ، بلبس لقي من البرد ، والجمع جلال أو إجلال . القاموس .

« ووسم الخيل الملك لله » في افتتاح الدعوة ص ٢٥١ ، و« ووسم الخيل على أفخاذها » في الكامل ج ٨ ص ٤٧ ، اتعاط الحنفا ج ١ ص ٦٤ .

(٦) سجلماسة : بكسر أوله وثانیه وسكون اللام ، وبعد الألف سين مهملة : مدينة عظيمة على حدود المغرب الجنوبية الشرقية ، على بعد نحو ٢٠٠ ميل جنوب شرق فاس ، أسسها المدرار ابن عبد الله سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م . وقد درست اليوم — معجم البلدان — دائرة المعارف الإسلامية .

(٧) مازال النويري يأخذ عنه — افتتاح الدعوة ص ٢٦٩ .

وكان الشيعي يعظمه ، فإذا دخل قام إليه . وإذا دخل هو على أبي العباس قبل يده ووقف حتى يأمره بالجلوس فيجلس .

ولما وصل أبو العباس أراد أن يتفقد من القيروان من خالف مذهبه ، فقال له أبو عبد الله إن دولتنا دولة حجة وبيان ، وليست دولة قهر واستطالة ، فترك الناس على مذاهبهم ، فتركهم .

وأخذ أبو عبد الله في الخروج إلى سِجْلَمَاسَة ، فرحل إليها في التَّصَف من شهر رمضان من السنة . في جيوش عظيمة ، واستخلف على إفريقية أبا زاكى تمام ابن معارك وأخاه (١) أبا العباس .

قال : ولما خرج اختار الغرب لخروجه وزالت زناة (٢) والقبائل عن طريقه ، وأوقع بقبائل عرضت له في الطريق حتى إذا قرب من سِجْلَمَاسَة راسل أميرها اليَسَع بن مَذَرَر (٣) ، وكان من أمره معه ما ذكره بعد في أخبار المهدي عبيد الله إن شاء الله .

فهذه أسباب ظهور هذه الدولة وقيامها وخبر شيعتها . فلنذكر أخبار المهدي وما كان من أمره . وخروجه من بلاد الشام ، وما اتفق له في مسيره إلى أن تسلم الملك من أبي عبيد الله الشيعي ، بعد أن مهد له القواعد وفتح

(١) هكذا في الأصل ، وفي افتتاح الدعوة ص ٢٧٥ ، أما في اتعاظ الحنفا فلم يرد ذكر لأبي زاكى تمام ، فورد « واستخلف أخاه أبا العباس على إفريقية » ص ٦٥ .

(٢) زناة : قبيلة كبيرة من البربر ، ينتسبون إلى زنا بن يحيى بن ضرى بن زجيك بن مادغس - العبر وديوان المبتدأ ج ٦ ص ٩١ .

(٣) ولى سِجْلَمَاسَة في صفر سنة ٢٧٠ هـ / أغسطس ٨٨٣ م . وهو آخر أئمة سِجْلَمَاسَة من المدراريين ، إذ ظل في الحكم حتى قتل على يد عبيد الله المهدي سنة ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م - انظر ما يلي .

البلاد . ثم نذكر في أخبار عبيد الله ، المنعوت بالمهدى ، ثَمَّة أخبار أبي عبد الله الشيعى إلى أن قُتِل هو وأخوه أبو العباس محمد بن أحمد .
ف نقول وبالله التوفيق .

ذكر ابتداء الدولة العبيدية وأخبار المهدي عبيد الله وما كان من أمره منذ خرج من الشام إلى أن ملك البلاد وتسلم الأمر من أبي عبد الله الشيعى

كان ابتداء ظهور هذه الدولة وقيامها ببلاد المغرب فى سنة ست وتسعين ومائتين ، عند ظهور عبيد الله بن الحسن المنعوت بالمهدى ، وخلاصه من سجن سجلماسة وقتله الحسن بن مذرار . ومنهم من يجعل ابتداءها عند وصول عبيد الله إلى رقادة فى يوم الخميس لعشرين من شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين ، على ما ذكره إن شاء الله تعالى .
ولنبداً بأخبار المهدي فى رحلته إلى المغرب .

ذكر رحيل عبيد الله من الشام [٣٢] ووصوله إلى سجلماسة

وكان سبب ذلك أن المعتضد بالله أبا العباس العباسى طلب عبيد الله هذا طلباً شديداً ، فخاف على نفسه إن هو أقام بالموضع الذى هو فيه من أرض الشام ، فخرج بنفسه وبولده أبى القاسم محمد ، وهو يومئذ غلام حدث وعبيد الله شاب ، وخرج معه خاصته ومواليه ، يريدون المغرب ، وذلك فى خلافة المكتفى بالله العباسى ، وأمير إفريقية يومئذ زيادة الله بن أبى العباس بن إبراهيم بن أحمد .

فلما انتهى عبيد الله إلى مصر أراد أن يقصد اليمن ، وكان بها أبو القاسم الحسن بن حوشب الكوفي الداعي كما ذكرنا ، وقد استقام له الأمر وملك أكثر البلاد ، ثم بعث بعده على بن الفضل فاستحل الحارم ودعا الناس إلى الإباحات ، فلما اتصل ذلك به كره دخول اليمن على هذه الحال ، وبلغه ما فعل الشيعة بالمغرب ، ومُنِعَ على يديه فأقام بمصر مستترا في زى التجار ، وعامل مصر يومئذ عيسى التوشري بعد انقراض الدولة الطولونية ، فأتته الكتب بصفته ، وأمر بنقبض عليه .

وكان بعض خاصة التوشري بشيع ، قيل إنه ابن المدبر ، هادَرَ إلى عبيد الله وأخبره ، وأشار عليه بالسير ، فخرج من مصر بمن صحبه . ففرق التوشري الرسل وذكر لهم صفته . ثم خرج بنفسه فأدركه وقد رحل من تروجة ، وهي على مرحلة من الإسكندرية ، فشى التوشري في القافلة التي عبيد الله فيها ، وجعل ينظر إلى وجوه القوم ، حتى رأى عبيد الله على هيئة التي وصفت له ، فقبض عليه وعلى من كان معه ، وأطلق الرقعة وعاد به إلى بستان فترل به ، وأنزل عبيد الله ومن معه بمقردهم ووكل بهم . ثم خلا به وقال له أضدقني عن أمرك فأني ألطف في خلاصك ، فقد جاءت صفتك من قبل أمير المؤمنين وأمر بطلبك ، وذكر أنك تروم الخلافة . فقال عبيد الله (١) إنما أنا رجل تاجر ، ولست أعلم شيئا مما تقول ، وأنت غني عن تقلد إثمى . فإزال بلاطفه يومه وليته حتى أطلقه وقال : إمض إلى سبيلك وأنا أبعث معك خيلا تشيعك . فشكره وقال : أنا أستغنى بنفسى وبمن معى ، وانصرف . فرجع أصحاب التوشري عليه بالملامة ، وقالوا له : ماذا صنعت

(١) « أبو عبد الله » في الأصل . والتصحيح من السياق .

بنفسك ! عملت إلى بُغْيَةِ أمير المؤمنين وطلبته فأطلقته . فندِمَ على إطلاقه
وهمَ أن يبعث إليه خيلاً تردّه .

فلما سار عبيدُ الله أميالاً افتقد أبو القاسم ابنه كلبه صيد كانت له ، فبكى
عليها فعرفه عبيده ^(١) أنهم تركوها بالبستان ، فرجع عبيدُ الله في طلبها ، فرآهم
التُّوشَرى ، فقال : مَنْ هؤلاء ؟ فقال بغض أصحابه : الرجل قد رجع .
فبعث غلمانَه فسألوا أصحاب عبيد الله عن سبب رجوعه ، فقالوا : افتقد
ولَدُ سيدنا كلبه ، وهو عزيز على أبيه ، فعادَ معه في طلبها بعد أن قطع أميالاً
كثيرة . فقال التُّوشَرى لأصحابه : قَبِّحْكم الله ! أردتم أن تحملوني على رجلٍ
حالُه مثلُ هذه الحال أعتقله بشبهة . لو كان مرتاباً لطوى المراحل وما عادَ إلينا
من مسافةٍ بعيدةٍ في طلب كلبه صيدٍ .

ورجع التُّوشَرى من وقته إلى مصر ، وعاد المهديّ ولحق برفقته . فلما
انتهى إلى مدينة طرابلس ، فارق مَنْ كان معه من الثَّجار ، وقدَّم أبا العبَّاس
محمَّد بن أحمد بن محمد بن زكريا ، أنا أبي عبد الله الشيعيَّ إلى القَيروان
ببعض ما كان معه ، وأمره أن يلحق بكتامة . فلما وصل أبو العبَّاس إلى
القَيروان وجدَ الكُتَّاب قد سبقت إلى زيادة الله في أمر عبيد الله فأحضر الرِّفقة
وسألهم عنه ، فأخبروه أنه تخلف بطرابلس وذكروا أن أبا العبَّاس من
أصحابه ؛ فأخذ وقرَّر ، فأنكر ، فحبس .

واتصل الخبر بعبيد الله بطرابلس فصادف رِفْقَةً خارجةً إلى قَضَطِيْلِيَّة ،
فخرج معهم ، وأتى كتابُ زيادة الله إلى طرابلس بصفته وطلبه ، فكتب إليه
عاملها أنه خرج من عمله ، وسار عبيد الله حتى وصل إلى قَضَطِيْلِيَّة ، ثم منها

(١) « أبوه » في الأصل ، والتصحيح من الكامل ج ٨ ص ٣٨ ، وهو يتفق مع السياق .

إلى سِجْلَمَاسَة ، وصاحب سِجْلَمَاسَة يومئذٍ الْيَسَعُ بن مدرار ، فهَذَا هُوَ عِيْدُ اللَّهِ ، فَأَكْرَمَهُ الْيَسَعُ وَعَظَّمَهُ . فلم يزل كذلك إلى أن أَنَاهُ كِتَابُ زِيَادَةِ اللَّهِ بِخَبْرِهِ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ الشَّيْعِيُّ ، فَتَغَيَّرَ الْيَسَعُ عِنْدَ ذَلِكَ عَلَيْهِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ فِي حَقِّهِ مَا يَكْرَهُ .

ثُمَّ كَانَ مِنْ تَغَلُّبِ الشَّيْعِيِّ مَا قَدَّمْنَاهُ . وَعَلِمَ بِمَكَانِ عِيْدِ اللَّهِ ، وَكَانَ يُكَاتِبُهُ فِي السَّرِّ . فَلَمَّا هَزَمَ الشَّيْعِيُّ جَيْشَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَنْبَشٍ كَتَبَ إِلَى عِيْدِ اللَّهِ بِخَبْرِهِ بِالْفَتْحِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَا لَمْ يَمُتْ رِجَالُهُ مِنْ قِتْلِهِ مِنْ كِتَابَةٍ ، وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ فَتْحٍ وَرَدَ عَلَى عِيْدِ اللَّهِ ، فَسَرَّ بِهِ . ثُمَّ اسْتَوَى الشَّيْعِيُّ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، وَهَرَبَ مِنْهُ زِيَادَةُ اللَّهِ ، وَمَلَكَ رَقَادَةَ وَالْقِيْرَوَانَ . وَسَارَ إِلَى سِجْلَمَاسَة فَلَمَّا انْتَهَى خَبَرَهُ إِلَى الْيَسَعِ بْنِ مَدْرَارٍ وَقَرَّبَ مِنْ سِجْلَمَاسَة سَأَلَهُ فَحَلَفَ أَنَّهُ مَا اجْتَمَعَ بِالشَّيْعِيِّ وَلَا رَأَى قَطُّ وَلَا عَرَفَهُ ، وَقَالَ : إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ تَاجِرٌ فَأَغْلَطْتُ لَهُ فِي الْقَوْلِ فَلَمْ [يُغَيِّرْ] ^(١) كَلَامَهُ الْأَوَّلَ وَلَمْ يُخْرِجْ عَنْهُ . فَجَعَلَهُ فِي دَارٍ وَجَعَلَ عَلَيْهِ حَرَسًا ، وَجَعَلَ ابْنَهُ أَبَا الْقَاسِمِ فِي دَارٍ أُخْرَى ، وَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا . وَاخْتَبَرَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا [٣٣] فَلَمْ يَجِدْ بَيْنَهُمَا خِلَافًا ، وَامْتَحَنَ رِجَالًا كَانُوا مَعَهُمَا بِالْعَذَابِ لِيُقَرُّوا فَلَمْ يَعْتَرِفُوا بِشَيْءٍ .

وَاتَّصَلَ الْخَبَرُ بِالشَّيْعِيِّ فَعَظَّمَ عَلَيْهِ ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْيَسَعِ بْنِ مَدْرَارٍ يُؤَمِّنُهُ جَانِيَهُ وَيَذْكُرُ أَنَّهُ إِنَّمَا قَصَدَ سِجْلَمَاسَة لِحَاجَةٍ وَبِعْدَهُ الْجَمِيلُ وَالْبِرُّ وَالْإِكْرَامُ ، وَأَكَّدَ ذَلِكَ وَبَالَغَ فِيهِ فَلَمَّا وَصَلَتْ رِسَالُ الْيَسَعِ رَمَى بِالْكَتَبِ وَقَتَلَ الرَّسُلَ ، وَاتَّصَلَ ذَلِكَ بِالشَّيْعِيِّ فَعَاوَدَهُ وَلَا طَفَفَ ، كُلُّ ذَلِكَ خَوْفًا مِنْهُ أَنَّهُ يَكُونُ مِنْهُ فِي حَقِّ عِيْدِ اللَّهِ مَا يَكْرَهُ ، فَقَتَلَ الرَّسُلَ أَيْضًا فَلَمَّا رَأَى الشَّيْعِيُّ إِصْرَارَهُ عَبَأَ

(١) [] إضافة تنفق وسباق الكلام .

عساكره ودنا من المدينة فخرج إليه اليسع بن معة ، فناوشهم القتال ، فقتل من أصحابه جماعة وكان ذلك في آخر النهار ، فحجز بينها الليل .

فلما جن الليل هرب اليسع بن مدرار مع أهل بيته وبات الشيعي ومن معه في غم عظيم تلك الليلة ، لا يعلم ما صنع بعبيد الله وابنه ، ولم يمكنه دخول المدينة ، وما علم بهرب اليسع حتى أصبح ، فخرج إلى الشيعي وجوه أهل المدينة وأعلموه بهرب اليسع ، فدخل إلى المكان الذي فيه عبيد الله فأخرجه وأخرج ولده أبا القاسم ، وقرب لها فرسين وحقت بها العساكر ، وسار الشيعي والدعاة بين يدي عبيد الله وهو يقول : هذا مولاي ومولاكم ، حتى انتهى عبيد الله إلى فسطاط ضرب له ، فدخله ، وهو إذ ذاك شاب لم ينبذه الشيب . وابنه حرطر شارب .

معين التارخ

هذا ما حكاه إبراهيم بن الرقيق في تاريخه لأهل التارخ

وقال غيره إن اليسع بن مدرار لما أراد الخروج من سجلماسة أحضر الشخص الذي اعتقله وقتله قبل هروبه ، وأن الشيعي لما دخل وعلم بقتل عبيد الله خاف من كثامة لأنه كان يعدهم بخروج المهدي وملكه الأرض على زعمه ، وخشى أن يفتضح فيه ذلك ويؤول ما حصل في يده . فأخرج لهم رجلاً يهودياً كان يخدم الشخص المقتول ، وقال هذا إمامكم وإمام الاسماعيلية ، وأركبه ومشى في ركابه وأنسلخ له من الأمر . وهذا فيه بُعد ، وأراه من الثغالي في نفهم عن النسب ، والذي حكاه ابن الرقيق أشبه . فلنرجع إلى ما حكاه إبراهيم بن الرقيق .

قال : ولما استقر عبيد الله بالفسطاط أمر بطلب اليسع بن مدرار حيث كان . فخرجت الخيل في طلبه ، فأدركوه ومن معه من أهل بيته ،

فأخذوهم وأتوا بهم إلى عبيد الله ، فأمر بضرب البسج بالسياط ، فضرب وطيف به في بلاد سجلماسة ؛ ثم أمر بقتله فقتل هو وكل من حرب معه من أهل بيته وغيرهم . وأمن الناس بعد ذلك وسكنهم ، واستعمل عليهم عاملاً ، وأنته القبائل من كل ناحية فأكرمهم ، ووعدهم بكل جميل . وأقام بسجلماسة أربعين يوماً ، ثم سار يريد إفريقية . فلما حازى بلاد كتامة مال إليها ، ووصل إلى إيكجان ، وأمر بإحضار الأموال التي كانت مع الشيعي والشيوخ ، فأحضرها وشدها أحمالاً وقدم بها . وكان وصوله إلى رقادة في يوم الخميس لعشر بقين من شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين . وفي هذه السنة زال ملك بني الأغلب وكان له بإفريقية مائة سنة واثنى عشرة سنة . وزال بزواله ملك بني مذار وكان له بسجلماسة وما حوّلها مائة سنة وستون سنة . وزال ملك بني رستم من تاهرت ^(١) وما حوّلها ، وله مائة سنة وثلاثون سنة ^(٢) .

قال : ولما قارب عبيد الله القيروان تلقاه شيوخها ومشوا بين يديه ، فجزاهم خيراً ونزل عبيد الله بقصر من القصور برقادة . وأنزل العساكر بدورها ودعى له بالخلافة في يوم الجمعة لتسع بقين من شهر ربيع الآخر من السنة برقادة والقيروان والقصر القديم ^(٣) وأنفذ رسله ردعته وأنته وفود البلدان .

(١) « تهرت » في الأصل ، والتصحيح من معجم البلدان .

(٢) عن هذه الدول ومدة حكمها انظر نهاية الأرب ج ٢٤ .

(٣) القصر القديم = قصر قيروان : مدينة عظيمة قبل القيروان بنحو أربعة أميال . أسسها إبراهيم بن الأغلب سنة ١٨٤ هـ / ٨٠٠ م — واتخذها عاصمة لدولته — معجم البلدان .

قال ثم عرض عليه الشيعي جَوَارِيَّ زيادة الله فاصطفى منهن لنفسه وأعطى ولده ، وفرق أكثرهن على وجوه كتامة ، وقسم عليهم أعمال إفريقية ، واستعمل وجوههم على مدنها ، وأمرهم بالتجمل وحسن اللباس ، فلبسوا الثياب الفاخرة وركبوا بالسروج المحلاة . ورثب الدواوين وأنعم على الناس ، فرفع إليه صاحب بيت المال ما أخرجه من الصلات في شهر رمضان ، فبلغ مائة ألف دينار واستكثره صاحب بيت المال فقال عبيد الله : لو بلغت ما أوُمِّلُهُ ما رُضِيْتُ بمثل هذا المال لرجل واحد [من أوليائي] (١) .

ذكر أخبار أبي عبيد الله الشيعي وأخيه أبي العباس
وما كان من أمرهما بعد قيام عبيد الله المهدي
إلى أن قتلتهما

قال : لما استقامت الأمور لعبيد الله المهدي داخل أبا العباس محمداً أخا الشيعي فساد دينه (٢)

وسبب ذلك أن أخاه أبا عبد الله كان يعظمه ويقوم له عن مجلسه ويقبل يده [٣٤] كما قدمناه ، وكان لأبي عبد الله من الرئاسة وتفوذ الكلمة والعلبة على الأمور كله ما ذكرناه (٣) فلما صار الأمر لعبيد الله المهدي زالت تلك الرئاسة عن أبي عبد الله وأخيه ، فداخله الحسد ، فجعل يزرى على عبيد الله عند

(١) [إضافة للتوضيح من افتتاح الدعوة ص ٣٠٤ .

(٢) « داخل أبا العباس الحسد » في الكامل ج ٨ ص ٥٠ ، وانهاط الحنفا ج ١ ص ٦٧ .

(٣) كما ذكرناه في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

أخيه وأبو عبد الله ينكر ذلك على أخيه ، وأبو العباس لا يرعى ، ويؤكد أسباب التفاق . ثم قال أبو العباس لأخيه : لقد ملكت أمراً عظيماً وانقطع لك الناس ، فحسبت بمن أزالك عنه وأخرجك منه ، وكان الواجب عليه ألا يهتضمك هذا الاقتصام . ولم يزل يُغريه بمثل ذلك إلى أن أثر ذلك فيه ، وحمله على مشافهة عبيد الله المهدي بيغضه ، وأشار عليه بتفويض الأمور إليه والانقطاع في قصره والاحتجاب عن الناس ، وقال هذا أهيب لك وأشد لأمرك . فردَّ عليه في ذلك ردّاً لطيفاً . وكان قد بلغ المهدي ما هو عليه ، فحققه ولم يره أنه اطلع على شيء من ذلك . وعمد أبو العباس إلى الدعاة ، وكانوا يعظمونه لما يرون من تعظيم أخيه أبي عبيد الله له ، فجعل يرمز لهم ، ثم صرح ، وطعن في عبيد الله ، وأدخل فيه الشبهة . وكل ذلك يبلغ عبيد الله فيعرض عنه ويغضى عليه ، هذا والشبه في ذلك مدار لم يبلغ حد التفاق إلى أن فشا أن حال أبي العباس قد أنهت إلى عبيد الله .

وما زال أبو العباس يتخيل إلى أن قال للدعاة إن الإمام هو الذي يأتي بالآيات والمعجزات ويختم بخاتمه في البلاط ، فأما هذا فقد شككنا فيه . فعند ذلك أرسل هارون بن يونس ^(١) أحد المشايخ إلى عبيد الله يقول : قد شككنا في أمرك فأيتنا بآية إن كنت المهدي كما قلت . فتعاطم ذلك وقال : ويحكم إنكم كنتم قد أيقنتم والشك لا يزيل اليقين ، فأبيتهم إلا الإضرار ثم أمر من قتله . فلما علم أبو العباس والقوم الذين استزلهم ^(٢) بقتله جعلوا ذلك سبباً لميائنة عبيد الله وأجمعوا على التقص والإبرام في دار أبي زاكى ابن معارك ، وعزموا على الفتك بعبيد الله . واجتمع كتابه إلا قليلاً منهم ؛

(١) « بن يوسف » في الأصل ، والتصحيح من افتتاح الدعوة ص ١١١ وص ٣١٠ .

(٢) استزلهم : أى جعلهم يزولون ، أى الذين أغواهم .

وكان عزوية (١) بن يوسف يأتي بأخبارهم لعبيد الله ، فجمع عبيد الله إليه من سليم من النفاق والعبيد واستعدَّ لهم ، على كثرتهم وقلة المبايعين له . فجمعوا له الجموع وأحاطوا بقصره ليوقعوا به ، وهو في ذلك جالس متصبُّ غير مكتئب ؛ فخذف الله في قلوبهم الرعب على كثرتهم وقلة من معه ، حتى كانوا يعبرون وقد عزموا على الفتك به ، فإذا قابلوه ملأت الهيئة قلوبهم فإذا انصرفوا ندبوا على تركه ﴿ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ (٢) .

فنظر عبيد الله في بعض الأيام إلى أبي عبيد الله الشيعي وقد لبس ثوبه مقلوباً ، ودخل عليه ثلاثة أيام وهو على تلك الحال ، فقال له في اليوم الثالث : يا أبا عبد الله ؛ ما هذا الأمر الذي شغلك وأذهلك عن أمر نفسك ؟ فقال : وما هو يا مولاي ؟ قال : إن ثوبك مقلوبٌ عليك منذ ثلاثة أيام ما اهتديت له ، وما أحسيت نزعته . فنظر إليه وقال : والله يا مولاي ما علمتُ به . فقال : إن هذا لشغل عظيم ، فأين تبيت منذ كذا من الليالي ؟ فسكت . فقال : ألسنت تبيت في دار أبي زاسي قال له : بلى . قال : وما أخرجك من دارك التي أنزلتُك بها ؟ قال : يا مولاي خفت . قال : وما يخاف المرء إلا من عدوه ، والمؤمن لا يخاف وليه (٣) . فسكت أبو عبد الله وأيقن أن عورته قد بدت لعبيد الله ، ووجبت حجته عليه ، وحل له قتله . فانصرف وأعلم القوم بما جرى بينهما ، فأمسكوا عن الدخول إلى عبيد الله وخافوا على أنفسهم منه . ثم جاءوه بعد ذلك وأظهروا البراءة مما قيل فيهم ،

(١) « عزوية » في الأصل . والكامل ج ٨ ص ٥٢ . وأخبار الدول المنقطعة ص ٩ . والنصح هنا والمواضع التالية من افتتاح الدعوة ص ٣١٢ .

(٢) سورة الأنفال آية ٤٤ .

(٣) « عدوه » في الأصل ، والنصح من افتتاح الدعوة ص ٣١٤ .

واعتذروا ؛ فردَّ عليهم ردًّا جميلاً ، وأخرج جماعةً منهم إلى البلدان ،
فتفرقت جماعتهم . وأخرج فيمن أخرج أبا زاكى بن مُعَارِك^(١) إلى
طرابلس ، وكان غزوية بن يوسف وإلياً عليها^(٢) ، فلما وصل إليه كتب إليه
عبيد الله ، فقتله وبعث برأسه إليه . وقُتل جماعةٌ منهم كذلك في البلدان
بصنوفٍ من القتل .

وخرج أبو عبد الله في بعض الأيام هو وأخوه أبو العباس يُريدان قصر
عبيد الله على العادة . فحمل غزوية بن يوسف^(٣) على أبي عبيد الله ، وحمل
خير بن ماشيت^(٤) على أبي العباس . فقال أبو عبد الله لابن غزوية : يا بُنَيَّ
لا تفعل . فقال : الَّذِي أَمَرْتَنَا بطاعته أَمَرْنَا بِقَتْلِكَ . وقتلها فيها بين
القصرين ؛ وذلك في يوم الاثنين ، النصف من جمادى الآخرة سنة ثمانٍ
وتسعين ومائتين . وأمر عبيد الله بدفنهما .

قال : وهذا اليوم هو اليوم الَّذِي قُتل فيه أبو زاكى بطرابلس .
قال : ولما قتل أبو عبد الله وأبو العباس ثار جماعةٌ من بني الأغلب وأصروا
على التُّفاق ، وكانوا بالقصر القديم ، فأخرجوا منه الكتامين وقتلوا جماعةً
منهم ، فأحاط به مَنْ حوله من كتامة ، فقاتلهم بنو الأغلب ، وقُتل من

(١) « بن معادل » في الأصل ، والتصحيح مما سبق .

(٢) « وكان عمه أبو يوسف عاملاً عليها » في افتتاح الدعوة ، ص ٣١٥ ، وأخبار الدول المنقطعة
ص ١٠ ، وهو الأرجح — انظر ما يل .

(٣) فحمل ابن غزوية بن أبي يوسف « في الأصل ، والتصحيح مما سبق ، وافتتاح الدعوة ص
٣١٦ .

(٤) « خير بن ماشيت » في افتتاح الدعوة ص ٣١٦ ، « خير بن القسم » في أخبار الدول المنقطعة
ص ١٠ .

الطَّائِفَتَيْنِ قَتَلَ كَثِيرًا . فَبَلَغَ ذَلِكَ عَيْنِدَ اللَّهِ فَرَدَّ كِتَابَهُ وَأَنْكَرَ عَلَيْهِمْ ، فَتَفَرَّقَ بَنُو الْأَغْلَبِ وَانْضَرَفُوا إِلَى دَوْرِهِمْ ، فَزَكَّاهُمْ عَيْنِدَ اللَّهِ ثُمَّ قَبَضَ عَلَيْهِمْ فَقَتَلُوا عَلَى بَابِ رَقَادَةَ ، ثُمَّ تَتَبَعَ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ فَقَتَلَهُمْ . وَلَمَّا اسْتَقَامَتِ الْأُمُورُ لِعَيْنِدَ اللَّهِ [٣٥] عَهْدَ إِلَى وَلَدِهِ أَبِي الْقَاسِمِ ، وَخَرَجَتْ كِتَابُهُ : مِنْ وَلِيِّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْنِدِ اللَّهِ .

ذِكْرُ أَخْبَارِ مَنْ خَالَفَ عَلَى عَيْنِدِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ

قَالَ : وَبَقِيَتْ ^(١) بَقِيَّةٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ عَلَيْهِ ، فَسَارُوا ^(٢) إِلَى بَلَدِ كِتَابَةِ ، فَأَقَامُوا غَلَامًا حَدَثًا مِنْ جَبَلِ أَوْرَاسٍ مِنْ جِهَةِ أَوْرُسِهِ ^(٣) . وَزَعَمُوا أَنَّهُ الْمَهْدِيُّ ، ثُمَّ نَحَلُّوهُ الثَّبُوءَ ، وَزَعَمُوا أَنَّ الْوَحْيَ يَأْتِيهِ ، وَقَالُوا : أَبُو عَبْدِ اللَّهِ حَتَّى لَمْ يَمِتْ ، وَأَبَاحُوا الزَّنا ، وَأَحْلَوْا الْحَارِمَ . وَزَحَفُوا إِلَى مَيْلَةٍ فَأَخَذُوهَا . فَبَلَغَ ذَلِكَ عَيْنِدَ اللَّهِ ^(٤) فَأَخْرَجَ إِلَيْهِمْ وَلِيَّ الْعَهْدِ فِي عَسْكَرٍ فَحَاصَرَهَا مَدَّةً ، ثُمَّ قَاتَلُوهُ فَهَزَمَهُمْ حَتَّى انْتَهَى بِهِمْ إِلَى الْبَحْرِ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَأَخَذَ الْعَلَامَ الَّذِي نَصَبُوهُ فَأَتَى بِهِ إِلَى أَبِيهِ ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ ، فَقَتَلَ .

وَخَالَفَ عَلَيْهِ أَهْلُ طَرَابُلُسَ ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِمْ عَسْكَرًا مَعَ أَبِي يُوسُفَ ، فَحَاصَرَهَا ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهَا وَلَمْ يَفْتَحْهَا ، فَخَرَجَ إِلَيْهَا بَعْدَ ذَلِكَ أَبُو الْقَاسِمِ ، وَقَدْ قَدَّمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ابْنَ إِسْحَاقَ الْقُرْشِيَّ ، فَكَانَ خُرُوجُهُ يَوْمَ الْأَحَدِ

(١) « وتغيب » في افتتاح الدعوة ص ٣٢٤ .

(٢) « فساروا » في افتتاح الدعوة ص ٣٢٤ .

(٣) « أو سنة » والتصحيح من افتتاح الدعوة ص ١٠٧ ، ص ٣٢٤ .

(٤) « أبو عبيد الله » في الأصل ، وهو تحريف .

لِلْيَلَّتَيْنِ خَلَّتَا مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ ثَلَاثِمِائَةٍ . فَحَاصَرَهَا وَضَبَّقَ عَلَى مَنْ بِهَا
حَتَّى أَكَلُوا الْجَيْفَ ، فَفَتَحُوا فِي آخِرِ شَهْرِ رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ ، فَعَفَا عَنْهُمْ ،
لَكِنَّهُ غَرَمَهُمْ جَمِيعَ مَا أَنْفَقَ مِنْ مَالٍ وَغَيْرِهِ ، وَكَانَتْ جَمَلَتُهُ ثَلَاثِمِائَةَ أَلْفٍ
وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَحَمَلَ وَجُوهَ رِجَالِهِمْ مَعَهُ إِلَى رَقَادَةِ رَهَائِنَ ،
وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا ، وَانْصَرَفَ .

ذكر بناء مدينة المهدية

وَفِي سَنَةِ ثَلَاثِمِائَةٍ (١) خَرَجَ عُبَيْدُ اللَّهِ إِلَى تُونِسَ وَقَرطاجنة وغيرها ، يَرْتَادُ
لِنَفْسِهِ مَوْضِعًا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ يَتَنَبَّأُ بِهِ مَدِينَةٌ ، فَاخْتَارَ مَوْضِعَ الْمَهْدِيَّةِ ، فَأَمَرَ
بِبِنَائِهَا وَتَحْصِينِهَا بِالسُّورِ وَأَبْوَابِ الْحَدِيدِ الْمَحْكَمِ ، فَجُعِلَ فِي كُلِّ مِصْرَاعٍ مِنَ
الْحَدِيدِ مِائَةُ قِطَارٍ . وَكَانَ ابْتِدَاءُ الشُّرُوعِ فِي بِنَائِهَا فِي يَوْمِ السَّبْتِ لِحُمْسٍ
خَلُونٍ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ (٢) مِنَ السَّنَةِ . وَانْتَقَلَ إِلَيْهَا فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ .
قَالَ : وَلَمَّا عَزَمَ عَلَى الْإِنْتِقَالِ إِلَيْهَا ثَقُلَ ذَلِكَ عَلَى جَنْدِهِ ، فَقَالَ : لَحْنُ نَسْتَقِلَّ
إِلَيْهَا وَنَدْعُكُمْ بِمَكَانِكُمْ ، وَعَمَّا قَلِيلٍ سَتَسْتَقِلُّونَ . فَفَعَلُوا ذَلِكَ ، فَكَانَ إِلَّا أَنَّ
أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَمْطَارًا غَزِيرَةً ، فَهَدَمَتْ مَسَاكِنَهُمْ ، فَسَأَلُوهُ الثَّقَلَةَ إِلَيْهَا فَأَذِنَ
لَهُمْ .

وَفِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ خَرَجَ وَلِيُّ الْعَهْدِ أَبُو الْقَاسِمِ إِلَى الدِّيَارِ الْمَصْرِئَةِ .

(١) هَكَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَفِي أَخْبَارِ الدُّوَلِ الْمُنْقَطِعَةِ ص ١١ ، وَلَكِنْ وَرَدَ أَنَّ اخْتِيَارَ مَوْضِعِ الْمَهْدِيَّةِ
وَالْبَدْءَ فِي بِنَائِهَا كَانَ سَنَةَ ٣٠٣ هـ فِي كُلِّ مَنْ : الْكَامِلُ ج ٨ ص ٩٤ ، انماط الحنفا ج ١
ص ٧٠ .

(٢) « فِي يَوْمِ الْحُمَيْسِ لِحُمْسٍ خَلُونٍ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ » فِي أَخْبَارِ الدُّوَلِ الْمُنْقَطِعَةِ ص ١١ .

وكان خروجه من رقادة لست بيقين من جُأدى الآخرة منها^(١) ، وكان من أمره وأمر حباسة بن يوسف ووصولها إلى الإسكندرية ما قدمناه في الحوادث فيما كان بين الدولة الطولونية والدولة الإخشيدية .

ولما وصل حباسة إلى عبيد الله أمر بقتله على ما كان من انهزامه .

ثم خرج أبو القاسم بابنه إلى الديار المصرية . وكان خروجه يوم الاثنين غرة ذى القعدة ، سنة ست وثلاثمائة ، ووصل إلى الإسكندرية في شهر ربيع الآخر سنة سبع وثلاثمائة ، فخرج عنها عامل المقتدر ، وملكها أبو القاسم . ثم ملك الفيوم والأشمونين ، وغير ذلك . وأقام نحو ستين . ثم وقع الفتنة في عسكره ، وماتت خيلهم ، وجاء مؤنس من بغداد واجتمعت عليه العساكر كما ذكرنا ، فعجز عن قتالهم ، فرجع إلى أفريقية . وكان وصوله إلى المهديّة لعشر ليل مضيئة من شهر رمضان سنة سبع وثلاثمائة .

ذكر خروج أبي القاسم إلى بلاد المغرب [٣٦] ونائه مدينة المسيلة

قال : وفي سنة خمس عشرة وثلاثمائة خرج أبو القاسم ، ولّى العهد ، إلى بلاد المغرب في عسكر عظيم وكان خروجه من المهديّة في يوم الخميس لسبع مضيئة من صفر منها ، ففتح مزاته ، وهوارة ، ومطاطة ، ولماية ،

(١) ورد هذا الحدث في أحداث سنة ٣٠١ هـ في كل من الكامل ج ٨ ص ٨٤ ، انعاظ الحنفاء ج ١ ص ٦٨ . وانظر ما سبق عن ذكر هذه الحوادث بعد انتهاء الدولة الطولونية .

وكل من خالطهم من الصُفَرِيَّة (١) والإِبَاضِيَّة (٢) وبلغ إلى ما وراء
 تاهرت (٣) . ولَمَّا انصرف من سفرته اختط مدينة المَسِيلَة (٤) برمحها ، وأمر
 عليّ بن حمدُون الأويسى ببنائها ، واستعمله على المحمدية فبناها وحصَّنها ،
 وكانت خُطَّة لَبْنِي كَمَلان فأخرجهم منها ، وأمرهم أن يرتفعوا إلى فَحْص (٥)
 القيروان ، وانتقل الناس إليها وعظم أمرها .

ذكر وفاة عُيَيْد الله المَهْدِي وشيء من أخباره

كانت وفاته ليلة الثلاثاء ، التَّصَف من شهر ربيع الأول (٦) ، سنة اثنتين
 وعشرين وثلاثمائة ، وهو ابنُ ثلاثٍ وستينَ سنة . وكانت إمارته منذُ وصل

(١) الصُفَرِيَّة : أصحاب زياد بن الأصفر - الملل والنحل ج ١ ص ١٣٧ .

(٢) الإِبَاضِيَّة : أصحاب عبد الله بن إِباض - الملل والنحل ج ١ ص ١٣٤ .

(٣) « تهرت » في الأصل .

(٤) المَسِيلَة : بالفتح ثم الكسر ، والياء ساكنة ولام ، مدينة بالمغرب تسمى أيضًا « المحمدية » -
 معجم البلدان .

وورد في أخبار الدول المنقطعة « بنى عبد الرحمن التميمي بالمغرب بمحمد المدينة المعروفة
 بالمحمدية » ص ١١ .

(٥) فَحْص - فحوص : كل موضع يُسكن - القاموس .

(٦) « فتمى صبيحة يوم الثلاثاء لعشر ليال خلون من جمادى الآخر » في افتتاح الدعوة ص
 ٣٢٩ . وفي طبعة أخرى « ربيع الآخر » - والافتتاح هو المصدر الوحيد الذي ضبط الوفاة
 في شهر جمادى الآخر لا في ربيع الأول - وقد يرجع السبب في الاختلاف على تاريخ الوفاة
 إخفاء خبر موته لمدة سنة حتى يدبر ابنه أمره - انظر الكامل ج ٨ ص ٢٨٤ .

إلى رقادة إلى يوم وفاته أربعًا وعشرين سنة وعشرة أشهر^(١) وعشرين يومًا .

قال : ولما مات كنم أبؤه أبو القاسم موته سنة حتى دبر أمره .

أولاده : أبو القاسم عبد الرحمن ، ولي عهده وتسمى بالمغرب محمدًا .

أبو علي أحمد ، مات بمصر للنصف من ذى القعدة سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة ودفن بالقصر .

أبو طالب موسى ، مات بمصر في ذى القعدة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ودفن بالقصر .

أبو الحسين عيسى ، توفى برقادة في سنة- اثنتين وثمانين وثلاثمائة .

أبو عبد الله الحسين ، توفى بالمغرب في أيام القائم .

أبو سليمان داود ، توفى بالمغرب في أيام القائم .

وكان له سبع بنات ، ومن السراى أمهات الأولاد ستة .

قضاته : أبو جعفر محمد بن عمر^(٢) المروزي ، مات بعد أن عزل في

سنة ثلاث وثلاثمائة ، ثم إسحاق بن المنهال ، ثم محمد بن محفوظ

المصمودي ، مات في المحرم سنة سبع وثلاثمائة ، ثم محمد بن عمران

النفطي ، مات في سنة عشر وثلاثمائة ، ثم إسحاق بن المنهال ثانيًا .

(١) « وشهرا واحدا » في افتتاح الدعوة ص ٣٣٠ ، و « شهرا » في الكامل ج ٨ ص ٢٨٤ .

وما أورده النويري يتفق مع ما سبق ذكره من أن المهدي دخل إلى رقادة « لعشر بقين من شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين » — انظر ما سبق ، وانظر أيضًا اتعاظ الخنفا ج ١ ص ٧٣ .

(٢) « عمار » في الأصل ، والتصحيح يتفق مع ما سبق .

حاجبه : جعفر بن علي .

حامل مظلته : [مسعود الصقلي ، ثم غرس الصقلي]^(١)

ذكر نيعة القائم بأمر الله

هو أبو القاسم محمد ، وقيل أبو العباس ، ويدعى نزاراً ، وكان اسمه بالمشرق عبد الرحمن فتسمى محمد بن عبيد الله المهدي ، وهو الثاني من ملوك الدولة العبيدية ، بايع له أبوه بولاية العهد كما تقدم ، ثم جددت له البيعة بعد وفاة أبيه بسنة ، فإنه كنم وفاته سنة كاملة ، حتى مهد قواعد دولته ، ثم أظهرها . واستقل بالأمر وهو ابن سبع وأربعين سنة ، فقام مقام أبيه ، واقتنى آثاره ، وأظهر عليه من الحزن ما لم يُسمع بمثله وواصل الحزن لفقده ، ولم يرق^(٢) سريراً ، ولا ركب دابة منذ أفضى إليه الأمر إلى أن مات إلا مرتين ، مرة صلى على جنازة ، ومرة صلى بالناس العيد . وافتتحت في أيامه مدائن كثيرة من مدُن الروم ، وثار عليه عدة ثوار فتمكن منهم ؛ فكان ممن ثار عليه ابن طالوت القرشي ، فسار إلى ناحية طرابلس وزعم للبربر أنه المهدي فقاموا معه واتبعوه ، فزحف بهم على مدينة طرابلس في عددٍ عظيم ، ثم تبين للبربر أمره فقتلوه ، وأثروا برأسه إلى أبي القاسم .

قال : وأول ما بدأ به أنه أمر بأخذ أنواع السلاح في سائر البلاد ،

(١) [إضافة من أخبار الدول المنقطعة ص ١٣ لاستكمال النص ،

والظلة هي قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب ، على أعلاها طائر من فضة ، مطلية بالذهب ، تحمل على رأس السلطان في العيدين . وهي من بقايا الدولة الفاطمية — صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٦٩ ، ج ٤ ص ٨٠٧ .

(٢) «لم يرقد سريراً» في افتتاح الدعوة ص ٣٣١ .

وأخرج ميسور^(١) الصقلي في عددٍ عظيمٍ إلى المغرب ، فأنتهى إلى مدينة فأس ، وهزم ابن أبي العافية ، وأخذ أبنته الثوري أسيرًا ، وأخرج بعد ذلك يعقوب بن إسحاق على أسطولٍ عظيمٍ إلى بلد الروم ، فافتتح بلد جنوة . وكان ممن خرج عليه أبو يزيد مُحَلَّد بن كَيْدَاد^(٢) ، في سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، وهو رَجُلٌ إياصِيّ ، يُظهر الزُّهد ، وأنه إنما قام عليهم غضبًا لله . وكان لَا يَرْكَبُ غيرَ حِمَارٍ ، وَلَا يَلْبَسُ إِلَّا الصُّوفَ . وكان يَبْتِغِيها وقائعُ كثيرة ، فملك أبو يزيد جميع مُدُن القُيُروان ، ولم يَبْقِ للقائم غير المهديّة ، فحاصرها أبو يزيد إلى أن هلك القائم . وكان بينه وبين ابنه المنصور ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر وفاة القائم بأمر الله [٣٧] وشيء من أخباره .

كانت وفاته بالمهديّة في يوم الأحد الثالث عشر من شوال سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة . ومولده بسكّمية التي بالقرب من مدينة حماة من الشّام في المحرم سنة ثمانين ومائتين^(٣) . وكان عُمره أربعًا وخمسين سنة وتسعة أشهر ، ومدة ملكه ثلثي عشرة سنة وستة شهور وأيامًا .

أولادُه : كان له من الأولاد الذّكور سبعة ، وهم : أبو الطاهر إسماعيل قام بالأمر بعده ، وأبو عبد الله جعفر ، توفّي في أيام المعز ، وحمزة ،

(١) « منشور الصقلي » في الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح من افتتاح الدعوة ص ٣٣٢ ، اتعاط الحنفا ج ١ ص ٧٦ .

(٢) من قبيلة زناته من مدينة توزر — اتعاط الحنفا ج ١ ص ٧٥ ، وفيه « أبو يزيد محلد » .

(٣) « ولد بسلمية سنة سبع وسبعين ومائتين ، وقيل ولد في المحرم سنة ثمان وسبعين » — كنز الدرر ج ٦ ص ١١٠

وعدنان . وأبو كَتامة قَضَوْا بالمغرب ؛ ويوسف ، مات بِرَقَة سنة اثنتين وستين
وستائة ؛ وأبو القَران عبد الجبار ، تُوْفِيَ بِمصر في سنة سبعٍ وستين وثلاثمائة ،
وأربعُ بنات وسبع سَرَارٍ .

قضاته : إسحاق بن أبي المنهال إلى أن تُوْفِيَ ؛ ثم أحمد بن بحر إلى أن
قتله أبو زيد ^(١) لَمَّا فتح إفريقية في صفر سنة ثلاثين ؛ ثم أحمد بن الوليد ،
ولتَه الرَّعِيَّةُ فأقره .

حاجبُه : جعفر بن علي حاجب أبيه .

ذكر بيعة المنصور بنصر الله

هو أبو الظاهر إسماعيل بن القائم بأمر الله بن عبيد الله المهديّ ، وهو
الثالث من ملوكهم . بايع له أبوه القائم بأمر الله في حياته ، وولَّاه حَرْبَ
أبي ^(٢) زيد ؛ وهلك أبوه القائم بأمر الله ، فأخفى إسماعيل موته ، وناصب
أبا زيد حتَّى رَجَعَ إلى المهديّة ، وتوجَّه أبو زيد إلى سوسة فحاصرها ، فأدركه
المنصور إسماعيل فطرده عنها ؛ ورَأَى عليه الهزائم إلى أن أسره في يوم الأحد
لخمسٍ بَقِيْنَ من المحرم سنة ستٍ وثلاثين وثلاثمائة ؛ فمات بَعْدَ أسره بأربعة
أيام من جراحةٍ كانت به ، فأمر المنصور بِسَلْخِهِ ، وَحَشَى جِلْدَهُ فُطْنَا
وصَلَبَه ، وبَنَى مدينتَه المسماة بالمنصورية في موضع الوقعة ، واستوطنها في
سنة سبعٍ وثلاثين وثلاثمائة .

(١) « أبو زيد » في أخبار الدول المتقطعة ص ١٧ .

(٢) « ابن » في الأصل . والتصحيح يتفق مع ما سبق .

وكان المنصور شجاعاً بليغاً يرتجل الخطب . حكى المزوروذى قال :
خرجت مع المنصور يوم هزم أبو زيد ، فسأيرته ويده ربحان^(١) فسقط أحدهما
مراراً وأنا أمسحُه وأناوله إياه ونفألت له بذلك . فأنشدت :

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر
فقال : ألا قلت ما هو خير من هذا وأصدق ﴿ وَأَوْحَيْتَا إِلَى مُوسَى أَنْ
الْقِرْعَ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون *
فقلُّوا هتالك وأنقلبوا صاغرين ﴿^(٢) .

ذكر وفاة المنصور بنصر الله وشيء من أخباره

كانت وفاته في يوم الجمعة آخر شوال سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة .
وكان سبب وفاته أنه خرج في شهر رمضان من السنة إلى جلولا^(٣) ومعه
جاريته قضيب ، وكان يجيها ، فجاء مطر عظيم وريح شديدة بجلولا واشتد
البرد بها ، فخرج منها على فرس وقضيب في غازيه وهو يريد المنصورة ،
ودام عليه المطر والبرد .

قال أبو الرقيق : أخبرني من كان معه ، قال : كنّا ننظر إلى العيد السودان
على الطريق قعوداً فنتأملهم فنجدهم موتى ، وقد جفوا من البرد . ووصل
المنصور إلى قصره آخر النهار ، فدخل الحمام ، فاعتلّ لوقته . وصلى العيد

(١) « ربحان » في الأصل ، والتصحيح من أخبار الدول المنقطعة ص ١٩ ، انماظ الحنفا ج ١ ص ٨٨ .

(٢) سورة الأعراف الآيات ١١٧ - ١١٩ .

(٣) جلولا : مدينة بأفريقية ، بينها وبين القيروان ٢٤ ميلاً - معجم البلدان .

بالتاس في مبادئ علته ، ثم اشتدت به ، مات في التاريخ [المذكور] (١) ، وأوصى ابنه أن يمنع من النوح عليه .

وكان مولده بالقيروان ، في سنة اثنتين وثلاثمائة ، وكان عمره أربعين سنة .

وقال ابن الرقيق : إنه ولد برقادة في سنة إحدى وثلاثمائة ، وكان عمره أربعين سنة تقريباً . ومدة ملكه سبع سنين وأيام (٢) .

أولاده المذكور خمسة ، وهم : أبو تميم معد ، وهاشم ، وحيدرة ، مات بمصر سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة ، وأبو عبد الله الحسين ، وأبو جعفر طاهر . وكان له خمس بنات ، وثلاث أمهات أولاد .

قضاته : أحمد بن محمد بن الوليد ، ثم محمد بن أبي المصور ، ثم عبد الله بن هاشم ، ثم علي بن أبي شبيب ، علي المنصورية . ثم أبو محمد زرارة بن أحمد ، ثم أبو حنيفة النعمان (٣) بن محمد التيمي .

حاجبه : جعفر بن علي ، حاجب أبيه وجده .

[٣٨] ذكر بيعة المعز لدين الله

هو أبو تميم معد بن المنصور بن القائم بن المهدي ، وهو الرابع من ملوك الدولة العبيدية . وأول من ملك مصر والشام منهم .

(١) [] إضافة تنفق مع السياق .

(٢) « وستة أيام » في أخبار الدول المنقطعة ص ١٩ .

(٣) هو صاحب كتاب افتتاح الدعوة .

صار الأمرُ إليه ببلاد المغرب بعد وفاة أبيه المنصور ، في آخر شوال سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة ، فدبر الأمور وأحكمها إلى يوم الأحد السابع من ذى الحجة من السنة ، فجلس على سرير الملك ، ودل عليه الخاصة وكثير من العامة فسلموا عليه بالخلافة ، وتلقب بالمعز لدين الله . ولم يظهر على أبيه حزناً ، وكان عمره يوم وليَ أربعاً وعشرين سنة . وأرسل إلى جميع من بالمهدية من عمومته وعمومة أبيه ، فأتوه وسلموا عليه بالإمارة ، فأخذ عليهم البيعة ، ومشوا بين يديه رجالةً ، وأرضاهم بالمصلاة . واستقام له الأمر . وصلى بالناس عيد الأضحى ، ثم صرفهم إلى المهدية .

ودخل في طاعته من العصاة من عصى على غيره ممن كان يجبل أوراس من بنى كملان ومليلة ، وهما من قبائل هَوارة .

ثم بعث القائد جوهراً في يوم الخميس لسبع خلون من صفر ، سنة سبع وأربعين وثلاثمائة ، في جيش عظيم إلى المغرب ، فسار حتى بلغ البحر المحيط ، فأمر أن يُصاد من سكه ، وجعله في قلة وجعل فيها الماء ، وحملها إلى المعز صُحبة البريد ؛ وجعل في باطن كتابه من ضريع البحر . وعاد وفتح فاس يوم الخميس لعشر بقين من شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة ؛ واستخلف عليها وعلى سجلماسة وتاهرت وعاد جوهراً من المغرب إلى رقادة يوم الجمعة لاثنتي عشرة [ليلة]^(١) بقيت من شعبان .

وفي سنة خمس^(٢) وثلاثمائة ، في النصف من المحرم ، غلبت الروم على

(١) « ليلة » إضافة يقتضها السياق .

وانظر تفصيلات فتوحات جوهري بالمغرب في : أخبار الدول المنطقة ص ٢١ - ٢٣ . الكامل ج ٨ صفحات ٤٩٨ - ٤٩٩ ، ص ٥٢٤ - ٥٢٥ .

(٢) « خمس » في الأصل ، والتصحيح يتفق وسير الأحداث .

جزيرة إقريطش^(١) ، ففتحوا المدينة وقتلوا من أهلها مائتي ألف رجل وسبوا من النساء والصبيان مثل ذلك ، وحرقوا المصاحف والمساجد ؛ وكانوا قد أتوا في سبعمائة مركب .

وفي سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة بعث المعز لدين الله عماله من برقة إلى سجلماسة ، إلى جزيرة صقلية ، وأمرهم أن يكتبوا جميع الأطفال الذين في أعمالهم من الخاصة والعامة ليختنوا مع أولاده ، فبلغوا عددة لا تحصى . فلما كان في أول يوم من شهر ربيع الأول من هذه السنة ابتداء بطهور أولاده وأهل بيته وأولاد خاصته من الكتاب ورجال الدولة وغيرهم ، وأعطاهم الصلات والكساوى . قال : وازدحم الناس في يوم الاثنين لإحدى عشرة [ليلة]^(٢) خلت من شهر ربيع الأول فأت من الرجال مائة وخمسون نفساً .

وفي سنة خمس وثلاثمائة أمر المعز لدين الله بحفر الآبار في طريق مضر وأن يبني له في كل موضع يقيم به قصور ، فأخذوا في عمل ذلك ، حتى تم ، وفي يوم الجمعة لليلة بقيت من جمادى الآخرة ، سنة سبع وخمسين ، وردت الثجوب من مضر بوفاة كافور الإخشيدي ، وكانت وفاته لعشر بقين من جمادى الأولى . كما تقدم .

(١) إقريطش : بفتح الهاء وتكرس ، جزيرة في بحر المغرب ، يقابلها من أفريقيا ليبيا — معجم البلدان ، وهي حالياً جزيرة كريت بالبحر المتوسط .

ونجح البيزنطيون في استرداد جزيرة كريت والاستيلاء على عاصمتها سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦٦ م — بعد حصار دام ثمانية أشهر ، وذلك في عهد الإمبراطور البيزنطي رومانوس الثاني وتحت قيادة نقفور فوقاس — المسلمون والبيزنطيون ص ١٢٤ .

(٢) [إضافة تنفق والسباق .

ذكر خبر إرسال القائد جوهر الكاتب بالعساكر إلى الديار المصرية

وفي سنة ثمان وخسين وثلاثمائة قَدِمَ القائدُ جوهر من المغرب
بِعَسْكَرٍ عَظِيمٍ مِنْ كِتَامَةِ الْجَنْدِ وَالْبَرَبْرِ ؛ فَأَمَرَهُ الْمُعَزُّ بِالاسْتِعْدَادِ وَالخُرُوجِ
إِلَى مِصْرَ . فَأَقَامَ بِقَصْرِ الْمَاءِ بِالْقُرْبِ مِنَ الْمَنْصُورِيَّةِ لِيَجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْحَشُودُ ؛
وَفَتَحَ الْمُعَزُّ بَيْتَ الْمَالِ وَوَضَعَ الْعَطَاءَ . وَحَشَّدَ مِنْ إِفْرِيقِيَّةٍ مِنَ الْكُتَّابِيِّينَ
وَالزَّوِيلِيِّينَ وَالْجَنْدِ وَالْبَرَبْرِ ، وَأَعْطَى مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ إِلَى عِشْرِينَ دِينَارًا حَتَّى
عَمَّهُمُ بِالْعَطَاءِ ، وَتَصَرَّفُوا فِي الْقِيَرَانِ وَصَبْرِهِ فِي ابْتِياعِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ ،
ثُمَّ أَمَرَ الْمُعَزُّ بِالرُّحِيلِ ، فَرحَلَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ لِأَرْبَعِ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ
شَهْرِ ربيع الأول منها . وفارقه خمسمائة فارس من البربر ، فجرد خلفهم
عِدَّةً مِنَ الْوُجُوهِ فَلَمْ يَرْجِعُوا ؛ فَقَالَ الْمُعَزُّ : اللَّهُ أَكْرَمُ أَنْ يَنْصَرَّنَا بِالْبَرَبْرِ ،
ثُمَّ سَارَ جَوْهَرٌ بِجَمِيعِ مَنْ مَعَهُ مِنَ الْعَسَاكِرِ . وَمَعَهُ أَلْفٌ حَمَلٌ مِنَ الْمَالِ ، وَمِنْ
السِّلَاحِ وَالْعُدَدِ وَالْكَرَاعِ مَا لَا يُوصَفُ ، وَأَغْذُ السَّيْرِ حَتَّى أَقْبَلَ عَلَى الدِّيَارِ
الْمِصْرِيَّةِ .

[٣٩] ذكر خبر وصول جَوهر القائد بالعساكر إلى

الديار المصرية

وما كان بينه وبين الإخشيدية والكافورية من المراسلة في طلب

الأمان وتقريره الصلح

ونكثهم وقتاله إياهم إلى أن ملك الديار المصرية واختط القاهرة .

قال ابن جلب^(١) راغب في تاريخ مصر: وفي جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وردت الأخبار إلى مصر بقدم القائد جوهر، فاضطرب المصريون لذلك اضطراباً شديداً، ووقع اتفاق أرباب الدولة بحضرة الوزير جعفر بن الفضل على مُراسلته في الصلح وطلب الأمان، وإقرار ضياعهم وأعمالهم في أيديهم. فراسلوه في ذلك. واشترط تحرير سويران^(٢) ألا يجتمع مع القائد جوهر، وأن يكون له الأشمونين إقطاعاً، وتقلد مكة والمدينة، ويتوجه فيقيم بالحجاز، وسألوا الشريف أبا جعفر مُسلم الحسنى في المسير برسالتهم إلى جوهر، فأجابهم، وشرط أن يكون معه جماعة من الأعيان، فجهزوا معه أبا إسماعيل إبراهيم بن أحمد الزيني، وأبا الطيب العباس بن أحمد العباسي والقاضي أبا طاهر، وغيرهم. وكتب الوزير كتاباً بما يُريد. وسار أبو جعفر بمن معه في يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر رجب من السنة، وقيل لليلة بقيت منه، فلقي القائد جوهرًا قد نزل بتروجه فاجتمعوا به فبالغ القائد في إكرام الشريف، وأدى الشريف إليه الرسالة وأعطاه كتب الجماعة، وعرفه ما التمسوه، فأجابهم إلى ذلك، وكتب كتاباً بالأمان نسخته.

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. هذا كتاب من جوهر الكاتب، عبد أمير

(١) هو محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب. المعروف بابن ميسر. والمتوفى سنة ٦٦٧ هـ/١٢٦٨ م. — المنهل الصافي.

وكتابه: أخبار مصر، نشر حديثاً بالقاهرة بتحقيق أين فؤاد سيد. وصدر عن المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة سنة ١٩٨١ بعنوان: المنتقى من أخبار مصر.
وسوف نشير إلى ما يوجد في هذه الطبعة في هذا الجزء من نهاية الأرب.

(٢) «تحرير الشوزاني» في وفيات الأعيان — في ترجمة جوهر — ج ١ ص ٣٧٨. «ابن الشوزاني» في النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٣٠.

المؤمنين المعزّلين الله صلوات الله عليه ، لجماعة أهل مصر من السّاكنين بها ويغيرها (١) .

إنّه قد ورد من سألتموه الترسّل إلى والاجتماع معي ، وهم (٢) : أبو جعفر الشّريف أطل الله بقاءه ، وأبو طاهر إسماعيل الرّئيس (٣) ، أيّده الله ، وأبو الطيب الهاشمي ، أيّده الله ، والقاضي أبو طاهر (٤) أعزه الله ، وأبو جعفر أحمد بن نصر أعزه الله .

فذكروا عنكم أنكم التمسّتم كتابًا يشتمل على أمانيّكم في أنفسكم وأموالكم ، وبلادكم ونعميّكم (٥) وجميع أحوالكم ، فعرّفنهم ما تقدّم به أمر مولانا وسيدنا أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه ، من نصره لكم (٦) .

لتحمّدوا الله (٧) تعالى على ما أولاكم وتحمّدوه على ما حباكم (٨) ، ولتذابّوا (٩) فيما يلزمكم ، وتسارعوا للطّاعة (١٠) العاصمة لكم ، العائدة بالسّعادة عليكم ، المقضية بالسلامة لكم (١١) ، وهو أنّه صلوات الله عليه ،

(١) « أهل مصر الساكنين بها . من أهلها ، ومن غيرهم » في اتعاظ الحنفا ج ١ ص ١٠٣ .

(٢) « وهو » في الأصل ، والنصحيح من اتعاظ الحنفا ، ويتفق مع السياق .

(٣) « الرسي » في اتعاظ الحنفا .

(٤) « أبو طاهر » ساقط من اتعاظ الحنفا .

(٥) « ونعمكم » ساقط من اتعاظ الحنفا .

(٦) « وحسن نظره لكم » في اتعاظ الحنفا .

(٧) « فلتحمّدوا الله » في اتعاظ الحنفا .

(٨) « وتشكروه على ما حباكم » في اتعاظ الحنفا .

(٩) « وقد أبوا » في اتعاظ الحنفا .

(١٠) « إلى طاعته » في اتعاظ الحنفا .

(١١) « العائدة بالسلامة لكم ، وبالسّعادة عليكم » في اتعاظ الحنفا .

لَمْ يَكُنْ إِخْرَاجُهُ هَذِهِ الْعَسَاكِرَ ^(١) الْمَنْصُورَةَ ، وَالْجِيُوشَ الْمَظْفَرَةَ ، إِلَّا لِمَا فِيهِ
إِعْزَازُكُمْ وَجِمَاعُكُمْ ، وَالْجِهَادُ عَنْكُمْ ، إِذْ قَدْ نَحْطَفْتُمْكُمْ ^(٢) الْأَيْدَى ،
وَاسْتَطَالَ عَلَيْكُمْ الْمَشْرُكُ ^(٣) ، وَأَطْمَعَتْ نَفْسُ بِالْاِقْتِدَارِ عَلَى بِلَادِكُمْ ^(٤)
[فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَالتَّغْلِبَ عَلَيْهِ ، وَأَسْرَمَ فِيهِ] ^(٥) وَالْاِحْتِواءَ ^(٦) عَلَى
نَعْمِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ، حَسَبَ مَا فَعَلَهُ فِي غَيْرِكُمْ مِنْ أَهْلِ بِلْدَانِ الْمَشْرِقِ ، وَتَأَكَّدَ
عِزُّهُ وَاشْتَدَّ كَلْبُهُ ، فَعَاجَلَهُ مَوْلَانَا وَسَيِّدُنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ،
بِإِخْرَاجِ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ وَبِادْرَةِ بِإِنْفَازِ الْجِيُوشِ الْمَظْفَرَةِ لِقِتَاتِهِ دُونَكُمْ ،
وَتَجَاهِدُهُ ^(٨) عَنْكُمْ وَعَنْ كَافَّةِ الْمُسْلِمِينَ بِبَلَدِ الْمَشْرِقِ ، الَّذِينَ عَمَّهُمُ الْحَزَنُ ،
وَعَلَّتْهُمْ ^(٩) الذَّلَّةُ ، وَاسْتَنْفَتَتْهُمْ الْمَصَائِبُ ، وَتَبَاعَبَتْ لَدَيْهِمْ ^(١٠) الرَّرَابَا ،
وَأَتَّصَلَ عَنْدَهُمُ الْخَوْفُ ، وَكَثُرَتْ اسْتِغَاثَتُهُمْ ، وَعَظُمَ ضَجِيجُهُمْ ، وَعَلَا
صِيَاحُهُمْ ^(١١) ، وَلَمْ يُغْنِهِمْ ^(١٢) إِلَّا مَنْ أَرْمَضَهُ ^(١٣) حَالُهُمْ ، وَأَبْكَى عَنْهُ مَا
نَالَهُمْ ، وَأَسْهَرَهُ مَا حَلَّ بِهِمْ ، وَهُوَ مَوْلَانَا وَسَيِّدُنَا [فَرَجًا بِفَضْلِ اللَّهِ ،

(١) « للعساكر » في انعاظ الحنفا ص ١٠٤ .

(٢) « نَحْطَفْتُمْكُمْ » في الأصل ، والتصحیح من انعاظ الحنفا .

(٣) « المستذل » في انعاظ الحنفا .

(٤) « بلدكم » في انعاظ الحنفا .

(٥) [] إضافة من انعاظ الحنفا .

(٦) « والاحتيا » في الأصل ، والتصحیح من انعاظ الحنفا .

(٧) « لِقَاتِهِ » ساقط من انعاظ الحنفا .

(٨) « ومجاهدته » في انعاظ الحنفا .

(٩) « وشملتهم » في انعاظ الحنفا .

(١٠) « لديهم » ساقط من انعاظ الحنفا .

(١١) « صراخهم » في انعاظ الحنفا .

(١٢) « فلم يغنهم » في انعاظ الحنفا .

(١٣) « إلا من أرمضه أمرهم ، ومضه » حالهم في انعاظ الحنفا .

(١٤) « وأسهرها » في انعاظ الحنفا .

وإحسانه لديه ، وما عَوَّده وأرجاه عليه ، استنقاذَ من أَصْبَحَ منهم في ذلٍّ مقيم ، وعذاب أليم]^(١) أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه ، وأن يُؤمن من استولى عليه المهل^(٢) ويفرخ روع مَنْ لم يزل في خَوْفٍ ووجل . وآثر إقامة الحجّ الذي تعطلَّ ، وأهمَل العبادُ فروضه وحقوقه ، لِلخوفِ^(٣) المستولى عليهم ، و[إذ]^(٤) لا يأمنون على أنفسهم ولا على أموالهم ، [و]^(٥) إذ قد وقع^(٦) بهم مرّةً بعد أخرى ، فسُفِكت دِمائهم .

وأطال جوهر في كتابه^(٧) ، وحضهم على الطاعة ، وأشهد عليه الشهود فيه ، وخلعَ على الجماعة ، وحملهم .

قال : ولما توجهَ الشريف وَمَنْ معه إلى القائد جوهر ، اضطرب بعذه البلدُ اضطرابًا شديدًا ، وأخذت الإحشديّة والكافوريّة في إخراج مضاريهم ، وقام رجل من أهل بغداد ، بعرف بابن شعبان ، يوم الجمعة في المسجد قبل الصلاة فقال : أيها الناس قد أظلكم من أخرب فارس وسبى أهلها ، وذكر ما حلَّ بأهل بلاد المغرب منه ، وقال : القوا الرجل القليل المعرفة ، يعني الوزير جعفر ابن حنّابة ، فإنه قد شرع في إتلاف بلادكم وسفك دمائكم بمراسلة هذا الرجل ، يعني القائد جوهرًا ، فسمع الناس كلامه ،

(١) [إضافة من اتعاط الحنفا .

(٢) هكذا في الأصل ، وفي اتعاط الحنفا ، ورجع بحقق اتعاط الحنفا أن تكون « الوهل » بمعنى الفزع .

(٣) « لحوف » في اتعاط الحنفا .

(٤) [إضافة من اتعاط الحنفا .

(٥) [إضافة من اتعاط الحنفا .

(٦) « أوقع » في اتعاط الحنفا .

(٧) انظر بقية الكتاب في اتعاط الحنفا جـ ١ ص ١٠٤ - ١٠٧ .

ورجعوا عما سألوه من الأمان . وبلغ الشريفَ ومن معه انتقاضُ الإخشيدية والكافورية ، وعزمهم على القتال ، فكتموه عن القائد جوهر خوفاً أن يعتقلهم ، وبأدروا [٤٠] بالعود وساروا . فبلغ القائد ذلك بعد رحيلهم ، فردهم ، وقال : قد بلغنى أن القوم قد نقضوا ورجعوا ، فردوا على خطي فرفقوا به وداروه ، وقالوا : إذا يُظفرُك الله وينصرُك . فقال للقاضي : ما تقولُ فيمن أراد [أن] ^(١) يشقَّ مدينةَ مصر فيجعلها طريقاً للجهاد المشركين والحجَّ إلى بيت الله الحرام ؟ فتمعه ، من الجواز له أن يقابلهم . فقال : نعم ، اكتب خطك بذلك ^(٢) .

ثم سار الشريف ومن معه إلى مصر فوصلوها لبيع خلون من شعبان ، فركب الوزيرُ والناس إليهم ، واجتمع الإخشيدية والكافورية وغيرهم ، فقرأ عليهم السجل الذي كتبه القائد ، وأوصل إلى كلِّ واحدٍ جواب كتابه بما أراد من الأمان والولاية والإقطاع . فلما قرئوا الكتب خاطبوا الشريف بخطاب طويل ؛ فقال لحرير ما بيننا وبينه إلا السيف فقدّموا عليهم تحرير سويران ، وعبأوا عساكرهم ، وعدّوا إلى الجيزة والجزيرة ، وحفظوا الجسور .

ووصل جوهر ، وابتدأ القتال بينهم في حادي عشر شعبان . ثم مضى القائد جوهر بعد ذلك إلى منية الصيادين ^(٣) ، وأخذ المخاضة بمنية شلقان واستأمن إليه جماعة من أهل مصر وغلماهم في مراكب ، ووقع القتال ،

(١) [إضافة تنفق وسياق الكلام .

(٢) « فقال : ما تقول فيمن أراد العبور إلى مصر ليمضى إلى الجهاد لقتال الروم فمنع ، أليس له قتالهم ؟ » فقال له القاضي : نعم ، فقال : وحلال قتالهم ؟ ، قال : نعم « في انماط الحنفا ج ١ ص ١٠٨ .

(٣) منية الصيادين : من القرى القديمة . وهي حالياً جزء من وراق الحضرة ، التابعة لمركز إمبابة بمحافظة الجيزة — القاموس الجغرافي ق ٢ ج ٣ ص ٦٥ .

وزحف جعفر بن فلاح ، بالرجال ، وقاتل عساكر مصر ، ووقع القتل في الإخشيدية والكافورية فانهمزوا ليلاً ودخلوا مصر وأخذوا ما في دورهم ، وساروا إلى الشام .

قال : ولما انهزم ركب الناس إلى دار الشريف أبي (١) جعفر مسلم وسأله كتاباً إلى القائد جوهر بإعادة الأمان عليهم ، فكتب كتاباً إليه يهتئ بالفتح ، وسأله إعادة الأمان للمصريين ، فكتب القائد أماناً وبعثه إلى الشريف ، فقرأه على الناس ، وهو :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وصل كتاب الشريف ، أطال الله بقاءه وأدام عزه وتأييده وتمكينه (٢) ، يهتئ بما هيأه الله (٣) من الفتح المبارك (٤) ، وهو ، أيده الله ، المهناً بذلك لأنها دولته ودولة أهله ، وهو المخصوص بذلك » (٥) وأما ما سأل من الأمان وإعادة الأمان الأول ، فقد أعيد إليه ما طلب ، وجعلت إليه عن مولانا وسيدنا أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه ، أن يؤمن الناس كيف شاء بما شاء (٦) . وقد كتبت إلى الوزير ، أيده الله ، بالاحتياط على بيوت (٧) الهاربين إلى أن يدخلوا في الطاعة ، وما دخلت فيه

(١) « ابن » في الأصل ، والتصحيح مما سبق .

(٢) « وعلمه » في انعاظ الحنفا ج ١ ص ١١٠ .

(٣) « وهو المهناً بما هنا به » في انعاظ الحنفا .

(٤) « الميمون » في انعاظ الحنفا .

(٥) « ساقط من انعاظ الحنفا .

(٦) « فوقفت على ما سأل من إعادة الأمان الأول ، وقد أعدته على حاله ، وجعلت إلى الشريف — أعزاه الله — أن يؤمن كيف رأى وكيف أحب — ويزيد على ما كتبه كيف يشاء ، فهو أمانى . وعن إذنى وإذن مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه » في انعاظ الحنفا ج ١ ص ١١٠ .

(٧) « دور » في انعاظ الحنفا .

الجماعة^(١) ، ويعمل الشريف أيده الله ، على لقائى فى يوم الأحد لأربع عشرة ليلة تخلو من شعبان^(٢) بجماعة الأشراف والعلماء والثناء ، وأهل البلدان إن شاء الله تعالى .

فقرأ الشريف الكتاب على الناس وسكّنهم وهدأهم ، ففتحوا البلد ، وأخذ الناس فى التجهز إلى لقاء القائد جوهر ، وقتل نحرير وميسر وبلال وعين الطويل . وجىء برؤوسهم إلى القائد .

قال : وخرج الناس إلى الجيزة والتفّوا القائد ، فنادى مناد يترى الناس كلهم إلا الشريف والوزير ، ففعلوا ذلك ، وسلموا عليه واحداً واحداً ، وأبو جعفر أحمد بن نصير عرفه بالناس ، والشريف أبو جعفر مسلم عن يمينه ، وأبو الفضل الوزير عن يساره .

فلما فرغ السلام انصرف الناس ، وابتدأ العسكر فى الدخول منذ زوال الشمس . فعبروا الجسر بالدروع والجواشن^(٣) ، ودخل القائد جوهر إلى المدينة بعد العصر من يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شعبان ، سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة . والبنود^(٤) والصبول بين يديه ، ونزل الموضع الذى اختط فيه القاهرة واختط القصر .

(١) « إلى أن يرجعوا إلى الطاعة . ويدخلوا فيها دخلت فيه الجماعة » فى اتعاظ المنفا .

(٢) « فى يوم الثلاثاء لسبع عشرة تخلو من شعبان » فى اتعاظ المنفا ج ١ ص ١١٠ .

والمرجع ما أورده النويرى . فقد اتفقت المصادر على أن دخول جوهر إلى المدينة

« بعد العصر من يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شعبان » انظر ما يلى .

(٣) الجواشن — الجواشن : مثل الزرد يلبس على الظهر ، ولكنه يتكون من حلقات تتداخل فيها صفائح رقيقة . صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٧٣ .

(٤) البنود : جمع بند — فارسى معرب . وهو العلم الكبير ، ويذكر ابن خلكان أن هذا البند كان أبيض اللون — صبح الأعشى ج ٦ ص ٥٩ . وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٧٩ .

وأصبح المصريون حضروا إليه للهناء ، فوجدوه قد حفر أساس القصر في تلك الليلة . قال : ولم يكن في المكان عمارة البتة إلا بستان كافور . ولم يزل هذا البستان على حاله إلى سنة خمس وأربعين وستائة فعمر مكانه مساكن وهو الخط الذي يُعرف الآن بالكافوري^(١) .

قال صاحب كتاب خطط^(٢) مصر : لما دخل جوهر القائد واختط القاهرة قرر كل جانب منها على أمير من أمراء عسكره وأرصد له بناء تلك^(٣) الحارة حسب أمره المعز لدين الله فسميت كل حارة باسم مقدمها أو الطائفة التي نزلت بها . وابتدأ بالعمارة في شهر رمضان من السنة^(٤) .

قال المؤرخ : ودخل القائد جوهر مصر ، وبين يديه ألف ومائتا صندوق مالا^(٥) ، وأقام عسكره يدخل سبعة أيام . وبعث إلى مولاه المعز لدين الله يبشره بالفتح .

قال : ولما دخل القائد مصر كان الغلاء بها ، فنأدى ثنأويه : من عنده قبح فليخرج . وفرق الصدقات على الناس ، وأقرأ بالفضل على الوزارة ،

(١) بستان الكافوري : أنشأ الأمير محمد بن طنج الإخشيد ، فلما جاء جوهر إلى مصر جعل هذا البستان من داخل القاهرة ، وعرف ببستان كافور ، ثم اختط مساكن بعد ذلك — المواقظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٥ .

(٢) هو أحمد علي بن عبد القادر ، تقي الدين المقرئ ، المتوفى سنة ٨٤٥هـ / ١٤٤١م — صاحب كتاب : المواقظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار .

(٣) « ذلك » في الأصل ، والتصحيح يتفق وسباق الكلام .

(٤) انظر ذكر بناء القاهرة وما كانت عليه في الدولة الفاطمية — المواقظ والاعتبار ج ١ ص ٢٦١ وما بعدها .

(٥) « ويقال إن المال كان في ألف وخمسمائة صندوق » — انماط المنفا ج ١ ص ١١١ .

وجهز جعفر^(١) بن فلاح إلى الشام .

ذكر إقامة الخطبة ، وضرب السكة بمصر ، [٤١]

للمعز لدين الله وما قيل في الدعاء له

على المنبر ، وما نقش على السكة

وفي يوم الجمعة لعشر بَقِيْنَ من شعبان من السنة ركب القائدُ جوهر إلى المسجد الجامع العتيق^(٢) لصلاة الجمعة ، ولإقامة الدعوة . في عسكرٍ كثير . وخطب هبة الله بن أحمد خليفة عبد السميع بن عُمر العباسي ، لغية عبد السميع . فخطب وعليه البياض ، ودعا للمعز لدين الله . وقال في دُعائه في الخطبة الثانية :

اللهم صلِّ على عَبْدِكَ وَوَلِيِّكَ ، ثَمرة الثبوة ، وسليل العِثرة الهاديّة المهدية ، عبد الله الإمام معدّ أبي تميم المعز لدين الله ، أمير المؤمنين ، كما صَلَّيتَ على آبائِهِ الطاهرين وأَسلافِهِ الْمُتَّخِضِينَ^(٣) ، الأئمة الراشدين . اللهم ارفع دَرَجَتَهُ ، وأَعْلِ كَلِمَتَهُ ، وَأَوْضِحْ حُجَّتَهُ ، واجمَعِ الأُمَّةَ على طاعته . والقلوبَ على مُوَالَاةِهِ [وصحبته]^(٤) ، واجعل الرِّشَادَ في مُوَافَقَتِهِ ، وَوَرَثَتَهُ مشارقَ الأرضِ ومغاربِهَا ، وَأَحْمِدُهُ مبادئَ الأمور وعواقِبِهَا ، فَإِنَّكَ تقولُ وقولُكَ

(١) هو جعفر بن فلاح الكتامي ، أبو علي ، أحد قواد المعز ، قتل على يد القرامطة سنة ٣٦٠هـ / ٩٧٠ م - وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٦١ رقم ١٢٨ ، الإشارة ص ٣٠ - ٣٢ .

(٢) هو جامع عمرو بن العاص بالنسباط - المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٤٦ .

(٣) « المتخفين » ساقط من انعاظ الحنفا ج ١ ص ١١٤ .

(٤) [إضافة من انعاظ الحنفا ج ١ ص ١١٥ .

الحق ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ
الصَّالِحُونَ﴾^(١) فلقد امتنع^(٢) لِدِينِكَ ، ولما انتَهَكَ من حرمَتِكَ^(٣) ،
وَدَرَسَ من الجهاد في سبيلِكَ ، وانقطع من الحجِّ إلى بيتِكَ ، وزيارَةِ قبرِ
رسولِكَ صلى الله عليه [وسلم]^(٤) وأعدَّ للجهاد^(٥) عُدَّتَهُ ، وأخذ لكل
خطيئة أُهْبِتَهُ فسِرَّ الجيوشَ لِتَصْرِكَ^(٦) ، وأنفق الأموالَ في طَاعَتِكَ ، وبَذَلَ
المجهود في رضاكَ ، فارتدَّع الجاهل ، وقَصُرَ الْمُتَطَاوِل ، وظَهَرَ الحقُّ وزَهَقَ
الباطلُ . فأنصُرُ اللَّهُمَّ جيوشَهُ التي سبَّحَها ، وسراياهُ التي انتدبَها لقتالِ المشركين
[وجهادِ الملحدين ، والذب عن المسلمين ، وعمارة الثغور والحرم]^(٧) وإزالةِ
الظُّلُمِ والثُّهَمِ^(٨) ، وَبَسْطِ الْعَدْلَ في الْأُمَمِ . اللَّهُمَّ اجْعَلْ رَايَاتِهِ عَالِيَةً
مَنْشُورَةً^(٩) ، وعساكرَهُ مُؤَيَّدَةً مَنْشُورَةً^(١٠) ، وَأَصْلِحْ بِهِ وَعَلَى يَدَيْهِ ، واجعلْ لنا منه
واقيةً عليه .

وَضُرِبَتِ السَّكَّةُ عَلَى الدَّنَانِيرِ ، وكان على الوجه الواحد لا إِلَهَ إِلَّا
الله مُحَمَّدٌ رسولُ الله ، على خَيْرِ الوَصِيِّينَ ، ووزيرُ خَيْرِ المرسلينَ ، محمد
رسول الله أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ

(١) سورة الأنبياء رقم ٢١ آية ١٠٥ .

(٢) « فقد امتنع » في اتعاظ الحنفا ج ١ ص ١١٥ .

(٣) « حريمك » في الأصل ، والتصحيح من اتعاظ الحنفا .

(٤) [] إضافة من اتعاظ الحنفا .

(٥) « فاعد للجهاد » في اتعاظ الحنفا .

(٦) « لنصرتك » في اتعاظ الحنفا .

(٧) [] إضافة من اتعاظ الحنفا ج ١ ص ١١٥ .

(٨) « والتهم والتهم » في اتعاظ الحنفا .

(٩) « مشهورة » في اتعاظ الحنفا .

(١٠) « وعساكره غالبة منصوره » في اتعاظ الحنفا

المُشْرِكون^(١) . وعلى الوجه الآخر دعاء الإمام معذ ، لتوحيد^(٢) الإله
الضمد ، المعز لدين الله ، أمير المؤمنين . ضرب بمصر في سنة ثمان وخمسين
[وثلاثمائة]^(٣) .

قال : وأشرك القائد جوهر في الدواوين المصريين والمقارية ، فجعل في
كل مكان مصرياً ومغريباً .

وفي ذى الحجة من السنة تكامل بمصر من الإخشيدية وقوادهم خمسة
آلاف فارس استأمنوا للقائد جوهر ، وفيهم أربعة عشر رئيساً فأمنهم ، ثم
قبض عليهم واعتقلهم ، ثم سبهم إلى المعز بإفريقية .

وفي سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، في يوم الجمعة لثاني خلون من شهر
ربيع الآخر^(٤) ، صلى القائد جوهر في جامع ابن طولون وأذن « حتى على
خير العمل » . وهو أول ما أذن به بمصر ، ثم أذن بذلك بالجامع العتيق بمصر
في الجمعة الثانية .

(١) يوجد اختلاف في ترتيب العبارات السابقة في انعاظ الحنفا ج ١ ص ١١٦

(٢) « بتوحيد » في انعاظ الحنفا .

(٣) [] إضافة من انعاظ الحنفا .

(٤) « من جمادى الأولى » في انعاظ الحنفا ج ١ ص ١٢٠ ، الكامل ج ٨ ص ٥٩٠ ، كنز

الدرر ج ٦ ص ١٢٥ ، أخبار الدول ص ٢٣ - ٢٤ .

وعن ذكر الأذان بمصر انظر المواقظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٦٩ .

ذكر خروج تير الإخشيدى والقبض عليه

وفي شعبان سنة تسع وخمسين وثلاثمائة نار تير الإخشيدى^(١) بناحية أسفل الأرض ، ودعا للخليفة المطيع لله ، وكتب اسمه على البنود ، فراسلّه جوهر ، فلم يقبل ؛ وكان معه أبو القاسم العلوى الأقطينى . فأنفذ القائد جوهرُ العساكر لقتاله برًا وبحرًا ، وكان قد كبّس صَهْرَجَتَ^(٢) ونهبها ، فأمرَ القائدُ بنهب دُورِهِ بمصر . وقبض على صهره فأغار تير ، ونهب ضياعًا . فوافقه العساكر بصَهْرَجَتَ ، فانهزم إلى تيّس ، وركب البحر الملح يُريد الشام ، ثم إلى الروم ، فأنفذ القائدُ جوهرُ أسطولا خلفه . فلما بلغ صُور^(٣) دخل بها الحمام ، فقبض عليه وجماعته من أتباعه وغلّمانه ، وذلك في شهر رمضان منها ، وحمل إلى مصر ، فقديّمها لأربع عشرة ليلةً خلت من شوال ، فأدخل على فيل وبين يديه رجل وخلفه رجل ، وغلّامه عجيبٌ على حمل خلفه ، ومعه قرد ، وخلفه غلامه سرور على حمل ، وجماعته على حمل منكّسى الرؤوس ، ثم اعتقلوا واستصَفّى القائدُ أمواله وودائعهُ ، وطُوب بالأموال ، فلما اشتد عليه الطلب جرح نفسه فماتَ بعد أيامٍ فسلخ جُلْدُهُ وحشَى تَبْنًا وُصِّلَبَ جلده ، وضرب شلوه^(٤) .

(١) عن تير الإخشيدى انظر المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٤١٣ .

(٢) صهرجت : من القرى القديمة التابعة لمحافظة الدقهلية ، بالقرب من ميت غمر ، فهناك صهرجت الصغرى تابعة لمركز أجا ، وصهرجت الكبرى تابعة لمركز ميت غمر — القاموس الجغرافى ق ٢ ص ١٧٣ ، ص ٢٥٧ .

(٣) صُور : بضم أوله ، وسكون ثانيه ، وآخره راء ، مدينة مشهورة ، على الساحل الشرقى للبحر المتوسط ، تقع حاليًا جنوب لبنان — معجم البلدان .

(٤) شلو = أشلاء : عضو — أعضاء ، شلو الإنسان : أعضاؤه بعد البلى والتفريق — القاموس .

ذكر فتوح الشام

[٤٢] قد ذكرنا أن القائد جوهرًا جهّز جعفر بن فلاح إلى الشام بالعساكر في سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة ، فسار جعفر ولقي الحسن بن عبد الله بن طنج بالرملة ، وهو يومئذ صاحب الشام ، فهزمه جعفر بن فلاح وأسرّه ، وبعث به إلى مصر ، ثم سار إلى دمشق فملكها في سنة تسعٍ وخمسين بعد حربٍ شديدة . فكتب إلى القائد جوهر بالفتح ، واستأذنه في المسير إلى غزو أنطاكية^(١) . فأذن له القائد فصار نحوها في نحو عشرين ألف فارس . فأقام مدةً وكثرت جموعه وعساكره وانبسطت يده ، ودانت له البلاد ، فحاصر أنطاكية مدة إلى أن اتصل به مسير مدد الروم إليها ، فعاد عنها إلى دمشق (٤)

(١) استولى البيزنطيون على أنطاكية في ذى الحجة ٣٥٨ هـ / أكتوبر ٩٦٩ م ، وذكر ابن الأثير أن استيلاء البيزنطيين على أنطاكية كان في المحرم ٣٥٩ هـ — الكامل ج ٨ ص ٦٠٣ .
(٢) ورد في اتعاظ الحنفا « فلما كان في ربيع الأول سنة ستين أنفذ جعفر غلامه فتوح على عسكر إلى أنطاكية وكان لها في أيدي الروم نحو من ثلاث سنين وبعث عسكرا بعد عسكر إلى أنطاكية ... وورد على ابن فلاح خبر هزيمة عسكره »

وهكذا يؤكد القريري أن جعفر بن فلاح لم يسر بنفسه إلى أنطاكية — اتعاظ الحنفا

ج ١ ص ١٢٦ ، انظر أيضًا كنز الدرر ج ١ ص ١٣٣ .

ذكر مقتل جعفر بن فلاح

واستيلاء القرامطة على دمشق

وفي سنة ستين وثلاثمائة^(١) وصل الحسن الأعصم القرمطي إلى دمشق . وقيل إنه إنما قدم بأمر الخليفة المطيع فخرج إليه جعفر بن فلاح وقاتله ، وكان عليلاً فقتل وانهمز أصحابه ونُصب رأسه على دمشق .

وملك القرمطي دمشق والشام ، وسار إلى الرملة فانحاز عنه سعادة بن حيان^(٢) إلى يافا وتحصن بها ، فسار إليه وحاربه ، ثم سار يريد مصر ، فتأهب القائد جوهر لذلك ، وحفر خندقاً^(٣) ، وبني عليه باباً كبيراً ، وركب عليه الباب الحديد الذي كان على الميدان الإخشيدى ، وبني عليه بابين آخرين ، وبني القنطرة على الخليج ، وجعلها ممراً لمن يريد المقدس^(٤) .

(١) « في هذه السنة في ذي القعدة » الكامل ج ٨ ص ٦١٤ .

(٢) هو الحسن بن أحمد بن بهرام القرمطي ، المعروف بالأعصم — الكامل ج ٨ ص ٦١٥ ، وورد ذكره في الأصل في عدة مواضع بصور مختلفة . مثل : الأعصم ، الأغشم — انظر أيضاً اتعاظ المنفا ج ١ ص ١٣٠ .

(٣) كان سعادة بن حيان والياً على الرملة من قبل جوهر الصقل منذ شوال ٣٦٠ هـ . اتعاظ المنفا ج ١ ص ١٢٨ ، كنز الدرر ج ٦ ص ١٣٥ .

(٤) سماه المقرئ « خندق السرى بن الحكم » المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١٣٧ - ١٣٨ .

(٥) السمس : قرية قديمة على شاطئ النيل ، كانت تسمى أم دين . وعندما أنشئت القاهرة كان المقدس خارج السور ، وعندما أدار صلاح الدين السور على مصر والقاهرة جعل نهاية السور التي تلى القاهرة عند المقدس — المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١٢١ وما بعدها .

وكاد القرمطي يأخذ القاهرة ، ثم رجع عنها بغير سبب عليم^(١) ، وكبس الفرما . ثم قاطع أهلها على مالو فحملوه إليه ، وأخذ عاملها عبد الله بن يوسف ، وفيل إنه كان معه خمسة عشر ألف بغل تحمل صناديق الأموال وأواني الذهب والفضة والسلاح ، سوى ما تحمل المضارب والحياض والأثقال^(٢) .

وفي سنة ستين وثلاثمائة أيضاً بنى جوهر سوراً على القصور التي بناها في سنة ثمان وخمسين وجعلها بلدًا وسماها المنصورية ، ولما استقر المعز سماها القاهرة .

وفي سنة إحدى وستين وسبعمائة ، في المحرم ، كبس ياروق الفرما وأخرج منها ابن العمر القرمطي ، وأرسل إلى مصر رؤوساً وأعلاماً وغير ذلك . وفي هذا الشهر عصى أهل تيس وغيروا الدعوة ، ودعوا للمطيع والقرامطة ، وحاربوا ياروق . وفي صفر وصل ياروق متهمًا من القرامطة وهم في إثره ، وأقبلت عساكر القرامطة حتى بلغوا عين شمس واستعد القائد [جوهر]^(٣) ليلقائهم ، وأغلق الأبواب التي بناها .

وفي مستهل ربيع الأول جاءت مقدمة القرامطة ووقفوا على الخندق ،

(١) يذكر الميريزي أن القتال خارج الخندق استمر ثلاثة أيام من مستهل ربيع الأول ٣٦١ هـ . وفي اليوم الثالث « اقتتلوا قتلاً شديداً قتل فيه خلق كثير ، وانهمز الأعمس ونهب سواده » اتعاظ الخنفا ج ١ ص ١٣٠ .

أما ابن أبيك فيقول : « ودام القتال والمعاصرة ثلاثة أشهر . ثم أن القرمطي رحل بغير سبب ، ولا علم له خبر » كنز الدرر ج ٦ ص ١٤٣ .

وانظر ما يلي :

(٢) ورد نفس المعنى في أخبار الدول المنقطعة ص ٢٥ .

(٣) [] إضافة للتوضيح .

فقاتلهم القائد ، واشتدَّ القتال ، وقُتل من الفريقين قتلٌ كثيرة ، وأصبح الناس متكافئين للقتال . وسار الأعصم القرمطى بجميع عسكره ، ووقع القتال على الخندق والباب مُغلق ، وعمل القائد جوهر الحيلة فأنهزم عن القرمطى ، ودام القتال إلى الزوال ، ثم فتح القائد الباب وانتصَبَ للقتال ، وخرجت العبيدُ والمغاربة إلى القرامطة . واشتدَّ القتال واضطرب الناس في المدينة وكثُر القتلى من الفريقين . وانهزم الأعصم القرمطى ، وأراد المغاربة أتباعه فنعهم ^(١) القائد جوهر لدخول الليل ، وخشية من مكيدة أو كمين . ونهبت صناديق القرمطى ودفأثره ، وفارق القرمطى من كان معه من الإخشيدية والعرب . قيل : وهذه أولُ هزيمة كانت للقرامطة ^(٢) .

ثم وصل بعد الكسرة بيومين أبو محمد الحسن بن غمار بمَدَدٍ معه من جهة المعز ، وهرب القرمطى الذى كان بتتيس وعادت الدعوة المعزية بها . وفى شهر ربيع الآخر قبض القائد على أربعائة وأربعين رجلاً من الإخشيدية والكافورية وقبدهم وحبسهم .

وفى شعبان منها وَرَدَ على القائد جوهر رسولٌ من ملك الروم ^(٣) برسالته وهديته .

(١) « فنعته » فى الاصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

(٢) هذا تفصيل لما سبق أن أوردته النويرى ملخصاً ، فقد استولى القرامطة على دمشق وقتلوا جعفر بن فلاح فى ذى القعدة ٣٦٠ هـ ، ثم تقدموا فى انحاء القاهرة فكانت هذه الوقعة فى ربيع الأول ٣٦٢ هـ — انظر ما سبق .

(٣) المقصود الامبراطور البيزنطى ، وهو فى ذلك الوقت الامبراطور حنا الشمشقيق (يوحنا تزمسكس) والذى ولى العرش البيزنطى فى الفترة من ٩٦٩ - ٩٧٦ م — انظر مقدمات العلوان الصليبي على الشرق العربى ، الإمبراطور يوحنا تزمسكس وسياسته الشرقية ص

وفي شهر رمضان لسبع خلّون منه كمل بناء الجامع بالقاهرة ، وجُمِعَت فيه الجمعة .

وفي سؤال منها ابتداء القائد جوهر يحضر الخندق الذي كان عبد الرحمن ابن جحدم^(١) ، خليفة عبد الله بن الزبير ، حضره قبل^(٢) مصر ، ثم شق الخندق حتى بلغ قبر الإمام الشافعي رحمه الله ، فعَدَلَ به عنه ، ثم شقّه مُشَرِّقاً إلى الجبل على المقابر ، أراد بذلك أن يحفظ طريق الحج من ناحية القلزم .

وفي ذى القعدة منها خرج أبو محمد الحسن بن عمار إلى تيس ، فسار إليه أسطول القرامطة فواقعه وأسّر منه سبع مراكب ، وسيرها إلى مصر ومعها خمسمائة رجل منهم^(٣) .

ذكر خروج المعز لدين الله من بلاد المغرب

إلى الديار المصرية

[٤٣] ومارتبه ببلاد المغرب قبل مسيره

وفي يوم الاثنين لثمان بقين من سؤال سنة إحدى وستين وثلاثمائة ، رحل

(١) « بن محمد » في الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح من الولاية والقضاء ص ٤١ .

وهو عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم ، ولّى مصر من قبل عبد الله بن الزبير فدخلها في شعبان ٦٤ هـ / ٦٨٣ م ، وذلك مدة تسعة أشهر — الولاية والقضاء ص ٤١ وما بعدها

(٢) كان الغرض من هذا الخندق أن يخندق به على الفسطاط في مواجهة الغزو الأموي — الولاية والقضاء ص ٤٢ .

(٣) « فواقهم وأسّر منهم سبع مراكب وسيرهم إلى مصر ومعهم خمسمائة رجل منهم » في الأصل ، وتصحيح الضمائر يتفق والسياق .

المعز لدين الله من المنصورية إلى سردانية (١) ومعه يوسف بن زيري (٢) بن مناد
فسلم إليه إفريقية وأعمالها وسائر أعمال المغرب ، وذلك في يوم الأربعاء
لسبع بقين من ذى الحجة منها ، وأمر الناس بالسَّمع والطاعة له ، وفوض
إليه أمور البلاد كلها إلا بلاد جزيرة صقلية وطرابلس . وأقام المعز بسردانية
أربعة أشهر ، ورحل منها لخمس خلون من صفر سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ،
وسار حتى أتى قابس ، ثم وصل إلى طرابلس فأقام بها أيامًا ، ورحل منها في
يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر منها ، وسار فوصل
إلى الإسكندرية في يوم الجمعة لست خلون من (٣) شعبان، ونزل تحت المنار ،
وأُنزل الناس حولها ، وأتاه أهلها فسلموا عليه ، ووافى يوم الأحد أبو طاهر (٤)
قاضي مصر ، ومعه العُدول وقدم أبو عبد الرحمن بن أبي الأعز في بني عمه
وغيرهم من العرب ، فركب لهم المعز فسلموا عليه وانصرفوا .

ثم رحل من الإسكندرية يوم الاثنين لثلاث بقين من شعبان . فلما

(١) سردانية : منتزه فيه ثمار عظيمة بالقرب من مدينة جلولا التي تبعد نحو ٢٤ كم من
القيروان - المغرب ص ٣٢ .

(٢) هو يوسف ملكين بن زيري ، رئيس بربر صنهاجة ، والى الفاطميين على القيروان منذ سنة
٣٦١ هـ / ٩٧٢ م ، والذي أعلن استقلاله عن الفاطميين ، وأسس دولة بني زيري - توفي
سنة ٣٧٣ هـ / ٩٨٤ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٤٧ - ٤٨
وقد ترجم له ابن خلكان باسم « ملكين بن زيري » - وفيات الأعيان ج ١ ص
٢٨٦ رقم ١١٩ .

(٣) « لست بقين من شعبان » في اتعاظ الخنفا ج ١ ص ١٣٤ ، وفيات الأعيان ج ٥ ص
٢٢٧ .

(٤) هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن نجير ، أبو الطاهر الذهلي ، ولي قضاء مصر منذ
عهد كافور سنة ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م - وحتى سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م ، وتوفي في السنة
التالية - ذيل كتاب الولاة والقضاة ص ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٥٨١ وما بعدها .

كان يومُ السَّبْتِ لليلتين خلَّتَا من شهر رمضان نزل المنية بساحل مصر ،
وهي بُولاق ، فأقام بها إلى يوم الاثنين ؛ وخرج إليه الشريف أبو جعفر
مُسلم الحسنَى قبل وُصُوله في جَمَاعَةِ الأشراف وُجُوه البلد ، فرأى المعزَّ
وهو سائرٌ والمظلة على رأسه ، فنَادَى منادٌ : يَتَقَدَّمُ الشَّريفُ أَوَّلُ النَّاسِ ،
فَتَقَدَّمَ وَسَلَّمْ عَلَى المعز . ثم تَقَدَّمَ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ
حَتَّى فَرَّغُوا ، وَهُوَ واقف على دَابَّتِهِ : ثم سَارَ والشَّريفُ يحادثه .

قال : وأخذ الناس في التَّعْدِيَةِ بِعِيَالِهِمْ وَأَتْقَالِهِمْ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ إِلَى
ساحل مصر ، وتفرق النَّاسُ فِي الدُّورِ بِمِصْرَ وَالْقَاهِرَةِ ، وَأَكْثَرُهُمْ فِي الْمَضَارِبِ
فِيهَا ^(١) بَيْنَ الْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ .

ثم عَبرَ المعزُّ لِدِينِ اللَّهِ إِلَى الْقَاهِرَةِ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ لَخْمَسٍ خَلَوْنَ ^(٢) مِنْ شَهْرِ
رَمَضَانَ ، سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِينَ وَثَلَاثُمِائَةٍ ، وَلَمْ يَدْخُلْ إِلَى مِصْرَ وَدَخَلَ إِلَى قَصْرِهِ .
فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْإِيوَانِ الْكَبِيرِ خَرَّ سَاجِدًا لِلَّهِ تَعَالَى ، وَجَلَسَ عَلَى سَرِيرِ
الْجَوْهَرِ الَّذِي صَنَعَهُ لَهُ الْقَائِدُ جَوْهَرٌ ، وَقَبِلَ الْهَنَاءَ ، وَمَدَحَهُ الشُّعْرَاءُ .
قال : وَكَانَ تَلَقَّى الْقَائِدُ جَوْهَرُ لَهُ عِنْدَ جَوَّازِهِ مِنَ الْجِسْرِ الثَّانِي ، فَكَانَتْ
مُدَّةُ تَدْبِيرِ جَوْهَرِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ إِلَى أَنْ قَدِمَ المعز ، أَرْبَعَ سِنِينَ وَعِشْرِينَ
يَوْمًا .

(١) « فيمان » في الأصل .

(٢) « لسبع خلون » في اتعاظ الحنفا ج ١ ص ١٣٤ .
ويتفق ابن خلكان مع النويري في أن دخول المعز إلى القاهرة كان لخمس خلون من شهر
رمضان — وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٢٧ .

(٣) « سرير الذهب » في اتعاظ الحنفا ج ١ ص ١٣٦ .
والمقصود العرش .

وحكى بعض المؤرخين أنه لما وصل المعزُ وخرج الأشراف للقائه ، قال له أبو [محمد] ^(١) عبد الله بن أحمد بن طباطبا الحسيني ، من بينهم يامولانا ، إلى مَنْ تتسب ؟ فقال المعزُ : ستقعدُ لكم ونجمعُكم ونسرد عليكم نسبنا . فلما استقرَّ في قصره جمعَ الناس في مجلسٍ عامٍّ وقال : هل بقي من جماعتكم أحد ؟ فقالوا : لم يبق منا مُعتبرٌ فجردَ عند ذلك سيفه إلى نصفه وقال هذا نسبي وفرَّق المال وقال : هذا حسبي . فقالوا : سمعنا وأطعنا . وكان الخليلُ بما قيل :

جَلَوْا صَارِمًا وَتَلَّوْا بَاطِلًا وَقَالُوا : صَدَقْنَا ؟ فَقُلْنَا : نَعَمْ !

وقال ابن جلب راغب في تاريخه : إن المعزَ لما قدِمَ صعد المنبر وخطب خطبةً بليغة ، وذكر نسبه إلى عليّ بن أبي طالب ، رضى الله عنه . فكتب إليه بعض المصريين ورقةً ولصقها بالمنبر فيها :

إِنَّا سَمِعْنَا نَسَبًا مُنْكَرًا يُتْلَى عَلَى الْمُنْشَرِّ فِي الْجَامِعِ
إِنْ كُنْتَ فِيمَا تَدْعَى ^(٢) صَادِقًا فَادْكُرْ أَبَا بَعْدِ الْأَبِ الرَّابِعِ

(١) [إضافة للتصحيح .

فهو عبد الله بن أحمد بن طباطبا الحسيني ، أبو محمد ، وقد توفي سنة ٣٤٨ هـ / ٩٥٩ م . وقد ناقش ابن خلكان تناقض تاريخ وفاته ومقابله للمعز ، ويقول : (إن صاحب هذه الرواية هو صاحب كتاب الدول المنقطعة ، ثم علل هذا التناقض بقوله : « ولعل صاحب الواقعة مع المعز ولده » واه أعلم أى ذلك كان) .

وفيات الأعيان ج ٣ ص ٨١ وما بعدها رقم ٣٤٢ ، الدول المنقطعة ص ٢٧ — ٢٨ .
ويذكر ابن أبيك « أن الشريف الذي جرى للمعز معه هذا السؤال هو أبو جعفر مسلم بن عبد الله الحسيني ، والشريف أبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد الحسيني الزينبي » . ثم يقول : « ولعل يكون صاحب هذه الواقعة بعض ولده » — كنز الدرر ج ٦ ص ١٤٧ .

(٢) « فيما قلته » في أخبار الدول المنقطعة ص ٢٧ .

أَوْفَدَعَ^(١) الْأَنْسَابَ مُسْتَوْرَةً وَأَدْخَلَ بِنَا فِي النُّسَبِ الْوَاسِعِ
أَوْ كُنْتَ فِيمَا تَدْعَى صَادِقًا فَانْسَبْ لَنَا نَفْسَكَ كَالطَّائِعِ^(٢)

قال : وكان يتظاهّر بذكر الماجريّات قبل وقوعها لاطلاعه على علم
النّجامة ولكتب كاتب عنده يستدلّ ، فكتب إليه بعض المصريين ورقة
وطرحها في مجلسه ، فيها :

بِالظُّلْمِ وَالْجَوْرِ قَدْ رَضِينَا وَلَيْسَ بِالْكَفْرِ وَالْعِمَاقَةِ
إِنْ كُنْتَ أُوتِيتَ^(٣) عِلْمٌ غَيْبٍ فَقُلْ لَنَا كَاتِبَ الْبَطَاقَةِ^(٤)

وقال بعض المؤرخين : لما قدم المعزّ إلى مصر أحضر معه توابيت آبائه .
وكان معه خمسة عشر ألف رجل تحمل صناديق الأموال والسّلاح وغير
ذلك ، وكان معه مائة جمل تحمل شبيه الطّواحين من الذهب ، وثلاثة آلاف
جمل على كل جمل صندوقان وألف وثمانمائة بخفي محملة ، وثلاثمائة جمل تحمل
الحراكاهات وجملان يحملان^(٥) الإكسير الذي يصنع به الكيمياء [٤٤]

(١) « أولادع » في أخبار الدول المنقطعة ص ٢٧ ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ٣٧٣ .

(٢) المقصود الخليفة العباسي الطائع لله ، أبو بكر عبد الكريم الذي ولي الخلافة العباسية في
الفترة من ٣٦٣ - ٣٨١ هـ / ٩٧٤ - ٩٩١ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢ .

ويذكر ابن خلكان هذه الحادثة وهذه الأبيات في ترجمة العزيز بالله ، وكذلك ابن تقي
بردى - ووفيات الأعيان ج ٥ ص ٣٧١ رقم ٧٥٩ ، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١١٦ .

(٣) « إن كنت أعطيت » في أخبار الدول المنقطعة ص ٢٧ ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ٣٧٤ .

(٤) يذكر ابن خلكان هذه الحادثة وهذه الأبيات في ترجمة العزيز بالله ، وكذلك ابن تقي
بردى - ووفيات الأعيان ج ٥ ص ٣٧١ رقم ٧٥٩ ، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١١٦ .

(٥) « تحمل » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

وثلاثة آلاف شيفي و غراب^(١) في البحر تحمل الموجود . ومن الرجال
المقاتلة من قبيلة كتامة مائة ألف ، ومن البربر أربعون ألفاً ، ومن الرموح
ستون ألفاً ، وغير هؤلاء من قبائل العرب والمغاربة ، وهو مع ذلك شديد
الخوف من القرمطي .

قال ابن زولاق^(٢) في تاريخ مصر : « ولما انقضى شهر رمضان ركب المعز
لصلاة العيد وصلى بالناس ، وكان القاضي ابن النعمان يبلغ عنه في التكبير .
وقرأ في الأولى بعد الفاتحة « هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَاشِيَةِ » ، وفي الثانية بعد
الفاتحة بسورة الضحى ، ثم صعد المنبر وخطب بعد أن سلم على الناس يمينا
وشمالاً ، وذلك بالمصل الذي بناه القائد جوهر^(٣) »

قال : « وأقام المعز بعد مقدمه أياماً وعزل القائد جوهرًا من جميع ما كان
إليه من النظر على الدواوين وجباية الأموال ، وتدبير الأمور ، وغير ذلك .
والله أعلم^(٤) . »

(١) شيفي ، أو شاني ، أو شبنية . أو شونة : والجمع : شواقي : سفينة حربية كبيرة ، ومن أسماؤها
أيضاً غراب : وجمعها أغربة — معجم السفن الإسلامية ص ٨٣ . ص ١٠٤ .

(٢) هو الحسن بن إبراهيم بن الحسين المصري ، ابن زولاق ، المؤرخ . صنف كتاباً في خطط
مصر ، وكتاباً في أخبار قضاة مصر ، وتوفي سنة ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م — وفيات الأعيان ج ٢
ص ٩١ رقم ١٦٧ .

(٦) هو علي بن النعمان بن محمد بن حيون ، أشركه الخليفة الفاطمي المعز لدين الله في قضاء
مصر مع أبي طاهر الذهلي ، وتوفي القاضي علي بن النعمان سنة ٣٧٤ هـ / ٩٨٤ م — وفيات
الأعيان ج ٥ ص ٤١٧ وما بعدها .

(٤) المقصود الجامع الأزهر ، والذي كان يسمى أيضاً جامع القاهرة — المواعظ والاعتبار ج ٢
ص ٢٧٣ .

(٥) وذلك في المحرم سنة ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م — المنتقى من أخبار مصر ص ١٦٣ .

ذكر مكاتبه المعز لدين الله القرمطى وجواب القرمطى له

قال بعض المؤرخين : لما استقر المعز بالقاهرة أهله أمر الأعصم القرمطى
فرأى أن يكتب إليه كتاباً يُعلمه فيه أن المذهب واحد . وأن القرامطة
[منهم] ^(١) استمدوا وهم سادتهم في هذا الأمر . وبهم وصلوا إلى هذه
الرتبة ، فكتب إليه المعز كتاباً مشحوناً بالمواعظ وضمنه من أنواع الكفر ما
لا يصدُر إلا عن مارق من الدين .

كان عنوان الكتاب :

« من عبد الله وولّيه ، وخبرته وصفيّه . معدّ أبي تميم بن إسماعيل ، المعز
لدين الله أمير المؤمنين ، وسُلالة خير النّبيين ، ونَجَل [على] ^(٢) أفضل
الوصيّين إلى الحسن بن أحمد .

وأول الكتاب :

« رُسُومُ النطقاء ، ومذاهبُ الأئمة والأولياء ^(٣) ، ومسالكُ الرُّسل
والأنبياء ^(٤) ، السّالف منهم والآنف ^(٥) ، صلى الله علينا وعلى آبائنا أولى
الأبدى والأبصار في مقدّم الدهور والأكوار . وسالف الزمان والأعصار .

(١) [إضافة من كنز الدرر ج ٦ ص ١٤٨ .

(٢) [إضافة من كنز الدرر ج ٦ ص ١٤٩ ، اتعاط الحنفا ج ١ ص ١٨٩ .

(٣) « والأنبياء » في كنز الدرر ، وفي اتعاط الحنفا .

(٤) « والأوصياء » في نهاية الأرب ج ٢٥ ص ٣٠٨ ، اتعاط الحنفا . و « الأصفياء » في كنز
الدرر .

(٥) « السالف والآنف منا » في نهاية الأرب ج ٢٥ ص ٣٠٨ ، في كنز الدرر ، وفي اتعاط الحنفا .

(٦) « صلوات الله » في نهاية الأرب ج ٢٥ ص ٣٠٨ ، وفي كنز الدرر ، وفي اتعاط الحنفا .

عند قيامهم بأحكام الله وانتصابهم لأمر الله ، الابتداء بالإعذار ، والانتهاى إلى الإنذار^(١) ، قبل نفاذ الإنذار^(٢) فى أهل الشقاق والإصرار^(٣) ، ولتكون الحجّة على مَنْ خالف وعصى والعقوبة على مَنْ بَينَ وغوى ، حَسْبَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(٤) ، ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(٥) .

وقد ذكرنا فى أخبار القرامطة جُمْلَةً من مواعظ هذا الكتاب على ما نقف عليه هناك^(٦) . ومن جملة ما لم نذكره هناك .

أَمَّا عَلِمْتُ أَنِّي ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةِ * الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْنِدَةِ﴾^(٧) أَعْلَمُ ﴿خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُحْفِي الصُّدُورُ﴾^(٨) .

وحشاه بأنواع من الكفر وحَضَّه^(٩) على اقتفاء آثار آبائه وعمومته ومُؤالاتهم ، فقال : إن آباءك كانوا أتباع آبائى . ثم قال فيه بعد الإطالة : وكتابنا هذا من فسطاط مصر ، وقد جئناها على قَدَرٍ مقدور ، ووقت

(١) « بالإنذار » فى كنز الدرر ، وفى اتعاظ الحنفا .

(٢) « قبل إنفاذ الأقدار » فى كنز الدرر ، وفى اتعاظ الحنفا .

(٣) « والأصار » فى كنز الدرر ، وفى اتعاظ الحنفا .

(٤) « قال الله عز وجل » فى كنز الدرر ، وفى اتعاظ الحنفا .

(٥) سورة الإسراء رقم ١٧ آية رقم ١٥ .

(٦) سورة فاطر رقم ٣٥ آية رقم ٢٤ .

(٧) انظر نهاية الأرب ج ٢٥ ص ٣٠٨ وما بعدها .

(٨) « وإنا له ... » فى كنز الدرر ج ٦ ص ١٥٢ .

(٩) سورة المهزلة رقم ١٠٤ آية ٦ ، ٧ .

(١٠) سورة غافر رقم ٤٠ جزء من الآية ١٩ .

(١١) « وحظه » فى الأصل ، والتصحيح يتفق مع السياق . ومع ما جاء فى أخبار الدول المنقطعة

مذكور ، لا نرفعُ قدمًا ولا نضع قدمًا إلا بعلم مصنوع ، وعلم مجموع ، وأجل معلوم . ثم قال فيه : « وأما أنت أيها الغادر [الخائن] ^(١) التاكث المبكين ^(٢) عن هدى ^(٣) آبائه وأجداده ، المنسلخ من دين أسلافه وأنداده ، المؤقّد لنار الفتنة ، الخارج عن الجماعة والسنة ، لم أغفل أمرك ، ولا خفي على خبرك ، وإنك متى بمنظر وسميع ، قال الله تعالى : ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ ^(٤) ، ﴿ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَيْتًا ﴾ ^(٥) فعرّفنا على أي رأي ضللت ^(٦) وأي طريق سلكت .

وقال في فصل منه : « إنا لسنا مهمليك ولا متهليلك إلا ريثما يردّ به كتابك والوقوف على مجرى جوابك ، فانظر لنفسك ما يبقى ليومك ومعادك ، قبل اغلاق باب التوبة ، وطول وقت التوبة . حينئذ ﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ﴾ ^(٧) . ثم ختمه بأن قال : « فما أنت وقومك إلا كمناخ نعم ، أو مراح غم » . فأما ﴿ نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِّيكَ ﴾ ^(٨) ، ﴿ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴾ ^(٩) . هكذا رأيت . والثلاوة في سورة يونس ^(١٠) ﴿ أَوْ نَتُوفِّيكَ فَالَيْتَا

(١) [إضافة من كنز الدرر ج ٦ ص ١٥٢ .

(٢) « اليائن » في كنز الدرر ج ٦ .

(٣) « عن هوى » في الأصل . والتصحيح من كنز الدرر ج ٦ .

(٤) سورة طه رقم ٢٠ آية ٤٦ .

(٥) سورة مريم رقم ١٩ جزء من الآية رقم ٢٨ .

(٦) « على أي رأي أنت » في كنز الدرر ج ٦ ص ١٥٣ .

(٧) سورة الأنعام رقم ٦ جزء من الآية رقم ١٥٨ .

(٨) سورة يونس رقم ١٠ جزء من الآية رقم ٤٦ .

(٩) سورة الزخرف رقم ٤٣ جزء من الآية رقم ٤٢ .

(١٠) « القصص » في الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح من القرآن الكريم .

مَرْجِعُهُمْ ﴿١﴾ . فَعِنْدَهَا تَحْسِرُ ﴿٢﴾ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ ، ذَلِكَ هُوَ الْحُسْرَانُ
 الْمُبِينُ ﴿٣﴾ . وَأَنْذَرْتَهُمْ ﴿٤﴾ نَارًا تَلْقَى * لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى * الَّذِي
 كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٥﴾ . يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ
 بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٦﴾ . فليَتَذَكَّرَ مَنْ كَانَ ذَا نَذِيرٍ .
 وَلِيَتَفَكَّرَ مَنْ كَانَ ذَا تَفَكِيرٍ ، وَلِيَحْذَرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَوْمَ الْحَسْرَةِ وَالتَّدَامَةِ ﴿٧﴾ أَنْ
 تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴿٨﴾ . وَيَا حَسْرَتَا
 عَلَى مَا فَرَّطْنَا ﴿٩﴾ . وَيَا لَيْتَنَّا ﴿١٠﴾ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا
 نَعْمَلُ ﴿١١﴾ . وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴿١٢﴾ . وَسَلَامٌ مِنْ عَوَاقِبِ
 الرَّدَى . وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

قال : فلما وقف الحسن (٩) بن أحمد القرمطي [على] (١٠) هذا الكتاب
 المطول (١١) كتب جوابه بعد البسملة : « وصل كتابك الذي كثر تفصيله

(١) سورة يونس رقم ١٠ جزء من الآية رقم ٤٦ . وهو يكمل ما جاء في هامش (٥) .

(٢) سورة الحج رقم ٢٢ جزء من الآية رقم ١١ .

(٣) سورة الليل رقم ٩٢ جزء من الآيات ١٤ - ١٦ .

(٤) سورة الأحقاف رقم ٤٦ جزء من الآية ٣٥ .

(٥) سورة الزمر رقم ٣٩ جزء من الآية رقم ٥٦ .

(٦) سورة الأنعام رقم ٦ جزء من الآية رقم ٣١ .

(٧) سورة الأعراف رقم ٧ جزء من الآية رقم ٥٣ .

(٨) سورة طه رقم ٢٠ جزء من الآية رقم ٤٧ .

(٩) « الحسين » في الأصل ، وهو محريف ، والتصحيح مما سبق .

(١٠) [إضافة يقتضيها السياق .

(١١) انظر فقرات مطولة من هذا الخطاب في كل من : انماط المنهاج ج ١ ص ١٨٩ - ٢٠١ ، كنز

الدرر ج ٦ ص ١٤٩ - ١٥٦ .

وقالَ تحصيلُهُ ؛ ونحن سائرون على إثره . والسَّلامُ «^(١)

وقبلَ إنَّه كتب : « والجوابُ ما نراه دون ما تسمعه »^(٢) .

وقبل [٤٥] إنَّه كتب إليه :

ظنَّت رجالُ القَرَب أنَّ سُهلوتى بمحالها ، وأخو المِحال ذليل
إنَّ لم أروُ النيلَ مِن دَمِهم ، فلا نلت المُرَاد ، ولا سقانى النيل

وفى سنة ثلاث وستين وثلاثمائة . فى شعبان ، بلغت تقدمة القرامطة إلى
أرياف مصر وأطراف المحلة^(٣) . فنهوا ، واستخرجوا الخراج ؛ واشهر
الأعصم القرمطى ببلييس فتأهب المعزُّ ليلقائه ، وعرض العساكر ، وفرق
فيهم الأموال والسَّلاح .

وسير جيشاً قدَّم عليه ولده الأمير عبد الله^(٤) ، فالتقى مع الأعصم ،
فانهزم القرمطى وأسر جماعة من رجله ، وجهز جيشاً آخر قدَّم عليه ريان
الصقلبي فى أربعة آلاف فارس . فأزال القرامطة عن المحلة ونواحها .

(١) انظر أيضاً نهاية الأرب ج ٢٥ ص ٣١١ . انعاظ الحنفا ج ١ ص ٢٠٢ ، كنز الدرر ج ٦
ص ١٥٦ ، الكامل ج ٨ ص ٦٣٨ .

(٢) أخبار الدول المنقطعة ص ٢٦ .

(٣) المحلة : فى محافظة الغربية . وقد ورد فى انعاظ الحنفا « وانبطت سرية القرمطى فى نواحي
أسفل الأرض » أى الوجه البحرى . ج ١ ص ٢٠٢ ، وانظر أيضاً المنتقى من أخبار مصر
ص ١٦٥ .

(٤) توفى الأمير عبد الله فى شهر جمادى الأولى سنة ٣٦٤ هـ / ٩٧٤ م . فى يوم ٢٣ من الشهر فى
المنتقى من أخبار مصر ص ١٦٦ . وفى انعاظ الحنفا ج ١ ص ٢١٧ ، وفى التاسع من جمادى
الأولى فى أخبار الدول المنقطعة ص ٢٦ .

وفي هذا الوقت ورد الخبر من الصعيد الأعلى أن عبيد الله (١) أنحا الشريف مسلم أوغل في الصعيد واستخرج الأموال ، وقتل ألفاً من المغاربة .
وفي هذه السنة ، في المحرم منها ، أنبسطت المغاربة في نواحي القرافة ، ونزلوا في الديور ، وأخرجوا الناس من أماكنهم ، وشرعوا في السكن في المدينة ، وكان المعز أمرهم أن يسكنوا أطراف المدينة ، فاستغاث الناس إلى المعز فأمر أن يسكنوا نواحي عين شمس ، وركب بنفسه وشاهد المكان ، وأخبرهم بالبناء فيه ، وهو الموضع المعروف الآن بالخنديق (٢) ، وجعل لهم والياً وقاضياً ، ثم سكن أكثرهم بالمدينة مخالطين للناس .

ذكر فتح طرابلس الشام

كان فتوحها في سلخ شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين وثلاثمائة ، على يد ريان الخادم غلام المعز ، وهرب ابن الزنات بعد أن كان نصب عليها الصليبان وجعلها للروم .
وفي جمادى الأولى منها سار نصير الخادم غلام المعز في عسكر كثير ، ودخل إلى بيروت ، وتواقع مع الروم على طرابلس وهزمهم ، وكانت الواقعة في نصف شعبان .

(١) « عبد الله بن عبيد الله » في اتعاظ الحفاظ ج ١ ص ٢٠٢ ، ص ٢٠٣ .

(٢) « وخنديق العبيد » في اتعاظ الحفاظ ج ١ ص ١٤٥ .

والخنديق : خارج باب الفتوح ، كانت تعرف بمنية الأصبع ، واشتهرت باسم الخنديق لمروور الخنديق الذي حفره جوهر بها ، ومكانها حالياً المنطقة الواقعة حول دير الملاك البحري من منطقة حدائق القبة ضمن القاهرة .

المواعظ والاعتبار - ج ٢ ص ١٣٦ ، القاموس الجغرافي ق ١ ص ٥٦ .

وفي هذا الشهر وصل الخبر إلى المعز بوصول أفتكين التركي من بغداد إلى دمشق بقصد مصر. فشرع المعز في تجهيز العساكر.

وفي شهر رمضان منها كثرت الأراجيف بمسير الروم إلى الشام لأن أفتكين التركي كاتب ابن السهسكى (١) فسار بالروم إلى بيروت ، فلقبهم نصير غلام المعز فهزموه وأسروه . وتوجهوا إلى صيدا فخرج إليهم أفتكين التركي وقبّل الأرض لابن السهسكى وهادته على دمشق ؛ وسار ابن السهسكى إلى طرابلس ، فخرج إليه ريان الخادم بعساكر المعز فقاتله وهزمه ، وقتل مقتلة عظيمة من عامة عسكره . وانصرف ابن السهسكى معلولاً ؛ فسّر المعز بذلك . وهناك الناس بهذا الفتح ، ومدحه الشعراء (٢).

ذكر وفاة المعز لدين الله وشيء من أخباره

كانت وفاته بالقاهرة لسبع خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة ؛ وقيل في يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من الشهر (٣) . وكانت مدة حياته خمسا وأربعين سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام ، ومدة مقامه بمصر سنتين وسبعة أشهر وأياما .

(١) هكذا بالأصل ، والمقصود الاميراطور البيزنطي ابن الشمشقيق — انظر ما سبق ، وورد اسم « ابن السميقي » في اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٢٣٠ .

(٢) انظر اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٢٢١ — ٢٢٢ .

(٣) هناك اختلاف في تحديد يوم وفاة المعز لدين الله . انظر مثلاً : اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٢٢٩ حيث يعلل سبب الاختلاف بإخفاء خبر وفاة المعز « ولم يظهر ذلك ولا نطق به أحد مدة ثمانية أشهر » — وانظر أخبار الدول المنقطعة ص ٢٦ ، المنتقى من أخبار مصر ص ١٦٨ ، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٧٨ ، وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٢٤ وما بعدها .

وكان نقش خاتمه : بِنَصْرَ العَزِيزِ العَلِيمِ يَنْتَصِرُ الإِمَامُ أَبُو نَعْمٍ . وقيل : كان لتوحيد الإله الصمد دعاء الإمام ^(١) معَدَّ . وقيل : لتوحيد الإله العظيم دعاء الإمام ^(٢) أبو نعيم .

أولاده : أبو المنصور نزار نعيم الظاهر ^(٣) ، وبه كفى ، توفي بمصر في ذي القعدة سنة أربع وسبعين وثلاثمائة ، الأمير عقيل ، توفي في شعبان من السنة ، وسبع بنات .

قضاته : قاضيه الواصل معه من المغرب أبو حنيفة النعمان بن محمد الداعى ، مات بمصر في سلبخ جُمادى الآخرة سنة خمس وستين وثلاثمائة ، ولم يَلِ القضاء بها ، واستقضى بالمغرب أباطالب أحمد بن القائم ^(٤) بن محمد بن المنهال ، ولما وصل إلى مصر وجد القائد جوهرًا قد استخلف على القضاء أباطاهر محمد بن أحمد بن عبد الله الذهلى البغدادى ، وهو القاضى على أيام كافر . فأقره ، وكان أبو سعيد عبد الله ^(٥) بن محمد بن أبى ثوبان حكم بمصر بين المغاربة الجند والتجار إلى أن مات فى شهر ربيع الأول سنة خمس وستين : فتولى القضاء أبو الحسن على بن النعمان على قاعدته إلى أن مات [٤٦] أبوطاهر ، فقضى أبو الحسن على الجميع .

كتابه : كان جوهر قد فوض تدبير الأموال فى أيامه إلى على ابن العرم

(١) . (٢) « الإله » فى الأصل ، والتصحيح من أخبار الدول المنقطعة ص ٣٠ .

(٣) « الشاعر » فى أخبار الدول المنقطعة ص ٢٨ .

(٤) « بن القسم » فى أخبار الدول المنقطعة ص ٢٨ . « بن أبى القسم » فى اتعاظ الخفا ج ١ ص ٢٤٧ . ورد إلى مصر بأهله وأولاده فى شوال ٣٦٨ هـ / مايو ٩٧٩ م — اتعاظ الخفا ج ١ ص ٢٤٧ .

(٥) قدم صحبة المعز من بلاد المغرب ، فولاه نظر المظالم بمصر ذيل الولاة والقضاة ص

وأبي محمد الرودباري ، ورجاء بن صولات^(١) ، وعبدالله بن عطاء الله ،
وأبي الحسن الكرجي^(٢) ؛ وردَّ تدبير هؤلاء الكتاب إلى الوزير أبي الفضل
جعفر بن الفضل بن الفرات . واستقرَّ الأمر بعد وُصول المعزَّ على عسلوج ،
ويعقوب بن يوسف .

وممنَّ وزر للمعزَّ يعقوب بن كلَّس ، وهو أول وزراء دَوْلَتهم بمصر ، وهو
من جملة كتاب الدَّولة الإخشيدية . وسنذكر خبره إن شاء الله مُستوفًى في
أخبار العزيز .

حاجبه : جعفر بن عليّ إلى أن تُوفّي ، فوليَّ عار بن جعفر ؛ والله أعلم
بالصواب .

ذكر بيعة العزيز بالله

وهو أبو المنصور^(٣) نزار^(٤) بن المعزَّ بن المنصور بن القائم بن المهديّ ،
وهو الخامس من ملوك الدولة العبَّيدية ، والثاني من ملوك مصر والشام منهم .
كان قد وليَّ العهد من أبيه في حياته ، ثم بايَّعه النَّاس في يوم وفاته أبيه ،
لِسَبْعِ خَلَوْنٍ من شهر ربيع الآخر سنة خمسٍ وستين وثلاثمائة .

(١) « ابن صولاب » في أخبار الدول المنقطعة ص ١٢٩ .

(٢) « الكرجي » في أخبار الدول المنقطعة ص ٢٩ .

(٣) « وهو ابن المنصور » في الأصل ، وهو تحريف .

(٤) انظر ترجمته وأخباره في : وفيات الأعيان ج ٥ ص ٣٧١ رقم ٧٥٩ . أخبار الدول المنقطعة

ص ٣٩ وما بعدها ، المنتقى من أخبار مصر ص ١٦٨ وما بعدها ، كنز الدرر ج ٦ ص ١٧٤

وما بعدها ، اتعاظ الخنفا ج ١ ص ٢٣٦ وما بعدها ، المرواظة والاعتبار ج ٢ ص ٢٨٤ وما

بعدها ، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١١٢ وما بعدها ، الكامل ج ٨ ص ٦٦٥ وما بعدها .

حكى الرئيس ابن القلايسى فى تاريخ الشام فى سبب بيعة العزيز الأولى أن أباه المعز لدين الله كان مُغرماً بعلم الشجوم والنظر فيما تقتضيه أحكام مولده ، فحكم له بقطع ، فاستشار منجمه فيما يزيله عنه ، فأشار عليه أن يعمل له سرداباً تحت الأرض ويتوارى فيه مدة إلى حين زوال ذلك القطع . فصنع ذلك وأحضر وجوه دولته ، وقال لهم : إن يبنى وبين الله عهداً وعَدَنِيهِ قد قرب أوانه ، وقد جعلت عليكم ولدى نزاراً ، ولقَبْتُهُ بالعزيز بالله ، واستخلفته عليكم وعلى تدبير أحوالكم مدة غيبتي ؛ فالزموا الطاعة والمناصحة له . فقالوا : نحنُ عبيدُك وخدمُك . فأخذ البيعة له ووَصَّاه بما أراد ، وجعل القائد جوهرًا مدبرًا لأُمُوره ، ونزل السرداب الذى اتخذه ، وأقام به سنة . فكانت المغاربة إذا رأوا سحاباً ترجلوا على الأرض وأومؤا بالسلام عليه . ثم خرج بعد ذلك ، وجلس الناس ، فدخلوا على طبقاتهم وسلموا عليه ؛ ولم يلبث بعد ذلك إلا مدة يسيرة ، واعتلَّ فمات (١) .

ذكر الحرب بين أفتكين التركى وعساكر العزيز بالله

ولنذكر ابتداء أمر أفتكين (٢) لتأتى أخباره بسياقه .

هو أبو المنصور أفتكين المعزى ، أحد ممالك معز الدولة بن بويه (٣) وكان سبب وصوله إلى الشام أنه لما وقعت الفتنة بين الترك والديلم ببغداد

(١) انظر الكامل ج ٨ ص ٦٦٤ .

(٢) « هفتكين » فى كنز الدرر ج ٦ ص ١٧٥ ، أخبار الدول المنقطعة ص ٣١ ، « الفتكين فى ذيل تاريخ دمشق ، والكامل ج ٨ ص ٦٥٦ و « أفتكين » فى انماط الحنفا ج ١ ص ٢٣٨ .

(٣) هو معز الدولة أبو الحسين أحمد ، حكم العراق فى الفترة من ٣٢٠ - ٣٥٦ هـ / ٩٣٢ - ٩٦٧ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٢٩٠ .

وخلع المطيع^(١) كما ذكرناه ، وتوالت تلك الفتن ، انفصل أفتكين عن بغداد في سنة ثلاث وستين وثلاثمائة في ثلاثمائة غلام ، وسار حتى قدّم حمص فأقام أيامًا يسيرة ، وسار منها إلى دمشق ، فوجد أحداث البلد قد تحكّموا فيها والفتن بين أهلها وبين عسكر المغاربة . فخرج إليه شيوخ دمشق وأظهروا السرور به ، وسألوه أن يتولّى عليهم ، ويكفّ أيدي المفسدين ، وتوثّقوا منه وتوثّق منهم بالأيمن ، ودخل البلد وأصلح أمره ، وأحسن السيرة ، وكفّ المفسدين ، فاستقام له الأمر وثبت قدمه^(٢) . فاضطر إلى مكاتبة المعزّ لدين الله بمصر فكاتبه وخادعه ، وبغالطه ، وأظهر الانقياد إليه والطاعة لأمره . فأجابه المعزّ يستدعيه إلى حضّرتة ليشاهدّه ، ويصطفيّه لنفسه ، ويُعَيِّده إلى ولايته ؛ فلم يثق إلى ذلك وامتنع من الإجابة . ووافق ذلك علة المعزّ ووفاته .

وكتب أفتكين في أثناء هذه القضية إلى مولاه ببغداد يقول إنّ الشام قد صفا في يدي ، فإن سيرت إلى عسكرًا ومالًا وسلاحًا فتحت ديار مصر ، فبعث إليه الجواب : غرك عرك فصار قصار ذلك ذلك فأخش فأحش فاعلك ، فعلك تهذا بهذا . فلما أيس أفتكين من إنقاذ العساكر إليه من بغداد اضطرّ عند ذلك إلى مكاتبة القرامطة ، فقصدوه ووافوه في سنة خمس وستين وثلاثمائة ، وكان الذي أتاه منهم إسحاق ، وكسرى ، وجعفر ؛ فزلوا بظاهر دمشق ، ووافاه معهم كثير من العجم . فأكرمهم أفتكين وحمل إليهم الميرة ، فأقاموا أيامًا وتوجّهوا إلى الرملة ، فخرجت إليهم عساكر الساحل ، واقتتلوا ، فهزمهم أفتكين ، وقتل منهم مقتلة عظيمة .

(١) خلع المطيع قه في منتصف ذي القعدة ٣٦٣ هـ / أغسطس ٩٧٤ م — الكامل ج ٨ ص

٦٣٧ ، وانظر نهاية الأرب ج ٢٣ ص ٢٠١ وما بعدها .

(٢) انظر الكامل ج ٨ ص ٦٥٦ وما بعدها .

وكان على الساحل ظالم بن موهوب العقيلي ، فانهمز إلى صور . وأحصى القتلى فجاءوا أربعة آلاف فارس . فكاتب العزيز بن المعز أفتكين واستأله ووعدته إن وطئ بساطه أن يرفع منزلته . فأبى إلا مخالفته ، وأغلظ له في الجواب . فاستشار العزيز وزيره يعقوب بن كلّس فيما يفعله فأشار عليه بإخراج [٤٧] جوهر القائد إليه بالعساكر ؛ فشرع العزيز في ذلك وجهز جوهر ، فلما سمع أفتكين ذلك عاد إلى دمشق واستشار أهلها ، وقصد التوجه لبلاد الروم ؛ وكان أهل دمشق يكرهون المغاربة لخالفتهم لهم في الاعتقاد ، فطمأنوه ، وثبّثوه ليلقاء عساكر مصر . وخرج جوهر في العساكر العظيمة بعد أن استصحب أماناً من العزيز لأفتكين^(١)

فلما وصل جوهر إلى الرملة كاتب أفتكين ولأطفه ، وعرفه ما معه له من الأمان ؛ فلاطفه أيضاً أفتكين في الحواب واعتذر إليه بأهل دمشق ، فعلم جوهر أنه لا بدّ من الحرب . فسار إليه ونزل بالشماسية^(٢) فبرز إليه أفتكين ؛ ونشبت الحرب بين الفريقين مدة شهرين ، وقتل من الطائفتين عدد كبير . وظهر من شجاعة أفتكين ما عظم به قدره في النفوس ، فأشار عليه أهل دمشق بمكاتبة أبي محمد الحسن بن محمد القرمطي واستدعائه لدفع عساكر مصر ، فكاتبه فاتاه القرمطي ، فعلم جوهر أنه إن أقام استظهر أفتكين عليه ، فرجع إلى طبرية وتبعه أفتكين والقرمطي فقاتلاه ؛ فانهمز إلى عسقلان فتبعه أفتكين وحصره بها حتى أشرف جوهر على الهلاك ، فصالحه ، ووقع الصلح

(١) انظر اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٢٣٨ ، الكامل ج ٨ ص ٦٥٨ ، وكنز الدرر ج ٦ ص ١٧٥ .

أخبار الدول المنقطعة ص ٣١ ، ذيل تاريخ دمشق ص ١٧ .

(٢) الشماسية : محلة بدمشق - معجم البلدان .

بينها على أن يخرج جوهر وأصحابه حفاة عُرَاة لاشيء يستر عوراتهم^(١).

وكان العزيز قد خرج من الدِّيار المصرية لإغاثَةِ جوهر ، فلقبه في الطريق على تلك الحال ، فانخبره جوهر أن كثامة خذلوه فقبض عليهم ، ثم أظهر الغضب على جوهر وعزله عن الوزارة .

ذكر حرب أفتكين وأسرهِ

وفي سنة ثمانٍ وستين وثلاثمائة ، في المحرم منها ، وصل العزيز بالله إلى الرملة وأفتكين وعسكره بالطولحين ، ووقع المصاف بينهما ، ونشبت الحرب في يوم الخميس سابع الشهر . فانهمز أصحاب أفتكين وقتل عامتهم وشوهد العزيز في هذا اليوم وقد انفرد عن عسكره وصلى على الأرض وهو يقول : اللَّهُم ارحمني وارحم مَنْ وَرَأَى مِنْ هَذِهِ الْقِبْلَةِ ، وانصرتي ، لما أَسْتَمِدُّ التَّصَرُّ إِلَّا مِنْكَ ، وهو يَغْفِرُ وَجْهَهُ عَلَى التُّرَابِ وَيَبْكِي ، ثم ركب وقد انتصر عسكرُهُ ، وَجِئَ إِلَيْهِ بِأَفْتَكِينَ أُسِيرًا ، اسره مفرج بن دغفل ابن الجراح الطائي^(٢) أمير طيِّس ، فبعاه به وفي عنقه حبل ، فأحسن إليه العزيز لِمَا رَأَى مِنْ شَجَاعَتِهِ ، وَمَنْ عَلَيْهِ ، ورجع به إلى مصر ، فأقام بها إلى أن مات في سنة سبعين وثلاثمائة ، والحجَّاب والأكابر يركبون إلى داره .

ولما رجع العزيز هناك الناس بهذا الفتح ، ومدحه الشعرا . فمنهم الحسين

(١) عن الصلح بين أفتكين وجوهر ، انظر ذيل تاريخ دمشق ص ١٧ ، الكامل ج ٨ ص ٦٥٩ ، انعاظ الخنفا ج ١ ص ٢٤١ ، أخبار الدول المنقطعة ص ٣١ .

(٢) « وسار العزيز وعلى مقدمته حسان بن علي بن مفرج بن دغفل بن الجراح الطائي » في انعاظ الخنفا ج ١ ص ٢٤٢ .

ابن عبد الرحيم الزلالي بقصيدته التي أولها :

لَا حَ لِلْحَقِّ شَهَابٌ فَوْقَهُ فَرَأَى قَاصِدُهُ أَيْنَ قَصْدُ
بِالْعَزِيزِ بْنِ الْمُعْزِ اعْتَصَدَتْ دَوْلَةُ الْحَقِّ ، وَبِاللَّهِ اعْتَصَدُ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَقَصِّي وَعِمَادَ الدِّينِ ، وَالرَّكْنَ الْأَسَدُ
بِنَزَارِ بْنِ مَعْدٍ ، وَهَمَّا خَيْرَ أُنَاءِ نَزَارِ بْنِ مَعْدٍ (١)

ومنها :

أَصْلَحَ الشَّامَ بِمَا دَبَّرَهُ وَتَلَافَاهُ ، وَقَدْ كَانَ فَسَدُ
أَطْفَاءِ الْفُشْنَةِ فِيهِ ، بَعْدَمَا أُبْرِقَ التَّرْكِيُّ فِيهَا وَرَعْدُ
وَكَانَ عَوْدُ الْعَزِيزِ إِلَى مِصْرَ وَوُضُوْلُهُ إِلَيْهَا فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ لَسْتُ بِقَيْنٍ مِنْ
شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثُمِائَةٍ .

وفي سنة تسع وستين وثلاثمائة ، في ثامن عشر شهر ربيع الأول ، تزوج
العزیز بابنة (٢) عمه ، وأمهرها مائتي ألف دينار عينا .

ذكر فتوح اللاذقية

وفي سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة ، في حادى عشر شهر ربيع الأول ، ورد
كتاب نزال (٣) يذكر فيه أنه وَقَعَ الرُّومُ بِسَاحِلِ الشَّامِ ، وَكَسَرَهُمْ ، وَأَخَذَ

(١) المقصود في أول البيت هو العزیز باقه ، وفي آخره الجيدان الثامن عشر والتاسع عشر للرسول عليه الصلاة والسلام .

(٢) « وعقد العزیز على امرأة » في انعاظ الحنفاج ١ ص ٢٥٢ .

(٣) نزال والى طرابلس من قبل الخليفة الفاطمي . تكملة تاريخ ابن البطريق ص ١٦١ .

اللاذقية . ثم ورد نزال من الشام في العاشر من جمادى الآخرة ، ومعه نحو خمسمائة نفر من الروم أسرى في السلاسل .

وفي هذه السنة وصل من تنيس رجل وامرأة بمولودة لها رأسان ووجهان وأربع أيدي كاملة الخلق في جسد واحد ، وسنها دون الشهرين .

وفيها كان الثوروز لسبع خلّون من شهر ربيع الأول وأكل الناس [٤٨] الرطب قبل الثوروز على عادتهم ، وأصرمت النخل ^(١) ، ولم يتبق عليها شيء . ألته ، ثم حمل النخل ثانياً ، فأكل الناس البلح والبُسر مرة ثانية ، ولم يتبق مثل ذلك في زمن من الأزمنة .

ذكر فتح قنشرين وحمص

وفي سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة ، في شهر ربيع الأول منها ، دخلت عساكر العزيز إلى قنشرين وحمص ، وأقاموا الدعوة له بها .

وفيها في ثامن شوال صرف العزيز وزيره يعقوب بن كلّس واعتقله ، وحمل من ماله خمسمائة ألف دينار ، ثم أفرج عنه بعد ذلك ، وأعادته إلى الوزارة ، في سنة أربع وسبعين ، ووهب له العزيز مالا كثيراً وألفاً وخمسمائة غلام تكون في خدمته ، وإليهم تنسب حارة الوزيرية ^(٢) بالقاهرة .

(١) أصرم النخل : حان له أن يصرم أى يقطع . القاموس .

(٢) انظر المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٥ .

وفي هذه السنة اشتد الغلاء بمصر وبلغت حملة الدقيق الجشكار^(١) أحد عشر ديناراً والعلامة اثني عشر ديناراً ، والحملة ثلاثمائة رطل بالمصرى .
وفيها في العشرين من ذى القعدة ورد الخبر أن ابن حمدان^(٢) خطب للعزيز بحلب والجزيرة كلها .

وفي سنة ست وسبعين وثلاثمائة خطب للعزيز بمعرة النعمان .

وفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة استجدَّ العزيز في جامع مصر^(٣) العين الفؤارة ، ودامت إلى أيام العاضد ، فحرت في الحريق في سنة أربع وستين وخمسمائة . ثم جدَّدها الملك العادل أبو بكر بن أيوب . وفيها لأعن القاضي محمد بن النعمان بين رجل من لدن عقيل وامرأته .

وفي سنة ثمانين وثلاثمائة اختطَّ العزيز الجامع بالقاهرة ، وهو الجامع المعروف بالحاكم^(٤) بباب الفتوح .

وفي سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة خرج منير والى دمشق على العزيز بالله^(٥) ، وقتل ابن أبي العرّاد^(٦) الكاتب ولحقه بشارة الإخشيدى ، فسار

(١) الجشكار أردا أنواع الدقيق ، والعلامة أجود أنواعه ، وما زال هذان الاصطلاحان يستعملان بهذا المعنى في الريف المصرى .

(٢) هو سعد الدولة أبو المعالى شريف بن سيف الدولة أبو الحسن على ، الذى ولى حكم حلب في الفترة من ٣٥٦ - ٣٨١ هـ / ٩٦٧ - ٩٩١ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٢٤٤ .

(٣) المقصود جامع عمرو بن العاص والإشارة فيها إلى الحريق الذى أشعله شاورى فى الفسطاط - المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٥١

(٤) جامع الحاكم بأمر الله ، نسب إلى الحاكم لأنه هو الذى أكمل بناءه - المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٧٧ وما بعدها .

(٥) « وبلغ العزيز أن منير يكاتب صاحب بغداد » فى انطاخ المنفا ج ١ ص ٢٦٩ .

(٦) كان على الخراج بدمشق - انطاخ المنفا ج ١ ص ٢٦٩ .

نزال وإلى الرملة إلى دمشق ، فحاربه منير ، فهزمه نزال . وكانت الواقعة بمرج عذراء^(١) في تاسع شهر رمضان وهرب منير يريد حلب ، فأخذه العرب وأحضره إلى دمشق لنزال ، فوجدوا منجوتكين^(٢) قد وصل إليها فأخذ منيراً وحرسه على جمل وإلى جانبه قرد وعليه طرطور .

وأقام منجوتكين بدمشق بقية سنة إحدى وثمانين . وأمه العزيز في سنة اثنتين [وثمانين]^(٣) مخمسةائة فارس وخرانة وسلاح صحبة صالح بن علي وجيلين التركي ، فاشتمل عسكر منجوتكين على ثلاثة عشر ألف فارس فقطع في ملك حلب بحكم وفاة صاحبها سعيد الدولة^(٤) بن حمدان فحشد وخرج إليها في ثلاثين ألف فارس ونازلها ، وفتحها في شهر ربيع الآخر . وبقيت القلعة بيد أبي الفضل بن سعيد الدولة بن حمدان ولؤلؤ ، فكاتبها بسيل^(٥) ملك الروم ، فكتب لصاحب أنطاكية ، وهو من قبيلة ، بأن يجمع العساكر ويتوجه إلى حلب لنصرة صاحبها . ودفع المغربة عنها ، فسار إليها في خمسين ألف راجل .

وقال المسبّحي : كان عسكر الروم سبعين ألفاً وعسكر منجوتكين خمسة وثلاثين ألفاً .

(١) مرج عذراء : نسبة إلى قرية عذراء بغوطة دمشق — معجم البلدان .

(٢) منجوتكين : كان من اصطنعهم العزيز بالله من الأتراك ، اتعاط الحنفا جـ ١ ص ٢٦٩ .

(٣) [] إضافة للتوضيح .

(٤) « سيف » في الأصل ، وهو تحريف .

وهو سعيد الدولة أبو الفضائل سعيد ، الذي حكم حلب في الفترة من ٣٨١ - ٣٩٢ هـ /

٩٩١ - ١٠٠٢ م — تاريخ الدول الإسلامية ص ٢٤٤ .

(٥) هو الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني الذي ولي عرش الامبراطورية البيزنطية في الفترة من

٩٧٦ - ١٠٢٥ م — أوروبا في العصور الوسطى .

فنزّل الروم على جسر الحديد بين أنطاكية وحلب ، فأشار أصحاب منجوتكين عليه بقصد الروم ، فتوجه نحوهم ^(١) وانضم إليه جماعة من بني كلاب ، فالتقوا فانكسرت عساكر الروم ، وغنم منجوتكين ومن معه الغنائم الجزيلة . وجمع من رؤوس الروم مقدار عشرة آلاف رأس ، فسبّرها إلى مصر .

وتبع منجوتكين الروم إلى أنطاكية ، وأحرق ضياعاً ، ونهب رساتيقها ^(٢) ، ورجع إلى حلب . فعمل لؤلؤ مقدم حلب على رجوع منجوتكين عن بلده ، فكتب أبا الحسن بن المغربي وزير منجوتكين وخواصه أن يحسّنوا له الرجوع إلى دمشق والعود إلى حلب في العام المقبل ، ووعدهم على ذلك بالأموال الجزيلة . فذكروا ذلك لمنجوتكين فصادف هذا الرأي منه موقعاً لسوقه إلى دمشق ، فرجع عن حلب .

ولما بلغ العزيز رجوعه عنها انزعج لذلك وعلم أنه بتدبير وزيره ابن المغربي ، فعزله عن وزارة منجوتكين ، وولى صالح بن علي الروذباري .

وفي سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة ظهر من الجراد والكمأة ^(٤) على جبل المقطم بمصر ما لم يعهد مثله ، فخرج الناس إليه وجعلوا يدخلون القاهرة

(١) « نحوهم إليهم » في الأصل .

(٢) رستاق ، رسداق — رساتيق ، ومنها رزداق ، ورزداقات : القرى وما يحيط بها من الأراضي .
فارسي معرب — القاموس .

(٣) « أن يحسّنوا له » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

(٤) الكمأة — أكمؤ : نبات يسمى شحم الأرض . مثل القلقاس — لا ساق له ولا عرق ، عديم الطعم ، يؤكل نيئاً ومطبوخاً — القاموس .

ومصر في كلِّ يوم . فبيع الجراد أربعة أرتال بدرهم ، والكأفة سبعة أرتال بدرهم .

وفيها في يوم الجمعة ثامن عشر جادى الآخرة احترقت صناعة الإنشاء^(١) بمصر بما فيها من المراكب الخربية وآلات السلاح وغير ذلك ، فأتاهم الأمراء بذلك . فقتل منهم مائة وسبعة نفر . ثم أحضر عيسى ابن نسطورس مَنْ بَقِيَ من الرُّوم فاعترفوا بذلك . فأمر العزيز بالله أن تُتَهَبَ كنيسة الرُّوم ، فنهبت وأخذ منها ما ينيف عن تسعين ألف درهم .

[٤٩] ذكر وفاة العزيز بالله وشيء من أخباره وأخبار وزيره يعقوب بن كلس ومن ولى بعده

كانت وفاة العزيز بالله بعد الظهر من يوم الثلاثاء لِلَّيْلَتَيْنِ بَقِيَتَا من شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلاثمائة بمدينة بلييس في مسلخ الحمام بعلقى القونج والحصاة^(٢) .

وكان مولده بالمهدية في يوم الخميس لأربع عشرة ليلة خلت من المحرم سنة أربع وأربعين وثلاثمائة .

(١) المقصود دار صناعة السفن . وقد ورد الخبر في أحداث شهر ربيع الآخر سنة ٣٨٦ هـ في

اتعاظ المنفا ج ١ ص ٢٩٠

(٢) « الحص » في الأصل

وكانت مدّة حياته اثنتين وأربعين سنة وثمانية أشهر وأربعة عشر يوماً ،
ومدّة ولايته إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصفاً^(١) .

وكان أسمر ، طويلاً ، بديناً ، أشهلاً ، أعين ، أصهب الشعر ، عريض
المنكبين . وكان لا يؤثّر سفك الدماء .

قال المؤرخ : وجُدّد في أيام العزيز من الأبنية قصر الذهب^(٢) ، وجامع
القرافة^(٣) والفوّارة وبستان السردوس^(٤) . وقصور عين شمس ، والمصلّى
الجديد بالقاهرة . وهو أوّل من بنى دار الفطرة^(٥) ، وقرر الرّواتب ، وسنّ
إعطاء الضّحايا للأولياء . وكان قريباً من الناس ، بصيراً بالخليل والجوارح
والصّيد .

ولده : أبوعلی المنصور ، وهو الحاكم بأمر الله .

(١) « عشرة » في الأصل ، والتصحيح من المتنق من أخبار مصر ص ١٧٥ ، اتعاط الحنفا ج ١
ص ٢٩٢ .

وفي كنز الدرر « عشرة أيام » ج ٦ ص ٢٣٨ .

(٢) قصر الذهب : قاعة الذهب ، وكان يقال لها قصر الذهب ، أحد قاعات القصر الكبير الذي
هو قصر الميز لدين الله — المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٣٨٥ .

(٣) جامع القرافة : كان موضعه يعرف عند فتح مصر بخطة المغافر . أنشأته السيدة تغريد والدة
العزيز بالله ، على نحو بناء الجامع الأزهر . وذلك في شهر رمضان سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م —
المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٦٨ .

(٤) السردوس : قرية قديمة ، تعرف اليوم باسم باسوس ، إحدى قرى مركز قليوب بمحافظة
القليوبية — القاموس الجغرافي ق ١ ص ٦٩ .

(٥) دار الفطرة : أنشأها العزيز بالله خارج القصر ، وهي عبارة عن حاصل أو مخزن لجمع أنواع
الحلوى التي تفرق ، في النصف الثاني من شهر رمضان ، المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٢٥ .

ذكر أخبار الوزير يعقوب بن كلّس

وكنيته أبو الفرج ؛ وهو أول من خطب بالوزارة في دولتهم . وكان يهودياً من أهل بغداد ، فهاجر منها إلى الشام ونزل الرملة ، فجلس وكيلاً للتجار بها . فاجتمع عنده مالٌ فاستتره ، وسافر إلى مصر . واتصل بخدمة كافور ، فتاجر في متاع كان يُحبله بكنيته على الضياع ، فكان إذا احتيل على عمل بمالٍ لا يخرج منه حق يعلم مستخرجه ونفقته وارتفاعه ، فعلم أحوال ديار مصر ، فأخبر كافور به ، فقال : لو كان هذا مسلماً لصلح أن يكون وزيراً . فبلغه ذلك ، فأسلم على يدى كافور ، في يوم الجمعة في الجامع العتيق ، في سنة خمسين وثلاثمائة .

ثم تعلقت به مطالبات ديوانية في الدولة الإخشيدية فهرب بسببها من مصر ، فلقى العسكر المغربي قاصداً مصر فعاد في صحبته ، فلما ملك القائد جوهر مصر تصرف ابن كلّس في الأمور الديوانية مدة أيام المعز ، ثم انتقل إلى خدمة ولده العزيز ، فاختص به وتمكّن منه ، واقتنى الأموال ، فاستوزره في يوم الجمعة ثامن عشر شهر رمضان سنة ثمان وستين^(١) وثلاثمائة ، وأقطعه بمصر والشام في كل سنة ثمانية آلاف دينار . وبسط يده في الأموال ، وكتب اسمه على الطرُز^(٢) ، وابتدأ بنفسه في المكائات والعُنُونات . من يعقوب بن يوسف وزير أمير المؤمنين :

(١) « سنة خمس وستين » في النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٥٨ ، وذيل تاريخ دمشق ص ٣٢ ، كنز الدرر ج ٦ ص ٢٢٧ .

(٢) طراز — طرز : محجمة فارسية تعنى الرداء المحلى . وكانت الحلية أشرطة من الكتابة ، ثم صارت الكلمة تطلق على الدار التي تصنع بها هذه الأشرطة — عن دار الطراز في العصر الفاطمي انظر خزنة الكسوات ، المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٠٩ .

وتمكن من الدولة حتى أَسْقَطَ المغارية ، واستخدم المشاركة ، في سنة سبعين وثلاثمائة ، من التُّرك والإخشيدية . وأذل جوهرًا الرومي غلامَ المعز وجعله على المرتبة . وكان [جوهر] ^(١) يقول : قبح الله طول هذا العمر الذي أخرج لمثل هذا .

ثم نكبه العزيز النكبة التي ذكرناها في سنة ثلاث وسبعين ، ثم أطلقه وأعادته إلى الوزارة ، وقال له : عَزَلْتَ بالإغراء ، ورُوِدْتَ بصمم الآراء . ووهب له ألفًا وخمسمائة غلام كما ذكرنا ^(٢) .

ولم يزل ابن كلس على ذلك إلى أن توفي لِسِتْ خَلَوْنَ من دى الحجة ، سنَّة ثمانين وثلاثمائة .

ولمَّا مرض مَرَضُهُ التي مات فيها ركب العزيز إليه ، وعَادَهُ ، وقال له : وَدَدْتُ أَنَّكَ تَبَاعُ فَأَبْتَاعَكَ بِمَلِكِي وولدي .

ولمَّا مات أمر العزيز أن يُدْفَنَ في داره في قُبَّة كان بنَّاهَا لنفسه ، وحضر جنازته وصلى عليه ، وألحده في قبره .

وبلغ قيمة الكفن الذي أنْفَذَهُ العزيزُ له ، وهو خمسون ثوبًا مثقلة سبعة آلاف دينار . وأنصَرَفَ من دفنه ، وأظهر الحُزنَ وأغلق الدَّوَابِينَ ثمانية عشر يومًا ، وعَطَلَ الأَعْمَالُ أَيَّامًا ، واشتملت تركته على مال عظيم .

ولم يستوزر [العزيز] ^(٣) بعده أحدًا بل ضمن أموال الدولة بجماعة من المستخدمين وجعل الغائبَ عليهم عيسى بن نسطورس التصرافي ، فمال إلى

(١) [إضافة للتوضيح .

(٢) انظر ما سبق .

(٣) [إضافة للتوضيح .

التَّصَارِي وقلدتهم الأعمال . واستتاب بالشام منشأ بن إبراهيم اليهودي فقدم اليهود ومال إليهم ، وأطرح المسلمين ، فوقفت للعزیز امرأة بيدها قصّة مكتوبة فيها : يا أمير المؤمنين بالذي أعزّ التَّصَارِي بآبن نسطورس وأعزّ اليهود بمنشأ بن إبراهيم وأذلّ المسلمين بك إلا ما نظرت في أمري وكشفت ظلامي^(١) ! فقبض العزيز على عيسى ، وكتب بالقبض على منشأ بالشام ، ثم شفعت ستّ الملوك ابنة العزيز في عيسى فردّه إلى ما كان عليه ، وحمل إلى الخزّانة ثلاثمائة ألف دينار ، وشرط عليه استخدام المسلمين في دولته وأعماله .

قضاته : أبو طالب محمد بن أحمد البغدادي إلى أن استعفى ، ثم على بن النعمان إلى أن توفّي في شهر رجب سنة أربع وسبعين ، فردّ القضاء إلى أخيه أبي عبد الله محمد بن النعمان .

حُجَّابُه : الأمير منجوتكين [٥٠] ، القائد باروخ .

ولمّا مات العزيز قام بالأمر بعده ولده أبو علي المنصور .

ذكر بيعة الحاكم بأمر الله

وهو أبو علي المنصور بن العزيز بالله نزار ، بن المعز لدين الله أبي تميم معدّ ، بن المنصور بنصب الله أبي طاهر إسماعيل ، بن القائم بأمر الله أبي القاسم محمد ، بن المهدي عبيد الله . وهو السادس من ملوك الدولة العبيدية ، والثالث من ملوك مصر والشام منهم .

بايع له أبوه العزيز قبل وفاته ببليس ، وكان وليّ قبله ابنه محمدًا فهلك في حماة أبيه العزيز ، ثم جدّدت البيعة للحاكم بأمر الله صبيحة وفاة أبيه في

(١) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٤١ ، الكامل ج ٩ ص ٧٧ ، ص ١١٦ .

يوم الأربعاء لليلة بقيت من شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلاثمائة ، وليس
أثواب الخلافة ، وتعمَّم بعمامة عليها الجوهر ، وعمره إذ ذاك إحدى عشرة
سنة وستة أشهر^(١) . وتولَّى كِفَالته برجوان^(٢) الخادم ، وقام بأمر الجيوش
وتدبير الدَّولة أبو محمد حسن بن عمار ابن أبي الحسين ، وتلقب بأمين
الدَّولة ، وهو أول من لقب في دولتهم بمصر ، وكان ذلك بوصية من العزيز .
قال : وكان الكتاميون قد أضعفهم الوزير ابن كلَّس ، فأظهرهم ابن
عمار وردَّهم إلى ما كانوا عليه .

ذكر القبض على الوزير عيسى بن نسطورس النصراني وقتله

كان القبض عليه في تاسع شوال سنة ست وثمانين وثلاثمائة : وذلك أن
ابن عمار اتَّهمه بالإغراء عليه ومباطنة منجوتكين ، فبَسَط عليه العذاب .
واستخرج منه سبعمائة ألف دينار ، ثم أخرجه لثلاث بقين من المحرم سنة سبع
وثمانين على حمار ، إلى المقدس ، وضرب عنقه هناك . رحم الله ابن عمار الأمر
بقتله ، فلقد حُكِيَ عنه مِنْ جَوْرِهِ على المسلمين وإطراحِهِ لهم ما لا مَزِيد عليه .
حكى الأثير بن بيان المصري أن بعض رؤساء المصريين كتب ورقةً يعاتب
فيها عيسى على قُبْح فعله مع المسلمين وبالغ، فيها فأجابه عيسى عنها يقول :

(١) ولد بالقاهرة في ٢٣ ربيع أول ٣٧٥ هـ - اتعاط الحنفا ج ٢ ص ٣ ، المنتقى من أخبار مصر

ص ١٧٦ ، وورد أنه ولد في ربيع الآخر في أخبار الدول المنقطعة ص ٦٠ .

(٢) هو الأستاذ أبو الفتح برجوان ، من خدام العزيز باقه ، قتل سنة ٣٩٠ هـ / ٩٩٩ م -

وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٧٠ رقم ١١٢

«إن شريعتنا متقدّمة ، والدّولة كانت لنا ثم صارت إليكم ، فجئتم علينا بالجزية والدّلة ، فتي كان منكم إلينا إحسانٌ حتى تطالبونا بمثله! إن مانعناكم قاتلتُمونا ، وإن سألناكم أهتمونا ، فإذا وجدنا لكم فرصة فإذا تتوقّعون أن نصنع بكم .» ثم تمثل في آخرها بهيتين :

بنتُ كرمٍ غصبُها أمها ثم داسوها ، هوانًا ، بالقدم
ثم عادوا حكّموها فيهم وأناملك بخضرم قد حكم!

ذكر مخالفة منجوتكين بدمشق وحره وأسره وسبب ذلك

كان سبب ذلك أن ابن عمار أظهر الكتامين وبالغ في الإحسان إليهم ، وحوّلهم في الأموال وسط أيديهم ، وفرّق فيهم ما خلفه العزيز .

قال بعض المؤرخين : إن العزيز كان عنده عشرون ألف عليقة ما بين فرس وبغل ، وجمل وحمار ، ومن الأموال ما لا يدخل تحت الإحصاء ؛ ففرّق ابن عمار ذلك فيمن أراد اصطناعه . فلما كان في سنة سبع وثمانين ومائتين انبسطت يد كرامة وجاروا على الناس بديار مصر ، وامتدّوا لآخذ أموالهم ، ثم اجتمع مشايخهم وحسّنوا للحسن بن عمار قتل الحاكم . فعلم برجوان بذلك ، فبالغ في حفظ الحاكم وضم إليه شكر العضدى من غلمان عضد الدولة بن بويه . وكاتب منجوتكين أمير دمشق يُعرفانه ما عزم عليه ابن عمار ، وأنه بسط يد كرامة في الأموال ومكنهم من الجور وأنهم حصّروا الحاكم بقصره ، وأشارا عليه أن يقصد مصر ليكون عوضاً عن الحسن بن عمار .

فلما قرأ منجوتكين الكتاب جمع القواد والأجناد وغيرهم بجامع دمشق ، وعرفهم ما جرى من كتامة ، وبكى ، وخرق ثيابه ، فأطاعه الناس وحلفوا له على طاعة الحاكم وقاتل ابن عمار . فأنتق فيهم الأموال ووثق منهم ، وبرز من دمشق في ستة آلاف فارس .

فلما اتصل ذلك بابن عمار عظم عليه وجمع وجوه كتامة وعرفهم الحال ، فقالوا : [٥١] نعرف الناس أن منجوتكين قد عصى على الحاكم وخالف عليه ، وخرج عنه ، ليالغوا في قتاله ، ففعل ذلك وأظهره ، وفرق الأموال في وجوه الدولة . ثم أحضر برجوان وشكر العضدى وقال لهما : أنا شيخ كبير وقد كثر الكلام على والقول فى ، وليس لى غرض إلا فى حفظ الإمام الحاكم . وسألها أن يحلفا له على المساعدة فما وسعها إلا أن حلفا (١) له . وندب من وقته أبا تميم سليمان بن جعفر بن فلاح وقدمه على العسكر ، وأمره بالمسير إلى الشام ، فخرج فى ستة عشر ألف فارس وراجل . فسار سليمان فى ثانى صفر ، ورحل منجوتكين إلى الرملة فملكها ومعه مفرج بن دغفل بن جراح ، وسار سليمان حتى نزل بظاهر عسقلان .

وتقابل الجيشان بعد ثلاثة أيام ، وكان المصافى فى يوم الجمعة لأربع بقين من جمادى الأولى سنة سبع وثمانين وثلاثمائة ، فاستأمنت العرب من أصحاب دغفل وغيرهم إلى سليمان ، فاستظهر ، وقتل من أصحاب منجوتكين أربعة قواد . وانهمز منجوتكين وأحصيت القتلى من أصحابه فجاءت ألفى فارس ، وامتألت أيدى أصحاب سليمان . وبذل سليمان لمن

(١) « حلفوا » فى الأصل ، والتصحيح يتفق مع السياق .

يُحضر منجوتكين عشرة آلاف دينار ومائتي ثوب ، فأسره على بن الجراح وحمله إلى سليمان ، فسَيَّره إلى مصر . فاصطنع الحسنُ بنُ عَمَّار منجوتكين ، وسار سليمان ونزل طبرية .

فلما بلغ أهل دمشق ما اتفق لمنجوتكين نهبوا داره . وبعث سليمان أخاه إلى دمشق في خمسة آلاف فارس ، فلما وصلها أغلقوا دونه الأبواب ، فكتب إلى أخيه بذلك ، فسار إلى دمشق وتلطف بأهلها ، وطيب قلوبهم ، ففتحوا له الأبواب . ودخل البلد واستقر أمره ، وثبت قدمه ، واستتب له الأمر ، فنظر في أمر الساحل واستبدل بولاية الجابرين ، وعزل [الأمير]^(١) جيش بن الصمصامة من طرابلس الشام واستعمل عليها أخاه ، فحضر جيش إلى مصر ولم يجتمع به .

ذكر الفتنة بين المغاربة وهرب ابن عمار وما كان من أمره

كان سبب ذلك أن سليمان بن جعفر لما عزل جيش بن الصمصامة عن طرابلس حضر [جيش]^(٢) إلى مصر واجتمع بشكر الخادم وبرجوان سراً وعرفهما بغض أهل الشام في المغاربة ، وكان جيش أيضاً من كتامة وبينه وبين سليمان عداوة متمكنة ، فحسن لهما الفتك بالحسن بن عمار ، فوقع هذا الكلام من برجوان بالموقع العظيم مع ما تقدم بينهما من الوحشة . وعلم برجوان أن القاهرة ومصر قد خلتا من المغاربة ولم يبق فيها إلا العدد القليل ،

(١) [إضافة للتوضيح .

(٢) [إضافة للتوضيح .

وأمكنه الفرصة فأنهزها ، ورأسل الأتراك والمشاركة في القبض على الحسن ابن عمار .

وأحسن ابن عمار بذلك فقصد المبادرة بالإيقاع ببرجوان وشكر ، ورثب جماعة في دهليز داره ، وقرر معهم الفتك بها إذا دخلاً إليه . وكان لبرجوان عيون كثيرة فاطَّلَعُوا على ما دبره ابن عمار عليه . واتفق أن الحسن استدعاه [ومعه شكر] (١) فركبا إلى داره ، وكانت في آخر القاهرة مما يلي الجبل ، ومعها جماعة من الغلمان . فلما وصلا إلى باب الدار ظهرت لها عين القضية فعادَ إلى القصر بسرعة ، وجردَ الغلمانُ سيوفهم ، فدخلوا قصر الحاكم . فثارت الفتنة ، واجتمع الأتراك والديلم والمشاركة وغيرهم على باب القصر ، وبرجوان يكي ، وهم سيكون لبكائه ، وهو يحرضهم على القيام بواجب خدمة الحاكم .

وركب الحسن بن عمار في كتامة إلى الجبل ، وتبعه وجوه الدولة ، فصار في عددٍ كثير . وفتح برجوان خزائن السلاح وفرَّقها على الغلمان وغيرهم ، وأحدقوا بالقصر ، فبرز منجوتكين وفارحتكين وبنال الطويل في خمسمائة فارسٍ من الأتراك . ووقعت الحربُ بينهم وبين الحسن بن عمار إلى وقت الظهر من يوم الخميس سلخ شعبان سنة سبعٍ وثمانين وثلاثمائة ، فانهزم ابن عمار ، ورجعت العامة إلى داره فنهبوا ونهبوا خزائنه ، واستتر عند بعض العوام وتفرقت عنه جموعه (٢) .

وفتح برجوان باب القصر ، وأجلس الحاكم ، وأوصل إليه الناس ،

[إضافة للتوضيح .

(٢) عن الآراء المختلفة في أسباب هذه الفتنة وأحداثها ، انظر ذيل تاريخ دمشق ص ٤٨ - ٤٩ ، اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٢ .

وجدّد له البيعة على الجند ، فلم يختلف عليه أحد ، وكتب الأمانات لوجوه
كتامة وقواد الدّيلم وراسلّهم بما يُطَيّب قلوبهم فأتوه . واستقام أمرُ برجوان
وكتب إلى أهل دمشق يُطَيّب قلوبهم ويأمرهم بالقيام على سليمان والإيقاع
به ، فثار أحداث^(١) دمشق وقصدوا دار أميرها سليمان ، فوجدوه وقد انتهى
بالشرب وانهمك على لذاته ، فهرب على ظهر فرسه ونُهِيت خزانته [٥٢]
وأمواله . وجعل برجوان الحسين بن القائد جوهر قائد القواد ، وبعث جيش
ابن محمد بن الصمصامة إلى دمشق ، وتلطف في إخراج الحسن بن عمار من
استتاره ، فخرج ، فأعاد برجوان عليه ما كان بيده من الإقطاعات وحلّفه ألا
يخرج من داره .

وفي سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة عصى أهل صور على الحاكم بسبب فتنة
برجوان وابن عمار وقتلوا جماعة من جند المصريين ، وثار بعض الملاحين من
أهلها . ويعرف بالعلاقة ، فملك البلد .

وثار مفرج بن دغفل الجراحي بالرّملة ونهبها .

فدب برجوان إلى الشام أبا الحسن عيّد الصّمد ابن أبي يعلى ، وضمّ إليه
عسكر . فسار من القاهرة لأربع عشرة ليلة خلت من ذى القعدة : سنة ثمان
وثمانين^(٢) . فلما وصل إلى الرّملة حضر إليه من جند السّاحل خمسة آلاف

(١) أحداث : جمع حدث ، ومعناها الشبان الصغار ، وكان الأحداث يكونون نوعاً من رجال
الشرطة أو الحرس ، وقاموا بدور هام في مدن سوريا . خاصة في حلب ودمشق ، والفارق بين
الأحداث والشرطة في طريقة تجنيدهم المحلية غير الرسمية ، فهم رجال مسلحون من أهل
البلد — انظر هامش ٣ في اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٢٣٩ ، ومادة حدث في دائرة المعارف
الإسلامية .

(٢) « ثلاثين » في الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح يتفق وسير الأحداث ، وانظر اتعاظ الحنفا
ج ٢ ص ١٨ - ١٩ .

فارس ، ووجد سليمان بن جعفر [بن] (١) فلاح بها فقبض عليه وسيره إلى مصر . وسير إلى صور أبا عبد الله الحسن بن ناصر الدولة وياقوتا الخادم ومن معه من عبيد الشراء ، ف وقعت الحرب بينهم وبين أهل صور ، ثم طلبوا الأمان فأمنوا . وأسر العلاقة الثائر ، وكان قد استنصر بالروم ، فسُلخ وهو حي ، وخشى جلده تبتاً وصلب . وكان قد ضرب على الدينار بصور « عز بعد فاقة ، وشطارة بلباقة . للأمير العلاقة » .

وفيهما في شعبان ورد الخبر بفتح أنطاكية على يد [الأمير] (٢) جيش بن محمد ابن الصمصامة .

ذكر قتل برجوان الخصي

كان مقتله في ثالث عشر (٣) شهر ربيع الآخر سنة تسعين وثلاثمائة . وسبب ذلك أنه كان لِفِرْط إشفاقه على الحاكم منعه من الركوب خوفاً عليه ، ومنعه من العطاء لغير مستحق ، فتقل على الحاكم ، ولم يبق للحاكم في الأمر غير الاسم ، واستبدَّ برجوان بالأمر . وكان عند الحاكم خادماً اسمه ريدان الصقلي قد اختصَّ به وأنس إليه ، فشرع في إغراء الحاكم على برجوان . وكان من جملة ما قال له : إن هذا يقصد أن يفعل بك كما فعل كافور الإخشيدي مع أولاد سيده ، فبَاطَن الحاكم الحُسين بن جوهر قائلاً

(١) [إضافة للتوضيح .

(٣) « في سادس عشر » في انعاظ الحنفا ج ٢ ، ص ٢٥ ، « سادس عشرى » في المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣ .

القواد على قتل برجوان ، ووعده أن يقوّض إليه تدبير الأمر بعده . ثم ركب الحاكم وبرجوان في بعض الأيام إلى بستان اللؤلؤة^(١) على عادته ، قال عليه ريدان بسكين فضربه بها في ظهره وأخرجها من صدره . فقال برجوان للحاكم : غدرت . فزق على الخدام فاحتزّوا رأسه ، فانزعج الناس لذلك ولبسوا السلاح ، فسبق الحاكم ودخل القصر . وحضر شكر الخادم والجند وأحاطوا بالقصر ظناً منهم أن الحسن بن عمار تمّم على الحاكم حيلة . فلما رأى الحاكم ذلك تراءى للناس فترجلوا وقبلوا الأرض ، وسكنت الفتنة . ثم فتح الحاكم القصر واستدعى أكابر الناس وقال لهم : أنكرت على برجوان حاله وقتلته ، واستدعى الحسين بن جوهر وأمره بصرف الناس إلى منازلهم ، فصرفهم .

وركب مسعود الحاكمي إلى دار برجوان فأحاط على ما فيها ، وكان من جملة ما وجد له ألف سرّوال^(٢) ديني بألف نكّة حرير ، وناهيك بموجود يكون هذا من جملته .

وإلى برجوان هذا تنسب حارة برجوان^(٣) التي بالقاهرة .

واستقرّ الحسين بن جوهر في تدبير الدولة في ثالث جُمادى الأولى من السنة .

وقتل في أثناء هذه الفتنة الحسن بن عمار الكتامي . ونوّه جيش ابن محمد بن الصمصامة أمير الشام بدمشق في ثالث عشر ربيع الأول منها ،

(١) « كان الحاكم في بستان يعرف بدورة التين والمناب » بالقصر — المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٤ ، انعاظ الخنفا ج ٢ ص ٢٥ .

(٢) « سراويل » في الأصل .

(٣) انظر المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣ .

ونذب الحاكم لولايتها القائد تميم بن اسماعيل المعزى الملقب بفحل .

ذكر ما فعله الحاكم بأمر الله وأمر به
من الأمور الدالة على اضطراب عقله
بعد أن استقل بالأمر بمفرده

كان أول ذلك أنه نهى في سادس شهر رجب سنة تسعين وثلاثمائة أن يخاطب الناس بعضهم بعضاً بسيدنا أو مولانا ، وألا يخاطب بذلك غيره (١) . وفي سنة إحدى وتسعين ، في شهر المحرم ، أمر أن تُزَيَّن مصر ويفتح الناس دكاكينهم ليلاً ، ولازم الركوب بالليل ، وكثر ازدحام الناس ، وصار البيع بالليل أكثر من النهار ، وأكثر الناس الوفود . وغلب النساء على أزواجهن على الخروج ، فأمر في رابع عشر الشهر ألا تخرج امرأة من العشاء لهذا السبب ، فلم يخرجن بعد أمره (٢) .

وفي سنة ثلاث وتسعين حصل للحاكم مرض الماخوليا ، فأخذ في قتل أرباب الدولة وذوى المناصب وغيرهم ، وصدر عنه من الأفعال [٥٣] ما نذكره إن شاء الله تعالى بتواريخه على حكم السنين .

ذكر بناء الجامع المعروف بجامع راشده

كان ابتداء عمارته في سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة . وكان سبب إنشائه أن أبا المنصور الزيات الكاتب زرع هذا الموضع

(١) قرئ بذلك سجل في القصر — اتعاظ المنفا ج ٢ ص ٣٥ .

(٢) انظر اتعاظ المنفا ج ٢ ص ٣٨ .

وبنى للنصارى فيه كنيسة فرفع أمره للحاكم ، فأمر بهدم الكنيسة وأن يُجعل موضعها مسجداً ، ثم أمر بالتوسعة فيه ، فخرت مقابر اليهود والنصارى ، وجمع فيه الجمعة لليلتين بقيتا من الشهر ، وبُني فيه منبر من الطين ، وصلى فيه ابن عصفورة القارئ ثم ظهر بعد ذلك أن الحراب وضع على غير صحة فهُدِم ما كان ارتفع من البناء ، ثم بنى عليه ما هو عليه الآن ^(١) .

ذكر بناء الجامع المعروف بالحاكم الذى هو بين باب النصر و[باب] ^(٢) الفتح بالقاهرة

قد ذكرنا أن العزيز بالله كان قد اختطه في سنة ثمانين وثلاثمائة ، ومات العزيز بالله ولم تكمل عمارته ^(٣) .

فلما كان في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة ، لليلتين بقيتا من جمادى الأولى ، أمر الحاكم بالله بإتمامه . وقيل إن الوزير يعقوب بن كلس ، وزير العزيز ، هو الذى كان بدأ بعماره وقدّر له أربعين ألف دينار ، فأخرج له خمسة آلاف دينار ومات ولم يكمل ، فابْتُدِئ بعماره في هذا التاريخ .

وفي هذه السنة قتل الحاكم مقداد ابن حسن كاتب جوهر ، ضُرب عنقه وأُحرق بالنار ، وفيها لليلتين خلتا من ذى الحجة قتل ريدان الصقلي

(١) المقصود بالآن عصر المؤلف ، فليس لهذا الجامع وجود في العصر الحالي — وعن جامع راشده انظر المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٨٢ وما بعدها .

(٢) [] إضافة للتوضيح تتفق وسياق الكلام .

(٣) « صلى العزيز بالله في جامع صلاة الجمعة وخطب » وذلك في ٤ رمضان ٣٨١ هـ قبل أن يكمل بناؤه — المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٧٧ .

الخادم ، وكان خصيصا به مكينا عنده ، وإليه ينسب الريدانية التي هي بظاهر القاهرة خارج باب النصر . وفيها قتل منجمه العكبري صاحب الرصد الحاكمي وكان شديد الاختصاص به . ونادى متآديه بإباحة دم المتجملين وأنهم كفار ، فهربوا ولم يبق بالديار المصرية منجم .

وفي سنة أربع وتسعين وثلاثمائة اشتدت السّوداء على الحاكم ، فصار يركب في الهاجرة حمارة بلقاء والسياف بين يديه ، فيقتل من يخطر بخاطره قتله . فقتل خلقا كثيرا وغرق وأحرق ، حتى قتل الركابية^(١) وأصحاب السّتر والوزراء والقضاة ؛ واستمرّ به هذا الحال .

وفي سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، في رابع عشرين المحرم قرئ سجل من الحاكم بمنع الملوخيا^(٢) والمتوكلبة^(٣) والترمس المغن والدّليس^(٤) وعمل الفقاع^(٥) ، وعن ذبح البقر^(٦) ، وألا يدخل أحد الحمام إلا بمشزر ، ولا تكشف امرأة وجهها في طريق ولا خلف جنازة ، وألا يباع من السمك ما ليس له قشر .

(١) الركابية : هم الذين يحملون السلاح حول الخليفة عند ركوبه في المواكب ، ولهم زى خاص بهم . وكانوا يسمون أيضا صبيان الركاب الخاص . وهم الذين عرفوا في عصر المماليك باسم السلاحدارية والطردارية — صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٨٠ .
وهم غير الركابية الذين يحملون الفاشية بين يدي السلطان في العصور التالية — صبح الأعشى ج ٤ ص ١٢٠ ، ٧ .

(٢) « وعلل تحريم الملوخية بميل معاوية إليها » أخبار الدول المنقطعة ص ٤٤ .

(٣) « لنسبتها للمتوكل » الخليفة العباسي ، نفس المصدر ص ٤٤ .

(٤) نوع من السمك الصغير لا قشر له — انظر ما يلي .

(٥) شراب كالرمان يصنع من الشعير — القاموس .

(٦) « إلا ما يصلح للحرث » في اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٥٣ .

وفي رابع صفر منها كتب على المساجد بسب الصحابة رضى الله عنهم ، وعلى حيطان الشوارع والقياسر^(١) ، ثم نهى عن ذلك في سنة سبع وتسعين . وأمر اليهود والنصارى الا الحجابرة بلبس السواد^(٢) ، وأن يحمل النصارى الصليبان على أعناقهم ، وأن يكون طول الصليب ذراعاً وزنته عشرة^(٣) أرطال ، وعلى أعناق اليهود قوامى الخشب والجلجل ، وألا يركبوا شيئاً من المراكب المحلاة ، وأن يكون ركبهم من الخشب وألا يستخدموا أحداً من المسلمين ولا يركبوا حماراً لمكار مسلم .

وفي سابع عشرين صفر منها نودى بالقاهرة ألا يخرج أحد بعد عشاء المغرب إلى الطريق ولا يظهر بها .

وفي سادس عشر شهر ربيع الآخر منها أمر بقتل الكلاب فقتلت عن آخرها^(٤) .

وفي تاسع عشر جمادى الآخرة فتحت دار بالقاهرة وسميت دار الحكمة^(٥) ، وجلس فيها الفقهاء وحُمِلت إليها الكتب من خزائن القصور ، ونسخ الناس من الكتب ما اختاروه ؛ وجلس فيها القراء والفقهاء والنحاة واللغويون ، والأطباء والمنجمون ، بعد أن فُرشت وزُخرفت ، وعُلقت الستور على جميع أبوابها وممراتها ، وجعل لها قوام وخُدّام . وحصل في هذه الدار من الكتب والخطوط المنسوبة ما لم يُر مثله ، وأجريت بها الأرزاق .

(١) القياسير « في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

(٢) « وشعارهم بالسواد شعار الغاصبين العباسيين » - انعاظ المنهاج جـ ٢ ص ٥٣ .

(٣) حدد فيها بعد بخمسة أرطال - انظر ما يلى في أحداث سنة ٤٠٣ هـ .

(٤) « فقتلوا عن آخرهم » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

(٥) دار الحكمة ، وتعرف أيضاً بدار العلم - المواظ والاعتبار جـ ١ ص ٤٥٨ .

وفي هذا الشهر مُنِعَ الناس من العبور إلى القاهرة ركباً مع المكارية ،
ومُنِعَ من الجلوس على باب الزُهومة^(١) إلى أقصى [٥٤] الباب
[المعروف]^(٢) بباب الزمرد .

وفي سنة ستٍ وتسعين وثلاثمائة ركب الحاكم في موكبه ومعه أرباب
دولته فمرَّ على الموضع الذي يُباع فيه الخطبُ وقد تراكت الأحطابُ فيه
بعضها على بعض ، فوقف وأمر أن تُوجَّع النار في بعضها ، ثم أمر بقاضي
القضاة بمصر ، وهو الحسين بن علي بن النعمان ، فأُتزل عن دابته ورُمي به في
تلك النار حتى هلك^(٣) ، ولم يتقدَّم له مقدِّمة توجب ذلك^(٤) . ثم مرَّ كان
لم يصنع شيئاً .

ذكر أبي ركوّة وظهوره وما كان من أمره إلى أن قتل

كان ظهوره في سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، وأدعى أنه الوليد بن
هشام^(٥) بن عبد الملك بن عبد الرحمن الأموي ، وتلقَّب بالنائر بأمر الله

(١) باب الزهومة : من أبواب القصر الفاطمي الكبير الشرقي ، في آخر ركن القصر ، وكانت
حوائج الطعام تدخل من هذا الباب . ولذلك عرف باسم باب الزهومة ، أي باب الزفر -
المواظ والاعتبار ج ١ ص ٤٣٥ .

(٢) إضافة تنفق وسياى الكلام - انظر أيضاً اتعاظ الخنفا ج ٢ ص ٥٧ .

(٣) باب الزمرد : من أبواب القصر الفاطمي الكبير الشرقي ، وكان يتوصل منه إلى قصر الزمرد
فغرق به - المواظ والاعتبار ج ١ ص ٤٣٥ .

(٤) « ضربت رقبتة ثم أخرج بالنار » في اتعاظ الخنفا ج ٢ ص ٥٩ .

عن سبب قتل القاضي انظر اتعاظ الخنفا ج ٢ ص ٥٩ .

(٥) « من ولد هشام بن عبد الملك » في الكامل ج ٩ ص ١٩٧ .

والمنتقم من أعداء الله . ونحن الآن نذكر أخباره وابتداء أمره ، وكيف تنقلت به الحال إلى أن كان منه ما نذكره إن شاء الله تعالى .

كان مولده بالأندلس ونشأ بها ثم خرج منها بحال سيئة محبوب البلاد إلى أن وصل إلى القيروان ، ففتح بها مكتباً يعلم الصبيان فيه القرآن ، ثم توجه منها إلى الإسكندرية ومنها إلى مصر فأقام بها وبأريافها يعلم الصبيان ، ثم توجه إلى الفيوم وعلم بها الصبيان أيضاً ، وعاد إلى مصر ، وخرج إلى سبك الضحاك^(١) فترل به على رجل يعرف بأبي اليمن ، ثم نزل بقرنفل^(٢) وسار منها إلى البحيرة فترل على بنى قرة . وكان الحاكم قبل ذلك في سنة خمس وتسعين قد بعث إليهم جيشاً مقدمه أبو الفتيان التركي وقتل الحاكم بعضهم وحرّقهم بالنار ، فوجدهم قد أجمعوا على أن يلتقوه بجمعهم وبحاربه ، ولم يعلموا من يُقدّمونه عليهم ، فعرّفهم أبو ركة^(٣) أنه من بيت الخلافة ، فانقادوا إليه وبايعوه بالخلافة ، ونُعت^(٤) بأمير المؤمنين ، وانضاف إليهم من لوانة ومزاة وزنانة جمع كثير ، وجاءوا إلى مكان بالقرب من برقة .

فلما بلغ الحاكم أمره جهز العساكر لقضده ، فأول من خرج بها ينال الطويل التركي في منتصف شعبان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، فالتقوا

(١) سبك الضحاك : من القرى القديمة من أعمال المنوفية ، ويسمى العامة سبك التلات ، لأن سوقها الأسبوعي يتعقد يوم الثلاثاء — القاموس الجغرافي ق ٢ ج ٢ ص ٢١٧ .

(٢) قرنفل = قرانفل : من القرى القديمة — تابعة لمركز قلوب من أعمال القليوبية — القاموس الجغرافي ق ٢ ج ١ ص ٥٧ .

(٣) « وإنما كنى أبا ركة لركة كان يحملها في أسفاره ، سنة الصوفية » — الكامل ج ٩ ص ١٩٧ .

(٤) « وبعث » في الأصل ، والتصحيح يتفق مع ما جاء في اتعاظ الخفا ج ٢ ص ٦٠ ، وورد « وخاطبوا أبا ركة بالإمامة » في أخبار الدول المنقطعة ص ٤٥ .

واقْتَلَوْا ، فَقَتَلَ بَنَالٌ وَعَامَّةٌ مِّنْ مَّعِهِ مِنَ الْعَسَاكِرِ ، وَغَنَمُوا مَا مَعَهُمْ .
وَسَارَ أَبُو رَكُوةَ إِلَى بَرْقَةِ وَأَخَذَهَا بَعْدَ حَصَارٍ ، فَاسْتَفْجَلَ أَمْرَهُ .

وَشَرَعَ الْحَاكِمُ فِي تَجْرِيدِ الْعَسَاكِرِ إِلَيْهِ ، فَجَهَّزَهَا فِي شَهْرِ رَيْعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ
سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَعَلِيهَا ابْنُ الْأَرْمَنِیَّةِ ، فَسَارَ إِلَى الْمَكَانِ الْمَعْرُوفِ بِالْحِمَامِ ^(١) ، فَلَقِيَهُ
بَنُو قُرَّةَ فِي جَاعَتِهِمْ فَهَزَمُوهُ وَقَتَلُوهُ وَانْتَبَهَوْا مَا كَانَ مَعَهُ .

فَنَدَبَ الْحَاكِمُ عَسْكَرًا وَقَدَّمَ عَلَيْهِ أَبُو الْحَسَنِ ابْنُ فَلَاحٍ وَجَلِينَ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ
الْأَفْرَنْجِيَّةِ ، ثُمَّ نَدَبَ الْقَائِدَ أَبَا الْفَتْوحِ فَضْلَ بْنَ صَالِحٍ لِقِتَالِهِ ، فَخَرَجَ إِلَى
أَرْضِ الْجَبِيزَةِ فِي رَابِعِ شَوَالٍ وَأَنْفَقَ فِي الْعَسَاكِرِ ، وَكَوْتَبَ عَلِيُّ بْنُ الْجَرَّاحِ
بِالْوُصُولِ إِلَى الْحَضَرَةِ ، فَوَرَدَ مِنَ الشَّامِ فِي سَابِعِ عَشْرِ شَوَالٍ . وَوَرَدَ الْخَبِيرُ
بَنِيْبَ الْيَوْمِ ، فَبَعَثَ الْحَاكِمُ سَرِيَّةَ لِحَفْظِهِ ، وَسَارَ الْفَضْلُ بْنُ صَالِحٍ عَنْ
مَكَانِهِ إِلَى ذَاتِ الْكُومِ ^(٢) فِي رَابِعِ ذِي الْقَعْدَةِ ، وَكَسَرَ أَبُو رَكُوةَ عَسْكَرَ ابْنِ
فَلَاحٍ وَنَهَبَ سَوَادَهُ وَالْخِزَانَتَيْنِ الَّتِي مَعَهُ ، وَقَتَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ جَاعَةً ، فَاضْطَرَبَ
النَّاسُ وَاشْتَدَّ خَوْفُهُمْ ، وَبَاتُوا فِي الدِّكَائِكِ وَالشُّوَارِعِ . وَتَوَجَّهَ الْقَائِدُ فَضْلُ
لِلْمُقَاءِ أَبِي رَكُوةَ ، فَالْتَقِيَا بِمَوْضِعٍ يُعْرَفُ بِرَأْسِ الْبَرْكَةِ ، عَلَى نِصْفِ مَرِحَلَةٍ مِنْ
مَدِينَةِ الْيَوْمِ ، لثَلَاثِ خُلُوفٍ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ . وَاقْتَتَلَ الْعَسْكَرَانِ قِتَالًا شَدِيدًا
وَانْجَلَّتِ الْحَرْبُ عَنْ قَتْلِ عَامَّةِ عَسْكَرِ أَبِي رَكُوةَ . وَانْهَزَمَ أَبُو رَكُوةَ إِلَى بِلَادِ
النُّوبَةِ وَتَبِعَهُ الْفَضْلُ إِلَى الْأَعْمَالِ الْقَوْصِيَّةِ .

(١) الْحِمَامُ : مِنَ الْقُرَى الْقَدِيمَةِ ، غَرْبِي الْأَسْكَندَرِيَّةِ بِنَحْوِ ٧٤ كَمِ عَلَى السَّكَّةِ الْمَوْصُولَةِ بَيْنَ
الْإِسْكَندَرِيَّةِ وَمَرْسَى مَطْرُوحٍ - الْقَامُوسُ الْجُغْرَافِيُّ ق ٢ ج ٤ ص ٢٤٩ .

(٢) ذَاتُ الْكُومِ : مِنَ الْقُرَى الْقَدِيمَةِ بِمَرْكَزِ إِمْبَابَةِ ، مِنْ أَعْمَالِ الْجَبِيزَةِ - الْقَامُوسُ الْجُغْرَافِيُّ ق ٢
ج ٣ ص ٦١ .

وذكر بعض المؤرخين أن الحاكم لما أعياه أمره دس إليه جماعة من أولياء دولته وأمرهم بطاعته ، وأن يذكروا انحرافهم عن الحاكم بسبب قتله لهم ، ففعلوا ذلك ، فاعتر به ^(١) ، ووصل معهم إلى أوسيم على ثلاثة فراسخ من القاهرة ، فالتقى هو والفضل كما ذكرنا ، وأتبعه ، فبلغه أنه وصل إلى بلاد النوبة فكذب إلى متملكها يقول إن عدو أمير المؤمنين الحاكم في بلادك ، وكتب إلى صاحب الجبل وهو نائب صاحب دنقلة ومقره بيلد الدو ^(٢) فيما بين دنقلة وأسوان . وندب الفضل من العسكر من توجه لقبضه ، وكان المساعد على مسكه الشيخ أبوالمكارم هبة الله ، شيخ بني ربيعة وقيل إنه وجد في دير يعرف بدير أبي شنودة في أطراف النوبة ، فمسلك . وكان الطعن به في شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين وثلاثمائة .

وعاد القائد فضل إلى القاهرة فوصل إلى بركة الحبش في يوم الجمعة ، النصف من جمادى الآخرة منها ، وتلقاه أكابر الدولة الحاكمة ، وركب في سابع عشر الشهر وأبوركوته على جمل وعلى رأسه طرطور ، وطيف به على هذه الصفة وخلفه قرد يصفعه ^(٣) ، ثم صلب [٥٥] وضربت عنقه وجُهِزَت

(١) انظر اتعاظ المنفا ج ٢ ص ٦٢ .

(٢) الدو . وتسمى أيضا الدر ، بلدة قديمة من بلاد النوبة . وإليها ينسب مركز الدر بمحافظة أسوان — القاموس الجغرافي ق ١ ص ٥٨ .

(٣) « وكان يصر رجل شيخ يعرف بالإيزارى ، ومن عادته إذا خرج خارجي أن يصيغ طرطوراً كبيراً باللون الصبيغ ، ويعلق عليه من أصناف الخرق الملونة ، ويتنازع قرداً ويعلمه أن يصفع الطرطور بدرة يتخذها له ، فإذا ظفر بالخارجي وأريد إشهارة أركب جلاً وأحضر الإيزارى ، ورسم له أن يلبس الطرطور ، ويقوم القرد من خلفه يصفعه بالدرة ، ويركب معه على الجمل . وينادى عليه يميناً وشمالاً حتى يشاهده الناس إلى الموضع الذي يقتل فيه ، فإذا فرغ من ذلك أطلق له مائة دينار وخمس قطع ثياب على رسم ثابت في الديوان » — أخبار الدول المنقطعة ص ٤٧ . وانظر أيضاً النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢١٦ .

رأسه إلى البلاد .

ونقل بعض المؤرخين أنه اعتُبرت الأكياس التي خرجت مع القائد فُضِّلَ لَمَّا خرج للقاء أبي زكوة ، وكان زنتها فوارغ خمسة وعشرين قنطاراً . وقيل إن جملة ما أنفق ألف ألف دينار والله أعلم .

وفي سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة أمر الحاكم بقتل أصحاب الأنصار حينما وجدوا ، وذلك أن كان قد قتل خلقاً كثيراً لسعايتهم ، ثم أطلع على خيانتهم وأنهم ضيروا ذلك معيشة ، فقتلهم عن آخرهم .

وفيهما أمر بهدم كنيسة قمامة بالبيت المقدس ، فكتب ابن خيران صاحب ديوان الإنشاء في ذلك مخرج أمر الإمامة بهدم كنيسة قمامة ^(١) ، فليُصير طولها عرضاً ، وسقفها أرضاً .

وفي سنة ثمان وتسعين أيضاً ، في سابع عشرين ^(٢) شعبان ، عزل القائد حسين بن جوهر عن جميع ما كان يتولاه ، وكتب سجل بتوليته صالح بن علي بن صالح الروزباري فانصرف الحسين إلى داره وأمر بلزومها ، ثم خلع عليه وركب في رابع عشر جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ^(٣) .

وفي سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، في يوم الجمعة التاسع من شهر رمضان ، حضر الناس إلى القصر وقرئ سجل لصالح بن علي لقب فيه بثقة الثقات للسيف والقلم ، وخلع عليه ، وقيد بين يديه بغلات وخيل .

(١) كنيسة قمامة = كنيسة القمامة : وأصل تسميتها بالقمامة يرجع إلى أن القبر المقدس في عل الموضع الذي كانت توضع به القمامة خارج سور بيت المقدس ، وهو الموضع الذي يقال أن المسيح صلب فيه — معجم البلدان .

(٢) « في يوم الجمعة سابع شعبان » في انعاظ الحنفية ج ٢ ص ٧٢ .

(٣) في تاسع عشر ذي القعدة سنة ٣٩٨ هـ . في انعاظ الحنفية ج ٢ ص ٧٤ .

وفيه مرض الحاكم فداواه بن معشر ، فأعطاه عشرة آلاف دينار .
وفيه سخط الحاكم على وزيره ابن المغربي وقتله ، وقتل أخاه وابنه ،
وهرب ابنه الآخر إلى الشام .

وفيه في تاسع عشر ذى الحجة أمر الحاكم بهدم كنائس القنطرة التي في
طريق المقدس وكنائس حارة الروم ، فهُدم جميع ذلك .

وفي سنة أربع مائة ، في يوم الخميس حادى عشر شهر رمضان ، جمع
الأولياء . وأصحاب الدواوين في صحن الإيوان بالقصر ، وخلع على أبي
نصر بن عبدون ، وقرئ سجله ، ولقب بالكافي ، وولى مكان صالح بن
علي بن صالح الروزباري . وكانت مدة ولاية صالح سنتين وأربعة عشر
يوماً .

ذكر خروج آل الجراح على الحاكم ومتابعهم لأبي الفتوح الحسن بن جعفر الحنفى وما كان من أمرهم

كان سبب ذلك أن نصر بن عبدون كان بينه وبين بنى المغربي عداوة
متمكنة ، فسعى بهم عند الحاكم وأغراه ، إلى أن أمر بضرب أعناقهم ،
وذلك في ثالث ذى القعدة سنة أربع مائة ، فقتل أخوى الوزير وولده وثلاثة
من أهل بيته ، واستتر الوزير أبو القاسم بن المغربي وهرب إلى الشام ، في تاسع
ذى القعدة منها ، والتجأ إلى حسان بن المفرج بن دغفل بن الجراح ،
واستجار به فأجاره ، وأنشده عند دخوله عليه :

أَمَّا وَقَدْ خِيَمْتُ وَسَطَ الْغَابِ فَلْيَقْسُونِ عَلَى الزَّمَانِ عَتَابِي
يَتَرْنَمُ الْفُلُودُ دُونَ مُخِيْمِي وَتَرَعَزُ الْخِرْصَانُ دُونَ قِيَابِي
وَإِذَا بَنَيْتُ عَلَى الثَّنِيَّةِ خِيْمَةً شُدَّتْ إِلَى كَسْرِ الْقَنَا أَطْنَابِي

وهي قصيدة مطولة مدح بها آل الجراح . فلما سمعها حسان هش لها
وجدد من القول ما طاب به قلب الوزير وسكن جأشه .

ثم حسن ابن المغربي لبني الجراح أن يخرجوا عن طاعة الحاكم ، فوافقوه
على ذلك ، وقتلوا نارتكين أحد الأمراء الحاكمة المقيم بالرملة ، ثم حسن لهم
أن يقيموا أبا الفتح الحسن بن جعفر الحسني خليفة ، وهو أمير الحرمين
يومئذ^(١) ، وأن يحضروه من مكة ، فأجابوه إلى ذلك ، وأسلوا إلى مكة
وأحضروه إليهم . فلما قرب أبو الفتح من ديار بني الجراح خرجوا إليه
وتلقوه ، وقبلوا الأرض بين يديه ، وبايعوه بالخلافة ولقبوه الراشد بالله .
فحينئذ صعد أبو القاسم بن المغربي المنبر وخطب خطبة يحرض الناس فيها على
الخروج على الحاكم ، فأشار إلى مصر وقرأ : ﴿ طَسَمَ * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ
الْمُبِينِ * نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * إِنَّ فِرْعَوْنَ
عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِيعُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِعُ أِبْنَاءَهُمْ
وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ
اسْتَضَاعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُكِّنْ لَهُمْ فِي

(١) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٤٩ . المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١٥٧ .

الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا [مِنْهُمْ] ^(١) مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ^(٢).

فلما سمع الحاكم ذلك أزعجه ، فندب الجيوش لقتالهم ، مع ياروخ تكنن العزيزي ، فاعترضه حسان بين رفح والداروم ^(٣) ، والتَقُوا واقتتلوا ، فانهمزت أصحاب ياروخ تكنن ، وأسر هو ونقل إلى الرملة ، وسمع غناء جواريه وحظاياها بحضوره وهو مقيدٌ معه في المجلس ، وارتكب معه الفواحش العظيمة ، ثم قتله صبراً بين يديه .

وبقي الشام لبني الجراح . فشرع الحاكم [٥٦] يأخذهم بالملاطفة ، ورأسلهم ، وبذل لهم الرغائب والأموال ، والألقمة والجواري ، وقرّر لكل واحدٍ منهم خمسين ألف دينار عيناً ، واستألمهم عن أبي الفتوح . فاتصل ذلك بأبي الفتوح ، فقال لهم : إن أخى قد خرج بمكة ، وأخاف أن يستأصل ملكي بها . فأعادوه إلى مكة في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعمائة . وكان الحاكم قد أرسل إلى الوزير أبي القاسم بن المغربي وكتب له أماناً واستألمه ، وبني على أهله ثرباً في القرافة وهي ^(٤) ست ثرب ، وتعرف بالسبع قباب إلى هذا الوقت .

ولما ورد أمان الحاكم على أبي القاسم وهو مقيمٌ عند بني الجراح أجابه برسالةٍ وضمنَ أولها بيتين :

(١) [إضافة لاستكمال الآية .

(٢) سورة القصص رقم الآيات ٦ - ٦ .

(٣) الداروم = الدارون : قلعة بين غزة والعريش ، على ساحل البحر — معجم البلدان .

(٤) « وهم » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

وَأَنْتَ ، وَحَسْبِيَ أَنْتَ ، تَعْلَمُ أَنَّ لِي لِسَانًا أَمَامَ الْمَجْدِ يَتْنِي وَيَهْدُمُ^(١)
وَلَيْسَ كَرِيمًا^(٢) مِنْ ثُبَاسٍ يَمِينُهُ فِيرِضِي ، وَلَكِنْ مِنْ يُعْصُ قَبِيحُكُمْ

وَسَأَلَ آلَ الْجَرَّاحِ أَنْ يَجْهَزُوهُ إِلَى الْعِرَاقِ فَجَهِزُوهُ مَعَهُ مِنْ أَخْرَجَهُ مِنْ بِلَادِ
الْمَغَارِبَةِ ؛ وَعَادَ بَنُو الْجَرَّاحِ إِلَى طَاعَةِ الْحَاكِمِ . وَأَقَامَ ابْنُ الْمَغْرَبِيِّ بِالْعِرَاقِ إِلَى
أَنْ تَوَفَّى بِمِيَّافَارَقِينَ^(٣) فِي سَنَةِ ثَمَانٍ عَشْرَةٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ؛ وَحُمِلَ إِلَى الْكُوفَةِ فَدُفِنَ
بِهَا . وَلَمَّا فَارَقَ آلَ الْجَرَّاحِ قَدَمَ بَغْدَادَ وَتَقَلَّدَ الْوِزَارَةَ لِمُشْرِفِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ كَمَا
ذَكَرْنَا ذَلِكَ فِي أَنْبَاءِ الدَّوْلَةِ الْبُوَيْهِيَّةِ^(٤) .

ذِكْرُ تَقْرِيطِ السَّفَارَةِ وَالْوَسَاطَةِ لِأَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْقَشُورِيِّ وَقَتْلِهِ

وَفِي سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِمِائَةٍ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ رَابِعِ الْحَرَمِ اسْتَدْعَى الْحَاكِمُ
النَّاسَ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ إِلَى الْقَصْرِ فَرَكِبُوا^(٥) مَعَهُ إِلَى خَارِجِ بَابِ الْفَتْوحِ ، ثُمَّ عَادَ
إِلَى قَصْرِهِ وَأَمَرَ مِنْ مَكَانٍ بِالْمَوَكِبِ بِالتَّرْوَلِ إِلَى الْقَصْرِ ، فَتَرَلُّوا وَحَضَرُوا فِي
الْإِيوَانِ . فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِ الْحَاكِمِ خَادِمٌ فَأَخَذَ بِيَدِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفِ
بِالْقَشُورِيِّ^(٦) الْكَاتِبَ وَأَخْرَجَهُ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ ، ثُمَّ عَادَ الْقَشُورِيُّ وَقَدْ خُلِعَ

(١) « نَبِيٌّ وَنَهْدَمُ » فِي الْأَصْلِ .

(٢) « وَلَيْسَ كَرِيمٌ » فِي الْأَصْلِ .

(٣) مِيَّافَارَقِينَ : مَدِينَةٌ بِدِهْلَوِ بَكْرِ فِي إِقْلِيمِ الْجَزِيرَةِ شِمَالِ الْعِرَاقِ — مَعْجَمُ الْبَلَدَانِ .

(٤) انْظُرْ نِهَاجَةَ الْأَرْبِ جَد ٢٦ ص ٢٤٦ وَمَا بَعْدَهَا .

(٥) « فَرَكَبَ » فِي الْأَصْلِ .

(٦) انْظُرْ اتِّعَاطَ الْحَنْفَا جَد ٢ ص ٨٤ وَمَا بَعْدَهَا .

عليه وييده سجلّ ، فأخذه أبو على العباسي الخطيب وقرأه على الناس ، فإذا هو يتضمن تقليده السفارة والوساطة بين الناس وبين الحاكم ، وتفويض الأمور إليه . وصرف ابن عبدون . وأقام [القشوري]^(١) إلى الثالث عشر من الشهر ، فقبض عليه وقت الظهر وهو في مجلس ولايته ، وضربت رقبتة ، ولُفّ في حصير ورمي . فكانت ولايته عشرة أيام . وكان سبب ذلك إكرامه للقائد حسين بن جوهر وتعظيمه له وكثرة سؤاله الحاكم في معناه .

وفوضت هذه الوظيفة في يوم الأحد رابع عشر الشهر لأبي الخير زُرعة^(٢) ابن عيسى بن نسطورس النصراني الكاتب ، على عادة من تقدّمه ، ولم يخلع عليه إذ ذاك ، ثم خلع عليه في سابع عشر شهر ربيع الآخر منها .

وفي السادس والعشرين منه قُرىّ بجامع مصر سجلّ يتضمن انتهى عن معارضة الحاكم فيما يفعله ، وترك الخوض فيما لا يعني ، وإعادة حتى على خير العمل في الأذان ، وإسقاط الصلاة خير من التوم ، وانتهى عن صلاة التراويح والضجى .

وفي ثاني عشر شهر جمادى الآخرة دخل قائد القواد الحسين بن جوهر ، والقاضي عبدالعزيز بن النعمان إلى القصر ، وكان قد خلع عليها في ثاني صفر ، فلما أراد الانصراف بعث إليها زُرعة بن نسطورس يقول إن الخليفة يريدكما لأمر يختاره . فجلسا حتى أنصرف الناس ، فقتلا وقتل معها أبو على أخو الفضل بن صالح ، ووقعت الحوطة على دارهم .

(١) [إضافة للتوضيح .

(٢) « ولقب الشاق » ، وتوفي سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م — الإشارة ص ٢٨ .

وفي سنة إحدى وأربعمئة قامت دعوة الحاكم بالمدائن ، وهي على نصف مرحلة من بغداد ، وخطب له بمدينة الأنبار وقصر ابن هبيرة^(١) من العراق بدخول مالك بن عقيل بن قراوش بن المقلد^(٢) في طاعته وإظهار تشييعه ، وذلك في أيام الخليفة القادر العباسي^(٣) . ثم بلغ قراوش بن المقلد اختلال أمر الحاكم وقتله أرباب دولته وأن المانغوليا غلبت عليه ، فأعاد الخطبة القياسية

وفيها قام بدعوة الحاكم بمدينة الجامعين وهي الحلة^(٤) وماجاورها من العراق الأمير على^(٥) بن مزيد الأسدي ، وكان قد هزم خفاجه واستولى على بلادهم ونحطب فيها للحاكم .

وفي سنة اثنتين وأربعمئة تاب الحاكم ونهى عن شرب الخمر وعن كل ما يعمل منه ، كالزبيب والعسل ، ونهى المغاني ، وحرم الملوخيا . ومنع أن تُقبل الأرض بين يديه ، وأن تُقبل يده ، وأن يخاطب بمولانا ، واقتصر على قولهم السلام على أمير المؤمنين .

(١) قصر ابن هبيرة = الهاشمية : بالكوفة - معجم البلدان .

(٢) من الأسرة العقيلية التي حكمت الموصل وغيرها ، وهو عقيل قبيلة عربية كهبرة ، فهي إحدى القبائل الخمس التي يتكون منها بنو كعب . وكان حاكم الموصل في ذلك الوقت معتد الدولة أبو المنيع قراوش بن المقلد ، والذي ولي أمر الموصل في الفترة ٣٩١ - ٤٤٢ هـ / ١٠٠١ - ١٠٥٠ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

(٣) هو أبو العباس أحمد القادر بالله ، ولي الخلافة العباسية في بغداد في الفترة ٣٨١ - ٤٢٢ هـ / ٩٩١ - ١٠٣١ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢ .

(٤) الحلة : تقع في مواجهة مدينة « الجامعان » أو الجامعين ، على نهر الفرات بالعراق . وكانت تعرف بحلة بني مزيد أو الحلة السفينة - معجم البلدان .

(٥) هو على بن مزيد الأسدي . سند الدولة ، الذي ولي حكم الحلة في الفترة من ٤٠٣ - ٤٠٨ هـ / ١٠١٢ - ١٠١٧ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .

وفي سنة ثلاث وأربعمائة قطعت كروم العنب بأسرها ورُميت إلى الأرض
ودُرست بالبقر ، وجمع ما كان من الخمر بالمخازن وأهريق في البحر . وفيها
كسرت جرار العسل ، وأمر اليهود والنصارى بلبس العمام السود إلا الجبابرة ،
ومنعوا أن يستخدموا [٥٧] المسلمين ، وأن يركبوا مع المكارية ؛ وإذا دخل
النصارى الحمام يكون الصليب في عنقه ، واليهودى الجلجل ، ثم أفرد بعد
ذلك حمامات للنصارى وحمامات لليهود ، وأسلم جماعة من النصارى في شهر
ربيع الأول .

وفيها في شهر ربيع الآخر شدّد الحاكم على النصارى واليهود في حمل
الصُّلبان ، وأن يكون الصليب في طول ذراع وزنته خمسة أرتال^(١) ، فلما أضرَّ
ذلك بهم دخلوا في دين الإسلام .

وفيها في شهر رمضان أمر الحاكم ببناء مُصلّى العيد^(٢) بسفح المُقطم
وأحسن بناءه ، وكان قبل ذلك ضيقاً صغيراً ، فهدمه الحاكم وبناه على
ما هو عليه الآن .

ذكر هدم كنائس الديار المصرية

وفي العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعمائة أمر الحاكم بهدم
جميع الكنائس بالديار المصرية فسأل جماعة من النصارى أن يتولوا هدم
كنائسهم بأيديهم وأن يبنوها مساجد ، فوهب الحاكم جميع الكنائس بجميع

(١) سبق أن حدد بعشرة أرتال — انظر ما سبق في أحداث سنة ٣٩٤ هـ .

(٢) مصلّى العيد : شرقي القصر الكبير ، من خارج باب النصر — المواقظ والاعتبار ج ١ ص

ما فيها من أواني الذهب والفضة وغيرها من الخواصل والمآكل ومآلها من رِباعٍ وأملاكٍ لجماعة من الصَّقالبة والفرَّاشين والسعدية ، ولم يَرُدَّ من سألَه شيئاً منها ، وكُتِبَ كلُّ متصرِّفٍ في عملٍ من الأعمال بهَدَمَ ما في عمله من الكنائس . فهُدِمت من جميع أعمال الديار المصرية .

وفي ثالث شهر رجب منها قرئَ سجلٌ بتخييس ضياعٍ ومواضعٍ عن الفقهاء والفقهاء والمؤذنين بالجوامع .

وفي رابع عشر جمادى الآخرة منها أمر الحاكم بعمل رصد^(١) بالقراقة ، فترل القاضي مالك بن سعد وأشرف على الرصد وابتدأ بعمله ولم يتم .

ذكر البيعة بولاية العهد لأبي القاسم عبد الرحيم

وفي ثالث شهر ربيع الأول . سنة أربع وأربعائة^(٢) عهد الحاكم بولاية العهد بعده لابن عمه أبي القاسم عبد الرحيم بن إلياس بن أحمد بن المهدي . فُبِيعَ بولاية العهد ، وكُتِبَ اسمه على السكة ، ودُعِيَ له على المنابر .

وفيها منع الحاكم نساء من الخروج مطلقاً ليلاً أو نهاراً ، ومن دخول الحمامات ، وطلوع الأسطحة ، ومنع الأساكفة من عمل الخفاف هن ، وشدد في ذلك . فشكى إليه التجار من ذلك ، فأمرهم أن يحملوا ما يبيعونه

(١) الرصد : مكان مرتفع لرصد الكواكب ، أنه الأفضل بن بدر الجمالي - المواعظ والاعتبار

ج ١ ص ١٢٥ وما بعدها .

(٢) « وسبعائة » في الأصل . وهو تحريف .

في الأسواق ويطوفوا به في الدروب وبيعوا النساء ، وأن يكون للمرأة شيء مثل المعرفة بساعد طويل تتناول به ما يتناوله من الرجل . ثم أمر بإطلاق العجائز والإماء في يوم الخميس تاسع شهر رمضان منها ، فخرج بعض النساء إلى القصر داعيات للحاكم . فعلم بهن فأعاد المنع والتشديد في يومه ، ولم يسمح إلا للنساء المتطلعات للشرع ، والخارجات للحج ، والإماء للبيع ، والأرامل ، وغواسل الأموات ، والأرامل اللواتي يبعن الغزل .

ذكر إحراق مصر وقتل أهلها .

كان سبب ذلك أن الحاكم ركب في ذى القعدة سنة عشر وأربعمائة . فوجد صورة امرأة مرتدية غسست من قراطيس ، وفي يدها جريدة عليها ورقة فيها سب للحاكم وأسلافه وذكره بقيح الفعال . فلما وقف عليها أمر بنهب مصر وحرق بعض دورها . وفرق السلاح على السودان والعبيد ، فبادروا إليها وفعلوا ما أمرهم به . فقام أهلها وقاتلوا قتالاً شديداً ثلاثة أيام ، ثم أرسلوا إلى الحاكم يستقبلون فلم يقبلهم ، فعاودوا القتال ، وأحرق من مصر جانب جيد . فلما رأى الحاكم أن الأمر يؤول إلى التلايف كف عنهم بعد أن تلف من العقار ما لا تُحصى قيمته ، وسير عياداً الصقلي إليها في جماعة من الجند لنسكين الفتنة ، فشهد أمراً عظيماً ، فعاد إلى الحاكم وذكر له قُبْح النَّازِلَةِ وَعِظَمُ الْفَادِحَةِ وقال : لو أن بسيل ملك الروم دخل مصر لما استحسن أن يفعل فيها هذا الفعل . فغضب الحاكم من كلامه وأمر بقتله . فقتل .

وفي سنة عشر وأربعمائة أمر الحاكم وولّى العهد ، عبد الرحيم بن إلياس . بالخروج إلى دمشق والبا عليها ، ثم عزله في شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وأربعمائة .

وفي شهر رجب [٥٨] منها اشتد غضب الحاكم على أهل مصر فأحرق الساحل ، ووقع التهب في الأسواق والقياسر^(١) .

وسندكر إن شاء الله السبب الذي أوجب خروج الحاكم على أهل مصر إلى أن فعل بهم ما فعل .

ذكر غيبة الحاكم بأمر الله وعدمه
والسبب الذي نقل في إعدامه ، وشيء من أخباره وسيرته
غير ما تقدم

قال المؤرخ : لما كان في آخر ليلة الاثنين السابع والعشرين من شوال سنة إحدى عشرة وأربع مائة ، ركب الحاكم حمّاه وخرج على جاري عاداته ، فأصبح عند قبر الفقاعي^(٢) بقرافة مصر وردّ من كان معه ، ففقد من ذلك الوقت . ولم يزل الناس يخرجون ويلتمسون رجوعه إلى يوم الخميس سلخ الشهر ، ثم خرج مظفر حامل المظلة في يوم الأحد الثالث من ذي القعدة ومعه جماعة الأمراء والكتّامين إلى حلوان . وأمعنوا في الكشف . فبينما هم كذلك إذ بصرُوا بالحمار الذي كان الحاكم قد خرج عليه وهو على قرنة الجبل ، وقد ضربت يداه بالسيف فأثر فيهما ، فشجّ الأثر فإذا أثر الحاكم وأثر آخر خلفه وآخر أمامه ، فقصّوه حتى انتهوا إلى بركة القصب شرقي حلوان ، فأنزلوا

(١) « القياسير » في الأصل .

(٢) « الفقاعي » في الأصل . والتصحيح من كنز الدرر ج ٦ ص ٢٩٩ ، النجوم الزاهرة : ج ٤

ص ١٨٥ ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٩٧ .

وعن تربة الفقاعي انظر الكواكب السيارة .

رجلاً من الرّجاله فوجد ثياب الحاكم في البركة ، وهى سبع جباب ^(١) مزرّة لم تُحلّ أزرارها ، وفيها آثار السكاكين ، فعادوا إلى القصر ولم يشكّوا في قتله .
وأما السبب الذى نُقِلَ في إعدامه فقالوا : كان السبب في ذلك أنّ ستّ ملك أخت الحاكم وقع بينها وبينه ، فتكرّ لها وهمّ بقتلها . وكرهت أموراً صدرت منه منها أنه رأى بعض قهارميتها داخلة إلى القصر ، فقال لها : قد سمعت أنّكم تجمعون الجموع وتدخل إليكم الرجال ، والله لأقتلنكم أجمعين . ^(٢) وتكرّر هذا القول منه ، فأعملت ستّ الملك الحيلة في إعدامه ، وخرجت ليلاً إلى دار الأمير سيف الدين حسين ابن دؤاس ^(٣) ، فلدخلت عليه واختلت به وعرفته بنفسها أنها ابنة العزيز بالله أخت الحاكم ، فعظّمها ، وبالع في إكرامها . فقالت له : إنّك قد علمت ما فعل أخى وما صدرَ منه من سفك الدماء وقتل الأولياء ووجوه الدّولة بغير سبب ، وقد عزم على قتلك وقتلى . فقال لها : فكيف الحيلة في أمره ، فأشارت : أن تُجهز إليه رجالاً يقتلونه إذا خرج إلى حلوان فإنه ينفرد بنفسه هناك ، ووعدته أن يكون هو المدبّر لدّولة ولده والوزير لها . فاتفقا على ذلك ومخالفا عليه ، ورَجَعَت هى إلى قصرها .

فلما ركب الحاكم وانفرد عند وُصوله إلى المقطم على عادته ، كان ابن وّاس قد أحضر عشرة من العبيد ، وأعطى كلّ واحدٍ منهم خمسمائة دينار ، وحلقهم ، وعرفهم كيف يقتلونه . فسبقوه إلى الجبل في تلك اللّيلة ، فلما

(١) « أربع جباب » في كنز الدرر ج ٦ ص ٣٠٠ .

(٢) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٥٧ — ٥٨ ، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٨٥ .

(٣) كان رئيس الكتامين ، وكان قد حلف ألا يدخل القصر خيفة من الحاكم — أخبار الدول المنقطعة ص ٥٧ ، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٨٥ .

انفرد خرجوا عليه وقتلوه بالمكان الذي ذكرناه ، وخرج الموكب لتلقيه على العادة ، فطال انتظارهم له فلم يرجع ، فعادوا ، ثم خرجوا ثانياً وقصّوا الأمر ، فوجدوا حماره وثيابه ، كما ذكرناه ، فعادوا إلى القصر وطلبوه من أخته ست الملك وقالوا : إن مولانا ما جرّت عادته بهذا . فقالت لهم : إن رفعت قد وصلت إلينا أنه يأتي بكرة الغد . فتفرقوا . فبعثت الأموال إلى وجوه الدولة والقواد على يد ابن دؤاس ، وبقى الأمر مستمراً والحال متمسكاً إلى عاشر ذي الحجة من السنة ، فجرى بين العساكر وبين ست الملك كلام كثير أوجب أنها أخرجت إليهم ولده أبا الحسن عليّاً في يوم الأضحى فباعه الناس ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى في أخباره . هذا ما حكى في سبب إعدامه .

وأما سيرته وأفعاله وأخباره ، فقد قدّمنا منها على حكم السنين ما قدّمنا ، فلنذكر خلاف ذلك .

قال المؤرخ : كان الحاكم سبيّ الاعتقاد ، كثير التقلّب من حال إلى حال . كان في ابتداء أمره يلبس الثياب الفاخرة والمذهبة ، والعائم المنظومة بالجواهر النفيس ، ويركب في السروج المخلّاة ، ثم ترك ذلك على تدرّج أن ينتقل منه إلى لباس المُعلم غير المذهب ، ثم لباس الساذج ، ثم زاد به الأمر حتى لبس الصوف والشواشي وركب الحمير ، وأظهر الزهد ، وكثر استطلاعاه على أخبار الناس ، فلم يخفّ عليه خبر رجل ولا امرأة من حواشيه ورعيّته وكان يأخذ بيسير الذنوب ، ولا يملك نفسه عند غضبه ؛ أفنى خلقاً كثيراً ، وأقام هبة عظيمة . وكان مع طُعيانه المستمرّ وفنّكه ، وسفكه للدماء ، وظلمه ، يركب وحده تارةً وفي الموكب أخرى ، وفي المدينة طوراً وفي البريّة آونة ، والناس كافّة على غاية الهيبة له والخوف منه ، وهو بينهم كالأسد

الضاري^(١)

ثم عَنَّ له أن يدعى الإلهية ، ويصرَّح بالحلُول والتناسُخ : ويحمل الناس عليه . وألزم الناس أن يسجدوا له مدة إذا دُكر ؛ فلم يُذكر في محفل أو غيره إلا سجد من سمع بذكره ، وقبل الأرض إجلالاً له [٥٩] . ثم لم يرضه ذلك^(٢)

فلما كان في شهر رجب سنة تسع وأربعمائة ظهر رجل يقال له حسن ابن حيدرة الفرغاني الأخرم يرى حلُول الإله في الحاكم ويدعو إلى ذلك ، ويتكلم في إبطال النبوة^(٣) ، ويتأول جميع ما وردت به الشريعة^(٤) . فاستدعاه الحاكم [وقد كثر تبعه]^(٥) وخلَّع عليه خلعا سنّية ، وحمله على فرسٍ بسرجه ولجامه ، وركبه في موكب [وذلك]^(٦) في ثاني شهر رمضان منها . فبينما هو يسير في الموكب في بعض الأيام تقدّم إليه رجلٌ من الكرخ [وهو على جسر طريق المقدس]^(٧) فألقاه عن فرسه ، ووالى الضرب عليه حتى قتله [وارتج الموكب]^(٨) ، وأمسك الكرخي فأمر الحاكم بقتله ، فقتل لوقته ونهب الناس دار الأخرم في القاهرة . وكان بين الخلع عليه وقتله ثمانية أيام^(٩) . ثم ظهر رجل من دعائه في سنة عشر وأربعمائة يقال له حمزة اللباد ، أعجمي من الزوزن ، ولازم الجلوس في المسجد الذي عند سقاية ريدان خارج باب

(١) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٥٠ - ٥١ .

(٢) المصدر السابق ص ٥١ .

(٣) « النبوات » في أخبار الدول المنقطعة ص ٥١ .

(٤) « ما ورد في الشريعة » في أخبار الدول المنقطعة ص ٥١ .

(٥) ، (٦) ، (٧) ، (٨) إضافة من أخبار الدول المنقطعة ص ٥١ .

(٩) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٥١ - ٥٢ .

النصر ، وأظهر الدعاء إلى عبادة الحاكم وأنّ الإله حلّ فيه . واجتمع إليه جماعة من غلاة الإسماعيلية ، وتلقّب بهادى المُستجيبين . وكان الحاكم إذا ركب إلى تلك الجهة خرج إليه من المسجد وانفرد به وحادثه ، وتمادى على ذلك وارتفع شأنه ؛ واتخذ لنفسه خواصّ لقبهم بالقباب ، منهم رجل لقبه بسفير القدرة وجعله رسولا له ، وكان يُرسله لأخذ البيعة على الرؤساء على اعتقاده في الحاكم ، فلم يمكنهم مخالفتُه خوفاً على نفوسهم من بطشه ^(١) .

ثم نبغ شابٌ من مولدى الأتراك اسمه أنوشكين النجارى ^(٢) ، ويعرف بالذرزى ، فسلك طريق الزوزنى وكثرت أتباعه . وكان الحاكم أيضاً يقفُ معه ويخلو به ؛ وسَمّى نفسه سنّد الهادى ^(٣) وحيّاة المستجيبين . واستمر الأمر على ذلك إلى الثانى عشر من صفر ، سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، فاجتمع جماعة من أصحاب حمزة الزوزنى على خيول ويغال ، ودخلوا الجامع العتيق رُكباً وهم يعلنون بمذهبهم ، وجاء ثلاثة منهم إلى الموضع الذى يجلس فيه قاضى القضاة ، والمنحاكمون جلّوس ، ينتظرونه ، فتكلّموا بكلامٍ أنكره الناس وضجّوا بالتكبير والتهليل والثناء على الله عزّ وجلّ ، واجتمع أهل مِصرَ بالجامع من كلّ جهة ، ومضى بعضُ الناس للقاء القاضى فلقوه وعرفوه ماجرى ، فجاء إلى المجلس ، فتقدّم إليه أحد الثلاثة فناوله رُقعةً من الزوزنى ^(٤) فى أولها : « بسم الحاكم الله الرحمن الرحيم » يأمره فيها بالاعتراف

(١) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٥٢ .

(٢) « البخارى » فى أخبار الدول المنقطعة ص ٥٣ .

(٣) « الهادين » فى أخبار الدول المنقطعة ص ٥٣ .

(٤) « أربع عشرة » فى أخبار الدول المنقطعة ص ٥٣ . وهو تحريف .

(٥) « الروزة » فى الأصل ، والتصحيح من أخبار الدول المنقطعة ص ٥٣ .

بإلهية الحاكم . فلم يُجبه القاضى بشئ سوى أن قال حتى أدخل إلى حضرة مولانا فطاوآله الكلام ، فقتله العوام وقتلوا رفيقيه والجماعة الذين بالجامع أُبْرَحَ قتل . ووئب العوام على قوم كانوا يعرفونهم بهذا المعتقد فقتلوا من وجدوه منهم وحرقوهم (١) .

فلما اتصل ذلك بالحاكم أمر بعزل أصحاب الشرط وولى غيرهم ، وأمرهم بطلب من اعتدى على أصحاب الزوزنى ، فقبضوا على جماعة منهم يناهزون الأربعين ، فقتلوا في أوقات متعددة . واجتمع الأتراك وقصدوا دار الزوزنى فغلقتها عليه وعلى من عنده ، وقاتلهم من أغلاها ، فهذموها ونهبوا ما فيها ، وقتلوا نحوًا من الأربعين رجلاً ممن كان معه فيها . وفر الزوزنى فلم يُقدّر عليه ، ودخل إلى القصر ، فأخفاه الحاكم فيه . فاجتمع الأتراك ولبسوا سلاحهم وطلبوه من الحاكم ، فوعدهم بتسليمه لهم ، فانصرفوا . ثم ركبوا في اليوم الثانى وطلبوه منه ، فخرج جوابه لهم أنه قتل ، فرجعوا إلى ريدان في طلب الزوزنى فلم يجدوه . وأظهر الحاكم الغضب على كافة الجند طول شهر ربيع الأول ، ثم رضى عنهم في الرابع من شهر ربيع الآخر .

ونحقق [الحاكم] (٢) أن أول من جرّأ عليه العسكر وحملهم على قتل دُعاته أهل مصر ، فأمهلهم حتى دخل جمادى الآخر ، ثم ابتدأ في التدبير عليهم .

فأول ما عمل أن سَلَطَ عليهم الرّجالة ومُقدّمى السودان وغيرهم ، وقرّر

(١) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٥٣ .

(٢) [إضافة من أخبار الدول المنقطعة ص ٥٤ للتوضيح .

معهم أن يتزلوا إلى مصر على هيئة المناسر^(١) ، فيكبسون الحمامات ومنازل أهل مصر ؛ فكانوا يفعلون ذلك نهاراً . وتكرر ذلك منهم ، فاجتمع الناس ووقفوا للحاكم وسألوه أن يكف عنهم أيديهم ، فما أجابهم بحجاب فتزايد بهم الضرر إلى أن بقيت الرجال تكبس مساكنهم ويأخذون ما فيها ، ويعرونهم في الطرقات ، ويفتحون دكاكين البرازين وغيرهم ، وينهبون ما فيها ويحرقون أبوابها بعد ذلك ، والناس يستغيثون فلا يغاثون . ثم نزل بعد ذلك جمع كثير بعد أن غلقت الدروب ، وكانت بقيت تغلق قبل الغروب ، وتخللوا البلدان ، وفتحوا ما وراء الجامع من التحاسين والأبزارين^(٢) والسكريين ودار الشمع ، وغير ذلك مما يقرب من هذه الأسواق ، وأخذوا ما أرادوا منها ، وأفسدوا بقية ما فيها ؛ فكانوا يخلطون العقاقير والأصناف بعضها ببعض ، والمياه المختلفة بالزيت ؛ ويُفسدون ما لا يمكنهم حمله . وضحوا النار في أبواب القياس^(٣) المجاورة للجامع بعد ذلك ، فأخذ الناس في الانتقال إلى القاهرة ، وضجوا بالابتهال إلى الله تعالى في كشف ما بهم من^(٤) البلاء .

قال : وكان الحاكم قبل ذلك قد ضيق على النصارى واليهود كما [٦٠] قدمناه ، وأمرهم بالتظاهر بالإسلام ؛ فأسلم بعضهم وهرب بعضهم إلى بلاد الروم ؛ وهدم جميع الكنائس . فلما كان في شهر جمادى الآخرة ، سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، أذن لهم بالرجوع إلى دينهم ، فارتدوا ، وأذن لهم

(١) المنسر — المناسر : الجماعة من الخيل ، أو قطعة من الجيش بين المائة والمائتين ، لا تمر بشيء إلا اقتلته — القاموس .

(٢) « البرازين » في أخبار الدول المنقطعة ص ٥٦ .

(٣) « القياسير » في الأصل .

(٤) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٥٥ - ٥٦ .

ببناء الكنائس فأعادوها . فاشتد غضبُ العسكر وحقنهم ، فاجتمع الأتراك والكتاميون ونحالفوا على قتل الرّجالة الذين فعلوا بالمصريين ما فعلوا ، فوقع القتال بينهم ، فقتل الرّجالة أبرح قتل ، ورأى أهلُ مصر فيهم وفي حرمهم ومنازلهم ما أسلاههم^(١) عما جرى عليهم .

وتماذى الحال على ذلك والحرب قائمةٌ بينهما ، والحاكم على حاله في ركوبه وهيبته ، فإذا بلغه ركوبهم للحرب تركهم تارة وجاء أخرى ، فإذا رآوه تفرقوا لهيبته . ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن فقد الحاكم في التاريخ الذى ذكرناه .

ذكر مولد الحاكم ومدة عمره وملكه وأولاده

وكتابه ووسائطه وقضائه ونقش خاتمه

كان مولده بالقاهرة في يوم الخميس لست بقين من شهر ربيع الآخر^(٢) ، سنة خمس وسبعين وثلاثمائة . فكانت مدّة عمره ستًا وثلاثين سنة وستة أشهر ويومين ، ومدة ولايته خمسًا وعشرين سنة وشهرًا واحدًا إلا ثلاثة أيام إلى يوم ركوبه الذى عدم فيه .

أولاده : أبو الحسن على ، وهو الظاهر أبو الأشبال الحارث ، مات في حياته لعشر بقين من شهر ربيع الآخر سنة أربعمائة .

كتابه ووسائطه : أمين الدولة أبو محمد الحسن بن عمّار^(٣) ، ثم الأستاذ

(١) « بإسلامهم » في الأصل . والتصحيح من أخبار الدول المنقطعة ص ٥٦ .

(٢) انظر ما سبق عن الاختلاف في يوم ميلاده .

(٣) انظر الإشارة إلى من نال الوزارة ص ٢٦ - ٢٧ .

برجوان^(١) الخصى إلى أن قُتل ؛ ثم استقل الحاكم بالأمر وولّى من ذكرناهم وغيرهم . وكب له أبو العلاء فهد بن إبراهيم النصراني .

قضاته : أبو عبد الله محمد^(٢) بن التّعمان إلى أن توفّي في سنة تسع وثمانين وثلاثمائة ؛ وأقام الناس بغير قاض تسعة عشر يوماً ؛ ثم وليّ أبا عبد الله الحسن^(٣) ابن عليّ بن التّعمان إلى أن صرفه في شهر رمضان سنة أربع وتسعين ؛ وولّى أبا القاسم عبد العزيز^(٤) بن محمد بن التّعمان ثم صرفه في شهر رجب سنة ثمان وتسعين ؛ وولّى مالك^(٥) بن سعيد إلى أن قتله في سنة خمس وأربعمائة ، لأربع بقين من شهر ربيع الآخر . وأقام الناس بغير قاض إلى أن وليّ أبا العباس أحمد^(٦) بن محمد بن عبد الله بن أبي العوام في يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من جُادى الآخرة منها إلى آخر وقت .

نقش حاتمته : بنصر العليّ الوليّ يتصر الإمام أبو عليّ^(٧) .

ذكر بيعة الظّاهر لإعزاز دين الله

هو أبو هاشم ، وقيل أبو الحسن ، عليّ بن الحاكم ؛ وهو السّابع من ملوك الدولة العبّديّة . بويغ له بعد أن نحقق الناس عدم الحاكم بأمر الله في

(١) انظر الإشارة ص ٢٧ .

(٢) انظر ذيل كتاب الولاية والقضاء ص ٥٩٢ وما بعدها .

(٣) انظر ذيل كتاب الولاية والقضاء ص ٥٩٦ وما بعدها .

(٤) انظر ذيل كتاب الولاية والقضاء ص ٥٩٩ وما بعدها .

(٥) انظر ذيل كتاب الولاية والقضاء ص ٦٠٣ وما بعدها .

(٦) انظر ذيل كتاب الولاية والقضاء ص ٦١٠ وما بعدها .

(٧) « بنصر الإله العليّ يتصر الإمام أبو عليّ » في ذيل تاريخ دمشق ص ٨٠ .

يوم الأضحى من سنة إحدى عشرة وأربعمئة . وأقام الناس منذ فقد الحاكم في سابع عشر شوال منها إلى هذا التاريخ بغير خليفة ، وست الملك ، ابنة العزيز وأخت الحاكم ، تدبر أحوال الدولة ، وتسكن الجيوش ، وتفرق الأموال على يد الأمير سيف الدين الحسين بن دؤاس . ثم جرى بينها وبين العساكر كلام كثير أوجب أنها أخرجت إليهم أباهاشم هذا وقت الظهر من يوم الأضحى ، فبايعه الناس وازدحموا عليه ، فركب تحت الأرض في السرداب إلى قصر الذهب ، وخرج من بابه إلى باب العيد ، فأجلسته وقالت : هذا خليفتك . فلما رآه ابن دؤاس قبل الأرض ، وسلم عليه بالخلافة ، فبايعه الأمراء والأجناد ، ولُقّب الظاهر لإعزاز دين الله (١)

وكتب الكتب لسائر الأعمال بأخذ البيعة ، وجمعت ست الملك الأجناد وأحسن إليهم ، ورّبت الأمور أحسن ترتيب ، وعدلت عن ولي العهد إلياس (٢) بن داوود بن المهديّ وجيء به فبايع والسيف على رأسه ، وحُبس ، وكان آخر العهد به . وكان يشار بالخلافة إلى عبد الرحيم بن إلياس ابن أحمد بن المهديّ ، فأدخل عليه الشهود وهو يتشخط (٣) في دمه فأشهدهم أنه فعل ذلك بنفسه ، ثم قضى نحبه . وقام ابن دؤاس بتدبير الدولة هو والعزيز عمار بن محمد ، وكانا لا يُصدران إلا عن رأي ست الملك عمّة الظاهر .

معين التارخ لأهل التارخ

(١) انظر اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٢٥ .

(٢) « إلياس » في الأصل والتصحيح من النجوم الزاهرة . فقد ورد « وأما ولي العهد ... فاسمه إلياس ، وقيل عبد الرحيم ، وقيل عبد الرحمن بن أحمد ، وكنيته أبو الفاسم ، ويلقب بالمهدي » — ج ٤ ص ١٩٣ .

(٣) شخط — يتشخط : تخرج بالدم — القاموس .

ذكر مقتل الحسين بن دؤاس

قال : لَمَّا اسْتَقَرَّ أَمْرُ الظَّاهِرِ لِإِعْزَازِ دِينِ اللَّهِ وَسَكَنَتِ الْأَحْوَالُ خَرَجَ مِنَ الْقَصْرِ خَصِيٌّ وَبِيَدِهِ سَيْفٌ مَجْرَدٌ ، وَاسْتَدْعَى وَجْهَ الدَّوْلَةِ ، وَالْوَزِيرُ فِي دَسْتِهِ وَالْحُسَيْنُ بْنُ دَوَّاسٍ قَائِدَ الْقَوَادِ إِلَى جَانِبِهِ . فَقَالَ الْخَصِيُّ أَمْرُ مَوْلَانَا أَنْ يُقْتَلَ بِهَذَا السَّيْفِ [٦١] لِقَاتِلِ مَوْلَانَا الْحَاكِمِ ، فَتَادَوْا السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ فَصَبَّ عَلَى ابْنِ دَوَّاسٍ فَقَتَلَهُ ، وَلَمْ يَخْتَلَفْ اثْنَانِ (١) .

وقيل إنه إنما قُتل في شهر رجب سنة ثلاث عشرة وأربعمائة . والله أعلم .
وباشرت السيدة ست الملك للأمور بنفسها وقامت هيبتها عند الناس .

وفي ثالث عشر ذي الحجة من السنة ، في اليوم الرابع من بيعة الظاهر ، قُرئ سجل لأصحاب الأخبار أنهم لا يرفعون ما لافائدة فيه مما كان يُنتهى إلى الحاكم .

وفي يوم الاثنين سابع عشر ذي الحجة منها ركب القاضي عبد العزيز بن التمان ومعه جماعة وتوجهوا نحو الجبل لاقتياد الحاكم وعادوا .

وفي يوم الخميس لعشرين منه أُقيمت المآتم في القصر وُسُمع الصُراخ واتصل ، وارتجَّ البلد في تلك الليلة بالصُراخ إلى أن مضى وقت كثير من الليل ، وأصبح الناس على وجلٍ ، وأغلقت أبواب القاهرة .

وفي المحرم سنة ثنتي عشرة وأربعمائة سومع بمكس الفقاع . وكان مبلغه في الشهر سبعمائة دينار .

(١) انظر تفصيل ذلك في اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٢٥ وما بعدها .

وفي حادى عشر ذى القعدة ، سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ، تُوفيت ست الملك ابنة العزيز ، وكان مولدها في ذى القعدة سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ببلاد المغرب ، وكانت من النُّدُهاة .

وفي سنة أربع عشرة وأربعمائة ظهر ببلاد الفيوم بركة ينصب إليها الماء ، فاستخرج منها سمك بلطى . ومقدارها أربعة آلاف فدان .

وفي شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة وأربعمائة ورد الخبر بإقامة الدعوة الظاهرية بالموصل والبصرة والكوفة وأعمال الشرق .

وفيهما وردت الأخبار أن سنان بن صمصام الدولة وصالح^(١) بن مرداس جمعا العساكر وحشدا^(٢) الثغريان لحصار دمشق ، وأنهم حاصروها وقطعوا أشجارها ، وقتلوا فلاحي الضياع . وتقرر الحال أن يقاتل العوام يوماً وعسكر السلطان يوماً ؛ واتصلت الحرب بينهم وقتل جمع عظيم . وحاصر صالح بن مرداس حلب ؛ واضطربت أحوال الشام بأسره ، وتغلّبت الحرب عليه . وطلب سنان من أهل دمشق ثلاثين ألف دينار ويرتل عندهم ، فأجابه أهل البلد لذلك ، فنعهم الشريف ابن الحسن وأشار بنفقتها في عياري البلد ، فأنفقوها^(٣) وقاتلوا قتالاً شديداً ، فقتل من العرب جمع كثير . وطلب العرب الصلح فأجيبوا إليه ، ثم عدوا إليها في الوقت برأى ابن الجراح ...

ووصل الخبر من جهة بنى قرة ، عرب البحيرة ، أنهم أقاموا عليهم إنساناً

(١) انظر ترجمته في زبدة الحلب ج ١ ص ٢٧٧ وما بعدها ، وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٨٧ رقم

٣٠٠ .

(٢) « جمعا العساكر وحشدوا » في الأصل ، والتصحيح يتفق وسباق الكلام .

(٣) « فنفقوها » في الأصل في هذا الموضع ومواضع تالية . وسيجرب تصحيحها .

ببرقة ولقبوه بأمر المؤمنين .

وفي الحادى والعشرين من ذى الحجة سنة خمس عشرة وأربعمائة اجتمع من العيد ألف عبد عند سفح المقطم وقصدوا نهب مصر ، فأركب الظاهر لإعزاز دين الله من حفظها ، وأمر أهل مصر بقتل من ظفروا به منهم ، ونهبوا في اليوم الثانى أطراف مصر ، فقاتلهم الناس فانهمزوا .

وفي سنة سبع عشرة وأربعمائة جرّد الظاهر أمير الجيوش أنوشتكين الذريرى ^(١) من مصر بعساكر كثيرة لدفع العرب ^(٢) عن الشام ، وخرج الظاهر لتوذيعة . وسار في سبعة آلاف فارس غير العرب ، وعيّد عيد الأضحى في الرملة ، وجمع العساكر . فلما بلغ حسّان بن مفرّج ^(٣) خروجه بعث إلى صالح بن مرداس ^(٤) فأتاه من حلب في بنى كلاب . ووقعت الحرب بينهم بالأقحوانة ^(٥) من عمل طبرية يوم الأربعاء لخمس بقين من شهر ربيع الآخر سنة عشرين وأربعمائة . فطعن صالح بن مرداس ، فسقط عن فرسه ، فقتل ، وحمل رأسه إلى أمير الجيوش . فعندها انهزم حسّان . وقتل من أصحابهم مقتلة عظيمة ، وهرب أصحاب صالح إلى بعلبك وحمص وصيدا وحصن عكار ^(٦) . واستولى نصر بن صالح وأخوه ثمال على حلب وأعمالها

(١) « الزريرى » في الأصل ، والتصحيح من المصادر المتداولة . وانظر ترجمة مفصلة له في ذيل تاريخ دمشق ص ٧١ وما بعدها .

(٢) المقصود جيوش صالح بن مرداس .

(٣) حاكم الرملة في ذلك الوقت .

(٤) « بن برداس » في الأصل ، في هذا الموضع ومواضع تالية . وهو تحريف سيجرى تصحيحه .

(٥) الأقحوانة : على شاطئ بحيرة طبرية — معجم البلدان .

(٦) حصن عكار : على جبل عكار شمالى طرابلس — بلدان الخلافة .

وبالس^(١) ، ومنبج^(٢) . وسار الدزيرى حتى أتى دمشق ، ثم إلى حلب ، فظفر بشيل الدولة^(٣) نصر بن صالح فقتله . ثم عاد إلى دمشق فأقام بها وعَلَّتْ منزله .

ذكر وفاة الظاهر لإعزاز دين الله على ابن الحاكم بأمر الله وشيء من أخباره

كانت وفاته في ليلة الأحد النصف من شعبان المكرّم من شهور سنة سبع وعشرين وأربعمائة ببستان الدكة بالمقس^(٤) ، فركب الوزير صفى الدين أبو القاسم على الجرجري^(٥) إلى البستان ، وحمل الظاهر منه إلى القصر . وكان مولدُ الظاهر في يوم الأربعاء لعشر خلونَ من شهر رمضان المعظم سنة خمس وتسعين وثلاثمائة . وكانت مدّة عمره إحدى وثلاثين سنة وأحد عشر شهراً وخمسة أيام ، ومدة ملكه خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وستة

(١) « وبالس » في الأصل ، والتصحيح من اتعاظ الخنفا جـ ٢ ص ١٧٦ .

وبالس : بين حلب والركة ، كانت تقع على شاطئ النهر ثم انحسر النهر عنها شيئاً فشيئاً حتى أصبحت على مسافة أربعة أميال من النهر في زمن ياقوت — معجم البلدان .

(٢) منبج : من إقليم الحواصم . بينها وبين حلب حوالي ٣٠ ميلاً ، وبينها وبين الفرات حوالي ٩ أميال — معجم البلدان .

(٣) « سند الدولة » في الأصل ، والمقصود نصر بن صالح ولقبه شيل الدولة — اتعاظ الخنفا جـ ٢ ص ١٧٦ .

وأخبار الدول المنقطعة ص ٦٤ ، وفيها « وذلك في سنة ثلاثين وأربعمائة » .

(٤) بستان الدكة بالمقس = منظر الدكة ، وهي من مناظر الخلفاء الفاطميين ، ولها بستان عظيم بجوار المقس ، فيها بينه وبين أراضي اللوق — المواعظ والاعتبار جـ ١ ص ٤٧٩ .

(٥) انظر الإشارة ص ٣٥ — ٣٦ ، ذيل تاريخ دمشق ص ٧٣ وما بعدها . أخبار مصر للمسيحي ص ٣٢ هـ ٢ ، وانظر ما يلي .

أيام . وكان أجمل الناس صورةً . وتولَّى غسله قاضي القضاة عبد الحاكم ،
ومعه ظاهر بن عبد الخالق بن أحمد ابن المهدي شيخ القرافة ؛ وصلى عليه
قاضي القضاة وأخذ سكبهُ . قال واستمرَّت التَّوَاتُجُ تُثَخِّنُ عليه مدَّةَ شهر .
وكان كريماً مشغلاً [٦٢] بلذاته معولاً على وزيره .

ولده أبو نعيم معدَّ المستنصر بالله ، وهو الَّذي وَلَّى الأثر من بعده على
مانذكره .

وزرأوه ووسائطه : أبو الحسين غمار^(١) بن محمد ، أحد وسائط أبيه
الحاكم بأمر الله ، إلى أن زال أمرُه في ذى القعدة سنة ثنى عشرة وأربعمائة ،
ثم قتل ؛ وتولَّى الوساطة أبو الفتح موسى^(٢) بن الحسن ، وذلك في المحرم
سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ، إلى أن قبض عليه في العشرين من شوال وقيل
صبيحته ؛ وتولَّى الوساطة أبو الفتح مسعود^(٣) بن ظاهر الوزان إلى أن عزل ؛
وتولَّى الوزارة عميد الدولة أبو محمد^(٤) الحسن ابن صالح الروذباري ، أحد
وسائط الحاكم بأمر الله ؛ ثم عُزل في سنة ثمانى عشرة وأربعمائة بالوزير أبي
القاسم على^(٥) بن أحمد الجرجرائي إلى آخر المدَّة ، ولقب بالوزير الأجلَّ
الأوحد صفى الدين ؛ وكان أقطع اليدين ؛ وتمكَّن من الظاهر تمكُّناً عظيماً .
حكى من تمكُّنه أنه كان بينه وبين خليل الدولة بن العدَّاس عداوة ، فاتفق

(١) الإشارة ص ٣٣ - ٣٤ .

(٢) الإشارة ص ٣٤ .

(٣) الإشارة ص ٣٤ .

« ابن محمد » في الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح من الإشارة ص ٣٤ .

(٥) الإشارة ص ٣٥ - ٣٦ .

أن خليل الدولة سأل الظاهر لإعزاز دين الله أن يشرفه بزيارته ببركة الحبش فأجابه الظاهر إلى ذلك وحضر عنده ، فاغتنم ابنُ العداس الفرصة وجعل يذكر للظاهر مثالب الوزير . فسدَّ الظاهر مسامعه وقال لابن العداس : إني وإن رَعَيْتُ حقَّ تشرifi إياك بزيارتي فما أترك حقَّ من أرْتَضيه لوزارتي ، ولا بدَّ أذكُر له طرفاً من ذلك ، فاذكُر خيراً لأحكيه له . فرجع عن ذكر مثالبه وأثنى عليه ، فذكر الظاهر للوزير عنه خيراً ، فكان ذلك سببَ الصلح بينهما . وسنذكر إن شاء الله تعالى أخبارَ الوزير الجرجاني مستوفاةً عند ذكر وفاته في سنة ست وثلاثين في أخبار المستنصر .

ذكر بيعة المستنصر بالله

هو أبو تميم معد^(١) ، بن الظاهر لإعزاز دين الله أبي هاشم علي . بن الحاكم بأمر الله أبي علي المنصور ، بن العزيز بالله أبي المنصور نزار ، بن المعز لدين الله أبي تميم معد ، بن المنصور بتصر الله أبي طاهر إسماعيل . بن القائم بأمر الله أبي القاسم محمد ، بن المهدي عبيد الله . وهو الثامن من ملوك الدولة العبيدية وهو الخامس من ملوك مصر والشام منهم .

(١) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٦٧ وما بعدها ، ذيل تاريخ دمشق ص ٨٣ وما بعدها ، اتعاظ الخنفا ج ٢ ص ١٨٤ وما بعدها ، وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٢٩ رقم ٧٢٨ المنتقى من أخبار مصر ص ٣ وما بعدها ، النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١ وما بعدها ، كنز الدرر ج ٦ ص ٣٤٢ وما بعدها .

بُوع له صبيحة يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان^(١) سنة سبع وعشرين وأربعمائة . وذلك أن الوزير الجرجاني أحضر وجوه القبائل من الكتامين ، وغيرهم من الأتراك ، فلما اجتمعوا قال لهم : مولانا ضعيف والآجال بيد الله سبحانه ، فإن قضى الله بانتقاله ماتقولون في ولده الأمير معد ؟ قالوا : الذي يقوله الوزير نحن به راضون ، وله سامعون . فلما رتب هذا الأمر استدعى الوزير ، فنهض قائماً ودخل إلى قاعة من قاعات القصر ، ثم أحضر الجماعة ، فوجدوا الأمير معداً على سرير الملك وعليه التاج ؛ فقال : هذا مولاكم ، سلموا عليه بالخلافة . فسلموا عليه وانصرفوا ؛ ولقب المستنصر بالله ، وكان عمره إذ ذاك سبع سنين .

فلما كان في صبيحة يوم مبايعته ، وهو يوم الخميس ، وقف الكتاميون وعبيد الشراء^(٢) وغيرهم بباب القصر ، وأغلظوا في الكلام وطلبوا أرزاقهم واستحقاقاتهم من الوزير ، فقال : أنا كنت وزير الظاهر لإعزاز دين الله وقد توفى ، وأنا أحمل إليكم جميع ما في داري . وأصبح حمل جميع ما في داره إلى القصر ، فغضب له الأتراك ، وأعادوا ما أحضره إلى مكانه . وتقرر اجتماعه يوم السبت ، فاجتمع الأتراك والذيلم وعليهم السلاح ، وجاء الكتاميون ، فلما اجتمعوا بباب القصر خرج إليهم [أحد]^(٣) الخدم وقال : ليدخل من كل طائفة عشرة أنفس ، فدخل جماعة ، فقال لهم الوزير :

(١) « بوع بالخلافة يوم الأحد للنصف من شعبان » في انعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٨٤ . وفي النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١ . ونلاحظ أن يوم الأحد هو يوم وفاة أبيه . ومن المستبعد أن تتم البيعة له بالخلافة في نفس اليوم — انظر ما يلي .

(٢) « الشرى » في الأصل .

(٣) [إضافة تتفق والسياق .

مولانا يُقرئكم السلام ويقول لكم : إذا كان مُستهلّ شهر رمضان أمر بالثففة فيكم . فانصرفوا ، وجلس قاضى القضاة عبد الحاكم يحلف الناس للمستنصر بالله . فلما استهلّ شهر رمضان أنفق في الأشراف والكتاميين والعرب والفقيل وغيرهم لكل واحدٍ منهم ثلث رزقه ، فلم يرضوا بذلك .

ودامت الثففة إلى العشر الأوسط من شوال فتحالف الكتاميون والأثراك أن يكونوا عُصبة واحدة في طلب واجباتهم . واجتمعوا بباب القصر ، فخرج إليهم الأمير أن احضروا بكرة الغد ، فحضروا ، وركب المستنصر إلى أن بلغ باب البحر^(١) ، فرمّوه بالحجارة وصاحوا عليه ، ورماه أحد العبيد بحربة فلم يُصبه ، فرمى نفسه عن دابته ودخل من باب البحر إلى القصر . وانصرف الناس ، وعادوا بكرة نهار الغد ، فدخل من كل طائفة مائة نفر ، ووقع كلام كثير ، وتقرّر في آخر الأمر أن يحضروا [٦٣] البغاة منهم ، وخرجوا على مثل ذلك ؛ ثم عادوا بعد ذلك وتنصلوا من ذنوبهم . وسكّن الوزير جميع الطوائف ، واختلف بنو قرة مع كتامة بالجيزة ، فأخرج الوزير عسكرياً فأصلح بينهم ، واستقرت الأمور .

وركب المستنصر في مُستهلّ المحرم سنة ثمان وعشرين وأربعمائة من باب العيد^(٢) إلى باب الذهب^(٣) ؛ ومشى الناس كافة بين يديه ، والوزير راكب

(١) باب البحر : أحد أبواب القصر الفاطمي الشرقي الكبير ، يخرج منه الخليفة إذا أراد الذهاب إلى شاطئ النيل ، وهو من إنشاء الحاكم بأمر الله . المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٣٣ .

(٢) باب العيد : أحد أبواب القصر الفاطمي الشرقي الكبير ، كان يخرج منه الخليفة في يومى العيد إلى المصلّى بظاهر باب النصر - المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٣٥ .

(٣) باب الذهب : أحد أبواب القصر الفاطمي الشرقي الكبير ، كانت تدخل منه العساكر وجميع أهل الدولة في يومى الاثنين والخميس ، وهو يؤدى إلى قاعة الذهب - المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٣٢ .

خلفه . وتفرّق الناس ، ودخل الوزير إلى مكانه ، فدخل عليه جماعة من الأتراك الصغار وطلبوا أرزاقهم وأغلظوا له في القول ، وقصدوا قتله ، فدخل بعضُ الأمراء الكبار فخلّصه منهم .

ذكر عود حلب إلى ملك ملك الديار المصرية

وفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة ملكت حلب على يد أمير الجيوش أنوشتكين الدّزبري أمير الشام ، وذلك بعد أن التقى هو ونصر بن صالح بن مرداس ، صاحب حلب ، يوم الجمعة لسبع بقين من جمادى الآخرة فانهزم عسكر ابن صالح . ثم كانت وقعة ثانية ، فانهزم ثمال بن صالح وأخوه نصر ، فبادر ثمال بدخول البلد ، وأخذ من قلعة حلب أموالاً وثخفاً ، واستخلف بها عمّه مقلّد بن كامل بن مرداس ، وسار يستنجد بأخواله بني خفاجة ^(١) ، فثار العوام ونهبوا حلب . ووافى طغان ، أحد الأمراء الذين مع أمير الجيوش ، فدخل حلب بموافقة من أهلها . ثم وصل أنوشتكين الدّزبري إليها في يوم الثلاثاء لثمان خلون من شهر رمضان ، وأقام بها إلى آخر السنة ، ورجع إلى دمشق في تاسع عشر ^(٢) الحجة منها .

ذكر الوحشة الواقعة بين الوزير أبي القاسم الجرجاني وأمير الجيوش أنوشتكين الدّزبري

قال المؤرخ : كان ابتداء الوحشة بينهما في سنة ثلاثين وأربعمائة . وسبب ذلك أن شيب بن وثاب التّميمي صاحب الجزيرة توفي ، فقصد أمير

(١) « بأخواله من صاحبه » في الأصل ، والتصحيح من اتعاظ الخفاجة ج ٢ ص ١٨٧ .

(٢) « تاسع عشر » في اتعاظ الخفاجة ج ٢ ص ١٨٧ .

الجيش [أنوشكين] أن يزوج ابنته لولد أبي نصر أحمد بن مروان ليكون له عوناً على بني نُمير أصحاب الجزيرة ؛ وكتب أمير الجيش إلى مصر يستدعي ابنته ، فلم يُطلقها الوزير ولا رأى إتمام الزواج لانضمام ابن مروان إلى الدولة العباسية وتظاهره بموالاتها . وكتب لولاة الشام ألا يمتثلوا أمر أمير الجيش . ف وقعت الوحشة بينهما ، وأطلق أمير الجيش لسانه في الوزير ، وسبّه . ودامت الوحشة إلى سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ، فصرفه الوزير عن دمشق ، واستعمل عليها ناصر الدولة الحسن بن الحسين بن حمدان . فلما علم بذلك أهل دمشق تنكروا على أميرهم ، وحاصروه بقصره ظاهر دمشق ، في سابع عشر شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين ، فهرب إلى حلب ، وقاسى مشقة عظيمة في طريقه ، ونهبت أمواله . فلما دخل حلب أقام بها ثلاثة أيام ومريض ، فتوفي يوم الأحد النصف من جمادى الأولى ، ووصل سجل إلى شمال بن صالح بن مرداس بولاية حلب ، وذلك قبل وفاة أنوشكين أمير الجيش .

ذكر ظهور سكين المشبه بالحاكم وقتله

وفي شهر رجب سنة أربع وثلاثين وأربعمائة ظهر بالقاهرة رجل يسمى سكين^(١) يشبه الحاكم وكان بمصر أقوام يعتقدون أن الحاكم حي وأنه غاب لرأى رآه . وهذه الطائفة باقية إلى وقتنا هذا ، ومخلفون فيما بينهم فيقولون : وحق غيبة الحاكم . إلا أنهم لا يتظاهرون بذلك لكل أحد . قال : فلما كان في هذه السنة ظهر هذا الرجل ، فاجتمع عليه القائلون بغيبة الحاكم

(١) هكذا بالأصل : وفي الكامل ج ٩ ص ٥١٣ . و« اسمه سليمان » في تماظ المنفا ج ٢ ص

وزفوه إلى القصر، وأدخلوه إيَّاهُ ، وقد دُهِش النَّاسُ ، فَأَدَّى الأمر إلى أَنْ
حَارَبَهُمْ أولياءُ الدَّوْلَةِ ، وركب الوزير ، فَأَخَذُوا جميعًا وُصِّلُوا أحياء ،
وَرُشِقُوا بالسَّهَامِ حتى هلكوا .

ذكر وفاة الوزير صفى الدين أبى القاسم أحمد بن على الجرجاني وشيء من أخباره

كانت وفاته لثلاثين بقين من شهر رمضان سنة ست وثلاثين وأربعمائة ،
[٦٤] وأوصى أن يُدْفَنَ في داره في المكان الَّذِي كان يجلس فيه ؛ فَأُخْرِجَ
وَصُلِّيَ عليه المستنصر في الإيوان ، وأُعيد إلى داره فُدْفِنَ بها ، ثُمَّ نُقِلَ إلى
تُورَتِهِ بالقِرافَةِ .

وكانت وزارته سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وثمانية عشر يومًا .
وهذه النسبة إلى جرجايا ، قرية من قرى العراق .

قدم إلى مصر هو وأخوه أبو عبد الله محمد ، فتنقلت به الحال إلى أن خدم
في الصَّعيد ، فكثرت فيه المرافعات في أيام الحاكم ، فاعتقله في شهر ربيع
الآخر سنة أربع وأربعمائة ، ثم أُمِرَ بقطع يده ، فَأُخْرِجَ اليسار عِوَضًا عن
اليمين فقطعت ؛ فقليل ذلك للحاكم فقال : إِنَّمَا أَنَا أُمِرْتُ بقطع يمينه ؛
وأمر بقطع اليمين ، فقطعت على باب القصر المعروف بباب البحر ، وهو
الباب الَّذِي مقابل دار الحديث الكاملية^(١) في وقتنا هذا . وكان قطعُهما في
ثامن عشر شهر ربيع الآخر منها .

(١) دار الحديث الكاملية = المدرسة الكاملية : بالقاهرة ، بخط بين القصرين ، أنشأها السلطان
الملك الكامل الأيوبي ، سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م - المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٧٥ .

قال : ولما قطع الحاكم يديه مَفًى من وقته وجلس في ديوانه ، فقبل له في ذلك ، فقال : إن أمير المؤمنين أقبى وما صرفنى . فبلغ الحاكم ذلك ، فأمر باستمراره . ثم صرفه وولاه ديوان النفقات ^(١) في سنة ست وأربعمائة ، ثم رتب أن يكون واسطة في نظر الدواوين مع أبي عبيد الله محمد بن العدّاس ، في سنة ثنى عشرة وأربعمائة . ثم وُزِدَ للظاهر لإعزاز دين الله في سنة ثمانى عشرة وأربعمائة ، فاستكتب أبا الفرج البابل وأبا على الرئيس . وكان القاضى أبو عبد الله القضاعى صاحب كتاب الشهاب يكتب عنه العلامة ^(٢) وهى : « الحمد لله شكراً لنعمه » . وكانت أيامه تُسمى الأعراس لطيبها . وضبط الأمور أحسن ضبط واستعمل الأمانة التامة ، وتمكن في الدولة الظاهرية ، على ما قلتمناه .

قال : وهجاه جماعة من الشعراء . فمن ذلك قول أبي الحسن على بن عبد العزيز الجلبى المعروف بالفكيك ويعرف بجاسوس الفلك :

يا جرجرائى اتشد وارفق ، ودع عنك التّحائم
أزعمت أنك فى الثّقاة ، فهبك فيما قلت صادق
أعلى الأمانة والثّقى قُطِعت يدك من المرافق

قال : ولما مات أوصى أن تُقَوَّض الوزارة بعده لأبي نصر صدقة ^(٣) بن

(١) انظر ديوان الرواتب : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٨٩ - ٤٩١ ، المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٠١ .

(٢) المقصود العبارة التى يختارها القاضى لتدون فى بداية الوثائق التى تصدر عنه ، صبح الأعشى ج ٦ ص ٣١٤ ، المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢١١ .

(٣) « أبو منصور » فى المنتقى من أخبار مصر ص ٤ ، الإشارة ص ٣٧ . وعن ترجمته انظر : الإشارة ص ٣٧ - ٣٨ .

أبي الفضل يوسف ابن على الفلاحى ، فخلع عليه خلع الوزارة . وكان يهودياً ، ولُقِّبَ بالوزير الأجلّ تاج الرئاسة فخر المُلْك مُصْطَفَى أمير المؤمنين ، ثمّ أسلم بعد الوزارة .

ذكر مقتل أبي سعيد التستري وعزل الوزير وقتله ووزارة ابن الجرجاني

وفى سنة تسعٍ وثلاثين وأربعمائة قتل أبو سعيد^(١) التستري اليهودى . وكان يتولّى ديوان والدة المستنصر . وذلك أنها كانت جاريته ، فأخذها منه الظاهر واستولدها فولدت المستنصر بالله . فلمّا أفضت الخلافة إلى ولدها فوّضت إليه أمر ديوانها ، فعظم أمره وانبسطت كلمته بعد وفاة الجرجاني الوزير حتّى لم يبق للوزير الفلاحى معه إلا اسم الوزارة ، فدبر الفلاحى فى قتله فقتل .

وقيل بل كان السبب فى قتله أنّ عزيز الدولة ربحان الخادم كان قد خرج فى هذه السنة إلى بنى قُرة . عرب البحيرة ، لِمَا أفسدوا فى البلاد ، فظفّر بهم وقتل منهم . وعاد إلى القاهرة وقد عظم قدره وزاد إدلاله ، فنقل أمره على أبي سعيد .

واستمال المغاربة وزاد فى أرزاقهم ونقص من أرزاق الأتراك ومن يضاف إليهم . فجرى بين الطائفتين حربٌ بباب زويلة .

(١) « أبو سعيد » فى المنتقى من أخبار مصر ص ٤ .

وهو إبراهيم بن سهل بن هارون التستري ، أبو سعيد ، المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٣٥٥ . ص ٤٢٤ .

ومرض إثر ذلك عزيز الدولة ومات فأتهم أبوسعيد أنه سمّه . فلما كان في يوم الأحد لثلاث خلّون من جمادى الأولى ركب أبوسعيد من داره في موكبٍ عظيم وتوجّه إلى القصر على عادته ، فاعترضه ثلاثة من الغلمان الأتراك واختلطوا في الموكب وقتلوه . فاجتمعت الطوائف إلى المستنصر بالله وقالوا : نحن قتلناه . وقُطِع لحمه ، فاشتري أهله ما وصلوا إليه من أعضائه . وأحرق ما بقي . وضمَّ أهله ما اشتروه منه في ثياب وغطّوه بستر ، وأوقدوا أمام الثابوت الشموع ووضعوه في بيت مفرد . ورزّوا البيت بالسُتور ، فوصل خب النار إلى بعض السُتور فاحترق . وقويت النار فأحرقت الثابوت بما فيه . قال : وكان التُّسْترى قد زادَ أذاه في حقّ المسلمين حتى كانوا يخلفون : وحقّ النعمة على بنى إسرائيل .

ولما قُتِلَ ولى مكانه في نَظَر ديوان والدة المستنصر بالله أبو محمد الحسن بن على بن عبد الرحمن البازورى .

وحققت والدة المستنصر بالله [٦٥] على الوزير الفلاحى وتحققت أنه تسبّب في قتله ، فقبضت عليه وصرفته عن الوزارة في هذه السنة ، واعتقلته بخزانة البنود^(١) ؛ ثم قتل بعد ذلك « أبو منصور صدقة »^(٢) ودُفن بخزانة البنود ، وذلك في سنة أربعين وأربعمائة .

(١) خزانة البنود : ملاصقة للقصر الكبير فيما بين قصر الشوك وباب العيد ، وكان يعمل فيها السلاح وآلات الحرب والبنود أى الأعلام . ثم استخدمت كسجن ، كما يتضح من النص بالمتن — المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٢٣ وما بعدها .

(٢) « بيبس » في الأصل وهو تحريف ، والتصحيح من المنتقى من أخبار مصر ص ٨ . انماظ الحنفيا ج ٢ ص ١٩٦ .

ووالدُ هذا الوزير هو أبو الفضل يوسف بن علي الذي هجّاه الواساني^(١)
بقصيدته المشهورة التي أولها :

يا أهل جبّون هل لِسَامِرَكُم إذا استقلّت كواكب الحمل

وقد أوردنا أكثر هذه القصيدة في الباب الثاني من القسم الثالث من
الفنّ (٢) الثاني .

ولمّا قبض عليه وَلِيّ الوزارة أبو البركات الحسين^(٣) بن محمد بن أحمد
الجرجاني ، ابن أخى الوزير صفى الدين .

وفي سنة أربعين وأربعمائة صرف ناصر الدولة الحسن^(٤) بن حمدان عن
ولاية دمشق ، وأُخْضِر تحت الحُوطة وَلِيّ مكانه القائد طارق ، ثم أُطلق
ابن حمدان في سنة إحدى وأربعين .

وفي سنة إحدى وأربعين صرف أبو البركات الحسين بن الجرجاني عن
الوزارة ونُقِيَ إلى صور واعتقل بها ، ثم أُطلق ، فسار إلى دمشق . ونظر في
الدّواوين بعده عميد الدولة أبو الفضل^(٥) صاعد بن مسعود . ثم فُوضت

(١) هو الحسين بن الحسن بن واسانة بن محمد ، أبو القاسم ، المتوفى سنة ٣٩٤ هـ / ١٠٠٣ م .
وانظر بقية القصيدة في نحو ١٤٠ بيت في يتيمة الدرر جـ ١ ص ٣١٠ وما بعدها .

(٢) هذا الباب في الهجاء . ولكن لم ترد القصيدة فيه في المطبوع من نهاية الأرب انظر جـ ٣ ص
٢٦٥ وما بعدها .

(٣) الإشارة ص ٣٨ - ٣٩ .

(٤) « الحسين » في الأصل .

وهو الحسن بن الحسين بن حمدان التغلبي . ناصر الدولة . قتل سنة ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ م -
انظر ما يلي عن قتله .

(٥) الإشارة ص ٣٩ .

الوزارة لأبي محمد الحسين^(١) بن علي بن عبد الرحمن اليازوري .

وفي سنة ثلاث وأربعين أظهر المعز^(٢) بن باديس الصنهاجي ، صاحب إفريقية ، الخلاف على المستنصر بالله ؛ وقد ذكرنا سبب ذلك في أخبار ملوك إفريقية^(٣) . وكتب المعز إلى بغداد ، فأجيب عن رسالته على لسان رسوله من بغداد ، يُعرف بأبي غالب الشيرازي ، وسير إليه صحبته عهداً بالولاية ولواء أسود وخلعة فاجتاز أبو غالب بيلاذ الروم فقبض عليه صاحب القسطنطينية^(٤) وبعثه إلى المستنصر بالله ؛ فقدم الرسول إلى مصر وهو مُجَرَّس^(٥) على جمل ، وحضر بين القصرين حفرة ، وحرق فيها العهد والخلع واللواء .

وفيهما في ذى القعدة عصى بنو قرة ، عرب البحيرة ، على المستنصر بالله . وكان سبب ذلك أن الوزير اليازوري قدّم عليهم رجلاً يُقال له المقرب ، فنقروا منه واستغفروا منه ، فلم يُجب الوزير سؤالهم ؛ ثم دخلوا على الوزير وطالبوه بواجباتهم ، وأغلظوا له في القول ، فتوعدّهم باستئصال شأفتهم . ففارقوه وأظهروا العصيان ، واجتمعوا بالحيزة في جمع كثير ، فندب الوزير

(١) الإشارة ص ٤٠ وما بعدها .

هو المعز بن باديس بن منصور بن ملكين الصنهاجي ، رابع أمراء بني زيري في إفريقية . ولها سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م إلى أن توفي سنة ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م - وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٣٣ رقم ٧٣٠ ، تاريخ الدول الإسلامية ص ٤٨ . وانظر اتعاظ المنفا ج ٢ ص ٢١٢ هامش ٣ .

(٢) انظر نهاية الأرب ج ٢٤ ص ٢٠٩ وما بعدها .

(٣) المقصود هو الإمبراطور البيزنطي قسطنطين التاسع الذي ولي عرش الإمبراطورية البيزنطية في الفترة ١٠٤٢ - ١٠٥٥ م / ٤٣٤ - ٤٤٧ هـ .

(٤) التجريس : التشهير ، القاموس .

عسكرياً لقتالهم فكسروه ، فندب عسكرياً ثانياً فهزمهم وقتل منهم قتلى كثيرة .
وحمل إلى الخزانة المستنصرية من أموالهم جملة عظيمة ، فهرّبوا إلى برقة .

وفي سنة ثمان وأربعين بعث المستنصر بالله ووزيره البازورى خرائن
الأموال إلى أبي الحارث^(١) أرسلان البساسيرى ليقيم الدعوة المستنصرية ببغداد
واستنفذ ما كان بالقصر من الأموال . وكان من أمر البساسيرى وقيامه ،
والخطبة للمستنصر هذا ببغداد ، ما قدّمناه في أخبار الدولة العباسية^(٢)
ولما خطب للمستنصر ببغداد في سنة خمسين وأربعائة ، ورد الخبر إلى مصر
بذلك فزيت القاهرة .

وكان عند المستنصر مغبة تغنى بالطبل^(٣) ، فدخلت عليه وغتته في ذلك
اليوم :

يا بنى العباس ردّوا^(٤) ملك الأُمَر معدّ
ملككم ملك معار^(٥) والعوارى تُستردّ

(١) « أبي الحارث » في الأصل .

وهو أبو الحارث أرسلان بن عبد الله البساسيرى التركى — انظر انعاظ المنفا ج ٢ ص
٢٣٢ ، ذيل تاريخ دمشق ص ٨٥ ، الكامل ج ٩ ص ٦٠٥ ، ص ٦٤٠ وما بعدها ، النجوم
الزاهرة ج ٥ ص ٦٤ ، المنتقى من أخبار مصر ص ١٤ ، ص ٢٠ . وفيات الأعيان ج ١
ص ١٩٢ رقم ٨١ .

(٢) انظر نهاية الأرب ج ٢٣ ص ٢٢٦ وما بعدها .

(٣) « فوقفت نَسَب طبالة المستنصر » في المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١٢٥ ، المنتقى من أخبار
مصر ص ١٩ .

(٤) « صدوا » في النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٢ .

(٥) « ملككم كان معارا » في النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٢ .

فقال لها : تمنى . فقالت : أتمنى الأرض المجاورة للمقسم . فقال : هي
للس . فعرفت الأرض بأرض الطبالة^(١) إلى وقتنا هذا .

ذكر القبض على الوزير أبي محمد الحسن^(٢) بن علي ابن عبد الرحمن البازورى وقتله وشىء من أخباره

وفي المحرم سنة خمسين وأربعمئة سعى بالوزير المذكور عند المستنصر بالله
أنه كاتب السلطان طغرل بك السلجوق وحسن له قصد الديار المصرية ،
فقبض عليه وجهزه إلى تيس ، ثم أمر بقتله ، فقتل في الثاني والعشرين من
صفر^(٣) منها . وكان من أكابر وزراء ملوك هذه الدولة .

قال المؤرخ : كان والد البازورى قاضى يازور ، وهى قرية من أعمال
الرملة ، فلما توفى خلفه ولده الحسين المذكور ، ثم غزل عنها ، فقدم مصر
وسعى فى إعادته لحكم يازور ، فرأى من قاضى مصر أطراحا لجانبه ،
فصحبه رفق المستنصرى - وكان خصيصا بوالدة المستنصر ، فكلم القاضى
فى أن يسمع قوله بمصر ففعل . فلما قتل أبوسعيد التستري أشار رفق على
[٦٦] والدته المستنصر أن يكون البازورى وزيرها ، فرتبته فى وزارتها ،
فخافه الوزير أبو البركات الجرجالى أن يلى الوزارة ، فسعى له فى الحكم

(١) أرض الطبالة : كانت على جانب الخليج الغربى بجوار خط المفس ، ويذكر المقرئى أنها
كانت من أحسن متنزهات مصر - المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١٢٥ .

(٢) « الحسين فى الأصل » والتصحیح من الإشارة ص ٤٠ .

(٣) انظر انعاظ المنفا ج ٢ ص ٢٣٦ ، المنتقى من أخبار مصر ص ١٦ .

ليشغله عن الوزارة ، فامتنع اليازورى من ذلك ، فأشارت عليه والدته المستنصر بقبول الولاية فقبل . ولم تمض إلا مدّة بسيرة حتى صُرف ابن الجرجاني عن الوزارة وفوّضت الوزارة إلى اليازورى^(١) مضافاً لما بيده من قضاء القضاة وديوان واللغة المستنصر بالله .

قال القاضي أبوالحسين أحمد الأسواني في تاريخه : حدثني القاضي إبراهيم ابن مسلم الفوّى قال : شهدت خطير الملك ، ولد^(٢) اليازورى الوزير ، وكان قد ناب عن والده في قضاء القضاة والوزارة وغير ذلك ، وسار إلى الشام بعساكر عظيمة فأصلح أمره . ورأيتُه بعد ذلك بمسجد فوّة^(٣) وهو يخيّط للنّاس بالأجرة وهو في حال شديدة من الفقر والحاجة ، فرأيتُه ذات يوم وهو يطلب رجلاً بأجرة خياطة خاطها له ، والرجل يدافعهُ ويُماطله ، وهو يلحّ في الطلب . فلما ألح عليه قال له الرجل : يا سيّدنا ، اجعلْ هذا القدر اليسير من جُملة ما ذهب منك في السّفرة الشامية . فقال : دَعْ ذكر ماضى . فسألته عن ذلك فلم يحدثني بشيء ، وسألْتُ غيره فقال : الذى ذهب منه في سَفَرته في نفقات سَمَاطه ستّة عشر ألف دينار .

قال المؤرخ : وكان اليازورى سببُ التدبير ، أوجب سوء تدبيرهُ خروج إفريقيا وحلب عن المستنصر بالله .

(١) يذكر ابن ميسر « واجتمع ناصر الدولة بن حمدان باليازورى ، وأشار عليه بالوزارة مضافاً لأشغاله ، وتحدث له مع المستنصر فأجاب وولاه » - المنتقى من أخبار مصر ص ١٦ .

(٢) « غيظ الملك والد اليازورى » في الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح يتفق مع ما يأتي ، وما ورد في المنتقى من تاريخ مصر ص ١٧ .

(٣) فوّة : من القرى القديمة . وهى حالياً قاعدة مركز فوّة بمحافظة الغربية - القاموس الجغرافى ق ٢ ج ٢ ص ١١٢ وما بعدها .

قال : ولما قبض على اليازورى وَلَّى الوزارة بعده صاحبه أبو الفرج عبد الله^(١) بن محمد البابلي ، وكان خصيصاً به ، فلما ولي الوزارة بعده سعى في قتله كل السعي ، ويقال إنه جهّز إليه من قتله بغير أمر المستنصر ، فلما أطلع على ذلك عظم عليه . وعزل البابلي في شهر ربيع الأول منها . واستوزر أبو الفرج محمد^(٢) بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين المغربي ، ثم صرّفه في شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين وأعيد البابلي .

وفي سنة خمسين وأربعمائة استعمل ناصر الدولة بن حمدان على ولاية دمشق .

وفي سنة ثلاث وخمسين ، في المحرم ، صُرف البابلي عن الوزارة وولّيتها عبد الله^(٣) بن يحيى بن المدبر ، ثم صُرف في بقية السنة وولّى أبو محمد عبد الكرم^(٤) بن عبد الحاكم بن سعيد الفارقي في شهر رمضان من السنة ؛ فقال أبو الحسن علي بن يسر الرحمن بن بشر الصقلي يخاطب ابن المدبر :

لا تجزعنَّ عن الأمور إذا التوت	وأبشر بلطف مسبب الأسباب
ما كنتَ إلا السيف ، جرداً ماضياً	وأقرّ مذخوراً ليوم خراب
لله سيرتك التي ما سيرتها	إلا بأقوم سنة وكتاب
شئتَ للوزراء يا ابن مدبر	شرفاً لهم يتقى على الأعقاب
وجمعتَ بين طهارّة الأعراق ، والـ	أخلاق ، والأفعال ، والأثواب

(١) الإشارة ص ٤٦ .

(٢) الإشارة ص ٤٧ .

(٣) الإشارة ص ٤٨ .

(٤) الإشارة ص ٤٨ - ٤٩ .

جعل الإله لكل قوم سادةً وبشرو المدبر سادةً الكتاب

وفي سنة أربع وخمسين وأربعمائة في المحرم توفى الوزير أبو محمد عبد الكريم ، فرُدَّت الوزارة إلى أخيه أبي على أحمد^(١) بن عبد الحاكم ، وكان يلي قضاء القضاة ؛ وصُرف عن الحكم في صفر ، ثم صُرف عن الوزارة ، وقيل إنه صُرف عنها بعد سبعة عشر يوماً من ولايته . وأعيد البابلي مرة ثالثة في شهر ربيع الأول من السنة ، واستعفى بعد خمسة أشهر ، فاستوزر المستنصر سديد الدولة أبا عبد الله الحسين^(٢) بن على الماسكي ، وكان يلي نظر الدواوين بدمشق ، ثم صُرف في شوال وأعيد البابلي .

ذكر الفتنة الواقعة التي أوجبت خراب الديار المصرية

كان ابتداء هذه الفتنة في سنة أربع وخمسين وأربعمائة . وسيبها أن المستنصر بالله كان في كل سنة يركب على الثَّجِبِ ومعه النساء والخمر^(٣) إلى المكان المعروف بـجَبِّ عميرة^(٤) ، وهو موضع نزهة . ويذكر أنه خرج يريد

الإشارة ص ٤٩ .

(٢) الإشارة ص ٤٩ .

(٣) « والحشم » في انعاظ الحنفا ج ٢ ص ٢٦٥ ، المنتقى من أخبار مصر ص ٢٤ .

(٤) « يوسف » في الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح من انعاظ الحنفا ، والمنتقى من أخبار مصر .

جب عميرة : موضعه حالياً المنطقة المعروفة باسم البركة شمال شرق القاهرة ، وكان هذا

الموضع ينزل به حجاج البر عند سيرهم من القاهرة إلى مكة — المواعظ والاعتبار ج ٢

ص ١٦٣ .

الحج ، على سبيل الاستهزاء والتهكم ، ومعه الخمر في الرّوايا بدلاً عن الماء . يسقيه للنّاس كما يسقى الماء في طريق مكّة [٦٧] ، شرفها الله تعالى . فلمّا كان في هذه السّنة خرج على عادته في جُمادى الآخرة ؛ فاتفق أن بعض الأتراك جرّد سيفاً على سُكْرِ مِنْهُ على بغض عبيد الشّراء ، فاجتمع عليه طائفة من العبيد وقتلوه ، فجاء الأتراك إلى المستنصر وقالوا : إنّ كان هذا عن رضاك فالسمع والطاعة ، وإن كان عن غير رضاك فلا نصيرُ عليه . فأنكر المستنصر ذلك ؛ فاجتمع جماعة من الأتراك وقتلوا جماعة من العبيد بعد قتالٍ شديد على كوم شريك ^(١) . وكانت والدّة المستنصر تُعين العبيد بالأموال والسّلاح ، فاطّلع بعضُ الأتراك على ذلك ، فجمع طائفة كثيرة من الأتراك ودخل على المستنصر بهم ، وأغلظوا له في الكلام ، فحلف أنّه لم يكن عنده علمٌ من ذلك . ودخل على والدته وأنكر عليها ؛ وصار السيفُ بين الطّائفتين . ثمّ سعى أبو الفرج بن المغربي ، الذي كان بلى الوزارة ، وجماعة معه ، في الصّلح بين الطّائفتين ، فاصطلحوا ، ولم تَصُفْ طائفةٌ منهم للأخرى . ثمّ اجتمع العبيد وخرجوا إلى شبرا دمنهور ^(٢) في جمع كثير .

وكان سبب كسرتهم أنّ والدّة المستنصر لما قُتل سيدها ووزيرها أبو سعيد التّسترى اليهودي غَضِبَتْ لقتله ، وشرعت في شراء العبيد السّودان واستكثرَت منهم ، وجعلتهم طائفة لها ؛ فاشتدّ أمرهم إلى أن صارَ العبدُ منهم يحكمُ

(١) كوم شريك : من القرى القديمة ، إحدى قرى مركز كوم حمادة بمحافظة البحيرة ، وتنسب إلى الصحابي شريك بن سمي ، المواعظ والاعتبار جـ ١ ص ١٨٣ ، القاموس الجغرافي ق ٢ جـ ٢ ص ٣٣٩ .

(٢) شبرا دمنهور : من القرى القديمة ، وهي الآن شبرا الخيمة ، بمحافظة القليوبية ، وتعتبر حالياً ضمن القاهرة الكبرى — القاموس الجغرافي ق ٢ جـ ١ ص ١٢ وما بعدها .

حكمَ الولاية . فلما وَلَّى أبو البركات بن الجرجاني أمرته أن يُغريَ العبيدَ بالأتراك ، فخاف العاقبة فلم يفعل ، فصرفته وولت وزيرها اليازوري وأمرته بذلك ، فلم يقبل منها ، ودبر الأمر وساسه إلى أن قُتل . ووذر البابليَ فأمرته بذلك ، ففعل ، ووقع بين الطائفتين .

قال : فلما خرج العبيد إلى شبرا دمنهور قويت شوكة الأتراك وطلبوا الزبادات في أرزاقهم إلى أن خلت الخزائن من الأموال وضعفت الدولة ، والعبيد على حالٍ من الضرورة وهم يتزايدون عِدَّة ، فتكامل منهم ما بين فارس وراجل خمسون ألفاً .

فبعثت والدَةُ المُستنصر لقواد العبيد ، في سنة تسع وخمسين وأربعمائة ، وأغرتهم بالأتراك ، فاجتمعوا ووصلوا إلى الحيزة ، فخرج الأتراك لقتالهم ، والمقدم عليهم ناصر الدولة الحسن^(١) بن حمدان ، فلقبهم فكسره العبيد ونهبوا عسكره ، واشتغلوا بالثهب ، فعطف عليهم ابنُ حمدان وهزمهم إلى الصعيد ، وعادَ إلى القاهرة وقد قويت شوكتُه .

ثم تجمَّع العبيدُ في الصعيد في خمسة عشر ألف فارس وراجل ، فقلق الأتراك لذلك قلقاً شديداً ، وحضر المقدمون إلى المستنصر ليَشْكُوا ذلك إليه ، فأمرت والدته مَنْ عندها من العبيد والخدم بالهجوم عليهم^(٢) وقتل الأتراك ، ففعلوا ذلك . وسمع ناصر الدولة ابنُ حمدان بالخبر ، فركب إلى ظاهر القاهرة واجتمع إليه مَنْ بقى من الأتراك ووقعت الحرب بينهم وبين العبيد المقيمين بمصر والقاهرة ، ودامت بين الفريقين أياماً . فانتصر ناصر

(١) « الحسن » في الأصل ، والتصحيح عما سبق : ومن انعاظ الحنفا ج ٢ ص ٢٧٣ .

(٢) « عليه » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

الدولة والأتراك على العبيد ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، ولم يبقَ منهم بالقاهرة ومصر إلا القليل .

وبقي العبيد المقيمون بالصعيد على حالهم . وكان بالإسكندرية منهم جماعة . سار ناصر الدولة إليهم ، فسألوا الأمان ، فأمنهم ، ورتب بالإسكندرية من يثق به . وانقضت سنة تسع وخمسين في حربهم .

وقويت شوكة الأتراك في سنة ستين وأربعائة ، وطمعوا في المستنصر بالله ، وقلَّ ناموسه عندهم . وكان مقرّره في كلِّ شهر ثمانية وعشرين ألف دينار ، فصار في كلِّ شهر أربعائة ألف دينار . وطالبوا المستنصر بالأموال ، فاعتذر أنه لم يبقَ عنده شيء منها ؛ فطالبوه بنخائره فأخرجها إليهم ، وقُومت بأنجس الأثمان .

وخرج ناصر الدولة بن حمدان في جماعة من الأتراك إلى الصعيد لقتال مَنْ فيه من العبيد ، وكان قد كثر فسادهم ، فالتقوا واقتتلوا ، فكانت الهزيمة على ناصر الدولة والأتراك ، فعادوا إلى الحيزة . فاجتمع على ناصر الدولة مَنْ سلك من عسكره ، وشغبوا على المستنصر بالله ، واتهموه أنه يُعبد العبيد بالتفقات سرًّا ، فحلف لهم على ذلك .

ثم خرج الأتراك إلى العبيد وقاتلوهم ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ولم ينج منهم إلا القليل . وزالت دولة العبيد ، وعظم أمر ناصر الدولة بن حمدان .

ذكر الوحشة الواقعة بين ناصر الدولة والأتراك

وفي سنة إحدى وستين وأربعائة ابتدأت الوحشة بين ناصر الدولة بن حمدان وبين الأتراك . وسبب ذلك أن ناصر الدولة قوى واشتدت شوكته ، وانفرد بالأمر دون قوَّاد الأتراك ، فعظم ذلك عليهم وفسدت نياتهم

[٦٨] ، وشكروا ذلك إلى الوزير الخطير^(١) ، وقالوا : كلّمنا خرج من الحزنة مالٌ أخذ ناصرُ الدّولة أكثره وفرّقه في حاشيته ، ولا يصلُ إلينا منه إلّا القليل . فقال : ما^(٢) وصل إلى هذا الأمر وغيره إلا بكم ، ولو فارقتموه لم يتمّ له أمر . فاتفق أمرهم على محاربته وإخراجه من ديار مصر ، فاجتمعوا وذكرُوا ذلك للمستنصر ، وسألوه أن يُخرِجه عنهم ؛ فأرسل إليه يأمره بالخروج وينهذه إن لم يفعل . ففارق ناصرُ الدّولة القاهرةَ وغدا إلى الجيزة ، ونهت دُورهُ ودور حواشيه وأصحابه .

فلما جاء الليلُ دخل ناصرُ الدّولة . واجتمع بالقائد تاج الملوك شادى ، وقبّل رجله . وسأله أن يُعيّنه على الدّكر^(٣) والوزير الخطير . قال : وكيف الحيلةُ في ذلك ؟ قال : تركبُ أنت وأصحابك وتسيرُ بين القصرين ، فإذا أمكنك الفرصة فاقتلها . فأجابه إلى ذلك .

وركب شادى من بُكرة الغد للتسير فعلم الدّكر بمراذه ، فهرب إلى القصر واستجار بالمستنصر فسَلِم . وأقبل الوزيرُ في موكبه فقتله شادى ، وسير إلى ناصر الدّولة بأمره بالحضور ؛ فعُدّي من الجيزة إلى القاهرة . فأشار الدّكر على المستنصر بالركوب ، وقال : متى لم تركب هلكت^(٤) وهلكنا معك . فلبس

(١) « خطير الملك » في المتن من أخبار مصر ص ٣٤ .

وهو محمد بن الحسن بن علي الهازوري ، استقر في القضاء والوزارة في ١٣ صفر ٤٦٦ هـ ، وصرف عنها في شوال من نفس السنة — المتن من أخبار مصر ص ٣٥ .

(٢) « إمّا » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

(٣) شيخ الأتراك والمقدم عليهم ، ولقبه أسد الدولة ، وكان زوج ابنة ناصر الدولة بن حمدان . ولم يمت ذلك من التآمر عليه — اتعاظ الخنفا ص ٢٧٩ هامش^(١) .

(٤) « وإلا هلكت » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

سلاحه وركب ، وتبعه خلق من عامة الناس والجند ، واصطفوا للقتال . فحملت الأتراك على ناصر الدولة فانهزم ، وقُتل من أصحابه جماعة كثيرة ، ومضى لا يلوى على شيء وتبعه بعض أصحابه فالتحق ببني سَينس بالبحيرة فأقام عندهم وصاهرهم ، وتقوى بهم .

ولما تحقق ناصر الدولة ميل المستنصر عنه قصد إبطال دعوته ، وكتب إلى السلطان ألب^(١) أرسلان السلجوقي^(٢) ملك خراسان والعراق يسأله أن يسير إليه عسكرياً يفتح له مصر ويقيم الدعوة العباسية بها . فتجهز ألب^(١) أرسلان من خراسان بعساكره ، وكتب إلى صاحب حلب^(٣) يأمره بقطع دعوة المستنصر وإقامة الدعوة العباسية ، ففعل ذلك ، وانقطعت دعوة المستنصر^(١) من حلب ؛ ثم ملكها ألب^(١) أرسلان ؛ كما ذكرناه في أخبار الدولة السلجوقية^(٤) ؛ ثم ملكت عساكره دمشق^(٥) .

(١) بدلاً من كلمة « ألب » في المواضع الثلاثة في هذه الفقرة ، وكلمة « المستنصر » بياض في الأصل ، والتكلمة من المتنقي من أخبار مصر ص ٣٥ .

(٢) « السلجوقي » في الأصل .

وهو ألب أرسلان محمد بن دادر بن جفري بك بن ميكائيل بن سلجوقي ، الكامل ج ١٠ ص ٧٤ وما بعدها ، وانظر نهاية الأرب ج ٢٦ ص ٢٩٧ وما بعدها .

(٣) هو محمود بن ثمال بن صالح بن مرداس ، رشيد الدولة ، الذي ولي حكم حلب مرتين في الفترة من ٤٥٢ - ٤٥٣ هـ / ١٠٦٠ - ١٠٦١ م ، والفترة من ٤٥٤ - ٤٦٨ هـ / ١٠٦٢ - ١٠٧٥ م - انعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣٠٢ . تاريخ الدول الإسلامية ص ٢٤٦ .

(٤) « السلجوقية » في الأصل ، وانظر نهاية الأرب ج ٢٦ ص ٣١٢ .

(٥) كان ذلك سنة ٤٦٨ هـ / ١٠٧٥ م على يد القائد التركي ، أحد أمراء السلطان ملك شاه بن ألب أرسلان - المتنقي من أخبار مصر ص ٤٢ .

ذكر الحرب بين ناصر الدولة والأتراك

قال : ولما اتصل بالمستنصر ما فعله ناصر الدولة من مكاتبة ألب^(١) أرسلان جرد عسكرًا لِقِتَالِهِ مِنَ الْأَتْرَاكِ ، فساروا ثلاث فِرَقٍ . فأرادَ أحدُ المُقَدِّمِينَ أَنْ يَلْقَاهُ لِيَكُونَ الظَّفَرُ لَهُ دُونَ رَفِيقِهِ ، فتقدَّم والتقى بناصر الدولة ، فهزمه ناصر الدولة وقتل جماعةً من أصحابه وأسره . ثمَّ التقى العسكرُ الثاني ولم يعلموا بما جرى على الأول ، فهزموهم أقيح هزيمة ؛ وهرب العسكرُ الثالث . وقوى ناصر الدولة بهذا الظفر ، وقطع الميرة عن القاهرة ومصر ، ونهب أكثر الوجه البحرى ، وقطع خطبة المستنصر من الإسكندرية ودمياط والوجه البحرى ، وخطب للقائم بأمر الله^(٢) العباسى . وعُدَّتْ الأَقْوَاتُ بِالقاهرة ومصر ، واشتدَّ الغلاء ، وكثر الوباء ، وامتدَّتْ أَيْدَى الجندِ إِلَى نَهْبِ العوامِ .

ذكر الصُّلح بين ناصر الدولة والأتراك

وفى المحرم سنة ثلاث وستين وأربعمائة وقع الصُّلح بين ناصر الدولة بن حمدان والأتراك . وسببُ ذلك أَنَّ المُسْتَنْصِرَ بِاللَّهِ وَالْأَتْرَاكَ اشْتَدَّتْ بِهِمُ الضَّائِقَةُ لِقَطْعِ الميرة ، فاضطُّرُّوا إِلَى مُصَالَحَتِهِ ، فصالحوه على أَنْ يَكُونَ مَقِيمًا بِمَكَانِهِ وَيُحْمَلَ إِلَيْهِ مَالٌ قَرَّرَهُ المُسْتَنْصِرُ ، وَيَكُونَ تَاجُ الملوِكِ شَادِي نَائِبًا عَنْهُ . فرضى بذلك وسير الغلال إلى مصر . ثمَّ وقع الخلافُ بينهم بعدَ شهور ، فجاء

(١) بدلًا من كلمة « ألب » ياض في الأصل .

(٢) هو الخليفة العباسى أبو جعفر عبد الله القائم بأمر الله . الذى ولى الخلافة العباسية قى بغداد فى الفترة من ٤٢٢ - ٤٧٦ هـ / ١٠٣١ - ١٠٧٥ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢ -

ناصر الدولة من البحيرة ، وعساكر كثيرة ، وحاصر مصر في ذى القعدة من السنة ، ودخل أصحابه فنهوا شطراً منها ، وأحرقوا دور الساحل ؛ ثم عادوا إلى البحيرة . والله أعلم^(١) .

ذكر الحرب بين ناصر الدولة وتاج الملوك شادى وما كان من أمر ناصر الدولة إلى أن قتل

وفي سنة أربع وستين وأربعمائة جمع ناصر الدولة جموعه من العربان وجاء إلى الحيزة ، واستدعى إليه تاج الملوك شادى وبعض المقدمين ، فخرجوا للقائه ، فقبض عليهم ونهب مصر [٦٩] وأحرقها .

وكان سبب ذلك أن شادى كان قد قطع عن ناصر الدولة ما كان قد تقرر حملته إليه من المال ، ولم يؤصل إليه إلا اليسير منه . فلما قبض عليهم سير المستنصر إليه عسكرياً كثيفاً ، فهزمه ، فهرب إلى البحيرة وجمع جموعه من العربان وغيرهم ، وقطع خطبة المستنصر وأبطل ذكره . ثم قديم ناصر الدولة في شعبان من السنة ودخل إلى مصر وحكم بها ، وأرسل إلى المستنصر يطلب منه المال ؛ فراه الرسول وهو جالس على حصير وحوله ثلاث خدم ، ولم ير شيئاً آخر من آثار المملكة . فلما ذكر الرسول رسالته للمستنصر قال : ما يكفي ناصر الدولة أن أجلس في مثل هذا البيت على هذه الحال ! فبكى الرسول ، وعاد إلى ناصر الدولة وذكر له الحال ؛ فأطلق ناصر الدولة للمستنصر بالله في كل شهر مائة دينار ، وحكم في القاهرة ، وبالغ في إهانة المستنصر ، وقبض

(١) انظر انعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣٠٥ ، المتقى من أخبار مصر ص ٣٧ .

على والدته وعاقبها ، وأخذ منها الأموال . وتفرّق عن المستنصر جميع أقاربه وأولاده ، ومضوا إلى بلاد المغرب والعراق (١) .

وعمل ناصر الدولة على إقامة الدولة العباسية . فنهض إلديكر أحد الأمراء ، وبلدكوز ، واجتمعا بمن بقي من الأتراك ، وأتفقوا كلهم على قتل ناصر الدولة ، وكان قد أمّن وترك الاحتراس لقوته وسطوته ، وظن أن الدنيا صفت له . فتواعد الأتراك وركبوا إلى داره ، في شهر رجب سنة خمس وستين وأربعمائة ، وهو إذ ذاك بمصر بمنزل العز (٢) ، فدخلوا عليه من غير استئذان إلى أن بلغوا صحن الدار ، فخرج إليهم في رداء ، فقتلوه وأخذوا رأسه . وكان الذي تولى قتله إلديكر ، وقتل أخوه فخر العرب وأخوها تاج المعالي وجماعة من أهل بيته . وانقطع ذكر آل حمدان ، ولم يبق بمصر لهم ذكر (٣) .

وناصر الدولة هذا هو الحسن بن الحسين بن ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن أبي الهيجاء حمدان بن حمدون .
نرجع إلى حوادث الدولة المستنصرية .

وفي سنة خمس وخمسين وأربعمائة ندب أمير الجيوش بدر الجمالي لولاية دمشق على حربها (٤) ، وفوض إليه في سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ولاية

(١) انظر اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣٠٦-٣٠٧ . المنتقى من أخبار مصر ص ٢٨ .

(٢) منازل العز : دار أنشأتها السيدة تغريد أم العزيز بالله ، تشرف على النيل . اتخذها الخلفاء الفاطميون مقراً ، وسكنها ناصر الدولة بن حمدان إلى أن قتل - المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٨٤ وما بعدها ، وج ٢ ص ٣٦٤ .

(٣) انظر النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢١-٢٢ .

(٤) انظر ذيل تاريخ دمشق ص ٩١ وما بعدها ، الكامل ج ١٠ ص ٣٠ . المنتقى من أخبار مصر ص ٢٨ .

الشام بأسرها (١)

ذكر الغلاء الكائن بالديار المصرية

كان ابتداءه في سنة سبع وخمسين وأربعمائة واشتد من سنة إحدى وستين ، وقلّت الأقوات في الأعمال حتى أكل الناس الميتة ، وتزايد في سنة اثنين وستين : وكثر الوباء بالقاهرة ومصر حتى إن الواحد كان يموت في البيت فيموت في بقية اليوم أو الليلة كل من بقي فيه . وخرج من القاهرة ومصر جماعة كثيرة إلى الشام والعراق ، وأكل بعض الناس بعضاً . ودام ذلك إلى سنة أربع وستين . وشبهت هذه السنين بسنى يوسف عليه السلام . قال ابن الهيثمي في تاريخه (٢) : وفي سنة اثنين وستين وأربعمائة ورد إلى بغداد من مصر الرجال والنساء هرباً من الجوع والفتنة ، وأخبروا أن بعضهم أكل بعضاً . وورد التجار معهم ثياب صاحب مصر وآلته وذخائره ؛ وكان معهم أشياء كثيرة نُهبَت عند القبض على الطائع ، في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة ، وما نُهب في وقعة الباسيري (٣) .

قال : وخرج من خزانة المستنصر بالله أشياء عظيمة ، من جملتها ثلاثون ألف قطعة بلوركبار ، وخمسة وسبعون ألف ثوب ديباج خسرواني (٤) ،

(١) المنتقى من أخبار مصر ص ٣٠ .

(٢) هو محمد بن عبد الملك الهيثمي ، صاحب تكملة تاريخ الطبري .

(٣) انظر انعاظ المنفا ج ٢ ص ٣٠٣ . المنتقى من أخبار مصر ص ٣٦ . أخبار الدول المنقطعة ص ٧٥ .

(٤) نبة إلى خسرو شاه من أكاسرة الفرس ، وهو نوع من الحرير رقيق .

وأحد عشر ألف^(١) درع ، وعشرون ألف سيف محلاة ، وغير ذلك .

قال المؤرخ : ومن جملة ما بلغ من أمر الغلاء أن امرأة كان لها حلى باعت ما يساوي ألف دينار بثلاثمائة دينار واشترت به خنطة ، فنهبت منها في الطريق ، فنهبت مع من نهبت ، فحصل لها ما جاء رغيها واحداً^(٢) .

وحكى أن بعض أهل اليسار وقف بباب القصر وصاح واستصرخ إلى أن أحضر بين يدي المستنصر ، فقال له : يا مولانا ، هذه سبعون قمحة وقفت على سبعين ديناراً ، كل قمحة بدينار ، في أيامك ؛ وهو أنى اشترت أردب قمح بسبعين دينار ، فنهبت منى فنهبت مع من مهبت ، فوقع في يدي هذه ؛ فكل قمحة بدينار . فقال المستنصر الآن فرج الله عن الناس فإن أيامي حكم لها أن القمحة تُباع بدينار^(٣) .

قالوا : ولم يكن هذا الغلاء عن نقص الثيل ، وإنما كان لاختلاف الكلمة وحروب الأجناد ، وتغلب المتغلبين على الأعمال . وكان اتيل يزيد وبهبط في كل سنة ، ولم يجد من يزرع الأراضي ؛ وانقطعت الطرقات براً وبحراً إلا بالخيقة الكثيرة ، وأبيع الرغيف الخبز بأربعة عشر ديناراً أو درهماً . قال الحوائى : وأبيع الأردب القمح بمائتي دينار .

[٧٠] ذكر قدوم أمير الجيوش بدر الجمالى إلى مصر واستيلائه على الدولة

كان تقدمه في سنة ست وستين وأربعمائة . وسبب ذلك أن المستنصر

(١) « منها واحد وعشرون ألف درع » في المتن من أخبار مصر .

(٢) انظر اتعاظ المنفا ج ٢ ص ٢٩٩ .

(٣) انظر اتعاظ المنفا ج ٢ ص ٢٩٩ .

تواترت (١) عليه الرزايًا وحصره ابنُ حمدان كما ذكرنا فلمّا قتل ابن حمدان استطال إلذكر والأترك والوزير ابن أبي كدينة (٢) ، فضاق المستنصر ذرعًا ، وكاتب أمير الجيوش بدر الجمالي (٣) وحسن له أن يكون المتولّى لأمر دولته ، فأعاد الجواب واشترط أن يستخدم معه عسكريًا ، وآلا يُبقى على أحدٍ من عسكري مصر . فأجابه إلى ذلك . فاستخدم العساكر وركب في البحر الملح ، وكان إذ ذاك بعكًا . وسار في مائة مركب في أوّل كانون ، وهو وقت لم تجر العادة بركوب البحر في مثله ، فوصل دمياط ، وركب منها . وسار إلى أن نزل بظاهر قليب . وأرسل إلى المستنصر بالله أن يقبض على إلذكر (٤) ، فقبض عليه ، ودخل أمير الجيوش إلى القاهرة في شهر ربيع الآخر منها ، وقيل في جمادى الأولى . فإلث أن بعث كل أمير من أمرائه إلى قائده من قواد الدولة ليلاً وأمره أن يأتيه برأسه ، فأصبح وقد أحضر إليه من رموس قواد الدولة شيء كثير . وقبض على الأتراك وقويت شوكة ، وقمع كل مفسد ، حتى لم يبق أحد منهم بمصر والقاهرة . وخلع المستنصر (٥) بالله على بدر الجمالي بالطيلسان ، وصار أمر المستخدمين في حكمه ، والدعاة والقضاة نوابه . قال : ولمّا قدم مصر حضر إليه المتصدرون بالجامع ، فقرأ ابن

(١) « لما تواترت » في الأصل ، والتصحيح يتفق وسياق الكلام .

(٢) هو الحسن بن مجمل بن أسد بن أبي كدينة - المنتقى من أخبار مصر ص ٤٠ .

(٣) انظر ترجمته في : الإشارة ص ٥٥ - ٥٦ ، ذيل تاريخ دمشق ص ١٢٧ - ١٢٨ ، وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٤٨ ، الوافي ج ١٠ ص ٩٥ رقم ٤٥٤٥ .

« بلدكوز » في المنتقى من أخبار مصر ص ٤٠ ، و « بلدكوش » في انعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣١٢ ، الوافي بالوفيات ج ١٠ ص ٩٥ ، كنز الدرر ج ٦ ص ٤٣٩ .

(٥) « عل المستنصر باقه » ، وهو تحريف ، والتصحيح يتفق والسياق . وانظر المنتقى من أخبار مصر ص ٤٠ .

العجمي : « وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ » ^(١) وسكت عن تمام الآية . فقال له بدر : والله لقد جاءت في مكانها ، وسكوئك عن تمام الآية أحسن ^(٢) ؛ وأحسن إليه . وقيل : بل قال له : لِمَ لا قرأت « إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ » ^(٣) .

وقتل أمير الجيوش من أمائل المصريين ووزرائهم وحكامهم جماعة ، وشرع في إصلاح الأعمال وقتل المفسدين .

وفي سنة ثمانٍ وستين وأربعمائة خطب للمستنصر بمكة والمدينة ، وكانت الخطبة بهما قد انقطعت منذ خمس ^(٤) سنين .

وفيهما حاصر أنسيز ^(٥) دمشق وملكها ، على ما ذكرناه في الباب العاشر من القسم الخامس من هذا الفن في أخبار الدولة السلجقية . وانقطعت خطبة المستنصر من الشام .

ذكر هلاك عرب الصعيد وقتل كثر الدولة

وفي سنة تسعٍ وستين وأربعمائة اجتمع جماعة كثيرة من عرب جهينة

(١) سورة آل عمران رقم ٢ جزء من الآية رقم ١٢٣ .

(٢) بقية الآية « فَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ » . وورد في كنز الدرر « لو أتم الآية أمرت بضرب عنقه » جـ ٦ ص ٣٩٩ .

(٣) سورة الزخرف رقم ٤٣ ، جزء من الآية ٥٩ .

(٤) ورد هذا الخبر في أحداث سنة ٤٦٧ هـ في انعاظ الحنفية جـ ٢ ص ٣١٤ ، وانظر أيضا الكامل جـ ١٠ ص ٩٨ .

(٥) أنسيز أو أنسر أو أطسر ، ويكتب أحياناً أنسيس ، أحد أمراء السلطان السلجوقي ملك شاه ، انظر الكامل جـ ١٠ ص ٩٩ وما بعدها ، والمنتقى من أخبار مصر ص ٢٤٢ . وانظر نهاية الأرب جـ ٢٦ ص ٣١٦ - ٣١٧ .

(١) والجعافرة والثعالبة وغيرهم بمدينة طوخ العليا من صعيد مصر ، واتفقوا على قتال أمير الجيوش ، فخرج إليهم . فلما قاربهم هجم عليهم في نصف الليل ، فهزمهم وأبادهم بالقتل ، وغرق خلق كثير منهم ، وغنم أموالهم وحملت إلى المستنصر .

وكان كثر الدولة (٢) محمد قد تغلب على ثغر أسوان ونواحيها وعظم شأنه وكثرت أتباعه ؛ فقاتله أمير الجيوش وقتله ، وبني في المكان مسجداً سماه مسجد النصر . وكانت هذه الوقعة آخر إصلاح حال مصر وعربانها . وقيل كان قتل كثر الدولة في سنة خمس وسبعين والله أعلم .

(٣) وفي غيبة أمير الجيوش [هجم] أنسيز على الديار المصرية ، وكان ابن يلدكوز قد التحق به وأهدى له ثحفاً جليلة المقدار ، منها ستون حبة لؤلؤ مدحرج (٤) تزيد كل حبة على مثقال ، وحجريات زنته سبعة عشر مثقالاً ، وغير ذلك ، وأطمعه في ملك الديار المصرية ، وملك ما وصل إليه . فجمع أمير الجيوش عساكره وخرج إليه . وقاتله وهزمه ، وقتل خلقاً كثيراً من أصحابه بعد أن أقام بأرياف مصر جماديتين وبعض شهر رجب (٥)

(١) طوخ : يوجد بصعيد مصر ٢١ موضع كل منها يحمل اسم طوخ مضافاً إلى اسم آخر .
وورد في معجم البلدان طوخ : قرية بصعيد مصر غربي النيل ، وورد في القاموس الجغرافي طوخ : قرية في صعيد مصر الأعلى على غربي النيل ، ومن المرجح أن تكون هذه القرية هي المقصودة ، وهي التي تعرف باسم طوخ دمنو من أعمال قوص - القاموس الجغرافي ق ٢ ج ٤ ص ١٨٧ .

(٢) عن بني كثر انظر تاريخ دولة الكثر الإسلامية - القاهرة ١٩٧٦ .

(٣) [] إضافة للتوضيح تنفق والسياق ، وانظر أيضاً المنتقى من أخبار مصر ص ٤٤ ، انعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣١٧ ، الكامل ج ١٠ ص ١٠٣ .

(٤) « مرجح » في المنتقى من أخبار مصر ص ٤٤ .

(٥) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ٤٤ ، وانعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣١٧ وما بعدها .

وفيها خرج على أمير الجيوش عرب قيس وسليم وفزارة ، فخرج إليهم وقاثلهم ، وهزمهم ، وطردهم إلى برقة ^(١) .

وفي سنة سبعين وأربعمائة فوّض لأمر الجيوش بدر الجمالي قضاء القضاة ، ونُعت بكافل قضاة المسلمين ، وهادى دُعاة المؤمنين .

وفي سنة سبعٍ وسبعين وأربعمائة خالف الأوحّد بن أمير الجيوش على والده ، واجتمع معه جماعة من الرّبان وغيرهم ، واستولى على الإسكندرية . فسار إليه والدّه وحاصره بها ، وفتحها ، وقبض على ولده ، وبني أمير الجيوش الجامع المعروف بجامع العطارين بالإسكندرية ^(٢) من أموال أخذها من أهل البلد ، وكانت عمارته في شهر ربيع الأول سنة تسعٍ وسبعين . وقامت الخطبة بهذا الجامع إلى آخر أيام العاضد ^(٣) .

وفي سنة اثنتين وثمانين [٧١] وأربعمائة ندب أمير الجيوش بدر الجمالي عسكرياً إلى الساحل ففتح صور وصيدا ، وصاراً بيد نوابه . ثم سار بعد ذلك وفتح جُبيل وعكا . وكان ذلك في يد تاج الدولة تُتُش صاحب دمشق ^(٤) .

ذكر بناء باب زويلة بالقاهرة

وفي سنة خمسٍ وثمانين وأربعمائة أمر أمير الجيوش بدر الجمالي ببناء باب

(١) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٧٦ ، المنتقى من أخبار مصر ص ٤٤ .

(٢) كان هذا الجامع خراباً وجدده بدر الجمالي — انظر تاريخ المساجد الأثرية ج ١ ص ٦٧ ، ج ٢ لوحة ٣١ ، وانظر المنتقى من أخبار مصر ص ٤٦ هامش ١٨٩ .

(٣) « ولم تزل الخطبة فيه حتى ملك صلاح الدين يوسف فنقل الخطبة منه إلى جامع بناء » المنتقى من أخبار مصر ص ٤٧ ، وانظر اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣٢١ .

(٤) في الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح من المنتقى من أخبار مصر ص ٥٠ ، الكامل ج ١٠ ص ١٧٦ ، اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣٢٦ ، النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٢٨ .

زويلة الكبير ، الذي هو الآن باقٍ ، وعلى أرضه ^(١) ، وأراد أن يجعل له عطفة على عادة أبواب الحصون حتى لا تنهجم عليه العساكر في أوقات الحصار ، ويتعذر دخولها جملة ؛ فأشار عليه بعض المهندسين أن يعمل في بابه زلاقة من حجارة الصوان ، فعمله على هذا الحكم . ولم يزل كذلك إلى أن دخل منه السلطان الملك الكامل ^(٢) بن الملك العادل ، فزلق فرسه ، فرسم أن يخفف من حجارته ، فخفف منها ، ولم يبق إلا القليل على ما هو عليه الآن ^(٣) .

وفي سنة ست وثمانين وأربعمائة ملك تاج الدولة تثنى ثمر صور بمواطاة من نائب بدير بها .

ذكر وفاة أمير الجيوش بدر الحلي وولاية ولده الأفضل

كانت وفاته في شهر ربيع الأول ^(٤) ، وقيل في جمادى الأول ، سنة سبع وثمانين ^(٥) وأربعمائة . وكان حكمه بديار مصر حكم الملوك ولم يبق للمستنصر بالله أمر ، بل سلم الأمور إليه فضبطها أحسن ضبط . وكان شديدة الهيبة ،

(١) « وعلى أبراجه » في المنتقى من أخبار مصر ص ٥١ ، اتعاط الحنفا ج ٢ ص ٣٢٧ .

(٢) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب ، الملك الكامل ، ولي حكم الدولة الأيوبية في الفترة من ٦١٥ - ٦٣٥ هـ / ١٢١٨ - ١٢٣٨ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٤٢ .

(٣) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ٥١ ، اتعاط الحنفا ج ٢ ص ٣٢٧ .

(٤) « ربيع الآخر » في المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٣٨١ ، و « في ذى العقدة » في الكامل ج ١٠ ص ٢٣٥ .

(٥) « سنة ست وثمانين » في كنز الدرر ج ٦ ص ٤٣٩ ، و « سنة ثمان وثمانين » في كل من : المعبر ج ٣ ص ٣٢٠ ، شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٨٣ .

سريع البطش ؛ قتل خلقاً كثيراً من أكابر المصريين وقوادهم وكتّابهم ؛ وعلى يديه صلحت الديار المصرية بعد أن خربت . وكان له نحو الثمانين سنة . وكان أرمنى الجنس مملوكاً لجمالى الدولة بن عمار وإليه يُنسب وتولّى إمرة الشام والساحل .

ولما كان بلى دمشق جرت فتنة من عسكره وأحداث البلد خرب بسببها قصر الإمارة والجامع الأموى .

ذكر وفاة المستنصر بالله وشيء من أخباره

قال المؤرخ : ولما ولي مصر أطلق الخراج للمزارعين ثلاث سنين إلى أن تمت أحوالهم واتسعت أموالهم . وكانت إمارته بمصر إحدى وعشرين سنة . ولما توفى ولي بعده الوزارة ولده الأفضل ، ونعت بتعوت أبيه ، وقبض على جماعة من الأمراء كانوا قد ثاروا عليه .

كانت وفاته فى ليلة الخميس الثامن عشر من ذى الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة ، ومولده فى يوم الأحد سادس عشر جمادى الآخرة سنة عشرين وأربعمائة ، فكانت مدة حياته سبعاً وستين سنة وستة أشهر وثلاثة أيام ، ومدة ولايته ستين سنة وأربعة أشهر .

ولقى فى ولايته أهوالاً عظيمة وشدائد كثيرة وفاقة متمكنة حتى جلس على نعج^(١) وكانت أيامه ما بين غلاء ووباء وفتن ، على ما نذكره . وكان قد عتاً ونجبر واشتهر ، وذلك أنه اشتهر عنه أنه نصب خركاه فى القصور التى بعين

(١) نعج : نوع من الحصير — أو بساط طويل — القاموس .

شمس وبني فسقية عظيمة وحمل إليها الخمر في الرّوايا وأخرج جميع مَنْ في قصره من الملاحى والقيان إلى الحركة وهم يغنون بأصوات مرتفعة ويستقون من فسقية الخمر ، ويطوفون بالحركة ، يُضاهون بذلك البيت العظيم وزمزم ، ويقول : هذا أطيب من زيارة حجارة ، وسماع صوت كربه ، وشرب ماء آسن . فآخذ الله تعالى وعجل العقوبة ، وأراه الذلّ مع قيام سلطانه ، وسلط عليه أنصار دولته حتّى نهبوا أمواله واستولوا على قصره ، ولم يبقَ له إلاّ بساطٌ فجذبوه من تحته . وصار إذا ركب لا يجد ما يركبه حاملٌ مظلته إلاّ أن يُستعار له بغلة ابن هبة ، صاحب ديوان الإنشاء ، وكلُّ خواصّه مشاة ليس لهم دواب يركبونها ، وكانوا إذا مشوا يتساقطون في الطّرفات من الجوع . وكانت ابنة بابشاذ تبعثُ إليه برغيفين في كلّ يوم ^(١) . وهذه عاقبة الطغيان والاستهتار .

وكان له أولاد منهم : أبو القاسم أحمد ، وأبو المنصور نزار ، وأبو القاسم محمد ، وأبو الحسين جعفر ^(٢) ، وغيرهم .

ووزّر له جماعة ^(٣) وهم : أبو القاسم الجرجاني الأقطع ، وزير والده ، إلى أن توفّي ، فاستوزر من ذكرناهم [٧٢] إلى آخر سنة أربع وخمسين . وتكرّر بعضهم في الوزارة مراراً واستوزر أبا غالب عبد الظاهر بن فضل العجمي غير مرّة ، دفعةً في جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وصُرف بعد

(١) « لا يجد من القوت إلا ما تصدق به عليه الشريفة ابنة صاحب السبيل في كل يوم » انعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣٣٢ .

(٢) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٧٧ .

(٣) « ووزر له أربعة وعشرون وزيراً » في المنتقى من أخبار مصر ص ٥٥ . وفي انعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣٣٢ .

ثلاثة أشهر ، ودفعته في شهر ربيع الآخر سنة ست وخسين وصُرف بعد ثلاثة وأربعين يوماً ، ثم وليها ثالثة في أيام الفتنة ولُقّب تاج الملوك شادي ، وقتل في سنة خمس وستين . وولّى له الحسن بن ثقة الدولة بن أبي كدينة القضاء والوزارة ، كلّ منصبٍ منها خمس دفعات ، ويقال إنه من ولد عبد الرحمن ابن ملجم قاتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه . ولَمّا وصل أمير الجيوش بدر الجمالي أرسله إلى دمياط وأمر بضرب عنقه ، فدخل عليه السيّاف بسيفه كليل^(١) فضربه عدّة ضربات حتى أبان رأسه ، وكان عدّة ماضيه عدّة ولاياته الحُكم والوزارة . وولى أبوالمكارم أسعد ثم قتله أمير الجيوش ، ووَزَرَ بعده أبوعلی الحسن بن أبي سعد إبراهيم بن سهل التستري عشرة أيام ثم استعفى ، وكان يهوديا فأسلم ، وولّى أبو القاسم هبة الله محمد الرعباني دفعتين كلّ دفعة عشرة أيام . ووَزَرَ الأثير أبو الحسن بن الأنباري أياما وصُرف ، ووَزَرَ أبوعلی الحسين بن سديد الدولة الماسكي مرة ثانية أيامًا ثم صرف . ووَزَرَ أبو شجاع محمد بن الأشرف بن فخر الملك ، وفخر الملك هو الذي وزر ليهاء الدولة ابن بويه ، فصُرف وسار إلى الشّام فقتله أمير الجيوش في مسيره . واستوزر أبا الحسن طاهر ابن الوزير الطرابلسي ، من طرابلس الشّام ، ثم صرّفه ، وكان أحد الكتاب بديوان الإنشاء ، واستوزر أبا عبد الله محمد بن أبي حامد السيسى يوماً واحداً ثم قُتل . فاستوزر أبا سعد منصور بن أبي اليعن سورس بن مكرواه بن زنبور . وكان نصرانياً ثم أسلم ، والنصارى يُنكرون إسلامه . واستوزر أبا العلاء عبد الغني بن نصر بن سعيد وصُرف وبقي أيامًا وقتله أمير الجيوش . ثم قدم أمير الجيوش بدر الجمالي من عكا ووَزَرَ

(١) كليل : ضيف ، وسيف كليل : أي لا يقطع - القاموس .

للسيف والقلم والحكم إلى أن مات ، ثم ولدّه الأفضل بعده^(١) .

قضاته : كان منهم جماعة من الوزراء قد ذكرناهم ، ومن لم يَلِ الوزارة عبد الحاكم بن سعيد الفارقي في أول خلافته ، ثم القاسم بن عبد العزيز بن النعمان . وفي ولاية أمير الجيوش أبي يعلى العرقى إلى أن مات ، فولى أبو الفضل القضاعي . ثم جلال الدولة أبو القاسم على بن أحمد بن عمار ، ثم صرفه وولّى أبا الفضل بن عتيق ، ثم أبا الحسن على بن يوسف الكحال النابلسي ، ثم فخر الأحكام محمد بن عبد الحاكم^(٢) .

وكان نقش خاتم المستنصر بالله « بنصر السميع العليم ينتصر الإمام أبو تميم »^(٣)

ذكر بيعة المستعلى بالله

هو أبو القاسم أحمد بن المستنصر بالله أبي تميم معد ، وهو التاسع من ملوك الدولة العبيدية ، والسادس من ملوك مصر منهم . بُويع له في بكرة نهار الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة .

وذلك أن المستنصر بالله لما توفى بادر الأفضل أمير الجيوش بدخول القصر وأجلسه على تخت المملكة ، وسير إلى إخوته نزار وعبد الله وإسماعيل ،

(١) انظر اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣٣٢ - ٣٣٤ ، أخبار الدول المنقطعة ص ٧٨ - ٨١ ، المنتقى من أخبار مصر ص ٥٥ - ٥٦ ، الإشارة ص ٣٦ - ٥٩ .

(٢) انظر اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣٣٤ ، أخبار الدول المنقطعة ص ٨١ ، المنتقى من أخبار مصر ص ٥٧ .

(٣) « ينتصر المستنصر أبو تميم » في اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣٣٤ .

وأَعْلَمَهُمْ بوفاة أبيهم ، وأمرهم بِسُرْعَةِ الحضور . فلَمَّا حضروا شاهدُوا أخاهم الصَّغِيرَ وقد جلس على سرير الخلافة ، فامتعضوا من ذلك ، فقال لهم الأَفْضَلُ : تقدَّمُوا وقَبِّلُوا الأرضَ لله تعالى ولمولانا المستعلي بالله وبإيعوه ، فهو الذى نصَّ عليه الإمام المستنصر بالله قبل وفاته بالخلافة من بعده . فقال نزار : لو قُطِّعَتْ ما بايَعْتُ مَنْ هو أصغرُ مِنِّي سنًا ، وخطُّ والدى عنْدِي بولاية العهد ، وأنا أحضره . وخرج مُسرِّعًا لِيُحْضِرَ الخطَّ ففضى إلى الإسكندرية ، فسير الأَفْضَلُ خَلْفَه من يُحضره ، فلم يعلم أحدٌ أين توجَّه ولا كيف سلك ، فانزعج الأَفْضَلُ (١) لذلك .

وقيل إنَّهُ لَمَّا ثَوَّفَى المستنصر بالله جلس بعده ولده أبو منصور نزار ، وهو وليُّ العهد وأراد أخذ البيعة لنفسه فامتنع الأَفْضَلُ أمير الجيوش من ذلك لكرهته فيه (٢) واجتمع بِجماعة الأمراء والخواص وقال لهم : إن هذا كبير السن ولا نأمنه على نفوسنا ، والمصلحة أن نبايع لأخيه الصغير أبى القاسم أحمد . فوافقوه على ذلك إلا محمود بن مصال اللكى (٣) ، فإن نزارًا كان قد وعده بالوزارة والتقدمة على الجيوش مكان الأَفْضَل . فلَمَّا علم ابن مصال الحال أطلع نزارًا عليه .

وبادر الأَفْضَلُ وبايع أحمدَ الخلافة ، ونعته بالمستعلي بالله وأجلسه على

(١) انظر انعاظ الحنفا ج ٣ ص ١١ ، المنتقى من أخبار مصر ص ٥٩ - ٦٠ .

(٢) عن سبب هذه الكراهية - انظر المنتقى من أخبار مصر ص ٦٠ ، النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٤٢ ، انعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٢ .

(٣) « المالكى » فى الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح من المنتقى من أخبار مصر ص ٦٠ ، انعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٢ .

« من قرية يقال لها لك برقة » - انعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٢ ، وانظر ما يلى عن قرية لك .

سرير الملك ، [٧٣] وجلس الأفضل على دكة الوزارة . وحضر قاضي
القضاة نصر الإمام على بن الكحال ومعه الشهود ، وأخذ البيعة على مقدمي
الدولة ورؤسائها وأعيانها ، ثم مضى إلى إسماعيل وعبد الله ، ومما بالقصر في
المسجد وعليها التوكيل ، فقال لهما : إن البيعة قد تمت لمولانا المستعمل بالله ،
وهو يُقرُّكُمَا السلام ويقول لكما : تبايعاني أم لا ؟ فقالا : السمع والطاعة ،
إن الله اختاره علينا . وبإيعاه ، وكتب بذلك سجلَ قرأه على الأمراء الشريف
سناء الملك محمد بن محمد الحسني الكاتب بديوان الإنشاء . وبادر نزار وأخوه
عبد الله ومحمود بن مصال إلى الإسكندرية ، وعليها ناصر الدولة ^(١) أفتكين
التركي ، أحد مماليك أمير الجيوش بدر الجبال ، فعرفوه الحال ووعده
بالوزارة ، فبايعه ، وبإيعاه أهل الثغر ، ولُقّب بالمصطفى لدين الله .

ذكر ما اتفق لزار ومن معه

قال : وفي المحرم سنة ثمان وثمانين وأربعمائة خرج الأفضل أمير الجيوش
بعساكره إلى الإسكندرية لقتال نزار وأفتكين وابن مصال . فلما قُرب منها
خرجوا إليه ، والتفوا ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، فكانت الهزيمة على الأفضل
ومن معه ، فرجع إلى مصر ونهب نزار ومن معه من العرب أكثر بلاد الوجه
البحري .

ثم خرج الأفضل ثانياً وحاصر الإسكندرية ، واشتد الحصار إلى ذى
القعدة . فلما اشتد الحال رأى ابن مصال مناماً ، فلماً أصبح أحضر رجلاً
أعجمياً وقال له : رأيتُ كأنني راكبُ فرساً وكأنَّ الأفضل يمشي في ركابي .

(١) « نصر الدولة » في انعاظ الحنفية ج ٣ ص ١٣ .

فقال له العجمي: الماشي على الأرض أمّلك لها . فلما سمع منه ذلك جمع أمواله وهرب إلى لكّ قرية من قرى برقة . فعند ذلك ضعفت قوة نزار وأفتكين ، فاضطرّ إلى مسألة الأفضل [وبعثنا]^(١) يطلبان الأمان ، فأمّنها وفتحت البلد .

ودخل الأفضل الإسكندرية وقبض على نزار وأفتكين ، وسيرهما إلى مصر ، وكان آخر العهد بنزار . قيل إنّه جعله بين حائطين إلى أن مات . وكان مولده في عاشر شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وأربعمائة . وأمّا أفتكين فإنه أظهر قتله بعد ذلك للناس . وأمّا محمود بن مصال فكاتبه الأفضل ورغبه في العود، فعاد إلى مصر ، فأكرمه الأفضل .

وفي سنة تسعين وأربعمائة خطب الملك رضوان^(٢) صاحب حلب للمستعلي بالله أربع جُمع^(٣) ، ثم قطع خطبته ، على ما ذكرناه في أخبار الدولة السلجقية والله أعلم .

ذكر استيلاء أمير الجيوش على البيت المقدس

وفي شعبان سنة إحدى وتسعين وأربعمائة خرج الأفضل أمير الجيوش بعساكره إلى الشام ونزل على البيت المقدس ، وهو في يد الأمير سُقْمَان

(١) [وبعثنا] إضافة يقتضيها السياق من اتعاظ المنفا جـ ٣ ص ١٤ .

(٢) هو رضوان بن تنش صاحب حلب وأنطاكية — انظر اتعاظ المنفا جـ ٣ ص ١٩ ، الكامل

جـ ١٠ ص ٢٦٩ — ٢٧٠ ، المنتقى من أخبار مصر ص ٦٤ .

(٣) « أربعة أشهر » في اتعاظ المنفا جـ ٣ ص ١٩ .

(٤) انظر نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ٧٢ — ٧٣ .

وإيلقازى ، ابنى أرتقى^(١) ، وجاعة من أقاربها وخلق كثير من الأتراك . فراسلها بيلمس منها تسليم البيت المقدس من غير حرب ولا سفك ، فلم يجيباه لذلك . فنصب المجانيق وهدم منه قطعة ، وقاتل ، فاضطراً لتسليمه فسلما له ، فخلع عليهما وأطلقهما . وعاد الأفضل إلى مصر^(٢) .

ونقل محمد بن على بن يوسف بن جلب راغب فى تاريخ مصر أن الأفضل لما رجع من بيت المقدس مربعقلان ، وكان فى مكان دارس بها رأس الحسين بن على ، رضى الله عنها ، فأخرجه وعطره وطيبه ، وحمل فى سبط إلى أجل دار بها ، وعمر المشهد ، ولما تكامل حمل الأفضل الرأس على صدره وسعى ماشياً إلى أن رده إلى مقره : ثم نقل إلى مصر على ما ذكره إن شاء الله . وقبل إن المشهد [بعقلان]^(٣) ابتداء بعمارته بدر الجمالى وكمله الأفضل^(٤) .

ذكر استيلاء الفرنج على ما ذكره من البلاد الإسلامية بالساحل والشام والبيت المقدس

لم يكن جميع ما استولوا عليه مما ذكره داخلاً فى ملك الدولة العبيدية ، بل كان منه ما هو فى أيدي أبواب المستعلى وما هو بيد الملوك الذين تغلبوا على الأطراف ، ولم يكن أيضاً فى أيام المستعلى خاصة . وإنما وردناه بجملة فى

(١) وليا القدس بعد وفاة والدهما سنة ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٣٥٠ .

(٢) انظر اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٢ ، المنتقى من أخبار مصر ص ٦٥ - ٦٦ .

(٣) [] إضافة للنوضيع من المراعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٢٧ ، اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٢ .

(٤) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ٦٦ ، اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٢ .

هذا الوضع لتكون الأخبار متتابعةً ولا تنقطعُ بالسنين والدول . وقد نبهنا عليه فيما تقدم من أخبار الدولة العباسية ^(١) .

والذي نذكره الآن في هذا الموضع هو ما استولوا عليه [٧٤] من سواحل الشام سنة إحدى وتسعين وأربعمائة وما بعدها .

وكان ابتداء ظهورهم وامتدادهم وتطرقهم إلى البلاد الإسلامية في سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، وذلك أن بلاد الأندلس ^(٢) لما تقسّم ملوكها بعد بنى أمية وصارت كلُّ جهةٍ بيد ملك . وانفقت نفسُ كل واحدٍ أن ينقاد إلى الآخر . ويدخل تحت طاعته ، فكانوا كملوك الطوائف في زمن الفُرس ، وعجز كلُّ واحدٍ عن مقاومة من يليه أو يقصده من الفرنج ، أدى ذلك إلى اختلال الأحوال ، وتغلب الأعداء على البلاد الإسلامية . فأول ما استولوا عليه مدينة طليطلة من الأندلس ، على ما ذكرناه ^(٣) في سنة ثمان وسبعين وأربعمائة . ثم ملكوا جزيرة صقلية في سنة أربع وثمانين وأربعمائة . وتطرقوا إلى أطراف أفريقية فملكوا منها شيئاً ثم استرجع منهم . على ما قدّمناه ^(٤)

ذكر ملكهم مدينة أنطاكية

كان استيلاء الفرنج خذّهم الله تعالى ، على مدينة أنطاكية في جُمادى الأولى سنة إحدى وتسعين وأربعمائة . وكانت بيد ملوك الروم من سنة ثمان

(١) انظر نهاية الأرب ج ٢٣ ص ٢٥٤ وما بعدها .

(٢) يلاحظ أن النويري ، مثله في ذلك مثل ابن الأثير — يبدأ كلامه عن الحروب الصليبية بغزو الفرنج للأندلس ، فيربط بذلك بين الحركة الصليبية في بلاد الأندلس ، والحركة الصليبية في المشرق الإسلامي — الكامل ج ١٠ ص ٢٧٢ .

(٣) انظر نهاية الأرب ج ٢٣ ص ٤٤٢ .

(٤) انظر نهاية الأرب ج ٢٤ صفحات متفرقة ، ج ٢٧ ص ٩٠ وما بعدها .

وخمسين وثلاثمائة إلى أن افتتحها الملك سليمان بن شهاب الدين ولد قُتلش السلجقي ، صاحب أقصرا وقونية وغير ذلك من بلاد الروم في سنة سبع وسبعين وأربعمائة ، على ما ذكرناه في أخبار الدولة السلجقية ^(١) ، وبقيت في يده إلى أن قتل . وتداولتها أيدي المتغلبين من ملوك الإسلام وأمرائهم إلى أن استقرت بيد ياغى سِيَّان وهو يخطب فيها للملك رضوان ابن تَشَّش صاحب حلب ، ولأخيه الملك دُقَاق صاحب دمشق .

فلَمَّا كان في سنة تسعين وأربعمائة جمع بغدوين ^(٢) ملك الفرنج جمعًا كثيرًا من الفرنج ، وكان تسيب رُجَار ^(٣) الفرنجي صاحب صِقْلِيَّة ، فأرسل إليه بغدوين يقول : قد جمعت جمعًا كثيرًا وأنا واصل إليك وسائر من عندك إلى إفريقية أفتحها وأكون مجاورًا لك .

فجمع رُجَار أصحابه واستشارهم فقالوا كلُّهم : هذا جيد لنا وهم ، وتصبح البلاد كلها للنصرانية . فلَمَّا سمع رُجَار كلامهم وما اجتمعوا عليه ، رفع رجله وحبَّ حبة قوية ، وقال : وحقُّ ديني هذه خيرٌ من كلامكم . قالوا : وكيف ذلك ؟ قال إذا وصلوا إلىَّ احتجَّتْ إليَّ كلفة كثيرة ، ومراكب تحملهم إلى إفريقية . وعساكر من جهتي معهم . فإن فتحوا البلاد وكانت

(١) هو سليمان بن قتلش بن أرسلان بن بيغو بن سلجوق ، مؤسس دولة سلاجقة الروم أو سلاجقة الأناضول ، وحكم في الفترة من ٤٧٠ - ٤٧٩ هـ / ١٠٧٧ - ١٠٨٦ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٣١٥ ، ٣٢١ .

(٢) انظر نهاية الأرب ج ٢٦ ص ٣٠٥ وما بعدها .

(٣) « بردويل » في الكامل ج ١٠ ص ٢٧٢ .

والمقصود بلدوين من أمراء الحملة الصليبية الأولى ، والذي عرف فيما بعد باسم الملك بلدوين الأول Baldwin I ، وهو أول ملك يتوج على مملكة بيت المقدس الصليبية .

(٤) هو روجر الأول Roger I .

لهم وصارت مؤونتهم من صِقْلِيَّة وينقطع غنى ما يصل إلى من المال من ثمن الغلات في كل سنة ، وإن لم يفتحوها رجعوا إلى بلادى وتأذيتُ بهم ، ويقول تميم^(١) ، صاحب إفريقية غدرت بي ونقضت عهدي ، وتنقطع الوصلة والأسفار بيننا وبين بلاد إفريقية ، وإفريقية باقية متى وجدنا قوة أخذناها بها .

ثم أحضر رسوله وقال له إذا عزمتم على جهاد المسلمين فاقصدوا بذلك فتح بيت المقدس وخلصوه من أيديهم ، ويكون لكم الفخر ، وأما إفريقية فيبقى وبين أهلها أمان وعهود ، فاخرجوا إلى الشام^(٢) .

وقيل إن المستنصر ، أو المستعلى ، لما رأى قوة الدولة السلجقية وتمكُّنها ، وأنهم استولوا على ملك بلاد الشام [إلى] غزاة^(٣) ، ولم يبقَ بينهم وبين مصر ولاية أخرى تمنعهم ، راسل الفرنج يدعُوهم إلى الخروج إلى الشام ، ليملكوه ، ويكونوا بينه وبين المسلمين . والله تعالى أعلم^(٤) .

قال فلما عزم الفرنج على قصد الشام ساروا إلى قسطنطينية ليعبروا المهاز إلى بلاد الإسلام ويسيروا في البر فيكون أسهل عليهم . فمنعهم ملك الروم^(٥) من ذلك ، ولم يملكهم أن يمرُّوا ببلادهم ، وقال : لا أمكنكم من العبور إلا أن تخلفوا أنكم تسلمون إلى أنطاكية . وكان قصده أن يحلَّهم على

(١) هو تميم بن المعز بن باديس ، من بني زيزي في إفريقية ، والذي ولي الحكم في الفترة ٤٥٣ - ٥٠١ هـ / ١٠٦١ - ١١٠٧ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٤٨ .

(٢) انظر الكامل ج ١٠ ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .

(٣) [إضافة تتفق وسياق الكلام من الكامل ج ١٠ ص ٢٧٣ .

(٤) الكامل ج ١٠ ص ٢٧٣ .

(٥) هو الامبراطور الكسوس كومنين الذي ولي عرش الامبراطورية البيزنطية في الفترة من ١٠٨١ - ١١١٨ م / ٤٧٤ - ٥١٢ هـ .

الخروج إلى بلاد الإسلام ظناً منه أن الترك لا يُثَقِّنون منهم أحداً لما أرى من صرامتهم وملكهم^(١) البلاد .

فأجابوه إلى ذلك وعبروا الخليج في سنة تسعين وأربعمائة . ووصلوا إلى بلاد قلع أرسلان^(٢) بن سليمان بن قُتْلَمِش ، فلقبهم في جُموعه ومنعهم ، فقاتلوه وهزموه ، وذلك في شهر رجب منها . ومروا في بلاده إلى بلاد ابن ليون الأرمني ، فسلكوها وخرجوا منها إلى أنطاكية ، فحاصروها^(٣) .

قال المؤرخ^(٤) : فلما سمع صاحبها ياغى سيان بتوجههم إليها خاف من النصارى الذين بها ، فأخرج مَنْ بها من المسلمين بمفردهم في أول يوم . وأمرهم أن يحفروا الخندق ، ثم أخرج النصارى من القد لذلك . فعملوا فيه إلى العصر ، فلما أرادوا دخول البلد منعهم ، وقال لهم : أنطاكية لكم فهبوها لي حتى أنظر ما يكون بيننا وبين الفرنج . فقالوا : مَنْ يحفظ أولادنا ونساءنا ؟ فقال : أنا أخلفكم فيهم^(٥) فأمسكوا ثم صاروا في عسكر الفرنج .

وحُصِرَت أنطاكية تسعة أشهر ، وظهر من حَزْم ياغى سيان واحتياطه وجودة رأيه ما لم يُشاهد مثله ، وهلك [٧٥] أكثر الفرنج موتاً وقتلاً ، وحفظ ياغى سيان أهل نصارى أنطاكية الذين أخرجهم ، وكف الأبدى عنهم .

(١) الكامل جـ ١٠ ص ٢٧٣ .

(٢) ول الحكم في سلطنة سلاجقة الروم في الفترة من ٤٨٥ - ٥٠٠ هـ / ١٠٩٢ - ١١٠٧ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٣٢١ .

(٣) الكامل جـ ١٠ ص ٢٧٤ .

(٤) ينقل التويرى عن ابن الأثير ابتداء من ذكر استيلاء الفرنج .

(٥) « أخلفكم فيه » في الأصل ، والتصحيح يتفق مع السياق من الكامل جـ ١٠ ص ٢٧٤ .

فلما طال مقام الفرنج عليها راسلوا أحد المستحفظين للأبراج ، وهو ذراد ، ويعرف بروزية ^(١) ، وبذلوا له مالاً وإقطاعاً ، وكان يتولى حفظ بُرج يلى الوادى ، وهو مبنى على شباك فى الوادى .

فلما تقرّر الأمر بينهم وبينه ، جاءوا إلى الشباك ففتحوه ودخلوا منه ، وصعد جماعة كثيرة منهم بالحبال ، فلما زادت عدتهم على خمسمائة ، ضربوا البوق وذلك عند السحر وقد تعب الناس من كثرة السهر والحراسة ، فاستيقظ ياغى سيان وسأل عن الحال ف قيل له : هذا البوق من القلعة ، ولا شك أنها قد أُخِلت . ولم يكن من القلعة وإنما من ذلك البرج . فدأخله الرُعب ؛ ففتح باب البلد وهرب فى ثلاثين غلاماً ، وجاء نائبه ليحفظ البلد ، ف قيل له : إنه قد هرب ، فخرج من الباب الآخر هارماً . وكان ذلك إغاثة للفرنج ، ولو ثبت ساعة لهلكوا .

ثم إن الفرنج دخلوا البلد من بابه ، ونهبوا وقتلوا مَنْ فيه من المسلمين . وأما ياغى سيان فإنه لما طلع عليه النهار رجع إلى عقله وكان كالوَلْهُان . فرأى نفسه وقد قطع عدّة فراسخ ؛ فقال لمن معه : أين أنا ؟ فقالوا : على أربعة فراسخ من أنطاكية . فتدم كيف خلص سالماً ولم يقاتل حتى يُزيلهم عن البلد أو يُقتل .

وجعل يتلهّف على ترك أهله وأولاده والمسلمين ، ويسترجع ؛ فسقط عن فرسه لشدة ما ناله ، وغشى عليه . فأراد أصحابه أن يركبوه فلم يكن فيه

(١) « نيروز » فى زبدة الملب ج ٢ ص ١٢٢ ، ويعرف فى المراجع الحديثة باسم « فيروز الأرمنى » - الشرق الأوسط والحروب الصليبية ص ٢٤٥ ، تاريخ الحروب الصليبية ج ١ ص ٣٢٨ .

مُسَكَّة ، وكان قد قارب الموت ، فتركوه وساروا عنه ، فاجتاز به إنسان أرمي
كان يقطع الحطب وهو بآخر رمق فقتله . وحمل رأسه إلى الفرنج
بأنطاكية^(١)

ذكر مسير المسلمين لحرب الفرنج وما كان من أمرهم

قال^(٢) : ولما اتصل خبر أنطاكية بالأمير قوام الدين كربوقا صاحب
الموصل^(٣) جمّع العساكر وسار لحربهم واجتمع معه الملك دقاق صاحب
دمشق وصاحب حمص وصاحب سنجار^(٤) . فلما بلغ الفرنج اجتماعهم
عظمت عليهم المصيبة وداخلهم الخوف ، لما هم فيه من الوهن وقلة
الأقوات . وسار المسلمون حتى نازلوا أنطاكية ، فأساء كربوقا السيرة فيمنّ
معه من المسلمين ، فأغضب الأمراء وتكبر عليهم ، ظنّاً منه أنهم يقيمون معه
على هذه الحال . فأغضبهم ذلك وأضمرّوا في أنفسهم القدر به إذا كان
قتالٌ ، وعزموا على إسلامه عند الصدمة^(٥) .

(١) الكامل ج ١٠ ص ٢٧٥ .

(٢) مازال النويرى ينقل عن ابن الأثير .

(٣) أتابك الموصل من قبل سلطان السلاجقة بركياروق ، الذى ولى سلطة السلاجقة بخراسان
في الفترة من ٤٨٧ - ٤٩٨ هـ / ١٠٩٤ - ١١٠٤ م — تاريخ الدول الإسلامية ص ٣١٩ .

(٤) « فاجتمع معه دقاق بن تنش وطغتكين أتابك ، وجناح الدولة صاحب حمص ، وأرسلان تاش
صاحب سنجار ، وسليمان بن أرتق وغيرهم » — الكامل ج ١٠ ص ٢٧٦ .

(٥) « المصدوقة » في الكامل ج ١٠ ص ٢٧٦ ، أى التخلّى عنه عند احتدام القتال .

قال : وأقام الفرنج بأنطاكية بعد أن ملكوها ثلاثة^(١) عشر يوماً ليس لهم ما يأكلونه ؛ فتقوّت الأقوياء بدوابهم والضعفاء بالميتة وورق الشجر . فلما انتهت حالهم إلى ذلك أرسلوا إلى كربولاً يطلبون منه الأمان ليخرجوا من البلد ، فلم يُعطهم ، وقال : لا تخرجون منه إلّا بالسيف .

وكان معهم من الملوك بغدوين وصنجيل وكندفري والقمص صاحب الرها ويمند صاحب أنطاكية^(٢) وهو مقدّم العسكر . وكان معهم راهبٌ مطاعٌ فيهم^(٣) فقال لهم : إن المسيح عليه السلام كان له حربة مدفونة بالقسيان الذي بأنطاكية ، وهو بناء عظيم ، فإن وجدتموها فإنكم نظفرون ، وإن لم تجدوها فاهلاك متحقق .

وكان هو قد دفنها قبل ذلك وعفى أثرها . وأمرهم بالصوم ثلاثة أيام والتّوبة ؛ ففعلوا ذلك . فلما كان في اليوم الرابع أدخلهم جميعهم وجميع عاصمتهم والصّناع ، وحفروا عليها في ذلك المكان فوجدوها كما ذكر ، فقال لهم : أبشروا بالظفر . فخرجوا في اليوم الخامس من الباب من خمسة وستة ونحو ذلك ؛ فقال المسلمون لكربولاً : ينبغي أن نقف على الباب فقتل كل من يخرج فإن أمرهم الآن سهل . فقال : أهلوهم حتى يتكاملوا ؛ ولم

(١) « إثنى عشر » — الكامل جـ ١٠ ص ٢٧٦ .

(٢) هذه الأسماء — بالترتيب هي :

Baldwin-Raymond of St Gilles- Godefroy-Baldwin de Burgh-Bohemand .

(٣) هو بطرس بارتولميو Peter Bartholomew — انظر تاريخ الحروب الصليبية جـ ١ ص ٣٤٣ وما بعدها ، ص ٣٨٥ وما بعدها .

(٤) القسيان : الاسم العربي لكنيسة القديس بطرس بأنطاكية ، وتنسب إلى الرجل الذي يقولون أن بطرس أحيا ولده بعد موته .

يُمْكِنُ من مُعَاجَلَتِهِمْ ؛ فقتل قومٌ من المسلمين جِاعةً من الخارجين ، فجاء إليهم بنفسه ومنعهم .

فلَمَّا تَکَامَلَ خُرُوجُ الْفَرَنْجِ ولم يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ بِأَنْطَاكِيَةِ ضَرَبُوا مَصَافًا عَظِيمًا ، فَانْهَزَمَ الْعَسْكَرُ الْإِسْلَامِيُّ لَمَّا عَامَلَهُمْ بِهِ كَرْبُوكَا مِنَ الْإِسْتِثْنَةِ بِهِمْ وَالْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ ، فَتَمَّتِ الْهَزِيمَةُ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَضْرِبْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِسِيفٍ وَلَا طَعْنٍ بِرُمَحٍ ، وَلَا رَمَى بِسَهْمٍ . وَآخِرَ مَنْ انْهَزَمَ سُهْمَانُ بْنُ أَرْثَقٍ وَجَنَاحُ الدَّوْلَةِ ، لِأَنَّهُمَا كَانَا فِي الْكَيْنِ ؛ وَانْهَزَمَ كَرْبُوكَا مَعَهُمْ . فَلَمَّا رَأَى الْفَرَنْجُ ذَلِكَ ظَنُّوهُ مَكِيدَةً ، فَخَافُوا أَنْ يَتَّبِعُوهُمْ ؛ وَثَبَتَ جِاعَةٌ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ وَقَاتَلُوا حِسْبَةَ وَرَغْبَةٍ فِي الشَّهَادَةِ فَقَتَلَ الْفَرَنْجُ مِنْهُمْ الْوَفَا ، وَغَنَمُوا مَا فِي الْعَسْكَرِ مِنَ الْأَقْوَاتِ وَالْأَمْوَالِ وَالْآلَاتِ وَالذَّوَابِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ ؛ فَصَلَحَتْ حَالُهُمْ وَعَادَتْ إِلَيْهِمْ قُوَّتُهُمْ .

ذِكْرُ مُلْكِهِمْ مَعْرَةَ النُّعْمَانِ

[٧٦] قَالَ الْمُؤَرِّخُ . ثُمَّ سَارَ الْفَرَنْجُ إِلَى مَعْرَةِ النُّعْمَانِ ^(١) ، فَتَازَنَوْهَا وَحَصَرُوهَا ، وَقَاتَلَهُمْ أَهْلُهَا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَرَأَى الْفَرَنْجُ مِنْهُمْ شِدَّةً وَنَكَايَةً عَظِيمَةً . فَعَمِلَ الْفَرَنْجُ عِنْدَ ذَلِكَ بُرْجًا مِنْ خَشَبٍ يُوَازِي سُورَ الْمَدِينَةِ ؛ وَوَقَعَ الْقِتَالُ عَلَيْهِ ، فَصَبَرَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْقِتَالِ إِلَى اللَّيْلِ . ثُمَّ خَافَ قَوْمٌ مِنْهُمْ وَفَشَلُوا ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِذَا تَحَصَّنُوا بِيَعُضِ الدُّوَرِ الْكِبَارِ امْتَنَعُوا بِهَا . فَتَرَلَوْا عَنِ السُّورِ وَأَخْلَوْا مَكَانَهُمُ الَّذِي كَانُوا يَحْفَظُونَهُ ، وَفَعَلَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ .

(١) مَعْرَةُ النُّعْمَانِ : بَيْنَ حَاةٍ وَحَلَبَ ، وَكَانَتْ تَعُدُّ مِنْ أَعْمَالِ حِمِّصَ — مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ .

ولم تزل كلُّ صائفة منهم تشبّع الأخرى حتّى خلا السُّور ، فصعد الفرنج إليه على السِّلالم . فلمّا علّوه تحيّر المسلمون ودخلوا دُورهم ، ووضع الفرنج فيهم السَّيف ثلاثة أيّام ، فقتلوا ما يزيد على مائة ألف وسبّوا السَّبّى الكثير . وأقاموا بها أربعين يومًا وسارُوا إلى عِرْقَة ^(١) ، فحاصروها أربعة أشهر ، ونَقَبوا سُورَها عدَّةَ نقوب ولم يقدرُوا عليها . وراسَلَهُم ابنُ منذرٍ صاحبُ شَيْزَر ، وصالحَهُم عليها . ثم سارُوا إلى حمص وحَصَرُوها ، فصالحَهُم صاحبُها جناحُ الدَّولة . وخرجوا على طريق التَّوْاقِيرِ ^(٢) إلى عكا فلم يقدرُوا عليها ^(٣) ؛ فسارُوا إلى البيت المقدّس .

ذكر استيلائهم خذلهم الله تعالى على البيت المقدس

كان استيلاءُ الفرنج . خذلهم الله تعالى ، على البَيْت المقدّس في يوم الجمعة ، ضُحًى ، لسبعِ يَمِينٍ من شعبان سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ، وكان إذْ ذاك بيدِ افتخارِ الدَّولة نيابةً عن المستعلى بالله . فإنه كان بيدِ تاجِ الدَّولة تُتَش السَّلجُقي صاحبِ الشَّام ، وأقْطعه للأمير سُنْهان بن أُرْتُق التُّركماني ، فحاهه الأفضل أمير الجيوش واستولى عليه ^(٤) ، وبقي يَدُ نَوَابِهِ إلى الآن .

(١) عِرْقَة : بكسر العين . وسكون الراء . تقع على بعد ١٢ ميلًا من طرابلس من الشمال الشرقي

في سفح جبل ، وبينها وبين البحر نحو ميل — معجم البلدان .

(٢) « وراسلهم منقذ صاحب شيزر » في الكامل ج ١٠ ص ٢٧٨ .

(٣) التواقير : فرجة في الجبل بين عكا وصور — معجم البلدان .

(٤) الكامل ج ١٠ ص ٢٧٨ .

(٥) وذلك في رجب سنة ٤٩١ هـ / أغسطس ١٠٩٨ م — انظر ما سبق .

فقصده الفرنج عند عجزهم عن فتح عكا ، وحصلوه نيقاً وأربعين يوماً ،
ونصبوا عليه برجين ، أحدهما من ناحية صهيون^(١) ، فأحرقه المسلمون وقتلوا
جميع من فيه من الفرنج .

فلما فرغوا من ذلك أتاهم الصايخ أن المدينة قد ملكت من الجانب
الآخر ، وهو الجانب الشمالي ، وركب الناس السيف ولبث الفرنج أسبوعاً
يقتلون فيهم .

واحتفى جماعة من المسلمين بمحارب داود وقاتلوا فيه ثلاثة أيام ، فبذل
لهم الفرنج الأمان ، فسلموه إليهم ، فوفوا لهم ؛ وأخرجوا ليلاً إلى عسقلان
وأقاموا بها .

وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً ، منهم جماعة كثيرة
من أئمة المسلمين وعلمائهم ، وعبادهم وزهادهم ، ممن فارق أهله ، ووطئه
وجاور بذلك الموضع الشريف . وأخذوا من عند الصخرة نيقاً وأربعين قنديلاً
من الفضة ، زنة كل قنديل [ثلاثة آلاف وستمائة درهم ، وأخذوا تنورا من
فضة وزنه]^(٢) أربعون رطلاً بالرطل الشامي^(٣) ؛ وأخذوا من القناديل
الصغار مائة وخمسين قنديلاً من الفضة ؛ ومن الذهب نيقاً وعشرين
قنديلاً . وغنموا ما لا يقع عليه الإحصاء .

(١) « وعملوا برجين مطلين على السور ، أحدهما بباب صهيون ، والآخر بباب العمود وباب
الأساط ، وهو برج الزاوية » - النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٤٨ .

(٢) [إضافة من الكامل ج ١٠ ص ٢٨٤ .

(٣) الرطل الشامي يساوي ١٢ أوقية ، والأوقية تساوي ٦٠ درهماً ، أى أن الرطل الشامي
يساوي ٧٢٠ درهماً بالصنعة الشامية - صبح الأعشى ج ٤ ص ١١٨ .

وورد إلى بغداد القاضي سعيد القروى^(١) في شهر رمضان ، ومعه جماعة ، يَسْتَشْفِرُونَ النَّاسَ ، وأوردوا في الدِّيوان كلاماً أبكى العيون ، وصدَّع القلوب واستغاثوا بالجامع يوم الجمعة ، وبكوا ، وذكروا ما نَزَلَ بالمسلمين من البلاء ، وما حَلَّ بهم من المصيبة . فأمر الخليفة أن يسير القاضي أبو محمد الدَّامغانى ، وأبوبكر الشَّاشى ، وغيرهما^(٢) ، إلى السُّلطان^(٣) بسبب ذلك ، فاتفق ما ذكرناه من الاختلاف الذى وقع بين الملوك السِّلجقية^(٤) ، فتمكَّن الفرنج من البلاد .

قال : ولَمَّا اتَّصَلَ خبر هذه الحادثة العظيمة بالأفضل أمير الجيوش جَمَعَ العساكر وخرَجَ إليهم ، فقاتلهم في شهر رمضان من السَّنة . ثم كَبَسَهُ الفرنج هو ومن معه ، وهم على غير تَعَيُّنَةٍ ، فهزموهم وقتلوا منهم مَقْتَلَةً عظيمة . وحاصر الفرنج عسقلان ، فصالحهم أهلها على عشرة آلاف دينار ، وقبل عشرين ألف دينار ، فعادوا إلى القدس .

قال : وكان الذى ملك البيت المقدس من الفرنج كنفري^(٥) .

(١) « أبى سعيد المروى » في الكامل جـ ١٠ ص ٢٨٤ .

(٢) « وأبو بكر الشاشى ، وأبو القاسم الزنجاني ، وأبو الوفا بن عقيل ، وأبو مسعد الحلوانى ، وأبو الحسين ابن سماك » في الكامل جـ ١٠ ص ٢٨٤ .

(٣) المقصود السلطان بركياروق .

(٤) انظر نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ٩٠ وما بعدها .

(٥) هو جودفري بوايون Godfrey of Bouillon .

ذكر ظفر المسلمين بالفرنجة

قال المؤرخ^(١) : وفي ذى القعدة سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة لقي كُمشُتَكين بن الدانِشْمنَد طابِلو ، وهو صاحب ملطية وسيواس ، يميند الفرنجي بالقرب من ملطية ، وكان صاحبها قد كاتبه واستقدمه عليه ، فورد عليه [٧٧] في خمسة آلاف ، فلقبهم ابن الدانِشْمنَد ، وقاتلهم ، فهزِمَ يميند وأسير .

ثم وصل من البحر سبعة قنصية من الفرنج ، فأرادوا خلاصَ يميند ، فأتوا إلى قلعة أنكوربة^(٢) فأخذوها وقتلوا من بها من المسلمين ، وساروا إلى قلعة أخرى فحصروها وفيها إسماعيل بن الدانِشْمنَد ، فجمع الدانِشْمنَد جمعا كثيرا ، ولقي الفرنج ، وجعل له كمينًا ، فقاتلهم وخرج عليهم الكمين فقتلهم . وكانوا ثلاثمائة ألف لم يُفلت منهم غير ثلاثة آلاف^(٣) هربوا .

وسار ابن الدانِشْمنَد إلى ملطية فملكها وأسر صاحبها .

قال ابن الأثير الجزري : وكانت هذه الوقائع في شهر^(٤) قرية .

قال : ولم يزل يميند في أسره إلى سنة خمس وتسعين ، فأخذ منه مائة

(١) مازالت الإشارة هنا إلى ابن الأثير .

(٢) أنكوربة : في وسط شبه جزيرة آسيا الصغرى ، وهي مدينة أنقرة الحالية — معجم البلدان

(٣) الإشارة هنا إلى المجموع الصليبية من اللباردين الذين تحرکوا في أواخر سبتمبر ١١٠٠ نحو

القسطنطينية ، ثم انضمت إليهم جموع أخرى من الفرنسيين والألمان ، والذين أصروا على

محاولة تخليص بوهند من الأسر قبل الاتجاه إلى الشام — انظر تفصيل ذلك في الحركة

الصليبية ج ١ ص ٣٣٥ وما بعدها .

(٤) الكامل ج ١٠ ص ٣٠٠ .

ألف دينار وأطلقه (١).

ذكر قتل كندفرى وملك أخيه بغدوين وما استولى عليه الفرنج من البلاد وهى : حيفا . وأرسوف . وقيسارية . والزها . وسروج

وفى سنة أربع وتسعين وأربعمائة سار كندفرى صاحب البيت المقدس إلى عكا ، فمحاصرها ، فأصابه سهم فقتله (٢) . وكان قد عمر مدينة يافا وسلمها إلى قص من الفرنج اسمه طنكرى (٣) . فلما قتل كندفرى سار أخوه بغدوين (٤) إلى البيت المقدس فى خمسمائة فارس ورجال ، فبلغ ذلك الملك شمس الملوك دقاق صاحب دمشق ، فنهض إليه فى عسكره ومعه الأمير جناح الدولة فى جموعه فقاتله ، فنصر على (٥) الفرنج .

وفى هذه السنة ملك الفرنج مدينة حيفا عنوة وهى على ساحل البحر بالقرب من عكا . وملكوا أرسوف بأمان وأخرجوا أهلها منها ، وملكوا قيسارية بالسيف وقتلوا أهلها . وفيها ملك الفرنج مدينة سروج من ديار الجزيرة ، وكانوا قبل ذلك قد ملكوا الزها بمكانة من أهلها لأن أكثر أهلها

(١) الكامل ج ١٠ ص ٣٤٥ .

(٢) تجمع المصادر العربية على أن جود فرى مات مقتولا بسهم أصابه أثناء حصار عكا . بينما تجمع المصادر والمراجع الصليبية على أن جودفرى توفى بالحمى - الكامل ج ١٠ ص ٣٢٤ . تاريخ الحروب الصليبية ج ١ ص ٤٤٠ ، الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٦٦ .

(٣) طنكرى أو تنكرى ، هو المعروف فى المراجع العربية الحديثة باسم تانكرد .

(٤) هو بلدوين صاحب الزها ، والذي توج ملكا باسم « بلدوين الأول » .

(٥) تنبئ المصادر الغربية إلى أن المعركة انتهت بهزيمة الممashedة ونجاة بلدوين ... الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٧٥ ، الشرق الأوسط ج ١ ص ٢٩٢ .

أرمن . فلما كان الآن جَمَعَ الأمير سُفْهَان بن أُرْتُق جمعًا عظيمًا من التُّركِمان وزحف بهم إليهم ، فلقَّوه وقاتلوه ؛ فهزموه في شهر ربيع الأول . فلما تمت الهزيمة على المسلمين سار الفرنج إلى سُرُوج ، فتسلَّموها ، وقتلوا كثيرًا من أهلها وسبُّوا حريمهم ، ونهبوا أموالهم ، ولم يسلمَ منهم إلا من انهزم^(١) .

ذكر أخبار صنجيل الفرنجي وما كان منه في حروبه وحصار طرابلس والطوبان وملك أنطرسوس

وفي سنة خمس وتسعين وأربعمائة لقي صنجيل^(٢) الملك قَلِج أرسلان صاحب قونية ، وصنجيل في مائة ألف مقاتل وقليج في عددٍ يسير ، واقتتلوا ؛ فانهزم الفرنج وأسير كثير منهم ، وفاز قَلِج بالظفر والغنيمة^(٣) . ومضى صنجيل مهزومًا في ثلاثمائة ، فوصل إلى الشام ، فأرسل فخر الملك بن عمَّار^(٤) صاحب طرابلس إلى الأمير جناح الدولة^(٥) بمحمص وإلى الملك دُقاق بدمشق يقول : من الصَّواب معاجلة صنجيل إذ هو في العدد اليسير .

(١) الكامل جـ ١٠ ص ٣٢٤ - ٣٢٥ .

(٢) المقصود هو ريموند كونت تولوز ، والمعروف في المراجع الأوربية باسم

'Raymond of st. Gilles'

(٣) الإشارة هنا إلى المجموع الصليبية اللبنيانية التي هزمت في ذي القعدة ٤٩٥ هـ / أغسطس

١١٠١ م - الحركة الصليبية جـ ١ ص ٣٣٨ .

(٤) هو القاضي فخر الملك أبو علي بن عمَّار ، الذي ولي حكم طرابلس في الفترة من ٤٩٣ -

٥٠٢ هـ / ١٠٩٩ - ١١٠٨ م - معجم الأسر الحاكمة .

(٥) « إلى الأمير ياخر خليفة جناح الدولة على حمص » في الكامل جـ ١٠ ص ٣٤٤ .

وجناح الدولة هو حسين بن ملاعب - صاحب حمص ، قتل سنة ٤٩٥ هـ / ١١٠٢ م -

النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ١٦٨ - ١٦٩ .

فخرج إليه جناح الدولة بنفسه^(١) وسير دُفاق الفى مقاتل ؛ وأنتههم الأمداد من طرابلس . وصافوا صنجيل فأخرج مائة من عسكره إلى أهل طرابلس ومائة إلى عسكر دمشق وخمسين إلى عسكر حمص وبقي هو [فى]^(٢) خمسين .

فأما عسكر حمص فانهزموا عند المشاهدة وتبعهم عسكر دمشق .
وأما عسكر طرابلس فإنهم قتلوا المائة الذين قاتلوهم ، فحمل صنجيل فى المائتين الباقيتين ، فكسروا أهل طرابلس وقتلوا منهم سبعة آلاف رجل . ونازل طرابلس وحصرها . -

وأناه أهل الجبل فأعانوه على حصرها ، هم وأهل السواد ، لأن أكثرهم نصارى . فقاتل من بها أشد قتال ، فقتل من الفرنج ثلاثمائة : ثم هاذنهم ابن عمار على مالٍ وخيل ، فرحل صنجيل عنهم إلى مدينة أنطرسوس^(٣) ، وهى من أعمال طرابلس ، فحصرها وفتحها^(٤) ، وقتل من بها من المسلمين .

ورحل إلى حصن الطوبان^(٥) ، ومقدمه ابن العريض ، فقاتلهم فنصر

(١) « فخرج الأمير ياخر بنفسه » فى الكامل ج ١٠ ص ٣٤٤ .

(٢) [إضافة للتوضيح من الكامل ج ١٠ ص ٣٤٤ .

(٣) أنطرسوس = أنطرسوس : تقع شرقى عرقة بنحو ٢٤ ميلاً ، وتطل على البحر - معجم البلدان .

(٤) تشير المصادر الصليبية إلى أن فتح أنطرسوس كان سابقاً على هذه الفترة ، فقد استولى ريموند على أنطرسوس مرتين فى سنة ١٠٩٩ ، ١١٠٠ م ، واستولى عليها نهائياً فى فبراير ١١٠٢ م (جمادى الأولى ٤٩٥ هـ) - انظر الحركة الصليبية ج ١ ص ٣٤٣ وما بعدها .

(٥) الطوبان : حصن من أعمال حمص أو حماة ، إلى الشمال الشرقى من حصن الأكراد - معجم البلدان .

عليهم وأسر فارساً من أكابر فرسانهم ، فبذل فيه صنجيل عشرة آلاف دينار وألف أسير فلم يجبه ابن العريض إلى ذلك .

ثم سار صنجيل إلى حصن الأكراد^(١) فحصره ، فجمع الأمير جناح الدولة عسكره ليسير إليه ويكبسه ، فقتله باطنى بالمسجد الجامع . فلما قُتل صَبَحَ صنجيل حمص من الغد ونَازَ لها ومَلَكَ أعماها .

[٧٨] ذكر ملك الفرنج جيل وعكا

وفى سنة سبع وتسعين وأربعمائة وصلت مراكب من بلاد الفرنج إلى مدينة لاذقية ، فيها الثَّجَار والمُقاتلة والحجَّاج وغيرهم ؛ فاستعان بهم صنجيل الفرنجى على حصار طرابلس فحاصروها معه وضائقوها ، فلم يروا فيها مطمعا ، فرحلوا عنها إلى مدينة جُبيل^(٢) فحاصروها وقاتلوا عليها قتالاً شديداً . فلما رأى أهلها عجزهم عن الفرنج طلبوا الأمان على تسليمها . فبذل لهم صنجيل الأمان ، وتسلم البلد منهم فلم يَفْرِ لهم . وأخذ الأفرنج أموالهم وعاقبهم عليها بأنواع العذاب . ثم ساروا إلى عكا نجدة لبغديون . صاحب القدس ، على حصارها ؛ فنازلُوها وحاصروها في البر والبحر ، وعليها زهرُ الدولة^(٣) الجيوشى ، فقاتلهم أشدَّ قتال . فلما عجز عن حفظ البلد فارقه ؛ وملك الفرنج عكا بالسيف ، وفعلوا بأهلها الأفعال الشنيعة . وساروا منها إلى دمشق ثم إلى مصر .

(١) حصن الأكراد : على جبل الجليل في مواجهة حمص ، بينها وبين بعلبك — معجم البلدان .

(٢) جبيل . شمال شرقى بيروت بنحو ٢٤ ميلاً — معجم البلدان .

(٣) « وكان الوالى بها اسمه بنا ، وعرف بزهر الدولة الجيوشى نسبة إلى ملك الجيوش الأفضل » — الكامل ج ١٠ ص ٣٧٣ .

وفي سنة تسع وتسعين وأربعمائة ملك الفرنج حصن أقامية وسُرمين من أعمال حلب .

وفي سنة اثنتين وخمسمائة فتح السرداني ^(١) عرقة ، وذلك أنها كانت بيد غلام فخر الملك بن عمار وقد عَصَى على مولاه ، فضاق به القوت وانقطعت عنه الميرة ، فكاتب طُغز تكين ^(٢) صاحب دمشق أن يُرسل إليه مَنْ يتسلّم الحصن لعجزه عن حفظه . فبعث إليه طغز تكين صاحباً له اسمه إسرائيل في ثلاثمائة ، فتسلّم الحصن . فلما نزل غلام ابن عمار رماه إسرائيل بسهم فقتله في الاختلاط ^(٣) طمعاً في المال الذي بعرقة لتلا يطلع طغز تكين عليه .

قال وأراد طُغز تكين أن يشحن الحصن بالعساكر والأقوات ، فتوالت الأمطار [والثلج] ^(٤) مدة شهرين ، فعجز عن ذلك . فلما انقطع المطر ركب أربعة آلاف فارس وجاءوا إلى عرقة ، فتوجّه إليه السرداني وهو يحاصر طرابلس ومعه ثلاثمائة فارس ، فانهزم عسكر طُغز تكين عندما أشرقت الخيل من غير قتالٍ ، فأخذ السرداني أثقالهم وتسلّم الحصن بأمان ، وقبض على إسرائيل ، وقال لا أطلقه إلا بفُلان وهو من أكابر الفرنج كان أسيراً ، فقُودى به .

ذكر ملك الفرنج طرابلس وبيروت

كان صنجيل لماً ملك مدينة جيل ، كما ذكرنا ، حصّر طرابلس ، فلماً

(١) هو المعروف باسم « وليم جوردان » .

(٢) « فأرسل إلى أتابك طغتكين » - الكامل ج ١٠ ص ٤٦٨ .

(٣) « في الأخلاط » في الكامل ج ١٠ ص ٤٦٨ ، والمقصود في ازدحام الناس .

(٤) [إضافة للتوضيح من الكامل ج ١٠ ص ٤٦٨ .

لم يتمكن منها وعجز عن الاستلاء عليها بنى بالقرب منها حصناً وجعل تحته رِضْياً ، وأقام يرصدها ينتظر فرصة ، فخرج فخر الملك أبو علي بن عمار ، صاحب طرابلس ، فأشرق روضه ، فوقف صنجيل على سقوفه المحترقة ، ومعه جماعة من القمامصة والفرسان ، فأنحسف بهم . فرض صنجيل عشرة أنام ، ومات ، وحُمل إلى القدس فدفن هناك . وذلك في سنة تسع وتسعين وأربعمائة (١) .

ودامت الحرب على طرابلس خمس سنين . فسار فخر الملك ابن عمار إلى بغداد يستنجد بالخليفة والسلطان على الفرنج ، على ما ذكرناه ، وعاد من بغداد في منتصف المحرم سنة اثنتين وخمسمائة وتوجه إلى جبيلة (٢) فدخلها وأطاعه أهلها .

وأما طرابلس فإن ابن عمار لما فارقها راسل أهلها الأفضل أمير الجيوش يلتبسون منه واليا يكون عندهم ومعه الميرة في البحر ، فسير إليهم الأفضل شرف الدولة بن أبي الطيب واليا ، ومعه الغلال وغيرها . فلما صار إليها قبض على جماعة من أهل ابن عمار واستولى على ما وجدته من أمواله وذخائره (٣) .

فلما كان في شعبان سنة ثلاث وخمسمائة وصل أسطول كبير من بلد

(١) ٢٨ فبراير ١١٠٥ م — الشرق الأوسط ج ١ ص ٤٣٦ ، تاريخ الحروب الصليبية ج ٢ ص ١٠٠ .

(٢) جبيلة = جبيلة : قلعة مشهورة بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية — معجم البلدان ، وانظر ما يلي عن فتح جبيلة .

(٣) انظر ذيل تاريخ دمشق ص ١٦١ ، انماط الحنفا ج ٣ ص ٤٢ .

الفرنج ، مقدمه قص كبير اسمه ريموند بن صنجيل (١) ، ومراكبه مشحونة بالرجال والسلاح والميرة وليس ريموند هذا ابن صنجيل صاحب الحصن (٢) المقدم ذكره . فنزل على طرابلس وكان السرداني وهو ابن اخت صنجيل محاصرًا لها قبله ، فجرت بينها فتنة أدت إلى الشر والقتال فوصل تنكري صاحب أنطاكية إليها إعانة للسرداني ، ووصل بغدوين صاحب البيت

المقدس في عسكره ، فأصلح بينهم (٣) ونزل الفرنج بأجمعهم على طرابلس وضايقوها ، وذلك [٧٩] في شعبان ، وألصقوا أبراجهم بسورها . فلما شاهد الجند وأهل البلد ذلك سقط في أيديهم ، وذلت نفوسهم ، وزادهم ضعفًا . فتأخر الأسطول المصري عنهم بالميرة والتجدة ، ودأب الفرنج القتال والزحف إلى أن ملكوا البلد عتوة ، وذلك في يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة ، سنة ثلاث وخمسمائة (٤) ونهبوا ما فيها ، وأسروا الرجال ، وسبوا النساء والذرية ، وغنموا من أهلها من الأموال والأمتعة

(١) « ريموند بن صنجيل » هكذا في الأصل ، والكامل جـ ١٠ ص ٤٧٥ ، وانعاط الحنفا جـ ٣ ص ٤٣ ، وغيرهم .

والمقصود برترام (برتراند) الابن الأكبر لريموند كونت تولوز الصنجيل .
"Bertram, a son of Raymond of Toulouse"

(٢) هكذا في الأصل ، وهو تحريف — انظر الهامش السابق .

وانظر الكامل جـ ١٠ ص ٤٧٥ حيث يوجد خلط مماثل .

(٣) تم الاتفاق على تقسيم إرث ريموند كونت تولوز بينها ، فيحفظ ولیم جوردان بأنظرطوس وما فتحه من البلاد مثل عرقة ، وأن يكون نصيب برترام جيل وطرابلس عقب الاستيلاء عليها ، وعلى أن يتوارث كل منها إذا مات دون وارث — تاريخ الحروب الصليبية جـ ٢ ص ١١٢ .

(٤) دخل الصليبيون طرابلس في ١٢ يولية ١١٠٩ م — تاريخ الحروب الصليبية جـ ٢ ص ١١٣ .

وَكُتِبَ العلم الموقوفة ما لا يُحد ولا يُوصف .

وكانت طرابلس من أعظم البلاد وأهلها من أكثر الناس أموالاً .
وسليم الوالى الذى كان بها وجاعة من جندها كانوا التمسوا الأمان قبل
فتحها ، فوصلوا إلى دمشق ، وعاقب الفرنج أهل طرابلس بأنواع
العقوبات ، وأخذت دفاثنهم وذخائرهم ^(١) .
ووصل الأسطول المصرى بالرجال والغلال وغيرها ، ما يكفيهم سنة ،
وكان وصول الأسطول إليها بعد أن ملكت بثمانية أيام ، ففرق ما فى الأسطول
على الجهات المجاورة لها : صور وصيدا وبيروت .

ذكر ملك الفرنج جبلة وبلنّياس

قال : ولما فرغ الفرنج من طرابلس سار تنكرى صاحب أنطاكية إلى
بلنّياس ^(٢) فافتتحها وأمن أهلها ، ونزل على مدينة جبلة ^(٣) وبها فخر الملك
ابن عمّار ، وكان القوت قد قلّ بها ، فقاتل من بها إلى أن ملكها فى الثانى
والعشرين من ذى الحجة بالأمان .

وخرج فخر الملك ابن عمّار وقصد شيزر ، فأكرمه صاحبها الأمير
سلطان ابن على بن مُقذ الكنانى . ثم سار إلى دمشق فأكرمه طغرتكين

(١) الكامل جـ ١٠ ص ٤٧٥ - ٤٧٦ .

(٢) بلنّياس : بضمين وسكون النون ، وباء وألف وسين مهملة : كورة ومدينة صغيرة وحصن
بساحل حمص على البحر - معجم البلدان .

وردت « بانياس » فى الكامل جـ ١٠ ص ٤٧٦ .

(٣) انظر ما سبق عن جبيلة وجبلة .

صاحبها ، وأجزل له في العطية وأقطعه أعمال الرّبداني ، وذلك في المحرم سنة أربع وخمسمائة^(١) .

ذكر ملكهم مدينة صيدا

وفي جُمادى الأولى^(٢) سنة أربع وخمسمائة ملك الفرنج مدينة صيدا ، وكانت من جُملة ما هو بيد طُقْرُتْكِين صاحب دمشق . وذلك أنه وصل في البحر سِتُون مَرَكَبًا للفرنج مشحونة بالرجال والدُّخَانِ مع بعض ملوكهم^(٣) ، لِيُحْجَّ إلى القدس ويغزو المسلمين بِرَعْمِهِ ؛ فاجتمع به بغداديون صاحب القدس وقرّر معه الغزو فَنَزَلُوا^(٤) على مدينة صيدا في ثالث شهر ربيع الآخر ، وضابقوها في البر والبحر ، ومنَعُوا الأسطول المصريّ من الوصول إليها ، وكان بساحل مدينة صور ، فعمل الفرنج بُرْجًا من الخشب وأحكموه ، وجعلوا عليه ما يمنع الثَّار والحجارة عنه ، وزحفوا به . فلَمَّا عَاينَ أهلُ صيدا ذلك ضَعُفَتْ نفوسهم وأشفقوا أنْ يَصِيْبَهُمْ مِثْلُ ما أَصَابَ أهلَ بيروت ؛ فأرسلوا قاضيها ومعه جَمَاعَةٌ من شُيوخها إلى الفرنج وطلبوا الأمان ، فأَمَّنَهُمْ على نفوسهم وأموالهم والعسكر الذي عندهم ، وَمَنْ أَرَادَ المُقَامَ بها^(٥) عندهم أَمَّنُوهُ ،

(١) سنة اثنتين وخمسمائة « في الكامل جـ ١٠ ص ٤٧٧ ، وهو تحريف لا يتفق وسير الأحداث .

(٢) « في ربيع الآخر » في الكامل جـ ١٠ ص ٤٧٩ .

(٣) هو سيجورد ملك النرويج ، الذي اشترك في حصار صيدا في أكتوبر ١١١٠ م - تاريخ الحروب الصليبية جـ ٢ ص ١٥٠ .

(٤) « ويقرو » في الأصل ، والتصحيح من الكامل جـ ١٠ ص ٤٧٩ .

(٥) « فنزلا » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق من الكامل جـ ١٠ ص ٤٧٩ .

(٦) [بها] إضافة من الكامل جـ ١٠ ص ٤٨٠ .

وَمَنْ أَرَادَ الْمَسِيرَ عَنْهُمْ لَا يَمْنَعُونَهُ ، وَحَلَفُوا لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ فَخَرَجَ الْوَالِي وَجَاعَةً كَثِيرَةً مَعَهُ تَحْتَ الْأَمَانِ ، وَكَانَتْ مَدَّةُ الْحَصَارِ سَبْعَةً وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا .

وَرَحَلَ بَغْدَوِينَ عَنْهَا إِلَى الْقُدْسِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهَا بَعْدَ مَدَّةٍ بِسِيرَةٍ يُقَرَّرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ أَقَامُوا بِهَا عَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَاسْتَعْرَقَ أَمْوَالَهُمْ وَأَفْقَرَهُمْ .

ذِكْرُ اسْتِيلَانِهِمْ عَلَى حَصْنِ ^(١) الْأَثَارِبِ وَحَصْنِ زَرْدَنَا

وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِمِائَةٍ جَمَعَ صَاحِبُ أَنْطَاكِيَّةِ الْفَارِسِ وَالرَّاجِلِ ، وَسَارَ إِلَى حَصْنِ الْأَثَارِبِ ، وَهُوَ عَلَى ثَلَاثِ فَرَاسِخٍ مِنْ حَلَبَ ، فَحَصَرَهُ وَتَمَتَّعَ الْمِيرَةُ عَمَّنْ فِيهِ ؛ فَضَاقَ الْأَمْرُ عَلَيْهِمْ . فَتَقَبَّ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْقَلْعَةِ نَقْبًا وَقَصَدُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهُ إِلَى خِيْمَةِ صَاحِبِ أَنْطَاكِيَّةٍ فَيَقْتُلُوهُ . فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ اسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ صَبِيٌّ أَرْمَنِيٌّ فَعَرَفَهُ الْحَالُ ، فَحَتَّاطٌ لِنَفْسِهِ وَاحْتِرَازٌ ؛ وَجَدَّ فِي قِتَالِهِمْ حَتَّى مَلَكَ الْحَصْنَ عَتَبَةً ، وَقَتَلَ مِنْ أَهْلِهِ أَلْفِي رَجُلٍ ^(٢) وَسَبْيِي .

ثُمَّ سَارَ إِلَى حَصْنِ زَرْدَنَا ^(٣) ، فَحَصَرَهُ وَفَتَحَهُ ، وَفَعَلَ بِأَهْلِهِ مِثْلَ ذَلِكَ . فَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ أَهْلُ مَنبِيجَ فَارَقُوا خَوْفًا مِنَ الْفَرَنْجِ ، وَكَذَلِكَ أَهْلُ بَالِسِ ^(٤) ، فَطَلَبَ أَهْلُ الشَّامِ الْمُدَنَةَ ، فَامْتَنَعَ الْفَرَنْجُ ثُمَّ أَجَابُوا . فَصَالَحَهُمُ الْمَلِكُ رِضْوَانُ صَاحِبِ حَلَبَ عَلَى اثْنَتَيْنِ [٨٠] وَثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَخِيُولٍ وَثِيَابٍ ، وَصَالَحَهُمُ ابْنُ مَنْقُذٍ صَاحِبُ شَيْرَزَّرَ عَلَى أَرْبَعَةِ آلَافِ دِينَارٍ ،

(١) « حصين » في الأصل ، وهو تحريف .

(٢) الكامل ج ١٠ ص ٤٨١ .

(٣) زردنا : بلدة صغيرة غربي حلب - معجم البلدان .

(٤) باليس : بين حلب والرقه - معجم البلدان .

وصالحهم على الكردي صاحب حماة على ألفي دينار . وكانت عِدَّةُ الهُدنة إلى إدراك المَعْلَ وحصاده^(١) . ثم جاءت العساكر من العراق ولم يبلغوا غرضًا .

ذكر حصر مدينة صور وفتحها

كان استيلاء الفرنج ، خذلهم الله تعالى ، على مدينة صور في الثالث والعشرين من جمادى الأولى سنة ثمانى عشرة وخمسمائة . وكان ابتداء الحصار في سنة خمس وخمسمائة ؛ وذلك أن الفرنج في هذه السنة اجتمعوا مع بغدوين صاحب القدس على حصارها ، وكانت إذ ذاك بيد نواب الأمر بأحكام الله وبها من قبله عز الملك الأعز ، فحصروها في الخامس والعشرين من جمادى الأولى من السنة ، وعملوا ثلاثة أبراج من الخشب علو البرج سبعون ذراعًا في كل برج ألف رجل ؛ ونصبوا عليها المجانيق . وألصقوا أحد الأبراج بسور صور ، فجمع عز الملك أهل البلد واستشارهم في حيلة يدفعون بها شر الأبراج . فقام شيخ من أهل طرابلس وضمن إحقاقها ، وأخذ ألف رجل بالسلاح التام ، ومع كل رجل حزمة حطب ؛ فقاتلوا الفرنج حتى وصلوا إلى البرج الملتصق بالسور وألقوا الحطب من جهاته ، وأشعلوا فيه النار . ثم خاف أن يشتغل الفرنج الذين في الأبراج بإطفاء النار ، فرماهم بجرار مملوءة بالعذرة كان قد أعدها لهم فلما سقطت عليهم اشتغلوا بما نالهم من الرائحة الكريهة ،

(١) الكامل جـ ١٠ ص ٤٨٢ .

(٢) الخليفة الفاطمي الأمر بأحكام الله أبو علي المنصور الذي ولي الخلافة الفاطمية بالقاهرة في الفترة من ٤٩٥ - ٥٢٤ هـ / ١١٠١ - ١١٣٠ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٣٣ ، وانظر ما يلي .

فتمكنت النار من البرج . وأحرق المسلمون البرجين [الآخرين] (١) أيضا .

وكانت عُرُ الملك طُغُرْتُكَيْن ، صاحب دمشق ، فأنجده بالرجال ، وأرسل أصحابه للإغارة على بلاد الفرنج ، فرجعوا من حصار مدينة صور في شوال من السنة .

ثم عادوا في سنة ست وخمسة إلى الحصار ، وضايقوا البلد ، فأرسل أهل صور إلى طُغُرْتُكَيْن صاحب دمشق يطلبون منه أن يرسل إليهم من جهته مَنْ يتولى أمرهم ويحميهم ، وتكون البلد له . فسير إليهم عسكرياً ، وجعل عندهم والياً اسمه مسعود ، وكان شهماً شجاعاً عارفاً بالحرب ومكايدها ، وأمدّه بالعساكر والميرة ، فطابت قلوب أهل البلد . ولم يقطع خطبة الأمر بأحكام الله ولا غيّر سببته ، وكتب إلى الأفضل أمير الجيوش يُعرفه ما عمل ويقول : متى وصل من مصر مَنْ يتولاها ويذب عنها سلمتها إليه ؛ وطلب منهم ألا ينقطع الأسطول عنها بالرجال والميرة . فأجابه الأفضل إلى ذلك ، وشكره على ما فعل ، وجهز أسطولاً إليها ، فاستقامت أحوال أهلها .

ولم يزل كذلك إلى سنة ست عشرة وخمسة ، بعد قتل الأفضل أمير الجيوش . وذلك أن المأمون بن البطائح لما ولي إمرة الجيوش بعد قتل الأفضل سير إلى مدينة صور أسطولاً على العادة ، وأمر المقدم عليه أن يُعْمِل الحيلة على الأمير مسعود ، الوالي من قبل طُغُرْتُكَيْن ، ويقبض عليه ، ويتسلم البلد منه . وكان سبب ذلك أن أهل صور شكوا منه إلى الأمر بأحكام الله . فلما وصل الأسطول وجاء الأمير مسعود لِيُسَلِّم على المقدم قبض المقدم عليه

(١) [إضافة للتوضيح .

واعتقله ، وحمله إلى الأمر ؛ فأكرمه وأعادته إلى صاحبه بدمشق . واستولى
مقدم الأسطول على مدينة صور ، ورأسل الأمير طغرتكين بالخدمة ، واعتذر
إليه ، فقبل عذره ^(١) ، ووعدته المساعدة .

فلما سمع الفرنج بانصراف مسعود عن صور قوى طمعهم فيها ، وشرعوا
في الجمع ؛ واتصل خبرهم بوالها ، فعلم أنه لا قوة له ولا طاقة بهم ، لقلّة
من بها من الجند والميرة ، وأرسل إلى الأمر بذلك ؛ فرأى أن يرّد ولاية صور
إلى طغرتكين ، فأرسل إليه بذلك ، فملكها ورّب بها الجند وغيرهم .

وسار الفرنج إلى صور ، ونازلوها في شهر ربيع الأول سنة ثمانى عشرة ،
وضيّقوا عليها ولازموا القتال ؛ فقلّت الأقوات ، وسيمّ من بها القتال ،
وضعفت نفوسهم . وسار طغرتكين إلى بانياس ليقرب منهم ويذبّ عن
البلد ، وأرسل إلى الأمر يستنجده ، فلم ينجده ؛ وأشرف أهلها على الهلاك .
فحينئذٍ رأسل طغرتكين الفرنج على أن يسلم إليهم البلد ويمكّنوا من بها من
الجند والرعية من الخروج بما قدرُوا عليه من أموالهم وغيرها فاستقرّت القاعدة
على ذلك ، وفتحت أبواب البلد ، وفارقه أهله ، وحملوا ما أطاقوا وتفرّقوا
في البلاد ، ولم يتعرّض الفرنج إليهم . وملك الفرنج البلد في التاريخ [٨١]
الذى قدّمناه ، ولم يبقَ بصور إلّا ضعيفٌ عاجز عن الحركة ^(٢) .

وفي سنة ثلاثٍ وعشرين وخمسمائة ملك الفرنج حصن القدموس ^(٣)
من المسلمين ، وملكوا بانياس بمراسلة إسماعيل الإسماعيلي ورغبيته في ذلك ،

(١) « فاعتذر إليه وقبل عذره » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

(٢) انظر الكامل ج ١٠ ص ٦٢٠ - ٦٢٢ .

(٣) القدموس : من حصون الاسماعيلية - انظر ما يلى ، الكامل ج ١٠ ص ٦٥٩ ، نهاية

الأرب ج ٢٧ ص ٧٩ .

وانضمامه إلى الفرنج ، على ما قلّمنا ذكره^(١) في أخبار تاج الملوك طُفُرْتُكَيْن صاحب دمشق .

هذا ما استولى عليه الفرنج من البلاد الإسلامية . فلنرجع إلى أخبار الدولة العبيدية .

ذكر وفاة المستعلى بالله

كانت وفاته في يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من صفر^(٢) سنة خمس وتسعين وأربعمائة .

ومولده لعشر بقين من المحرم سنة سبع وستين^(٣) وأربعمائة ؛ وكان عمره ثمانيا وعشرين سنة^(٤) وثمانية وعشرين يوما .

ومدة ولايته سبع سنين وشهرا واحدا وثمانية وعشرين يوما .

ولم تكن له سيرة تُذكر ، فإن الأمر كان للأفضل أمير الجيوش ، لم يكن للمستعلى معه من الأمر إلا الاسم ، والرسم للأفضل .

(١) انظر نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ٨٠ .

(٢) يوجد اختلاف في تاريخ وفاته ، فهو ٢٧ صفر في كنز الدرر جـ ٦ ص ٤٥٣ . ٩ صفر في النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ١٥٣ ، ١٣ صفر في أخبار الدول المنقطعة ص ٨٥ .

(٣) يوجد اختلاف أيضا في تاريخ ميلاده ، فهو ١٨ محرم ٤٦٨ هـ في انماط الحنفا جـ ٣ ص ٢٧ ، ١٠ محرم ٤٦٨ هـ في المنتقى من أخبار مصر ص ٦٩ ، وفي وفيات الأعيان سنة ٤٦٩ هـ ، جـ ١ ص ١٨٠ .

ولا يتفق مع النويري إلا ابن طاهر — انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٨٥ .

(٤) يوجد اختلاف في عمره تبعا للاختلاف في تاريخ ميلاده ، وتاريخ وفاته انظر الهوامش السابقة .

وكان للمستعلى من الأولاد أبو على المنصور ، وجعفر ، وعبد الصمد .
وزيره الأفضل أمير الجيوش .

قضاته : أبو الحسن بن الكحال النابلسي ، ثم أعاد بن عبد الحاكم ، ثم
أبو طاهر محمد بن رجاء ، ثم أبو الفرج محمد بن جوهر بن ذكا النابلسي .

ذكر بيعة الأمر بأحكام الله

هو أبو على المنصور بن المستعلى بالله ، وهو العاشر من ملوك الدولة
العبيدية والسابع من ملوك الديار المصرية منهم .

قال المؤرخ : لما مات المستعلى بالله أجلس الأفضل أمير الجيوش ولده أبا
على هذا على سرير الخلافة ، وذلك في يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت
من صفر سنة خمس وتسعين وأربعمائة ، وبايع له الناس ولقبه بالأمر بأحكام
الله وله من العمر خمس سنين وشهر واحد وأيام .

قال : ودبر الأفضل الأمر على ما كان عليه في أيام أبيه المستعلى ^(١) .

وفي سنة خمس مائة بنى الأفضل أمير الجيوش الدار المعروفة بدار الملك ^(٢)
على شاطئ النيل بمصر ، وكملت عمارتها في سنة إحدى وخمسمائة ،
وسكنها .

(١) ينقل التويري عن ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ص ٨٧ .

(٢) دار الملك : يقول المقرئ : هي من إنشاء الأفضل بن أمير الجيوش ، ابتدأ في بنائها
وإنشائها في سنة إحدى وخمسمائة ، فلما كملت تحول إليها من دار القباب بالقاهرة ،
وسكنها ، وحول إليها الدواوين من القصر فصارت بها ، وجعل فيها الأسطة واتخذ بها
مجلساً ساء مجلس المطايا ، فلما قتل الأفضل صارت دار الملك هذه من جملة متنزعات
الخلفاء « المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٨٣ » .

ومدحه الشعراء . فمن مدحه أبو الفضل بن أمية المغربي من قصيدة جاء منها :

دارُ هي الفلك الأعلى، وأنت بها شمس الضحى، وبنوك الأنجمُ الزهر

ودار الملك هذه هي دار الوكالة الآن ^(١) ، وكان موضعها اختصاص موقوفة على الأشراف ، فأمر أن يؤخذ ما كان لهم من الحكر على الأخصاص من مال الرباع السلطانية .

ذكر إنشاء ديوان التحقيق

وفي سنة إحدى وخمسمائة جدد الأفضل ديواناً وسمّاه ديوان التحقيق ^(٢) ، واستخدم فيه أبا البركات يوحنا بن أبي الليث التصрани ، وبقى فيه إلى أن قُتل في سنة ثمانٍ وعشرين ^(٣) . واستمر هذا الديوان إلى أن انقرضت الدولة العبيدية وانقطع ، ثم أعاده السلطان الملك الكامل بن الملك العادل في سنة أربعٍ وعشرين ، واستخدم فيه أبو كوجك ^(٤) اليهودي . ثم أبطل في سنة ستٍ وعشرين وسمّاه فلم يعد . واستخدم في أيام السلطان

(١) « ثم عملت في أيام الظاهر ركن الدين ميرس البندقدارى دار وكالة » — المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٨٣ .

(٢) كانت وظيفة هذا الديوان هي المقابلة على سائر الدواوين — صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٨٩ . المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٠١ .

(٣) « ثمان عشرة » في انعاظ الحفا ج ٣ ص ٣٩ ، المنتقى من أخبار مصر ص ١٠٩ .
(٤) « ابن كوجك » في المنتقى من أخبار مصر ص ٧٧ .

الملك المعز أيك صفي الدين عبد الله بن علي المغربي في استيفاء مقابلة الدواوين ، وهو نوع منه ^(١) .

ذكر حل الإقطاعات ونحويل السنة

وفي سنة إحدى وخمسمائة كثرت شكاوى الأجناد وطوائف العساكر المصرية بسبب إقطاعاتهم ، وأنها خربت وقل ارتفاعها ، وأنها لا تقوم ببعض كلفهم ، وأن الإقطاعات التي بيد الأمراء زائدة عن الارتفاع . فأحضر الأفضل محمد [٨٢] بن فاتك البطايني ^(٢) ، وهو وزيره وأستاذ داره ، واستشاره فما يفعل في ذلك ؛ فأشار عليه بحل جميع الإقطاعات التي بيد الأمراء وغيرهم ، وأن يجمع الأمراء والطوائف للمزايدة فيها . فاتفق الرأي على ذلك .

وأحضر الأمراء والأجناد في دار الوزارة ، وتحدث معهم في ذلك ؛ فقال الأمراء : لنا في إقطاعاتنا أملاك وبساتين ومعاصر وغيرها . فقال الأفضل : الأملاك لملاكها على حالها يتصرفون فيها بالبيع والإيجار . ثم حل الإقطاعات ووقعت الزيادة فيها ، وتميز لكل منهم إقطاع ، وكتب المنشير بذلك . ثم شكى إليه كثرة عبء البلاد ^(٣) وأن متحصّلها لا يبقى بالعبء .

(١) المتنقي من أخبار مصر ص ٧٧ - ٧٨ .

(٢) انظر الإشارة ص ٦٢ - ٦٤ ، أخبار الدول المنقطعة ص ٨٨ ، الرافى بالوفيات ج ٤ ص ٣١٣ وما بعدها ، وانظر أيضاً نصوص من أخبار مصر ص ٣ هاشم ٢ .

(٣) العبء : يقصد بها مقدار الضرائب (الخراج والأموال) المقررة على كل إقطاع - المواعظ

والاعتبار ج ١ ص ٨١ وما بعدها .

وحَصَلَ للديوان ضياعٌ مفردة ^(١) عبرتها خمسون ألف دينار في كل سنة .
ونُقلت السنة الشمسية الخراجية إلى الهلالية ، وكانت سنة إحدى
 وخمسمائة الهلالية وسنة سبع وتسعين وأربعائة الخراجية فنقلت إلى سنة
 إحدى وخمسمائة ^(٢) .

ذكر أخذ الفرما وهلاك بغدوين الفرنجي صاحب القدس

وفي سنة إحدى عشرة وخمسمائة ^(٣) أغار بغدوين ملك الفرنج على
الفرما ^(٤) وقتل جميع مَنْ بها ، وأحرق جامعها ومساجدها ، وذلك بعد أن
حاصرها أياماً والفرما كانت بلدة بين القصير والغراب من منازل الرَّمْل ، وهي
الآن خراب . وقصد بغدوين مِصر فرحل عن الفرما . ورجع إلى البيت

(١) « وحصل لديوان السلطان ضياع مفردة » في الأصل ، والتصحيح من اتعاط الحنفا جـ ٣ ص ٤٠ ، وانظر أيضاً نصوص من أخبار مصر ص ٩ - ١٠ .

(٢) عن تحويل السنة الخراجية الشمسية إلى الهلالية انظر صبح الأعشى جـ ١٣ ص ٥٤ - ٦٠ ، المواعظ والاعتبار جـ ١ ص ٢٧٣ - ٢٨٥ .

(٣) « وفي سنة إحدى عشرة وخمسمائة ، وقيل في سنة أربع عشرة » في الأصل ، والتصحيح من اتعاط الحنفا جـ ٣ ص ٥٦ ، والكامل جـ ١٠ ص ٥٤٣ ، وكنز الدرر جـ ٦ ص ٤٨٠ .

وهو ما يتفق مع المصادر والمراجع الصليبية التي تذكر وفاته في ٢ إبريل ١١١٨ م ، وهو يوافق ٨ ذو الحجة ٥١١ هـ ، فقد ذكر ابن الأثير « في ذى الحجة من سنة إحدى عشرة وخمسمائة توفي بغدوين ملك القدس » - الكامل جـ ١٠ ص ٥٤٣ . تاريخ الحروب الصليبية جـ ٢ ص ١٧٢ .

(٤) الفرما : مدينة على الساحل شرقي تيس ، على بعد ٢٣ كم شرقي محطة الطينة الواقعة على السكة الحديد بين بور سعيد والاسماعيلية - معجم البلدان ، القاموس الجغرافي ق ١ جـ ١ ص ٩٢ .

المقدس ، وهو مثقل بالمرض ، فهلك بموضع يقال له جور قبل وصوله إلى العرش . فشقَّ الفرنج بطنه وألقوا مصارينه هناك ، فهي تُرجم إلى وقتنا هذا ، ودخلوا بجثته ، فدفنوها بقبامة بالبيت المقدس .

وفي سنة إحدى عشرة وخمسمائة رُتّب ذخيرة الملك جعفر في ولاية القاهرة ، ونظر الحسبة وظلم وعسف ؛ وهو الذي بنى المسجد بسوق الخيل المعروف : بالذخيرة ، ومسجد « لا بالله »^(١) ، وسببُ تسميته بذلك أنه كان يقبض الناس من الطريق ويعسفهم ، فيقولون له : لا بالله ، فيقيدهم ويستعملهم فيه بغير أجرة . ولم يعمل فيه صانعٌ إلا وهو مكره مقيد . فابتلى الله ذخيرة الملك بأمراضٍ شديدة ، ولما مات تجنّب الناس الصلاة عليه وتشيعه .

ذكر نهب ثغر عيذاب

وفي سنة ثنى عشرة وخمسمائة عمّر الشريف أبو محمد قاسم بن أبي هاشم^(٢) ، أمير مكة ، مراكب حربية وشحنها بالمقاتلة وسيرهم إلى عيذاب^(٣) ، فنهبوا مراكب التجار وقتلوا جماعة منهم . فحضر من سليم من

(١) كان بخارج القاهرة في موضع الميدان أسفل القلعة . المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٤١١ .

(٢) هو قاسم بن محمد بن جعفر بن أبي هاشم ، المتوفى سنة ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م أو سنة ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م — العقد الثمين ج ٧ ص ٢٨ رقم ٢٣٢٤ ، الكامل ج ١٠ ص ٢٦٣ .

(٣) عيذاب : ميناء صغير على البحر الأحمر ، تصل إليه المراكب القادمة من عدن والحبشة والهند إلى صعيد مصر . كما كانت على طريق الحج المصري ، يسير إليها الحجاج من مدينة قوص بصعيد مصر — معجم البلدان .

الجار إلى باب الأفضل وشكّوا ما حلّ بهم فأمر بعمارة حَرَارِيق^(١) لجهّزها ، ومنع الناس أن يجمعوا في سنة أربع عشرة ، وقطع الميرة عن الحجاز ، فغلت الأسعار . وكان الأفضل قد كتب إلى الأشراف بمكة يلومهم على فعل صاحبهم ، فكتب الشريف إلى الأفضل يعتذر ، والترم بردّ المال إلى أربابه ، ومن قُتل من التجار فماله لورثته . وأعاد الأموال في سنة خمس عشرة^(٢) .

ذكر مقتل الأفضل شاهنشاه أمير الجيوش ابن أمير الجيوش بلر الجمالي وشيء من أخباره

كان مقتله في يوم الأحد سلخ شهر رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة ، وقد ركب من دار الملك بمصر فقتل عند كرسى الجسر^(٣) ، نلة الباطنية . قيل بمواطاة من الأمر لأنه كان قد ضاق منه لتحكّمه عليه ومنعه من شهواته ، فقصد اغتياله إذا دخل عليه للسلام ، فنبهه أبو الميسون عبد المجيد بن أبي القاسم ، ابن عمه ، وقال : إنّ هذا الأمر فيه من قُبْح الأحذوثة وسوء الشناعة ما لا تحمد عاقبته ، لأنّ هذا الرجل ما عُرف له ولا لأبيه إلاّ المودة في خدمة هذا البيت واللّب عنه ، وإن قتلناه غيلة لا غنية أن

(١) حراقة — حراقات ، وحراريق : نوع من السفن الحربية التي تروى بالنيران — معجم السفن الإسلامية ص ٣٢ .

(٢) العقد الثمين ج ٧ ص ٢٩ .

(٣) كرسى الجسر : بالفسطاط ، في الطريق إلى رحبة الملاحين التي تقع أمام فندق تقى الدين المعروف بسكن الكارم — الانتصار ٤ ص ٣٥ .

نوّلى منصبه لغيره ، فيكون المتولّى بعده على وجل واحتراس . وإنّما الرأى أنّ تدبّر عليه . فدبّر عليه حتى قتل . هذا أحد الأقوال فى قتله .

قال : ولما وثب الباطنية عليه ضرب ثمانى ضربات ، فمات لوقتته ، وحُمِل على أيدي مقدّمى ركابه ، والقائد الميمون محمد وأخوته لا يَمَكُون أحداً من الدنوّ منه ، وهم [٨٣] يبشرون الناس بسلامته ، حتى وضعوه على سريره وعُطّي . ونفّذ المأمون أخاه حيدرَة إلى الأمر يقول له : أدركنى وتسلم ملكك لئلا أُغلب عليه أنا وأنت ؛ وأوصاه أن يُهتّى من وجده بسلامة الأفضل . ففعل حيدرَة ذلك ، وهنأ حرّم الأفضل وغيرهم . فغزم أولاده على إثارة فتنة وأنهم يطلبون الأمر لأخيهم تاج المعالى ؛ فأمر الأمر بحمل أولاد الأفضل إلى الإعتقال بخرانة البُنود ، فحُمِلوا إليها ، وبات الأمر بدار الملك .

قال : وكان الأفضل حسن الاعتقاد فى مذهب السّنة ، جميل السّيرة ، مؤثراً للعدل ، صائب الرأى والتدبير ، حسن الهمة ، كريم النّفس ، صادق الحديث .

ونال الناس بعد قتل الأفضل من الظُّلم والجور والعسف ما لا يُعبّر عنه . فجاء الناس إلى باب الأمر واستغاثوا ، ولعنوا الأفضل وسبّوه أفحج سب ؛ فخرج إليهم الخدم وقالوا : مولانا يُسلم عليكم ويقول لكم : ما السّبب فى سبّ الأفضل وقد كان قد أحسن إليكم وعدّل فيكم ؟ فقالوا : إنّ عدل وتصدّق وحسنت آثاره ، ففارقنا بلادنا حبّاً لأيامه ، وأقمنا فى بلده ، فحصل بعده هذا الجور ؛ فهو السّبب فى خروجنا عن أوطاننا واستقرارنا ببلده .

قال المؤرخ : لما قُتل الأفضل أحضر الأمر وزيره الشيخ أبا الحسن على الحلبي والقائد أبا عبد الله محمدًا وسألها عن الأموال ، فقال القائد : أمّا السرّ فأعلمه وأمّا الظاهر فالوزير يعلنه ، وأنّ خبره بذخائره وأمواله . وأقام الأمر في دور الأفضل ، وهي دار الملك بمصر ودار الوزارة بالقاهرة ، وغيرهما ، أربعين يومًا ، والكتّاب بين يديه يكتبون ما ينقلونه إلى القصور ، فوجد له من النّخائر النفيسة ما لا يحصى (١) .

وذكر أن الذي وُجد له من الأموال ستّة آلاف ألف دينار عبثًا ، وفي بيت الخاصّة ثلاثة آلاف ألف دينار ، وفي البيت البرّاني ثلاثة آلاف [ألف] (٢) ومائتان وخمسون دينارًا ، وخمسون أردبًا دراهم [ورق] (٣) وثلاثون راحلة من الذهب العراقى ، المغزول برّسم الرّقم ؛ وعشرة بيوت في كلّ بيت منها عشرة مسامير من الذهب (٤) ، زنة كلّ مسمار مائتا مثقال ، عليها العمام المختلفة الألوان مغطاة بالمناديل المزركشة ، وتسعمائة ثوب من الديباج الملّون ، وخمسمائة صندوق من دقّ دمياط وتينيس برّسم كسوة جسده ، ولعبة من العنبر على قدر جسده برّسم ثيابه توضع ثيابه عليها لتكتسب رائحتها . وترك من الطّيب والآلات والنحاس ما لا يحصى . وترك من الأبقار والجواميس والأغنام ما بلغ ضمان ألبانها وتناجها أربعين ألف دينار في السنة . وكانت الدّواة التي يكتب منها مرصعةً بالجواهر ، فقوّم ما عليها من الجواهر باثني عشر ألف دينار . وخلف من الكتب

(١) المتنقى من أخبار مصر ص ٧٩ .

(٢) [إضافة من المتنقى من أخبار مصر ص ٨٠ ، واتعاط الحنفا ج ٣ ص ٧٠ .

(٣) [إضافة من المتنقى من أخبار مصر ص ٨٠ ، واتعاط الحنفا ج ٣ ص ٧٠ .

(٤) كانت هذه المسامير تستخدم كبشاجب تعلق عليها العمام — انظر ما يلى .

خمسمائة ألف مجلد^(١)

وحكى القاضي زكى الدين أبو زكريا يحيى بن علي التمشقي في تاريخه عما خلفه الأفضل فقال : خلف . جملة لم يُسمع أن أحداً من الملوك والخلفاء في هذا الزمان جمع مثله ولا ادخر مثل بعضه : وأن الأمر بأحكام الله شرع في حمل ما في دُورِهِ إلى القصر ، فحمل على عددٍ كثيرٍ من الجمال والبغال ، ونقل في شهرين وأيام .

قال : وحكى الدينبلى التاجر الآمدى أن مُتَوَلَّى الخزانة بالقصور ذكر له جُمْلَةً مِمَّا حَمَلَ من موجوده في الدار ، منها ستة آلاف ألف وأربعمائة ألف دينار ، ومن الورق ما قيمته مائتا ألف وعشرون ألف دينار ، ومن أطباق الذهب والفضة سبعمائة طبق^(٢) ، ومن الآلات مثل أوتار واصطال وصحاف وشربات وأباريق وزبادى وقدر وقطع من الفضة والذهب مختلفة الأجناس ما لا يحصى كثيرة ، وبراقي^(٣) صيني كبار ، وعبيات مملوءة جواهر ، ومن أصناف الديباج والعتاني وغيره تسعون ألف ثوب ، وثلاث خزائن مملوءة هناديق كلها من الدقيق والشرب استعمال تنيس ودمياط ، وخزانة الطيب مملوءة أسفاطاً ، وعود ، وبراقي مسك ونوافج ، وبراقي زجاج مملوءة من

(١) عن تركة الأفضل انظر اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٧٠ وما بعدها ، المنتقى من أخبار مصر ص ٨٠ ، أخبار الدول المنقطعة ص ٩١ - ٩٢ ، كنز الدرر ج ٦ ص ٤٨٦ - ٤٨٧ ، وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٥١ ، النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٢٢ ، وانظر هامش ٢٨٩ من المنتقى من أخبار مصر ص ٨٠ .

(٢) « طوق » في اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٧٠ .

(٣) براقي - برنية : إناء من الخزف اللامع أو من الصفي .

الكافور القنصوري ، غير مصاعد ، ومن العنبر ما لا يحصى كثرة (١) .

وكان له مجلس يجلس فيه للشراب فيه صورٌ ثمانى جوارى متقابلات ، أربع منهنَّ بيض من كافور ، وأربع سود من عنبر ، قيام فى المجلس ، عليهن أفخر الثياب وأتمن الحللى وأحسن الجواهر ، فكان إذا دخل باب المجلس نكسنَ رؤوسهنَّ خدمةً له ، فإذا جلس فى صدر المجلس استوين قائماتٍ . ووجد له من المقاطع والشُور ، والدياج والديقى الحريرى ، والذهب ، والفرش ، والمخاد والمساند على اختلاف أجناسها ، كلُّ حجرة مملوءة من ذلك ، وعدة صناديق مملوءة حقائق ذهبٍ عراقى يرسم الاستعمال . ووجد له ثمانمائة جارية [٨٤] منهن حطاما خمس وستون ، لكل جارية حجرة وخزانة مملوءة من الكسوى والآلات الدياج والذهب والفضة . ومن كل صنف .

قال الخازن : هذا ما حَضَرنى حِفْظُهُ ممَّا فى داره . وأما ما كان فى مخازنه وتحت يدي عُمَّاله وجِباته وضمائم التواشى فما لا يحصى كثرة ، من الأموال والغلال والخبوب والقطن والكتان والشمع والحديد والأخشاب وغير ذلك . وكل نوع منه ما يجاوز الحد والإحصاء ، ولا يمكن تحرير حسابه إلا فى المدة الطويلة (٢) .

وأما العدد والخيول والسلاح والبقر والغنم والخيام ، فقال الخازن لم تتحرر

(١) انعاظ الحنفا جـ ٣ ص ٧٠ - ٧١ .

(٢) انعاظ الحنفا جـ ٣ ص ٧١ ، المنتقى من أخبار مصر ص ٨٢ .

(٣) انعاظ الحنفا جـ ٣ ص ٢٧١ ، المنتقى من أخبار مصر ص ٨٣ .

لكثرتها . وقال حُيَيل من داره أربعة آلاف بساط ، وستون حمل^(١) طنائس ، وخمسمائة قطعة بلور كبار وصغار ، وخمسمائة قطعة مُحَكَم ، وألف عِدَل من متاع اليمن والإسكندرية والغرب ، وسبعة آلاف مركب^(٢) من أصنافها .

وأما ما عَمَّرَه من المساجد فنُها : جامع الفيلة^(٣) ، وقيل إنه لم يكمله . وحكى الشريف محمد بن أسعد الجواني في كتابه المترجم بالنقط في ذكر الخطط أن جامع الفيلة بناه الأفضل في سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ، وأن الأفضل مات ولم يكمله فكمَّله المأمون في وزارته ، ووَلَّى خطيبته الشريف أمين الدولة أبا جعفر ، محمد بن محمد بن هبة الله الحسيني الطرابلسي التَّسَابِيه ، وأمر أن يَحْضُر جميع وجوه الدولة والرؤساء في أول جمعة ، فحضرُوا . فلَمَّا رَفَى الشريف المنبر قال : « الحمد لله » ، وأرتج عليه ودھش ، فلم يَزَل يكررها إلى أن أضجَرَ النَّاس ، ونزل وقد هُمَّ ، ومضى إلى داره ، فاعتلَّ ومات في سنة سبع عشرة وخمسمائة . ومنها المسجد الذي على جبل المقطم . وبني في جامع عمرو بن العاص المئذنة الكبيرة والمئذنة السعيدية^(٤) ، والمئذنة المستجدة [به أيضاً]^(٥) ، وجامع الجزيرة . وغير ذلك . وهو الذي أنشأ التَّاج والخمسة وجوه .

(١) هكذا في الأصل ، وفي انعاظ الحنفا ، « وسور حمل » في المتن من أخبار مصر ص ٨٣ .

(٢) « وتسعة آلاف سرج » في انعاظ الحنفا ج ٣ ص ٧١ ، و« سبعة آلاف مركب يعني سرج » في المتن من أخبار مصر ص ٨٣ .

(٣) مسجد الفيلة : كان يطل على بركة الحبش - المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٨٩ - ٢٩٠ .

(٤) « السعيدة » في الأصل ، والتصحيح من المتن من أخبار مصر ص ٨٥ .

(٥) [إضافة للتوضيح من المتن من أخبار مصر ص ٨٥ ، وعن مآذن جامع عمرو بن العاص انظر صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٣٨ - ٣٣٩ ، الانتصار في ٤ ص ٦١ .

قال ناظم سيرة المأمون : وعمل الأفضل خيمة سماها خيمة الفرج ، ثم سُميت بالقائول لأنها كانت إذا نُصبت يموتُ تحته من الفُرلشين رجلٌ أو رجلان^(١) . اشتملت على ألف ذراع [وأربعمئة ألف ذراع]^(٢) وكان ارتفاعها خمسين ذراعاً بذراع العمل^(٣) ، أنفق عليها عشرة آلاف ألف دينار .

وملحه جماعة من الشعراء وذكرُوا هذه الخيمة ، منهم أبو جعفر محمد بن هبة الله الطرابلسي بقصيدته التي يقول فيها :

ضربت خيمة عزٍّ في مقرِّ علأ	أوفت على عذبات الطود ذى القن ^(٤)
جاءت مدى الطرف ، حتى خلت ذروتها	تأوى من ^(٥) الفلك الأعلى إلى سكن
أقسطارها ملئت من منظر عجب	يهدى ^(٦) إليك ذكاء الصانع الفطن
فمن رياض سقاها القطر صبيه	فما بها ظمأ يوماً إلى الثمن
وجامح في عنان لا يجاذبه	وطائر غير صداح على فن
وأرقم لا يمجج السَّم ريقته	وضيغم ليس بالعداى ولا الوهن
ومائلين صفوفًا في جوانبها	لو يستطيعون خرَّ الجمع للذقن

(١) عن هذه الخيمة وسبب تسميتها انظر : صبح الأعشى ج ٢ ص ١٢٨ ، ج ٣ ص ٤٧١ ، المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٧٠ - ٤٧١ .

إضافة من المتن من أخبار مصر ص ٨٦ ، اتعاط الجفنا ج ٣ ص ٧٢ .

(٣) ذراع العمل : طوله ثلاثة أشبار بشهر رجل معتدل ، ويستخدم في العمائر والمباني - صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤٢ - ٤٤٣ .

(٤) « أوفت على عذبات الطود ذى القن » في نصوص من أخبار مصر ص ١٠٢ .

(٥) « من » ساطع من نصوص من أخبار مصر .

(٦) « يهدى » في نصوص من أخبار مصر .

زَيْنَتْ بِأَرْوَعٍ ، لَا تُحْصَى فُضَائِلُهُ ماضٍ مِنَ الْمَجْدِ وَالْعِلْيَاءِ فِي سَنَنِ
وَأُطْلِعَ الدُّسْتُ فِيهَا شَمْسَ مَمْلَكَةٍ يَرَى^(١) التَّائُمْلَ فَضْلَ الْعَيْنِ وَالْأَذُنِ
وَعَدَّ عَلَى السَّعْدِ أَنَّ النَّصْرَ يَضْرِبُهَا بِالصِّينِ ، بَعْدَ فَتُوحِ الْهِنْدِ وَالْيَمَنِ

وقال أبو علي حسن بن زيد الأنصاري ، الكاتب بديوان
المكاتبات ، يصفها ويمدح الأفضل :

مهلاً ، فَقَدْ قَصَرْتَ عَنْ شَاوِكَ الْأُمِّ وَأَبَدْتَ الْعَجَزَ مِنْهَا هَذِهِ الْهَيْمَ
أَخِيمةً مَا نَصَبْتَ الْيَوْمَ ، أَمْ فَلَكَ ؛ وَيَقْظَةُ مَا نَرَاهُ مِنْكَ ، أَمْ حُلْمٌ ؟
مَا كَانَ يَخْطُرُ فِي الْأَفْكَارِ قَبْلَكَ أَنْ تَسْمُوعُلُوا عَلَى أَقْرِ النَّهْيِ الْخِيَمِ
حَتَّى أَتَيْتَ بِهَا شِمَاءَ شَاهِقَةٍ فِي مَارِنِ الدَّهْرِ مِنْ تَيْبٍ بِهَا شَمَمٌ
إِنَّ الدَّلِيلَ عَلَى تَكْوِينِهَا فَلَكُمَا أَنْ احْتَوَتْكَ ، وَأَنْتَ النَّاسُ كُلُّهُمْ

ومنها :

[٨٥] لَدَيْكَ جَيْشٌ ، وَجَيْشٌ فِي جَوَانِبِهَا مُصَوَّرٌ ، وَكَلَا الْجَيْشَيْنِ مَرْزُومٌ
إِذَا الصَّبَا حَرَكْتَهَا مَاجَ مَوَكِبِهَا فَمُقَدِّمٌ مِنْهُمْ فِيهَا وَمُنْهَزِمٌ
أَخِيلُهَا خَيْلُكَ اللَّاتِي تَبْغِي بِهَا فَلَيْسَ تُنْزَعُ^(٢) عَنْهَا الْحُزْمُ وَاللُّجَمُ
عَلِمْتَ أَبْطَالَهَا أَنْ يُقَدِّمُوا أَبْداً فَكُلُّهُمْ لَغَبَارِ الْحَرْبِ مُقْتَحِمٌ
أُمْتَنَّتُمْ أَنْ يَخَافُوا سَطْوَةَ لِرْدَى فَقَدْ تَسَالَمَتِ الْأَسْيَافُ وَالْقِمَمُ^(٣)
كَأَنَّا جَنَّةٌ ، وَالْقَاطِنُونَ بِهَا لَا يَسْتَطِيعُونَ عَلَى أَعْمَارِهِمْ هَرَمٌ

(١) « ترى » في نصوص من أخبار مصر ص ١٠٣ .

(٢) « ينزع » في نصوص من أخبار مصر ص ١٠٣ .

(٣) « اللجم » في نصوص من أخبار مصر .

عَلَتْ ، فِخْلَنَا لَهَا سِرًّا تَحْدُثُهُ لِلْفَرْقَدَيْنِ وَفِي سَمْعَيْهِمَا صَمَمٌ
إِنْ أَنْبَتَ أَرْضُهَا زَهْرًا ، فَلَا عَجَبٌ وَقَدْ هَمَّتْ فَوْقَهَا مِنْ كُفِّكَ الدَّيَمُ

قَالَ المورخ : وكان للأفضل شعر حسن ، فمن قوله في غلامه

المعالي :

أَقْضَيْبُ يَمِيسُ ، أُمُّ هُوَ قَدْ أُمُّ شَقِيقُ يُلُوحُ ، أُمُّ هُوَ خَدٌ
أَنَا مِثْلُ الْهَلَالِ سَقْمًا عَلَيْهِ ^(١) وَهُوَ كَالْبُنْدَرِ حِينَ وَأَقَاهُ سَعْدُ ^(٢)

وكانت ولاية لأفضل سبعة وعشرين سنة وخمسة أشهر .

(١) « خرقاً عليه » في انماط الحنفا جـ ٣ ص ٧٣

(٢) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ٨٦ ، انماط الحنفا جـ ٣ ص ٧٣ .

ذكر تفويض أمور الدولة وإمرة الجيوش للمأمون البطائحي

قال المؤرخ : وفي الخامس من ذى الحجة من سنة خمس عشرة وخمسمائة قُوض الأمر بأحكام الله أمور الدولة وإمرة الجيوش للقائد أبي عبد الله محمد بن الأمير ثقة الدولة أبي شجاع فاتك بن الأمير منجد الدولة أبي الحسن مختار المستنصرى المعروف بابن البطائحي^(١) ، وكان قبل ذلك عند الأفضل أستاذ داره^(٢) . واستقرت نعوته في سجله المقروء على كافة الأمراء والأجناد بالأجل المأمون ، تاج الخلافة ، وجيه الملك ، فخر الصنائع ، ذخير أمير المؤمنين . ثم نعت بعد ذلك بالأجل المأمون ، تاج الخلافة ، عز الإسلام ، فخر الأنام ، نظام الدين والدعاة . ثم نعت بعد ذلك بنعوت الأفضل وهي : السيد الأجل المأمون ، أمير الجيوش . سيف الإسلام ، ناصر الأنام ، كافل قضاة المسلمين ، وهادى دعاة المؤمنين^(٣) .

قال ناظم سيرة المأمون : ولما كان يوم الثلاثاء الثالث عشر من ذى الحجة من السنة . وهو يومُ الهناء بعيد التَّحر ، جلس المأمون في داره وقتَ أذان

(١) الإشارة ص ٦٢ — ٦٤ ، وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٩٩ وما بعدها ، الوافي ج ٤ ص ٣١٣ وما بعدها ، وانظر المنتقى من أخبار مصر ص ٨٧ هامش ٣١٣ .

(٢) « أستاذ دولته » في المنتقى من أخبار مصر ص ٨٨ ، وهي نفس الوظيفة .
أستاذدار : كلمة فارسية مركبة ، وتطلق على متولى الوظيفة الأستاذية ، ويقوم صاحبها بالإشراف على شئون مسكن السلطان أو الأمير — صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٧ ، الفنون الإسلامية والوظائف ج ١ ص ٦٥ .

(٣) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ٨٨ ، اتعاظ الخفا ج ٣ ص ٧٥ ، كنز الدرر ج ٦ ص ٤٨٨ ، أخبار النول المنقطعة ص ٨٨ .

الفجر ، وجاء الناس لخدمته للهناء على طبقاتهم في أرباب البيوت والأقلام ، ثم الشعراء ، وركب إلى القصور ، فأقى باب الذهب ، فوجد المرتبة المختصة بالوزارة قد هيئت له في موضعها الجارى به العادة ، وأُغلق الباب الذى عندها على الرسم المعتاد لوزير السيف والقلم ، وهذا الباب يُعرف بباب السرداب. فلما شاهد المرتبة توقّف عن الجلوس عليها لأنّه لم يُذكر له ذلك قبل حضوره ، ثم ألجأته الضرورة ، لأجل حضور الأمراء ، إلى الجلوس عليها فجلس وأولاده الثلاثة عن يمينه ، وأخوؤه عن يساره ، والأمراء المطوّقون ^(١) خاصة قائمون بين يديه ، ومنّ عداهم لا يصل إلى هذا الموضع . فما كان بأسرع من أن فُتح الباب وخرج عسدة من الأستاذين المحنكين ^(٢) وخرج إليه الأمير الثقة مُتولّي الرسالة وزمام القصور ^(٣) ، فوقف أمام المرتبة وقال : أمير المؤمنين يرُدّ على السيّد الأجلّ المأمون السّلام . فوقف المأمون عند ذلك وقبل الأرض ، وجلس في موضعه ، وتأخر الأمير الثقة حتى نزل من على المصطبة التى عليها المرتبة وقبل الأرض ويَد المأمون ، ودخل من فوره من الباب ، وأُغلق الباب ، على [حاله على] ما كان عليه الأفضل .

(١) الأمراء المطوّقون : من أرباب السيوف ، ومن الذين يخلع عليهم بأطواق الذهب في أعناقهم — صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٧٦ .

(٢) « مطوقين » في الأصل ، والتصحيح من المنتقى من أخبار مصر ص ٨٩ .
الأستاذون : الخدام والطواشي ، ومنهم أرباب وظائف القصر وأعلام رتبة المحنكون : الذين يدورون عما بينهم على أحنائهم كما يفعل المغاربة ، ومنهم أقرب أرباب الوظائف الخاصة إلى الخليفة — صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٧٧ ، ٤٨٠ .

(٣) زمام القصر : وهو الذى يتحدث على باب ستارة السلطان أو الأمير — صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٩ - ٤٦٠ .

(٤) [إضافة من المنتقى من أخبار مصر ص ٩٠ .

قال : وكان الأفضل يقول : ما أزال أُعِدُّ نفسي سلطانا حتى أجلس على تلك المرتبة ويُعلق الباب في وجهي والدخان في أنفي ؛ لأن الحمام كانت خلف الباب في السرداب .

قال : ثم فتح الباب وعاد الثقة وأشار بالدخول إلى القصر ؛ فدخل المأمون إلى المكان الذي هبَّيَّ له ، ودُعِيَ لمجلس الوزارة . وبقي الأمراء بالدهاليز إلى أن جلس الخليفة واستفتح المقرئون . واستدعى المأمون فحضر بين يديه وسلم عليه أولاده وإخوته ^(١) ؛ ثم دخل الأمراء وسلموا على طبقاتهم ، ثم الأشراف وديوان المكاتبات والإنشاء ، ثم قاضى القضاة [٨٦] ، والشهود ، والداعى ، ثم مقدّموا الرُكَّاب ومتولّى ديوان المملكة . ثم دخل الأجناد من باب البحر ، وهو الباب الذى يقابل المدرسة الكامليّة الآن ، ثم دخل والى القاهرة ووالى مصر وسلما ببياض أهل البلدين ، ثم البطرك والنصارى والكتاب منهم ، وكذلك رئيس اليهود . ودخل الشعراء على طبقاتهم ، وأنشد كل منهم ما سمحت به قريحته . وكانت هذه عادة السلام على ملوك هذه الدولة ، وإنما أوردنا ذلك ليُعلم منه كيف كانت عاداتهم ^(٢) .

وفى سنة سبع عشرة وخمسمائة ورد إلى الديار المصرية طائفة كثيرة من غرب لواته من جهة المغرب ، وانتهوا إلى الإسكندرية وأعمالها ، وأفسدوا فسادا متحكّما . فندب المأمون إليهم أخاه نظام الملك ^(٣) حيدرة ، الملقَّب بالمؤمن ، فقاتلهم وهزمهم ، وغنم أموالهم . وتوجّه إلى الإسكندرية

(١) « وأخواه » فى المتن من أخبار مصر ص ٩٠ .

(٢) انظر المتن من أخبار مصر ص ٨٩ — ٩١ حيث توجد تفصيلات أكثر .

(٣) « نظام الدين أبى تراب » فى المتن من أخبار مصر ص ٩٢ . انما الحفا جـ ٣ ص ٩٥ .

ودخلها ، فصادف مراكب البنادقة قد هجموا على ساحل النغر وأسروا ،
فخرج إليهم ، وحاربهم وهزمهم ، فعادوا .^(١)

ذكر القبض على المأمون

قال : وفي سنة تسع عشرة وخسمائة في يوم السبت لأربع خلون من
شهر رمضان قبض الأمر بأحكام الله على وزيره المأمون أبي عبد الله محمد
وعلى أخوته [الخمسة]^(٢) وثلاثين نفرًا من خواصه وأهله ، واعتقله ، ولم
يزل في اعتقاله إلى سنة اثنتين وعشرين ، فصلبه مع أخوته .

وقيل في سبب ذلك إن المأمون رآسل الأمير جعفرًا ، أخا الأمر ،
وأغراه بقتل أخيه وأنه يقيم مكانه في الخلافة ، واستقرت القاعدة بينها
على ذلك ، واتصل ذلك بالشيخ أبي الحسن على بن أبي أسامة ، متولى
ديوان المكاتبات ، وكان خصيصًا بالأمر قريبًا منه ، وناله من المأمون أذى
كثير ، فأعلم الأمر بالحال . وكان المأمون كثير التطلع لأخبار الناس
والبحث عن أحوالهم ، وكثر الوشاة في أيامه .

قال ابن الأثير الجزري في تاريخه الكامل : كان ابتداء حال المأمون
أن والده كان من جواسيس الأفضل بالعراق ، فمات ولم يخلف شيئًا ،
فتزوجت أمه وتركته فقيرًا فاتصل ببعض البنائين بمصر ، ثم صار يحمل
الأمته بالسوق الكبير . فدخل مع الحمالين إلى دار الأفضل مرة بعد
أخرى فرآه الأفضل خفيًا رشيًا ، حسن الحركة ، حلو الكلام والحجة :

(١) انظر انعاظ المنفا ج ٣ ص ٩٨ ، المنتقى من أخبار مصر ص ٩٣ ، الكامل ج ١٠ ص

(٢) [إضافة من المنتقى من أخبار مصر ص ١٠٣ .

فسأل عنه ؛ فقيل هو ابن فلان ؛ فاستخدمه مع الفُراشين . ثم تقدّم عنده وكبرت منزلته وعلت درجته ، إلى أن انتهى إلى ما ذكرنا^(١) . قال محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب^(٢) في تاريخ مصر : إن ابن الأثير وَهَمَ في وفاة والد المأمون ، وأن والدَه مات في سنة ثنتي عشرة وخمسمائة ، والمأمون إذ ذاك مدبّر دولة الأفضَل^(٣) . وأكثر النَّاس يذكرون ما ذكره ابن الأثير .

وقال صاحب كتاب البُستان في حوادث الزّمان : إن المأمون كان يرُش بين القصرين ، وجده من غلمان المستنصر بالله . والله أعلم^(٤) .

ذكر أخبار أبي نجاح بن فنا النصراني الراهب وقتله

كان هذا الرَّاهب من أهل أَشْمُوم طَنَاح^(٥) . وكان قد خدَم وَلِيّ الدّولة يُحْنَأ بن أبي الليث ، ثم اتّصل بالخليفة الأمر بعد القبض على المأمون . وبذل في مُصادرة قومٍ من النّصارى مائة ألف دينار ، فأطلق يده فيهم . وتسلسل الأمر إلى أن عمّ البلاء منه جميع رؤساء الدّيار المصريّة وقضاتها وكُتّابها وغيرهم . ولم يَبْقَ أَحَدٌ إلا ناله منه مكروه من الضرب والنهب وأخذ المال . وارتفع شأنه عند الأمر حتى كان يعمل له^(٦) ملابس

(١) « حتى صار وزيراً » في الكامل ج ١٠ ص ٦٢٩ ، وانظر المنتقى من أخبار مصر ص ١٠٤ .

(٢) المعروف بابن مهسر .

(٣) المنتقى من أخبار مصر ص ١٠٤ .

(٤) انظر كنز الدرر ج ٦ ص ٤٩٣ .

(٥) أَشْمُوم طَنَاح = أشمون الرمان : من المدن القديمة ، قرب دمياط - القاموس الجغرافي ق ٢ ج ١ ص ٢٢٩ .

(٦) « إلى أن كان يستعمل له » في الأصل ، والتصحيح من المنتقى من أخبار مصر ص ١٠٨ .

مخصوصة به بدمياط وتتيسر من الصوف الأبيض المنسوج بالذهب ، فكان يلبسها ويلبس من فوقها الغفافير الديباج^(١) . وكان يتطيب في كل يوم بعدة مثاقيل من السمسك . وكان يركب الحمير بالسروج المحلاة بالذهب والفضة ، ويجلس في قاعة الخطابة بالجامع العتيق بمصر ويستدعى الناس للمصادرة . فاستدعى في بعض الأيام رجلاً يعرف بابن الفرس ، وكان من أكابر العدول ذوى الهيئات والديانة ، والناس يعظمونه ويبجلونه — وأوقع به الإهانة والإخفاق ؛ فخرج من عنده ووقف في الجامع يوم الجمعة وقال : يا أهل مصر ، انظروا عدل مولانا الأمر في تمكينه هذا النصراني من المسلمين ؛ فارتج الناس لكلامه وكادت تكون فتنة ؛ فدخل جماعة على الأمر وخوفوه العاقبة ، وعرفوه ما حل بالمسلمين منه [٨٧] فاستدعاه ، وكان في المجلس رجلاً من الأشراف^(٢) ، فأنشد الأمر أبياتاً منها :

إن الذى شُرِّفَ من أجله يزعمُ هذا أنه كاذب

فقال له الأمر : ما تقول ياراهب ؟ فمسكت . فأمر به فقتل . وكان الذى تولى قتله الأمير مقدار والى^(٣) مصر ، وصلبه على الجسر . ثم أنزل وربط على خشبة ورُمى في بحر النيل وخرجت الكتب إلى الأعمال البحرية أنه إذا ألقاه الماء إلى جهة أخرجه عنها حتى ينتهى إلى البحر المالح .

(١) « عفارة ديباج » في المتقى من أخبار مصر .

(٢) يذكر ابن خلكان أنه الشيخ أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الطروشى المالكي المتوفى سنة ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م — وفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٦٢ رقم ٦٠٥ .

(٣) « ولى » في الأصل ، والتصحيح من انماط الحنفا ج ٣ ص ١٢٦ .

ولما قُتِلَ هذا الرَّاهِبُ وجدوا له مقطوعاً فيه ثلاثمائة طُرَاحَة ^(١) سامان محشوة ، جُدُّداً ، لم تُستعمل . هذا مِنْ هذا النوع ، خلا ما وجد من الذهب والفضة والأقمشة والديباج ^(٢) .

ذكر مقتل الأمر بأحكام الله

وشىء من أخباره

كان مقتله في يوم الثلاثاء لليلتين خلتا ^(٣) من ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، بجزيرة مصر ^(٤) بالقرب من المقياس . وثب عليه عشرة نفر من النزارية وقتلوه ، فحمل في جل ^(٥) إلى الجامع ، ونقل في مركب عشاري ^(٦) ، وأحْدِر إلى اللؤلؤة في الخليج ، ثم حُمِلَ إلى القصر ؛ فتوفي ببقية يومه . وقُتِلَ القوم الذين قتلوه .

(١) طراحة : المرتبة ، أو الفراش الذي يجلس عليه — القاموس .

(٢) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٨٨ - ٨٩ ، المنتقى من أخبار مصر ص ١٠٧ - ١٠٩ ، اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٢٥ - ١٢٧ .

(٣) « الرابع من ذى القعدة » في اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٣٠ .

(٤) « جيزة مصر » في الأصل ، والتصحيح من اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٣٠ ، والمنتقى من أخبار مصر ص ١١٠ ، النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٧٢ ، كنز الدرر ج ٦ ص ٥٠٤ ، وأخبار الدول المنقطعة ص ٩١ .

(٥) الجل للدابة : كساء يقبها من قسوة البرد — القاموس .

وفي أخبار الدول المنقطعة « في شليل من أشلة الخيل » .

(٦) عشاري : عشاريات : مركب صغير نسبياً يستخدم عشرين مجدأفاً ، ويكثر استعماله في نهر النيل — معجم السفن الإسلامية ص ٩٥ وما بعدها .

وكان مولده في يوم الثلاثاء لليلة خلت من المحرم^(١) سنة تسعين وأربعمائة وقتل في يوم الثلاثاء سابع عشر المحرم^(٢) منها، فكان عمره أربعاً وثلاثين سنة وعشرة أشهر وولايته تسعة وعشرين سنة وثمانية أشهر ونصف شهر. وكان محكوماً عليه إلى أن قُتل الأفضل وتولى المأمون فظهر أمره، وصار يتصرف [ويركب]^(٣) في يوم الجمعة ويوم السبت ويوم الثلاثاء وإذا لم يركب في يوم منها ركب في غيره. ولم يستوزر بعد المأمون وزيراً للسياق والقلم، بل استبد بأموره وبأشهرها بنفسه.

وكان قبيح السيرة في رعيته، يظلمهم ويأخذ أموالهم ويغتصب أملاكهم؛ وسفك دماءهم، وارتكب المحذورات، واستحسن القبائح. ويكفى من سوء سيرته تمكنه الراهب من المسلمين، وقد تقدم خبره^(٤) وولد للآمر في هذه السنة ولد سمي أبا القاسم الطيب وجعله ولياً عهداً^(٥)، فأخفاه الحافظ.

وزراؤه : الأفضل ؛ ثم المأمون .

قضاته : ابن ذكا النابلسي إلى أن رفع إبراهيم حمزة الشاهد إلى الأفضل أمير الجيوش أنه أحدث في مجلس الحكم فعزله ؛ وولى أبا الفضل نعمة بن بشير الجليس النابلسي إلى أن استقال ؛ فولى الرشيد أبا عبد

« ولد يوم الثلاثاء ثلاث عشرة ليلة خلت من المحرم » في أخبار الدول المنقطعة ص ٩١ ،

والمنتقى من أخبار مصر ص ١١٠ ، انعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣١ .

ولم يتفق مع النويري في تاريخ ميلاد الأمر سوى ابن تفرى بردى — النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٧١ .

(٢) هذا يتناقض مع ما جاء في أول الفقرة .

(٣) [] إضافة من المنتقى من أخبار مصر ص ١١١ .

(٤) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ١١١ .

(٥) انظر انعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٢٨ .

الله محمد بن قاسم الصقلى إلى أن توفى ؛ فأعاد الجليس ثم صرفه ؛ وولى أبا الفتح مسلم ، فبقى إلى أن تولى المأمون فعزله ونفاه لما أخطأ في قراءته ؛ وولى أبا الحجاج يوسف بن أيوب الأندلسى إلى أن توفى في سنة إحدى وعشرين وخمسمائة ؛ فولى الأمر أبا عبد الله محمد بن هبة الله بن ميسر القيسرانى ، فاستمر إلى أن قُتل الأمر بأحكام الله ^(١) .

ذكر بيعة الحافظ لدين الله

هو أبو الميمون عبد المجيد بن محمد بن المستنصر بالله ، وهو الحادى عشر من ملوك الدولة العبيدية والثامن من ملوك الديار المصرية منهم . بُويع له بعد مقتل ابن عمه الأمر ، في يوم الثلاثاء لِلْيَلْتَيْنِ خَلْتَا مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، بولاية العهد إلى أن يستبرئ نساء الأمر وهل فيهن مَنْ هِيَ مُشْتَمَلَةٌ عَلَى حَمْلِ أُمِّ لَا .

ذكر قيام أحمد بن الأفضل الحافظ

وما كان من أمر أحمد إلى أن قُتل

قال المؤرخ : لما بُويع الحافظ لدين الله ثار الجند الأفضلية وأخرجوا ابن مولاهم ، أبا على أحمد بن الأفضل ، الملقب بكتيفات ، وولّوه إمرة الجيوش ؛ وذلك في يوم الخميس السادس ^(٢) من ذِي الْقَعْدَةِ منها ، فحكم ، واعتقل الحافظ صبيحة يوم بيعته ، ودعا للإمام المُنتظر ؛ وقوى أمر ابن الأفضل .

(١) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٩٢ ، المنتقى من أخبار مصر ص ١١٢ ، اتعاظ الخفا ج ٣ ص ١٣٢ - ١٣٣ .

(٢) « سادس عشر » في المنتقى من أخبار مصر ص ١١٣ .

وفي سنة خمس وعشرين رتب أحمد بن الأفضل في الأحكام أربعة
قضاة: الشافعية والمالكية والإسماعيلية [٨٨] والإمامية، يحكم كل
قاض بمقتضى مذهبه ويورث بمقتضاه، فكان قاضى الشافعية الفقيه
سلطان^(١)، وقاضى المالكية اللبني^(٢)، وقاضى الإسماعيلية أبو الفضل^(٣)
ابن الأزرق، وقاضى الإمامية ابن أبي كامل^(٤).

وسار أحمد بن الأفضل سيرة جميلة بالنسبة إلى أيام الأمر، ورد على
الناس بعض مضاداتهم، وأظهر مذهب الإمامية الاثنى عشرية، وأسقط
من الأذان قولهم «حى على خير العمل»، وأمر بالدعاء لنفسه على
المنابر بدعاء اخترعه لنفسه وهو: «السيد الأجل الأفضل، مالك
أصحاب الدول، والمحامى عن حوزة الدين، وناشر جناح العدل على
المسلمين، الأقربسين والأبعدين، ناصر إمام الحق في حالتي غيبته
وحضوره، والقائم بنصرته بماضى سيفه، وصائب رأيه وتديره، أمين الله
على عباده، وهادى القضاة إلى اتباع شرع الحق واعتماده، ومرشد دعاة
المؤمنين بواضح بيانه وإرشاده، مولى النعم، ورافع الجور عن الأمم،
ما لك فضيلتى السيف والقلم؛ أبو على أحمد بن السيد الأجل الأفضل
شاهنشاه أمير الجيوش^(٥)».

(١) هو سلطان بن إبراهيم بن مسلم المقدسى، المعروف بابن رشا، والمتوفى سنة
٥٣٥ هـ / ١١٤٠ م - اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٧٥، المعرج ٤ ص ٤٢، المنتقى من أخبار
مصر ص ١٣٣.

(٢) هو محمد بن عبد المولى بن محمد بن عبد الله اللبني المغربي - اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٤٢.
(٣) هو هبة الله بن عبد الله بن حسن بن محمد، أبو الفضائل، المعروف بابن الأزرق - اتعاظ
الحنفا ج ٣ ص ١٤٢.

(٤) هو المفضل بن هبة الله بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن أبي كامل - اتعاظ الحنفا ج ٣
ص ١٤٢.

(٥) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ١١٦، اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٤٣ - ١٤٤.

واستمر أمره إلى يوم الثلاثاء سادس عشر المحرم سنة ست وعشرين وخمسمائة . فاتفق ركوبه في هذا اليوم إلى الميدان بالبستان الكبير^(١) ظاهر القاهرة ، للعب بالأكرة^(٢) على جاري عادته ، فوثب عليه مملوك رومي ، وقيل بل من صبيان الخاصة^(٣) ، فطعن طعنة ألقاه بها عن فرسه ، ونزل واحتز رأسه ، ومضى به إلى القصر ؛ وذلك بموافقة من الأجناد . فكانت مدة تغلبه على الأمر سنة واحدة وشهرين وثلاثة عشر يوماً ؛ ودفن بتربة أبيه خارج باب النصر^(٤) .

ذكر بيعة الحافظ لدين الله الثانية

قال : ولما قُتل أحمد بن الأفضل بوع الحافظ بالخلافة بيعة عامة ، وظهر الحمل المنتظر بنتاً ، فانتقلت الخلافة إليه . وأمر أن يدعى له على المنابر : اللهم صل على الذي شيدت به الدين بعد أن رام الأعداء دثوره ، وأقررت الإسلام بأن جعلت طلوعه على الأمة وظهوره ، وجعلته آية لمن يدبر الحقائق بباطن البصيرة ، مولانا وسيدنا وإمام عصرنا وزماننا ، عبد المجيد أبي الميمون ، وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين . صلاة دائمة

(١) « البستان الكبير خارج باب الفتوح من القاهرة » في اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٤٣ .
وكان يمتد من زقاق الكحل خارج باب الفتوح إلى المطرية — المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٨٧ .

٢ الأكرة لغة في الكرة . وانظر اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٤٣ . والمنتقى من أخبار مصر ص ١١٥ .

(٣) صبيان الخاص = صبيان الحجر : وهم أولاد الأجناد والأمراء وعبيد الدولة ، يقيمون في حجر منفردة بالقرب من باب النصر — صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٧٧ . وانظر ما يلي في أحداث سنة ٥٤٤ هـ .

(٤) تربة أمير الجيوش بدر الجمالي ، وهي أول تربة أنشئت بمقابر باب النصر — خارج الباب — المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٤٦٣ .

إلى يوم الدين^(١).

قال : ولما تم أمر الحافظ استوزر أبا الفتح يانس ، وهو رومى من ممالك الأفضل ، ولقبه بأمر الجيوش ؛ فقتل الطائفة المعروفة بصبيان الخاص ، ومن جملتهم قاتل أحمد بن الأفضل . وكان عظيم الهيبة ، بعيد الغور ، فخافه الحافظ وتخيل منه ، وتخيل يانس أيضا من الحافظ ، فدبر كل واحد منها على صاحبه ، فسبق تدبير الحافظ فيه فسمه في إبريق استعمل الماء منه عند الطهارة فعولج وكاد أن يبرأ . فكلم الحافظ بعض الأطباء ، فقال له الطبيب : إن رأى مولانا أمير المؤمنين أن يمضى إليه ويزوره ويهتته بالعافية فإنه لا بد أن ينهض إليك وعشى ، فإذا مشى لا يكاد يعيش أبدا . فمضى إليه الحافظ فقام إليه وتلقاه ، فمات في ليلته ؛ وذلك في السادس والعشرين من ذى الحجة^(٢) فكانت مدة وزارته تسعة أشهر .

ذكر الخلف بين ابنى الحافظ لدين الله

قال المؤرخ ، وفي شعبان سنة ثمان وعشرين وخمسمائة جرى بين أبى تراب حيدرة وحسن ، ولدى الحافظ ، حرب شديدة ، وافترت العساكر على فرقتين ، وهما الریحانية والجيوشية ، وكان بينها وقعة في خامس شهر رمضان ووقع الحرب بينها بين القصرين ؛ وقتل من الطائفتين تقدير عشرة آلاف إنسان . وكان سبب ذلك أن الحافظ جعل ولده حيدرة ولئ عهده من بعده ، فلم ير ض حسن بذلك ، فوقع الاختلاف والحرب بينهما . واستظهر حسن على أخيه حيدرة ، فهرب حيدرة إلى أبيه ، فأرسل الحافظ إلى ابنه حسن ليدخل إليه ، فامتنع وضائق القصر ، وطالبه بأخيه

(١) المتفق من أخبار مصر ص ١١٧ ، وانظر أخبار الدول المنقطعة ص ٩٥ ، والنجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

(٢) « لليلتين خلتا من ذى القعدة » في أخبار الدول المنقطعة ص ٩٨ ، كنز الدرر ج ٦ ص

حيدرة ، فتلافاه الحافظ وجعله وليَّ عهده من بعده . وتمكَّن حسن من الدولة والتصرَّف فيها بحسب رأيه ، ولم يبق للحافظ معه حكم^(١) .

[٨٩] ذكر مقتل حسن بن الحافظ

كان مقتله في يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسائة وذلك أنه لما استقرَّ في ولاية العهد والوزارة والتدبير واستبدَّ بالأمر ، قبض على جماعة من الأمراء وقتلهم ، بسبب قيامهم مع أحمد بن الأفضل ، وأقام غيرهم ؛ فخافه من بقي من الأمراء العتق ، وأجمعوا على خلع أبيه من الخلافة وولَّده حسن من الوزارة فاجتمعوا بين القصرين ، ورأسلوا الحافظ ، وأعلموه بما أجمعوا عليه ، فاستعطفهم الحافظ واعتذر إليهم ؛ وهرب حسن إلى أبيه ، فقبض عليه وقيده ، وذكر ذلك للأمراء ، فقالوا : لا بُدَّ من قتله ، فسقاه أبوه سمًا فمات ، وجعله على سرير ، وأمر الأمراء بمشاهدته ، فدخلوا عليه وورأوه فسكنوا . وقيل إن قيام الأمراء^(٢) كان بتدبير الحافظ .

ذكر وزارة بهرام الأرمني

وفي يوم الجمعة سادس عشر جمادى الآخرة ، وقيل لإحدى عشرة ليلة خلت منه ، استوزر الحافظ بهرام الأرمني النصراني ، ونعته بسيف الإسلام تاج الملوك^(٣) . وكان بهرام المذكور قد وصل إلى الديار المصرية

(١) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ١١٩ - ١٢٠ ، اتعاظ المنفا ج ٣ ص ١٤٩ .

(٢) « الأمر » في الأصل ، والتصحيح من سياق الكلام .

وانظر تفصيل ذلك في المنتقى من أخبار مصر ص ١٢١ - ١٢٣ ، اتعاظ المنفا ج ٣ ص

١٥٣ - ١٥٥ ، الكامل ج ١١ ص ٢٢ - ٢٣ .

(٣) « تاج الخلافة » في اتعاظ المنفا ج ٣ ص ١٥٦ .

واجتمع بالمحافظ ، فرأى منه عقلاً وافرًا وإقدامًا في الحرب وحُسن تدبير^(١).

وكان سببُ وصوله من بلاده أنَّ القائم بأمر الأرمن مات ، وكان بهرام أحقَّ بمكانه من غيره فعَدَلَ الأرمنُ عنه وولَّوا غيره ، فغضب لذلك وخرج من تلِّ باشر^(٢) وقدم مصر ؛ فعينه المحافظ للوزارة . واستشار بعضَ أهله وأكابر دَوْلته فيه ، فكلَّهم كره ذلك وأشار عليه ألا يفعل ، وقالوا : إنَّه نصراني لا يَرْضاه المسلمون ، وإنَّ من شروط الوزارة أنَّ الوزير يَرْقى المنبر مع الإمام في الأعياد ليزرَّ عليه المزة الحاجزة بينه وبين الناس ؛ وأنَّ القضاة هم نواب الوزراء ، من زمن أمير الجيوش . بدر الجمالي ، ويذكرون في النِّيابة عنهم في الكتب الحكيمية النافذة عنهم إلى الآفاق وكتبُ الأنكحة . فقال المحافظ : إذا رَضِينَاهُ نحن فَمَنْ يَخَالِفُنَا ، وهو وزير السيف ؟ وأما صُعُود المنبر فيسْتَتِيب عنه فيه قاضى القضاة ، وأما ذكره في الكتب الحكيمية فلا حاجة إلى ذلك . واستوزر والناس يُنكرون ذلك عليه^(٣).

وقال بعض المؤرخين : إن بهرام كان والى الغربية يومئذٍ وإنه سارَ منها مجدًا إلى أن وصل إلى القاهرة وحاصرها يومًا واحدًا ودخلها . فلما ولى الوزارة وثبتت بها قدمه سأل المحافظ أن يَسْمَح له بإحضار إخوته وأهله ، فأذن له في ذلك . فأرسل إليهم وأحضرهم من تلِّ باشر ، فتواصلوا حتى كَمُلَ منهم ومن غيرهم من الأرمن تقدير ثلاثين ألف إنسان ؛ فاستطالوا على المسلمين . وبُنيت في أيامه كنائس كثيرة وديرة

(١) المنتقى من أخبار مصر ١٢٢ .

(٢) تل باشر : حصن وكورة شمالى حلب . وأهلها من النصارى الأرمن — معجم البلدان .

(٣) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ١٢٣ ، انماط الحنفا ج ٣ ص ١٥٦ .

حتى إن كل رئيس من أهله بنى له كنيسة؛ وخاف أهل مصر منهم أن يغيروا الملة الإسلامية. وكثرت الشكايات فيه. وكان أخوه المعروف بالباساك، وإليه تنسب المنبة^(١) التي بالقرب من إطفيح^(٢)، قد ولى الأعمال القوصية فجار فيها جوراً عظيماً واستباح الأموال، فعظم ذلك على الناس.

ذكر خروج بهرام^(٣) من الوزارة

ووزارة رضوان ابن الولخشي

قال: ولما ثقلت وطأة بهرام على الناس اجتمع الأمراء وكاتبوا رضوان بن الولخشي، وذلك في صفر سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة، وكان يومئذ متولى الغربية ولاه بهرام إياها إبعاداً له، فلما أثنى كتب الأمراء نهض في طلب الوزارة، ورمى المنبر، وخطب خطبة بليغة حرّض الناس فيها على الجهاد. فأجابوه. وحشد العربان وقدم إلى القاهرة. وكان الأمراء قد كاتبوه وقالوا: إذا وقع الوجه في الوجه ارفع المصاحف على الرماح فإننا ننحاز إليك؛ ففعل ذلك. وخرج بهرام إليه لما قرب من القاهرة؛ فلما عاين الأمراء [٩٠] والجنود المصاحف التحقوا جميعهم برضوان، وبقي بهرام في الأرمن خاصة. فراسل الحافظ وقال: أنا ألقاهم بمن معي. فخاف الحافظ عاقبة ذلك، فأمره أن يتوجه إلى قوص ويقيم عند أخيه الباساك إلى حين يذبر أمراً. فعاد بهرام إلى القاهرة.

(١) منية الباساك: من القرى القديمة، وتعرف حالياً باسم المنيا، وهي تابعة لمركز الصف

بمحافظة الجيزة - القاموس الجغرافي ق ٢ ج ٣ ص ٣١.

(٢) إطفيح: من المدن المصرية القديمة، من أعمال الجيزة، وإليها تنسب الأعمال الأطفيفية.

وهي حالياً بلدة تابعة لمركز الصف بمحافظة الجيزة. القاموس الجغرافي ق ٢ ج ٣ ص ٢٦.

(٣) «رضوان» في الأصل، وهو تحريف، والتصحيح مما يلي.

وأخذ ماخفُ حمله ، وخرج من باب الهرقية في حادى عشر جمادى الأولى ؛ وتوجه إلى الأعمال القوصية .

قال : ولما انفصل عن القاهرة أتت العوام منازل الأرمن ، وكانوا قد نزلوا المحسنية وعمروها دوراً . ولما اتصل بأهل قوص انهزم بهمram نأروا بأخيه الباساك وقتلوه ومثلوا به ، وربطوا فى رجله كلباً ميتاً ، وزمّوه على مزبلة . فقدم بهرام بعد ذلك بيومين ، ومعه طائفة من أقاربه ، فرأى الباساك على هذه الحال ، فقتل جماعة من أهل قوص بالسيف ونهبها وسار إلى أسوان . ثم رجع ونزل بالدير البيض^(١) ، وهى من أعمال أخميم بالجانب الغربى .

قال : ولما فارق بهرام القاهرة دخلها رضوان ووقف بين القصرين ، واستأذن الحافظ فيما يفعله ؛ فأمره بالنزول بدار الوزارة ، فنزلها ، وخلع عليه خلع الوزارة ، ونعته بالأفضل . ونذب رضوان جماعة من العسكر مع أخيه ناصر الدين ، فتوجهوا إلى بهرام ، فاستقر الأمر بينهم أن يقيم بالدير البيض ؛ وعاد الجند الذين مع بهرام إلى مصر . ودبر رضوان الأمر أحسن تدبير ، وصادر جماعة من أصحاب بهرام وشدد عليهم الطلب ، وقتلهم بالسيف .

وفى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة أحضرت^(٢) من تنيس امرأة يغير يدين ، وموضع يديها مثل الحلمتين ، فجىء بها إلى مجلس الوزارة بين يدى رضوان ، فعرفته أنها تعمل برجلتها ما يعمل الناس باليدين من خط ورقم وغير ذلك . فأحضر لها دواة ، فتناولت الأقلام

(١) المحسنية : خارج باب الفرح — الماعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٠ .

(٢) « فنزل بالدير البيض ، وهى أماكن حصينة فى غربى إخميم » — المتنقى من أخبار مصر ص ١٢٩ ، انظر الخلف ج ١ ص ١٦٧ .

برجلها اليسرى وتأمّلتها قلماً قلماً فلم تَرْضَ شيئاً منها؛ فأخذت
السكين وبَرَّتْ لنفسها قلماً وشقته وقطته، واستدعت ورقة فأمسكتها
برجلها اليمنى، وكتبت باليسرى بأحسن خطٍّ ما تكتبُ النساءُ بأيديهنَّ
مثله، وحمدت الله في آخر الرقعة، وناولتها للوزير. فتناولها فوجدها
قد سألتَه الرّئاسة في رآيتها؛ فزادها، وأعادها إلى بلدها (١).

وفيها بنى رضوان المدرسة المعروفة به بالإسكندرية (٢)،
واستدعى الفقيه أبا طاهر بن عوف (٣) إلى حضرته وأسند إليه
تدريسها.

معين التارخ لأهل التارخ

ذكر خروج رضوان من الوزارة

وما كان من أمره إلى أن قتل

وفي شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة أحضر الحافظ
بهرام الأرمني من الصعيد، وأسكنه في القصور وأكرمه، فعظم ذلك على
الأفضل رضوان، فشغب الحافظ عليه الجند، فقام بعضهم عليه،
وجرت بينهم حربٌ بالقاهرة. وطلبه رضوان أن يسكن مع الحافظ في
القصور، فلم يمكنه. فتزايد الحال على الأفضل وضعفت قدرته عن لقاء
العساكر، فهرب إلى الشام، وذلك في منتصف شوال منها، وقصد

(١) المنتقى من أخبار مصر ص ١٢٩ - ١٣٠. انطاخ الحنبلي ج ٣ ص ١٦٧.

(٢) هي المدرسة الحافظية التي أنشأها رضوان بن ولحشى للفقيه المالكي أبي الطاهر بن عوض -
تاريخ مدينة الإسكندرية ص ٤٨.

(٣) هو إسماعيل بن مكى بن إسماعيل بن عيسى بن عوف الزهرى، أبو الطاهر، توفى سنة
٥٨١ هـ / ١١٨٥ م - العبر ج ٤ ص ٢٤٢، أعلام الإسكندرية ص ١٠٥ - ١٢٧.

كُمَشْتَكِين والى صَرْخَد^(١) فَأَقَامَ عِنْدَهُ فَأَكْرَمَهُ^(٢) . ثُمَّ عَادَ إِلَى مِصْرَ فِي سَلْخِ الْمَحْرَمِ سَنَةً أَرْبَعَ وَثَلَاثِينَ وَقَدْ جَمَعَ جَمْعًا صَالِحًا مِنَ الْجُنْدِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ الْعَسْكَرَ وَحَارِبُوهَ عِنْدَ بَابِ الْفَتْوحِ ، فَمَضَى وَنَزَلَ عِنْدَ الرُّصْدِ ، ثُمَّ مَضَى إِلَى الصَّعِيدِ . فَتَدَبَّأَ إِلَيْهِ الْحَافِظُ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ أَبُو الْفَضْلِ^(٣) بِنَاصِلٍ بِأَمَانٍ : فَسَارَ إِلَيْهِ وَتَلَطَّفَ بِهِ ، إِلَى أَنْ أَحْضَرَهُ إِلَى الْقَصْرِ ، فِي رَابِعِ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ مِنَ السَّنَةِ ، فَاعْتَقَلَهُ فِي بَعْضِ قَاعَاتِ الْقُصُورِ . فَأَقَامَ فِي الْإِعْتِقَالِ إِلَى سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ ، فَخَرَجَ مِنْ نَقَبِ نَقْبِهِ فِي الْقَصْرِ ، وَذَلِكَ فِي لَيْلَةِ الثَّلَاثَاءِ لِسَبْعٍ بِقِيْنٍ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْهَا . وَرَكِبَ وَحَوْلَهُ جَمَاعَةٌ مِمَّنْ كَانَ يَكَاتِبُهُ ، وَتَوَجَّهَ إِلَى الْجِيزَةِ ، وَلَقِيَ عَسْكَرَ الْحَافِظِ وَقَاتَلَهُمْ عِنْدَ جَامِعِ ابْنِ طُولُونٍ ، فَهَزَمَهُمْ . وَدَخَلَ الْقَاهِرَةَ ، وَنَزَلَ بِالْجَامِعِ الْأَقْمَرِ^(٤) ، وَأَغْلَقَ الْحَافِظُ بَابَ الْقَصْرِ فِي وَجْهِهِ : فَاسْتَحْضَرَ رِضْوَانَ أَرْبَابِ الدَّوْلَةِ وَالِدَوَاوِينَ ، وَأَمَرَ دِيوَانَ الْمَجِيشِ بِعَرَضِ الْجُنْدِ ، فَعَرَضَهُمْ ، وَأَخَذَ أَمْوَالًا كَثِيرَةً خَارِجَةً عَنِ الْقَصْرِ كَانَتْ فِي الدَّوَاوِينَ ، وَأَنْفَقَ : وَأَرْسَلَ إِلَى الْحَافِظِ فِي طَلَبِ الْمَالِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . وَأَمَرَ الْحَافِظُ مَقْدُمِي السُّودَانِ بِالْهُجُومِ عَلَى رِضْوَانَ وَقَتْلِهِ ، فَهَجَمُوا عَلَيْهِ ، فَهَمُّ بِالرُّكُوبِ ، فَاعْجَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ ، وَضَرَبَهُ بَعْضُهُمْ بِسَيْفٍ فَقَتَلَهُ . وَقَتِلَ مَعَهُ أَخُوهُ ، وَأَحْضَرَتْ رَأْسَاهُمَا إِلَى الْحَافِظِ .

(١) صرخد : تلاصق بلدة حوران من أعمال دمشق ، وكانت من القلاع الحصينة - معجم البلدان .

(٢) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٩٩ ، ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٠ ، الكامل ج ١١ ص ٤٨ - ٤٩ .

(٣) هو سليم بن مِصَالٍ ، نجم الدين أبو الفتح - اتعاظ المنفا ج ٣ ص ١٧٣ ، وانظر ما يلي حيث يلقبه النويري أيضًا « أبا الفتح » عندما ولي وزارة الظاهر .

(٤) الجامع الأقمر : أنشأه الخليفة الأمر بأحكام الله ، وقام على إنشائه وزيره المأمون البطاحي ، وهو الآن بشارع الميزلدين الله (النحاسين) - المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٩٠ .

وسكنت الفتنة ، وأرسل الحافظ الرأس [٩١] لزوجة رضوان فلما وقع
فى حجرها قالت : هكذا تكون الرجال . فلم يكن فى وقت رضوان
أسم^(١) منه .

وكان مولده فى سنة تسع وثمانين وأربعمائة . وأول ولاية وليها
الأعمال القوصية والأعمال الإغميمية فى سنة ثمان وعشرين
وخمسمائة .

ذكر وفاة بهرام الأرمنى

كانت وفاته لست بقين من شهر ربيع الآخر سنة خمس وثلاثين
وخمسمائة بالقصور . وكان الحافظ قد أسكنه بدار بها ولم يمكث من
التصرف ، وكان يشاوره فى تدبير الدولة والأمور ويصدر عن رأيه . فلما
هلك حزن عليه حزناً شديداً ، وأمر بخلق الدواوين ثلاثة أيام .

وأحضر الحافظ بطرك الملكية بمصر ، وأمره بتجهيزه ، فجهزه .
وأخرج وقت صلاة الظهر فى تابوت عليه الديباج ، وحوله جماعة من
النصارى يبخرون باللبان والسندروس والعود ؛ وخرج الناس كلهم
مشاة ولم يتخلف عن جنازته أحد من الأعيان . ثم خرج الحافظ على
بغلة خلف التابوت وعليه عمامة خضراء وثوب أخضر بغير طيلسان . ولم
تزل الناس مشاة والقسوس يعلنون بقراءة الإنجيل ، والحافظ على
خالته إلى دير الخندق^(٢) بظاهر القاهرة ؛ وقيل بل فى بستان الزهرى

(١) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ١٣٧ - ١٣٨ ، اتعاظ المتناج ص ٣ من ١٨٢ - ١٨٤

(٢) دير الخندق : ظاهر القاهرة من بمرحبا ، عمره جوهر الصقل عرضاً عن دبر هدمه
بالقاهرة - المراعظ والاعتبار ج ٢ ص ٥٠٧ .

فى الكنيسة المستجدة^(١) . ونزل الحافظ عن بغلته ، وجلس على شفير القبر ، وبكى بكاء^(٢) كثيراً .

وفى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة طلع النّيل حتى بلغ تسعة عشر ذراعاً وأربع أصابع^(٣) ، ووصل الماء إلى الباب الجديد^(٤) أول الشارع الأعظم بالقاهرة ، وصار الناس يتوجهون من القاهرة إلى مصر من جهة المقابر . ولما وصل الماء إلى الباب أظهر الحافظ الحزن والانقطاع ، فدخل عليه بعض خواصه وسأله عن السبب ، فأخرج له كتاباً وقال له : انظر هذا السطر ؛ فقراه ، فإذا فيه : إذا وصل الماء إلى الباب الجديد انتقل الإمام عبد المجيد . وقال : هذا الكتاب الذى تعلم منه أحوالنا وأحوال الدولة وما يأتى بعدها^(٥) .

ذكر وفاة الحافظ لدين الله

وشىء من أخباره

كانت وفاته فى ليلة الخميس لخمس خلّون من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، ومولده فى المحرم سنة أربع وستين

(١) كنيسة الزهري : كانت فى بر الخليج الغربى ، غربى اللوق ، فى الموضع الذى كانت فيه البركة الناصرية - المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٥١٢ .

(٢) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ١٣٣ ، اتعاظ الخنفا ج ٣ ص ١٧٥ .

(٣) « ثمان عشرة ذراعاً وثلاث عشرة أصبعا » فى النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٨٤ .

ويذكر ابن ماقى أن النيل إذا وصل إلى ستة عشر ذراعاً فقد وجب الحراج ، وأن هذه الزيادة تبشر بمحصول جيد ، فإذا وصلت ثمانية عشر ذراعاً كان هذا نذيراً بطفيان النيل وفساد المحصول - قوانين الدواوين ص ٧٦ .

(٤) الباب الجديد : أنشأه الحساك بأمر الله ، على يسرة الخارج من باب زويلة .. المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١٠٠ .

(٥) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ١٣٩ - ١٤٠ ، اتعاظ الخنفا ج ٣ ص ١٨٧ .

وأربعمائة ، وقيل في المحرم سنة ثمان وستين^(١) . فكانت مدة عمره ستاً وسبعين سنة وشهوراً ، ومدة ولايته منذ ببيع البيعة العامة الثانية ، بعد قتل أحمد بن الأفضل ، ثمانى عشرة سنة وأربعة أشهر وتسعة عشر يوماً .

قال المؤرخ : وكان الحافظ موصوفاً بالبطش والتيقظ ؛ وكان شديد المناقشة . وهو الذى عمل طبل القولنج الذى كسره الملك الناصر صلاح الدين يوسف ؛ وكان هذا الطبل قد عُمل من سبعة معادن والكواكب السبعة فى إشراقها . وكان خاصته أنه كلما ضرب به ضربة خرج الريح من مخرج الضارب^(٢) .

قال بعض المؤرخين : إن الحافظ خطر بباله أن ينقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى القاهرة ، وكانت المدينة إذ ذاك يُخطب بها لبني العباس ، لظهور ملوك الدولة السلجقية ؛ فأرسل نحواً من أربعين رجلاً من أهل النجدة والقدرة ، فتوجهوا إلى المدينة وأقاموا بها مدة ، وتحيلوا بأن حفرُوا سرباً من مكان بعيد ، وعملوا حساب الخروج فى المكان المقصود . فعصم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم من أن ينقل من المكان الذى اختاره له ؛ فيقال إن السرب انهار عليهم فهلكوا ؛ وقيل بل سعى بهم فأهلكوا .

وكان للحافظ من الأولاد : أبو على حسن ؛ هلك كما ذكرنا ؛ وعبدُ الله ، هلك فى حياته أيضاً ؛ وأبو المنصور إسماعيل ؛ وأبو الأمانة جبريل ؛ ويوسف .

(١) اختلف المؤرخون فى تاريخ ميلاده فهو سنة ٤٦٧ هـ أو ٤٦٨ هـ فى المتن من أخبار مصر ص ١٤٠ ، أخبار الدول المنقطعة ص ٩٨ ، وسنة ٤٦٦ هـ فى كثر الدرر ج ٦ ص ٥٠٦ .

(٢) عن هذا الطبل انظر النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٢٨ ، وفيها الأعيان ٣ ص ٢٢٧ .

ووزراؤه : تقدّم ذكرهم . ولما قتل رضوان بن الولخشى لم يستوزر بعده أحدا ، وإنما كانوا كتابا . فمن أشهر كتابه أبو على حسن الأنصارى كان [القاضى] ^(١) الفاضل يقول : لم يسمع الزمان بمثله . ومن أشهر شعرائه الشريف أبو الحسن الأخفش المغربى ، فى جملة شعره فى قصيدة :

ذكر الدّوح وشاطى بردى وحبايا فيه يحكى بردا
[٩٢] والصبا يمرح فى أرجائه وتحوك الرّيح منه زردا
ينشر الدّر عليه فضة وتذيب الشمس فيه عسجدا
ورشا لو لم تكن ريقته خمر صافية ما عرّ بدا

قضاته : لما غلب أحمد بن الأفضل على الأمر ، أبقى محمد ابن هبة الله ابن ميسر القيسراني على القضاء ، ثم صرّفه الحافظ واستقضى أبا الفخر صالح بن عبد الله بن أبى رجا ، ثم قبض عليه الوزير يانس الرومى وقتله ، فولّى سراج الدّين أبو الشّريّا نجم من جعفر ، مضافا إلى الدّعوة ، إلى أن قتل فى ذى القعدة سنة ثمان وعشرين ؛ فأعيد سناء الملك بن ميسر ، فأقام إلى أن قبض عليه فى يوم الأحد لسبع خلون من المحرم سنة إحدى وثلاثين ، وسير إلى تنيس فقتل بها . وولى بعده القاضى الأعزّ أبو المكارم أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبى عقيل ، إلى أن توفى فى شعبان سنة ثلاث

(١) [إضافة للتوضيح .

وهو عبد الرحيم بن عل بن الحسن المسقلاني ، القاضى الفاضل ، توفى سنة ٥٩٦ هـ / ١٢٠٠ م - ونهايات الأعيان ج ٣ ص ١٥٨ رقم ٣٧٤ .

وثلاثين . وأقام الناس بغير قاض ثلاثة أشهر ، ثم ولى أبو الفضائل هبة الله بن عبد الوارث الأنصارى لإحدى عشرة ليلة خلت من ذى القعدة منها . ثم جرت مفاوضة بينه وبين « النبيه » ^(١) أبى الحسن على بن « اسماعيل » ^(٢) ، قيل أدت الى مصافعة خرج فى أثنائها القاضى إلى القصر وهو مخرق الأتواب وقد تحلقت عمامته فى حلقه ، فعظم على الحافظ خروجه على هذه الهيئة وغرّمه مائتى دينار ؛ واستتاب أباطاهر إسماعيل ابن سلامه الأنصارى ، فأقام فى النياحة إلى مُستَهْلَ المحرم سنة خمس وثلاثين ، فوفر جارى القضاء ، وهو أربعون ديناراً فى كل شهر ، وخدم لجارى التقدمة فى الدعوة ، وهو ثلاثون ديناراً ، فى الوظيفتين ؛ فأجيب إلى ذلك وأقام إلى أن صُرف لسبع خلون من صفر سنة ثلاث وأربعين ، وبقي على الدعوة . وولى القضاء أبو الفضائل يونس بن محمد بن الحسن المقدسى إلى آخر المدة ^(٣) .

ذكر بيعة الظافر بأعداء الله

هو أبو المنصور إسماعيل بن الحافظ لدين الله ، وهو الثانى عشر من ملوك الدولة العبّيدية والتاسع من ملوك الديار المصرية منهم . بُيع له بعد وفاة أبيه لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة . واستوزر الأمير نجم الدين أبا الفتح سليم بن محمد بن

(١) ، (٢) « بياض فى الأصل ، والتكلمة من أخبار الدول المنقطعة ص ١٠١ .

فمنذما تولى هبة الله بن عبد الوارث القضاء « أضيفت إليه دار العلم وعزل عنها النبيه أبو الحسن على ابن اسماعيل ، ثم أعيدت إلى النبيه فحضرها أبو الفضائل هذا القاضى المذكور لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين ، وجرت بينها مفاوضات أدت إلى مصافعة » — أخبار الدول المنقطعة ص ١٠١ .

(٣) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ١٠٠ — ١٠١ .

مصال ، ونَعَمته بالسيد الأجل المفضل أمير الجيوش ؛ وكان إذ ذاك من أكابر أمراء الدولة .

وفى الرابع من شعبان من السنة اجتمع السودان وجماعة من المفسدين بالبهنسية^(١) ، فخرج إليهم الوزير فحاربهم وهزمهم .

ذكر قيام العادل بن السلار ووزارته

ومقتل ابن مصال

فى هذه السنة ثار الأمير المظفر أبو الحسن على^(٢) بن السلار والى الإسكندرية وخرج وحشد وتقدم بمن معه ، ودخل القاهرة فى يوم الأربعاء سابع شعبان ، ووقف على باب القصر ، ورأسل الظافر والمدبر له من النساء ؛ فراجعت فى ذلك وفاء لابن مصال ، ثم أجيبت إلى ما سألها . وفتح باب القصر ، وخلع على المظفر خلع الوزارة ولقب بالعادل . فلما اتصل ذلك بابن مصال جمع عربان البلاد ، ووافقه بدر بن رافع مقدم العربان بتلك البلاد ؛ وقصد ابن السلار فندب إليه ربيبه عباس بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس بعسكر معه . فعسكر ببركة الحيش . فندب ابن مصال لحربه الأمير الماجد فجذ فى السير وكبس عسكر عباس ، فأتحنهم جراحاً وقتلاً ؛ فانهزم عباس .

(١) البهنسا : مدينة بالصعيد غرب النيل ، وتبع حالياً مركز بنى مزار بمحافظة المنيا — القاموس الجغرافى ج ٢ ص ٣ ص ٢١١ - ٢١٢ .

(٢) انظر ترجمته فى : وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤١٦ رقم ٤٨٥ ، المعر ج ٤ ص ١٣١ . وانظر أخباره فى المنتقى من أخبار مصر ص ١٤٢ وما بعدها ، أخبار الدول المنقطعة ص ١٠٣ ، انعاظ الحنفى ج ٣ ص ١٩٦ وما بعدها ، النجوم الزاهرة : ج ٥ ص ٢٨٨ وما بعدها ، كنز الدرر ج ٦ ص ٥٥٢ وما بعدها .

واجتمع ابن مصال رآيه على قَصْدِ بلاد الصَّعيد ، فعاجَلَه ابن السَّلا ر وأَمَدَ رَيْبِيه بِالْعَسَاكِرِ وَأَمَرَهُ بِمُعَاجَلَتِهِ قَبْلَ الْجَمْعِ ، فَأَدْرَكَه بِالْقُرْبِ مِنْ دَلَاصٍ (١) . وَالتَّقَوُّا بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَهْدٍ ، وَهِيَ قَرْيَةٌ هُنَاكَ ، وَاقْتَتَلُوا ؛ فَانْجَلَّتِ الْحَرْبُ عَنْ قَتْلِ ابْنِ مِصَالٍ وَبَذَرَ بَنُ رَافِعٍ . وَكَانَتْ هَذِهِ الْوَقْعَةُ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ تَاسِعِ عَشْرِ شَوَّالٍ . وَحُمِلَ رَأْسُ ابْنِ مِصَالٍ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، وَطِيفَ بِهِ ، وَخُلِعَ عَلَى الْعَادِلِ فِي ذَلِكَ (٢) الْيَوْمِ .

وَفِي السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ أُغْلِقَ الْعَادِلُ أَبْوَابَ الْقَاهِرَةِ وَالْقُصُورِ ، وَقَبِضَ عَلَى صِبْيَانِ الْخَاصِّ وَقَتْلَهُمْ ، وَكَانُوا جَمْعًا كَثِيرًا وَهُمْ أَوْلَادُ الْأَجْنَادِ وَالْأَمْرَاءِ وَعَبِيدُ الدَّوْلَةِ فَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا تَوَفَّى وَخَلَّفَ أَوْلَادًا حُمِلُوا إِلَى حَضْرَةِ الْخِلَافَةِ وَأُودِعُوا فِي أَمَاكِنَ مُفْرَدَةٍ لَهُمْ ، وَيُؤْخَذُ فِي تَعْلِيمِهِمُ الْفَرُوسِيَّةَ وَغَيْرَ ذَلِكَ ؛ وَتَسْمَوُا صِبْيَانَ الْخَاصِّ . وَكَانَ سَبَبُ إِيقَاعِ الْعَادِلِ بِهِمْ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّهُمْ تَعَاقَدُوا عَلَى قَتْلِهِ ، فَبَادَرَ بِهِمْ ، وَقَبِضَ عَلَيْهِمْ ، وَقَتَلَ أَكْثَرَهُمْ ، وَجَعَلَ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ فِي الْمَرَائِزِ بِالتَّنْفُورِ (٣) .

وَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ لِأَرْبَعٍ خَلَوْنَ مِنْ شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ قَتَلَ الْعَادِلُ أَبَا الْمَكْرَمِ الْمَوْفِقَ مُحَمَّدَ بْنَ مَعْصُومِ التَّنِيسِيِّ نَازِلَ الدَّوَّائِينَ ، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْعَادِلَ فِي مَبْدَأِ أَمْرِهِ كَانَ مِنْ صِبْيَانِ الْحُجَرِ وَكَانَ يَتَكَرَّرُ [دَخُولُهُ] (٤) إِلَى الْمَوْفِقِ بِرِسَائِلٍ وَيَكَلِّمُهُ بِكَلَامٍ غَلِيظٍ ، فَكَرِهَهُ

(١) دلاص : من القرى المصرية القديمة ، على الضفة الغربية للنيل . من أعمال البهنسا ، وهي حاليًا تابعة لمركز بنى سويف بمحافظة بنى سويف ، القاموس الجغرافى ٢ ج ٣ ص ١٥٩ - ١٦٠ .

(٢) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ٤٢ - ١٤٣ ، انعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٩٦ ، كز الدرر ج ٦ ص ٥٥٢ - ٥٥٣ ، الكامل ج ١١ ص ١٤١ - ١٤٢ .

(٣) المنتقى من أخبار مصر ص ١٤٣ .

(٤) [إضافة للتوضيح من المنتقى من أخبار مصر ص ١٤٣ ، انعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٩٩ .

الموفق ، ثم كُتِبَ بعد ذلك لابن السَّلاَر منشورٌ بإقطاع ، فدخل به إليه ، فتغافل عنه وأهمَل أمره ؛ فقال له ابن السَّلاَر : ما تسمع ؟ فقال : كلامك ما يدخل في أذني أصلاً . فاتَّخَذ ابن السَّلاَر منشورَه وخرج مِنْ حيث أتى . فلَمَّا وَلِيَ أمر الدولة دخل عليه الموفق وسَلَّم عليه ، فقال له : ما أَظُنَّ كلامي يَدْخُل في أذنك . فتَلَجَّج بين يديه وقال له : عفو السَّلاطَان . فقال : قد استعملتُ للعفو مِنْ حين خروجي مِنْ عندك ، ما أتيتك به . وأشار لِبَعْضِ خدمه فأحضر مسماراً مِنْ حَدِيدٍ عَظِيمِ الهَيْئَةِ^(١) ، وقال : هذا والله أَعَدَدْتُهُ لكَ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ . وَضَرَبَ الْمَسْمَارَ فِي أُذُنِهِ حَتَّى نَفَذَ مِنَ الْآخَرَى ، وَحُمِلَ إِلَى بَابِ زُوَيْلَةِ الْأَوْسَطِ وَدُقَّ الْمَسْمَارُ فِي خَشَبَةٍ ، وَعُلِقَ عَلَيْهَا وَقَدَمَاتُ .

ذَكَرَ مَا فَعَلَهُ الْفَرَنْجُ بِالْفَرْمَا

وَمَا جَهَّزَهُ الْعَادِلُ مِنَ الْأَسْطُولِ إِلَى بِلَادِهِمْ

وَفِي شَهْرِ رَجَبِ سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةِ أَغَارَ الْفَرَنْجُ عَلَى الْفَرْمَا فَتَهَبَّوْهَا وَأَحْرَقُوهَا^(٢) وَعَادَوْا إِلَى بِلَادِهِمْ . فَجَهَّزَ الْعَادِلُ الْمَرَاقِبَ الْحَرَبِيَّةَ وَشَحَنَهَا بِالرِّجَالِ وَسَفَّرَهَا فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ ، فَمَضَتْ إِلَى يَافَا وَقَاتَلُوا مِنْ بَيْهَا فِي الْمَرَاقِبِ ، وَاسْتَوْلَوْا عَلَى عَدَّةٍ كَثِيرَةٍ مِنْ مَرَاقِبِ الْفَرَنْجِ ، وَأَحْرَقُوا مَا عَجَزُوا عَنْ أَخْذِهِ ، وَقَتَلُوا خَلْقًا كَثِيرًا . ثُمَّ امْتَدُّوا إِلَى ثَغْرِ عَمَّا وَفَعَلُوا فِيهِ كَيْفَ لَهُمْ بِيَافَا . وَكَذَلِكَ فَعَلُوا بِصَيْدَا وَبَيْرُوتَ وَطَرَابُلُسَ . وَأَنْكَرُوا فِي الْفَرَنْجِ نِكَايَةَ عَظِيمَةً .

(١) « عظيم الخلقة » في المنتقى من أخبار مصر ص ١٤٣ ، اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٠٠ .

(٢) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ١٤٤ .

ووجدوا طائفةً كثيرةً من حُجَّاج الفرنج فقتلوهم عن آخرهم . وكان جملة ما أنفق في هذا الأسطول ثلاثمائة ألف ^(١)دينار .

وفى سنة ست وأربعين قُطعت جميع الكساوى المرتبة لِلأمرء والدَّواوين عن أربابها ، وتوفرت .

ذكر مقتل العادل بن السَّار

وسُلطنة ربيبه عباس

كان مقتله في السَّادس من المحرم سنة ثمان وأربعين وخمسمائة . وكان سبب ذلك أن العادة كانت جاريةً بتجريد عسكرٍ من مصر في كلِّ سنةٍ لحفظ عسقلان من الفرنج ، وكان الفرنج قد حاصروها في سنة سبعٍ وأربعين . فلما كان في هذه السنة وقعت القرعة في البَدل على عباس ربيب العادل ، وهو ابن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس ، فجرده العادل بالعساكر ، وقال له : هَذَا الثَّغر قد نازله الفرنج ، ولا غُنية أن تتوجَّه بالعساكر إليه لتدفعهم عنه . فخرج عباس من القاهرة ومعه جماعة من أكابر الأمراء ، منهم أسامة بن منقذ ، وكان خصيصاً بعباس فلما وصلوا إلى بلبيس تذكَّر عباس وأسامه القاهرة وطيب المُقام بها وما خرجا إليه ، وما يَلْقِيَانِه من الشَّدائد ولقاء العدو ؛ فتأوَّه عباس لذلك ولام عمه كونه جرَّده ، فقال له أسامة : لو أردت أنت كُنتَ سلطان مصر . قال : وكيف الحيلة في ذلك ؟ فقال : هذا ولِدُكَ نصر (٢) ، بينه وبين الظَّاهر مودةٌ عظيمة ، فأرسله إليه وخاطبته على لِسانه أن تكون أنت

(١) المنتقى من أخبار مصر ص ١٤٥ . اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٠٢ . تاريخ الحروب الصليبية

ج ٢ ص ٥٤٤ - ٥٤٥ .

(٢) « ناصر الدين » في اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٠٤

السُّلطان مكان عمِّك ، فهو يختارُك ويكره العادل . فإن أجابك لذلك فاقْتُل عمِّك .

فجهَّز عبَّاس ابنه وعرفه ما تَقَرَّر مع أسامة . فدخِل إلى القاهرة على حين غفلةٍ من العادل ؛ واجتمع بالظَّافر وأعلمه الحال ؛ فأجاب لما طلب .

ثم مضى نصر إلى عند جدِّته ، زوجة العادل (١) ، وأعلم العادل أن والدَه أعاده شفقةً عليه من السَّفر . ومضى العادل إلى مصر وجهَّز المراكب الحربية ، وأنفق في رجالها ليلحق عبَّاساً ، وأقام طُول نهاره في العَرَض [٩٤] والتَّفَقُّع على رجالها ، وعادَ إلى داره بالقاهرة وهو على غايةٍ من التعب . فلَمَّا نام على فراشه احتزَّ نصرُ بنُ عبَّاس رأسه ، ومضى به إلى القصر ، ودخل إلى الظَّافر ، وجهَّز إلى أبيه ، فركب لوقته ؛ ودخل القاهرة صبيحةَ نهارِ الأحد الثاني عشر من المحرم ، فوجد جماعةً من الأتراك ، كان العادل قد اصْطَنَعَهُمْ لنفسه ، قد ثاروا لذلك ، فلاطَفَهُمْ وطَمَنَهُمْ ؛ فلم يَطْمَئِنُوا . ومضوا إلى دمشق .

وكانت وزارةُ العادل ثلاث سنين ونصف سنة تقريباً ؛ وكان من الأكراد الزرزارية . ولَمَّا قُتِل طيف برأسه في القاهرة جميعاً . ونصب الظَّافر عبَّاساً في السُّلطنة (٢) .

ذكر مقتل الظَّافر بأعداء الله وأخويه

كان مقتله في ليلة الخميس سلخ المحرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة . وذلك أنه خرج ليلاً متنكباً ومعه خادمان وجاء إلى دار نصر

(١) هي السيدة بلارة بنت القاسم - اتعاظ المنفا ج ٣ ص ٢٠٥ .

(٢) المتفق من أخبار مصر ص ١٤٧ ، اتعاظ المنفا ج ٣ ص ٢٠٤ - ٢٠٥ ، أخبار الدول

المنقطعة ص ١٠٣ .

ابن عباس ، وهى الدار المعروفة قديماً بدار جبر بن القاسم ثم عُرفت بسكن المأمون بن البطائحى ، وهى المدرسة المعروفة بالسُّيُوفِيَّة ^(١) فى وقتنا هذا ، المقابلة لحافر الدبابله . بَخط سُوْق السُّيُوفِيِّين بالقاهرة وهى لطائفة الفقهاء الحنفية . فلما جاء الظَّافِر إليه قتله نصرُ بن عَبَّاس ، وَحَفَرَ له تحت لوحِ رخامٍ ودفنه ^(٢) ، وقتل أحد الخادمين وهرب الآخر .

وكان سببُ ذلك أن الأمراء استوحشوا من أَسَامة بن منقذ لما حَسَن لِعَبَّاسٍ قتل عمِّه العادل ، وَقَصَدُوا قَتْلَ أَسَامة . فلما علم بذلك اجتمع بعبَّاسٍ وقال له : كيف تصبرُ على ما يقوله النَّاسُ فى ولدك وأتْهايمهم أَنَّ الخليفة الظَّافِر يفعلُ به ما يفعله مع النساء ! فعظَّم ذلك على عَبَّاس . وقيل بل كان الظَّافِر قد أنعم على نصر بن عَبَّاس بقلوب ، فجاء نصرُ إلى والدِّه وأعلمه بذلك ، فقال له أَسَامة : ما هى بمهرِك غالية . فقال عَبَّاسُ لأَسَامة : كيف تكونُ الحيلة على هذا الأمر ؟ فقال : إنَّ الخليفة فى كلِّ وقتٍ يأتى لولدك فى هذه الدار خفية ، فإذا أتاه فأمره بقتله . فأوصى عَبَّاسُ ابنه بذلك ؛ فلما جاءه قتله نصر ^(٣) .

قال : ولما كان صبيحةَ يومٍ قَتَلَهُ رَكِبَ عَبَّاسٌ وولده على العادة وأتى إلى القصر ؛ فقال لِبَعْضِ الخدم : أَعْلِمِ مولانا لِيَجْلِسَ للاجتماع معه .

(١) المدرسة السُيُوفِيَّة بالقاهرة : وقفها السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م . وعرفت بالسُيُوفِيَّة لكون سوق السُيُوفِيِّين كان على بابها - المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٦٥ .

(٢) « ودفنه فى الباذنج بدار المأمون بالسُيُوفِيِّين » فى كنز الدرر ج ٦ ص ٥٦٤ .
« ورمى الكل فى جب عنده وغطى رأس الجب بقطعة رخام بيضاء ، فصارت من جملة رخام المجلس » - أخبار الدول المنقطعة ص ١٠٥ .

(٣) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ١٤٧ ، انماط الحفا ج ٣ ص ٢٠٨ ، المواعظ والاعتبار ص ٢٠ .

فدخل وأعلم أهل القصر بما التمسهُ عَبَّاسٌ من الاجتماع بالخليفة . فقالوا : قل له إنه خرج البارحة ولم يُعَد . فجاء الخادمُ إليه وأعلمه الخبر ؛ فشَدَّ عَبَّاسٌ في طَلَبِ الظَّافِر ، ودخل إلى القاعات ومعه أكابرُ الخدم ، وقال : لا بُدَّ مِن مَوْلَانَا . فقيل له عند ذلك : أنت أعلم بحاله . فأحضر أخويه يوسف وجبريل وقال لهما : أنتما قتلتما مَوْلَانَا . فأنكرا ذلك وحَلَفَا عليه الأيمان المغلظة . وأحضر القاضي وجماعة من الأعيان أهل الفتيا وداعى الدعاة وقال : قد صَحَّ عندي أَنَّ أَخَوَيْ الظَّافِر قتلاه . فأقتوه بقتلهما ؛ فقتلوا بين يديه وقيل إنه قَتَلَ معهما أبا البقاء ابن حسن بن الحافظ ، وصارم الدولة ، مُصْلِح ، زمام القصر^(١)

قال : وكان الظَّافِرُ مِن أَحْسَن خَلْقِ اللَّهِ وَجْهًا . وكان مولده يوم الأحد ، النِّصْف من شهر ربيع الآخر^(٢) سنة سبعٍ وعشرين وخمسمائة ؛ فكانت مدَّة عمره إحدى وعشرين سنة وتسعة أشهر وخمسة عشر يوما ؛ ومدَّة ولايته أربع سنين وسبعة أشهر وخمسة أيام^(٣)

ولده : أبو القاسم عيسى .

وزراؤه : تقدَّم ذكرهم .

قضاته : أبو الفضائل يونس ، إلى أن صرفه العادل بن السَّلاَر في سنة سبعٍ وأربعين ؛ ووَلَّى أبا المعالي مجلى^(٤) بن نجا المخزومي ، فأقام إلى آخر الدولة .

(١) المنتقى من أخبار مصر ص ١٤٨ ، أخبار الدول المنقطعة ص ١٠٦ .

(٢) « في المحرم » كنز الدرر ج ٦ ص ٥٥٧ .

(٣) المنتقى من أخبار مصر ص ١٤٩ ، أخبار الدول المنقطعة ص ١٠٦ .

(٤) هو مجلى بن جميع بن نجا ، القرشي المخزومي ، القاضي أبو المعالي ، صاحب الذخائر ،

المتوفى سنة ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م — وفيات الأعيان ج ٤ ص ١٥٤ رقم ٥٥٦ .

ذكر بيعة الفائز بنصر الله

هو أبو القاسم عيسى بن الظافر بأعداء الله ؛ وهو الثالث عشر من ملوك الدولة العبديّة والعاشر من ملوك الديار المصرية منهم . بُوع له بعد مقتل والده في يوم الخميس سلخ المحرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، وعمره خمس سنين . وذلك أنه لما قُتل الظافر استدعى عباسُ ابنه أبا القاسم عيسى هذا وحمله على كتفه ، ووقف في القاعة ، وأمر أن تدخل الأمراء ، فدخلوا ؛ فقال : هذا ولدُ مولاكم وقد قتل أبوه وعماه كما ترون ، والواجبُ الطاعةُ لهذا الطفل . فقالوا بأجمعهم : سمعنا وأطعنا ؛ وصاحوا صيحةً عظيمةً زلّ منها عقلُ الصبي واختل . ثم سيره [٩٥] إلى إمامه ولقب بالفائز ؛ فأقام يُصرع في كلِّ يوم^(١) .

وانفرد عباسُ بالوزارة وبتدبير الأمور ، ولم يبق على يده يد ، وظن أن الأمر استقام له .

ذكر خروج عباس من الوزارة وما آل إليه أمره

قال المؤرخ : لما قُتل الظافر بأعداء الله أكثر أهل القصر النواح عليه ، وشرعوا في أعمال الحيلة على عباس ، ووافق ذلك نفور الأمراء منه لإقْدامه على القتل ؛ فاختلفت الكلمة عليه ، وهاجت العساكر . وتفرقت الفرق ، ولبسوا السلاح . فخرج إليهم عباس في يوم الاثنين عاشر شهر ربيع الأول من السنة ، فقاتلهم وهزمهم ، وقتل جماعة منهم .

(١) « وكان واليًا على الأشمونين والبهنسا » في انماط الحنفا ج ٣ ص ٢١٥ .

فَأَرْسَلَتْ عَمَّةُ الْفَائِزِ أَخْتَ الظَّافِرِ شَعُورَ أَهْلِ الْقَصْرِ طَى الْكُتُبِ إِلَى
الْأَمِيرِ طَلَّاعِ بْنِ رُزَيْكِ ، وَهُوَ إِذْ ذَاكَ مَتَوَلَّى الْأَعْمَالَ السُّيُوطِيَّةَ ، وَقِيلَ
كَانَ مَتَوَلَّى مُنِيَّةَ بَنِي خَصِيبٍ ^(١) ، وَسَأَلُوهُ الْإِنْتِصَارَ لِمَوْلَاهُ ، فَجَمَعَ الثُّرَبَانَ
وَالْأَجْنَادَ وَمُقَطَّعِي الْبِلَادِ ، وَسَارَ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، فَوَصَلَ إِلَيْهَا فِي تَاسِعِ عَشْرِ
شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ ، وَخَرَجَ النَّاسُ لِلِقَائِهِ .

فَاسْتَشَارَ عَبَّاسُ أَسَامَةَ بْنَ مُنْقَدٍ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِاللِّحَاقِ بِالشَّامِ . فَدَخَلَ
إِلَى الْقَصْرِ وَأَخَذَ فِي [جَمْعِ] ^(٢) تَحْفِهِ وَحَمْلِ أَمْوَالِهِ ، وَسَارَ هُوَ وَأَسَامَةُ بْنُ
مُنْقَدٍ إِلَى الشَّامِ عَلَى طَرِيقِ أَيْلَةٍ . فَأَرْسَلَتْ عَمَّةُ الْفَائِزِ إِلَى الْفَرَنْجِ بِعَسْكَانٍ
رُسُلًا عَلَى الْبَرِيدِ يُعَلِّمُهُمُ الْحَالَ وَيُنْذِلُ لَهُمُ الْأَمْوَالَ فِي الْخُرُوجِ عَلَى عَبَّاسٍ
وَأَخَذَ مَا مَعَهُ . فَخَرَجُوا إِلَيْهِ وَقَاتَلُوهُ ، فَتَخَاذَلَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، وَنَهَبُوا مَا مَعَهُ
فَأَسْرَهُ الْفَرَنْجِ وَحَمَلُوهُ إِلَى عَسْكَانٍ ؛ وَنَجَا أَسَامَةُ إِلَى دِمَشْقَ ^(٣) .
وَقِيلَ إِنَّ الْفَرَنْجِ قَتَلُوا عَبَّاسًا وَأَسْرُوا ابْنَهُ نَصْرًا فَفَدَاهُ الصَّالِحُ بْنُ
رُزَيْكِ ، وَأَحْضَرَهُ إِلَى الْقَاهِرَةِ وَضَرَبَ عُنُقَهُ .

ذكر وزارة الصالح أبي الغارات طلائع بن رزيك

قال المؤرخ : لما توجه عبّاس نحو الشام وافق ذلك قدوم طلائع بن
رزيك ، فخرج الأمراء والعساكر إليه . فمن الأمراء من شهر سلاحه

(١) منية بن خصيب : هي مدينة المنيا الحالية . قاعدة محافظة المنيا وتنسب إلى الخصيب بن عبد
الحميد صاحب خراج مصر من قبل هارون الرشيد — ألقاموس الجغرافي ق ٢ ج ٣ ص
١٩٦ - ١٩٧ .

(٢) [إضافة للتوضيح .

(٣) أخبار الدول المنقطعة ص ١٠٩ . وانظر ما جاء بكتز الدور ج ٦ ص ٥٦٧ ، وانظر المواظ
والاعتبار ص ٢٣ - ٢٧ .

وقَاتَلَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ التَّحَقَّقَ بِهِ ؛ ثُمَّ أُنْجِلَى الْأَمْرُ بَعْدَ سَاعَةٍ عَنْ دُخُولِ طَلَانِعَ إِلَى الْقَاهِرَةِ وَالْعَسَاكِرُ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَشَقَّ الْقَاهِرَةُ وَهُوَ لَا بَسُ السَّوَادِ ، وَأَعْلَامُهُ سَوْدٌ كَذَلِكَ حُزْنًا عَلَى الظَّافِرِ ، وَشَعُورُ نِسَاءِ الْقَصْرِ الَّتِي سِيرَتْ إِلَيْهِ عَلَى الرَّمَاحِ ^(١) .

وَنَزَلَ طَلَانِعَ دَارَ الْمَأْمُونِ الَّتِي كَانَ بِهَا نَصْرُ بْنُ عَبَّاسٍ ، وَأَحْضَرَ الْخَادِمَ الَّذِي كَانَ مَعَ الظَّافِرِ لَمَّا قُتِلَ وَأَعْلَمَهُمْ بِمَكَانِهِ ، فَأَخْرَجَ وَغُسِّلَ وَكُفِّنَ ، وَجُمِلَ فِي تَابُوتٍ عَلَى أَعْنَاقِ الْأَمْرَاءِ وَالْأَسْتَازِينَ ، وَابْنُ رَزَيْكٍ يَمْشِي أَمَامَ التَّابُوتِ . وَأَتَوْا بِهِ إِلَى الْقَصْرِ فَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ الْفَائِزُ وَدُفِنَ فِي تَرْبَتِهِمْ بِالْقَصْرِ وَجَلَسَ الْفَائِزُ فِي بَقِيَّةِ النَّهَارِ ، وَخَلَعَ عَلَى ابْنِ رَزَيْكٍ بِالْمَوْشِحِ وَالْعَقْدِ ، وَعَلَى وَلَدِهِ وَإِخْوَتِهِ وَحَاشِيَتِهِ ، وَقُرِئَ سَجْدَةُ ^(٢) بِالْوِزَارَةِ ، وَنُعِتَ بِالْمَلِكِ الصَّالِحِ . وَقَبِضَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَمْرَاءِ وَقَتَّلَهُمْ ، فِي ثَالِثِ عَشْرَى شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ

وَفِي سَنَةِ خَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ خَرَجَ الْأَمِيرُ تَمِيمٌ ^(٣) ، مَتَوَلَّى إِحْمِيمَ وَأَسِيْطَ ، عَلَى الصَّالِحِ ، وَجَمَعَ جَمْعًا صَالِحًا ^(٤) ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ الصَّالِحَ عَسْكَرًا ، فَالْتَفَقُوا وَاقْتَتَلُوا ، فَقَتَلَ تَمِيمٌ فِي سَابِعِ عَشْرِ رَجَبٍ .

وَفِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ انْفَسَخَتِ الْهُدَنَةُ بَيْنَ الصَّالِحِ بْنِ رَزَيْكٍ وَالْفَرَنْجِ ، فَجَهَّزَ الصَّالِحُ الْجِيُوشَ وَالسَّرَايَا إِلَى بِلَادِ الْفَرَنْجِ . فَوَصَلَتْ سَرِيَّةٌ إِلَى عَسْقَلَانَ وَغَنِمَتْ وَعَادَتْ سَالِمَةً . وَجَهَّزَ الْمَرَاكِبَ فِي

(١) انظر أخبار الدول المنقطعة ١٠٩ ، المنتقى من أخبار مصر ص ١٤٩ - ١٥٠ ، اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢١٧ - ٢١٨ .

(٢) انظر نص هذا السجل في حسن المحاضرة ج ٢ ص ٢٠٥ - ٢١٤ ، مجموعة الوثائق الفاطمية ص ٣٣٧ - ٣٥٠ ، وجاءت مقتطفات منه في اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢١٨ - ٢١٩ ، النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣١١ .

(٣) « الأوحى بن تميم » في اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٢٤ ، النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣١٢ .

(٤) « جمعا موفورا » في المنتقى من أخبار مصر ١٥٤ ، اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٢٤ .

البحر إلى نحو بيروت ، فأوقعت بمراكب الفرنج . وجَهَّزَ سريةً إلى جهة الشُّوبَك^(١) فعاثوا في تلك النواحي ، وعادوا سالمين بالغنائم والأسرى .

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشر ذى الحجة سنة اثنتين وخمسين قبض الصَّالح ابن رُزِّك على الأمير ناصر الدَّولة ياقوت وأولاده واعتقلهم ؛ وسبب ذلك أنه بلغه أنه كاتب أخت الظَّافر وقصد القيام على الصَّالح ، وكان والياً عاملاً على الأعمال القوصية ، وهو بالقاهرة . ولم يزل في حبسه إلى أن توفي في شهر رجب سنة ثلاث وخمسين .

وفي سنة أربع وخمسين ثار على الصَّالح طَرْخان بن سَلِيط بن ظريف ، متولَّى الإسكندرية ، وجمع جموعاً من العُربان وغيرها ؛ وتقدَّم بها لحربه ؛ فنَدَب الصَّالح إليه الأمير عزَّ الدين حُسام بن فِضة بعسكر ، فالتقوا واقتتلوا ، فهزَم حُسام جيوشه وظفر به ؛ فاعتقله الصَّالح .

فلما كان في المحرم سنة خمس وخمسين ثار أخوه إسماعيل طلباً لثأره ، وتلقب بالملك الهادي ؛ فنَدَب الصَّالح [٩٦] إليه الجيوش . فلما هجمت عليه هرب وأتى الجيزة ، واستتر عند بعض العُربان . فلما كان في يوم الثلاثاء رابع شهر ربيع الآخر هرب طَرْخان من الاعتقال هو والمُوكَلُّ به ، فقبض عليه في السادس من الشهر وصُلب على باب زويلة ، ورُمى بالنشاب ، ثم مُسِكَ أخوه إسماعيل وصُلب إلى جانبه بعد ضَرْب عنقه^(٢) .

وفي سنة أربع وخمسين بنى الصَّالح حصناً من اللبن على مدينة بلييس^(٣) .

(١) الشوبك : قلعة حصينة جنوب البحر الميت ، على الطريق بين مصر والشام - معجم البلدان .

(٢) انظر اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٣٦ ، ٢٣٨ .

(٣) اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٣٦ .

ذكر وفاة الفائز بنصر الله

كانت وفاته في ليلة الجمعة السابع عشر من شهر رجب سنة خمس وخمسين وخمسمائة ؛ وقيل لليلة بقيت منه ؛ وكان مولده في يوم الجمعة لتسع بقين من المحرم سنة أربع وأربعين ، فكان عمره إحدى عشرة سنة وستة أشهر وأياماً ، ومدة ولايته ست سنين وخمسة أشهر وسبعة عشر يوماً^(١) .

وزراؤه : الأفضل عباس بن يحيى بن تميم ؛ ثم الصالح طلائع بن رزيك .

قضاته : أبو المعالي مجلى بن نجا القرشي المخزومي ؛ ثم صرف في أول وزارة الصالح ، وأعيد أبو الفضائل يونس ؛ ثم صرف بالقاضي المفضل أبي القاسم هبة الله بن كامل .

ذكر بيعة العاضد لدين الله

هو أبو محمد عبد الله بن يوسف ، بن الحافظ عبد المجيد ، بن محمد ، ابن المستنصر بالله أبي تميم معد ، بن الظاهر لإعزاز دين الله أبي هاشم علي ، بن الحاكم بأمر الله أبي علي المنصور [بن العزيز بالله]^(٢) نزار ، بن المعز لدين الله أبي تميم معد ، بن المنصور بنصر الله أبي طاهر إسماعيل ، ابن القائم بأمر الله أبي القاسم محمد ، بن المهدي عبيد الله . وهو الرابع عشر من ملوك الدولة العبيدية ، والحادي عشر من ملوك الديار المصرية

(١) أخبار الدول المنقطعة ص ١٠٩ .

وورد أن مدة ولايته « ست سنين وستة أشهر وسبعة عشر يوماً » في كنز الدرر ج ٦ ص ٥٦٦ .

(٢) [إضافة للتوضيح .

منهم ؛ وعليه انقضت دولتهم . بُويعَ له بعد وفاة الفائز بنصر الله في يوم الجمعة السابع عشر من شهر رجب سنة خمس وخمسين وخسمائة .

وكان الملك الصالح طلائع قصد أن يُبايع لشخص من أقارب العاضد ، فقال له بعض أصحابه لا يكنَّ عباس أحزم منك حيث اختار صغيراً وترك من هو أسنَّ منه ، واستبدَّ هو بالأمر . فعُدل الصالح إلى العاضد ، وبايعَ له وهو مراهق البلوغ ؛ فكانت الخلافة للعاضد اسماً وللصالح رسماً^(١) .

ويوسف أبو العاضد هو أحد الأخوين^(٢) اللذين قتلها عباس بعد قتل الظافر .

وفي سنة ست وخمسين تزوج العاضد لدين الله بابنة الملك الصالح بن رزك ؛ وكان العاضد توقَّف عن زواجها ، فجبره الصالح على ذلك واعتقله إلى أن تزوجها ؛ وقصد بذلك أن يرزق العاضد منها ولداً فتحصل الخلافة والملك لبني رزك ، فجاء بخلاف ما قصد^(٣) .

(١) « للعاضد رسماً ولطلائع حسماً » في أخبار الدول المنقطعة ص ١١١ ، « وكانت خلافته اسماً له . وجسماً ورسماً للصالح بن رزك » كنز الدرر ج ٧ ص ١٣ .

(٢) « الأيوين » في الأصل ، والتصحيح يفتن والأحداث السابقة .

(٣) انظر انعاظ انحفا ج ٣ ص ٢٤٦ . الكامل ج ١١ ص ٢٥٥ .

ذكر مقتل الملك الصالح طلائع بن رزك وقيام ولده الملك العادل رزك

كان مقتله في السابع عشر من شهر رمضان سنة ست وخمسين وخمسمائة . وذلك أنه ركب في هذا اليوم من دار الوزارة إلى القصر ، وجلس على مرتبته على عادته ؛ فلما انقضى المجلس خرج ؛ فبينما هو في دهايز القصر وثب عليه جماعة فضربوه بالسكاكين عدة ضربات مهلكة . وكان سبب ذلك أنه تحكّم في الدولة لخلوها من الأمراء وصغر بين العاضد ، وكان قد فرق الأمراء وقتل بعضهم ؛ فبعثت ست القصور عمّة العاضد الأموال إلى بعض الأمراء وأغرّتهم به ، فرتبوا ذلك . قال : ولما ضرب بالسكاكين ألقى ابن الزبد نفسه عليه وقاتل دونه ودخل بقيّة الأمراء فخلّصوه فركب وبه بعض رمق . فلما رآته ست القصور وقد ركب أيقنت بالهلاك . قال : ولما استقرّ في منزله أرسل إلى العاضد يعاتبه على ما كان منه ، فحلف وأنكر أن يكون أطلع ^(١) على هذا الأمر قبل وقوعه فأرسل إليه أن يبعث إليه عمته ست القصور ، فتوقّف العاضد عن ذلك ، فأرسل الصالح إلى [ست] ^(٢) القصور وأخرجها ؛ فلما جاءت إلى منزله أمر [٩٧] بخنقها ، فخنقت بين يديه حتى ماتت . ومات الصالح في بقيّة ليلته .

قال : وكان الصالح شديد التشيع متغالياً في مذهب الإمامية ؛ وكان يكره أهل السنة . وقيل إنه كان يسب الصحابة ، رضى الله عنهم ،

(١) « أن يكون الخلع على هذا » في الأصل . وهو تحريف ، والتصحيح يتفق والسياق ، انظر الكامل ج ١١ ص ٢٧٤ .

(٢) [إضافة تتفق والسياق ، وانظر الكامل ج ١١ ص ٢٧٤ .

وغضب على مَنْ يَتَنَقَّصُهُمْ . وكان فيه بُخْلٌ وَحَسَدٌ . وَمَنَعَ في أَيَّامِهِ من بَيْعِ
الغلال حتى غَلَّتِ الأسعار . وكان كَثِيرَ التَّطَلُّعِ إلى ما في أَيْدِي النَّاسِ ،
وصَادَرَ جَمَاعَةً ليس لهم تَعَلُّقٌ بالدَّولةِ وأَفْنَى الأُمراءِ قَتْلًا واعتِقَالًا . وهو أَوَّلُ
من خُوِطِبَ بِالسَّمَكِ في الدِّيارِ المِصْرِيَّةِ ^(١) .

وقال ابن الجباب في سيرته : إِنَّهُ من وَلَدِ جَبَلَةَ بن الأيهم الغساني
الذي ارْتَدَّ عن الإسلام في جِلَافَةِ عُمَرُ بن الخطاب رَضِيَ الله عنه . قال
المؤرخ : وكان والدُ الصَّالِحِ يُسَمَّى أَسَدَ رُزَيْكٍ ، قَدِمَ مع أمير الجيوش
بدر الجمالي .

قال : وكان الصَّالِحُ مع ذلك حَازِمًا ضابطًا لأمور دَوْلَتِهِ شاعرًا أديبًا .
قال القاضي الأَرشدُ عُمارةُ الِيسَنِي ^(٢) : دَخَلْتُ على الصَّالِحِ قَبْلَ وفاته
بِلَيْلَتَيْنِ فَنَاولَنِي رُقْعَةً وَقَالَ : قَدْ عَمِلْتَ هَذَيْنِ البَيْتَيْنِ في هذه السَّاعَةِ ؛
فإِذَا فيها :

نَحْنُ في غَفْلَةٍ وَنَوْمٍ وَلِلْمَوْتِ بَ عُمُيُونَ يَقْظَانَهُ لَا تَتَّامِ
قَدْ رَحَلْنَا إلى الجِمامِ سَيْنِيًّا لَيْتَ شِعْرِي ! مَتَى يَكُونُ الجِمامُ !!

(١) يذكر المقرئ أن « أول من لقب بالملك منهم مضافاً إلى بقية الألقاب رضوان بن ولحشى
عندما وزر للحافظ لدين الله ، فقيل له السيد الأجل الملك الأفضل ، وذلك في سنة ثلاثين
 وخمسمائة » - المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٤٠ ، ثم أكد ذلك في انعاظ المنفا ج ٣ ص
 ١٦١ ، ثم عاد المقرئ وذكر في حديثه عن الصالح طلائع بن رزيك « وهو أول من خوطب
 بالملك في ديار مصر ونعت به » انعاظ المنفا ج ٣ ص ٢١٨ ، ٢٥١ .

ولم يرد في السجل الخاص برضوان بن ولحشى لقب ملك - انظر صبح الأعشى ج ٨ ص
 ٣٤٢ - ٣٤٦ ، مجموعة الوثائق الفاطمية ص ٣٢٦ - ٣٣٣ .

(٢) هو أبو الحسن نجم الدين عمارة البغلي ، المتوفى سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م ، وصاحب كتاب
 النكت العصرية ص ٤٨ - ٤٩ .

فقلت : هما صَالِحان ، وقمت ، فكان آخر عهدي به ^(١) .

قال المؤرخ : وكان الصَّالِح يَقْطَعُ اللَّيْلَ اثْنَتَانِ : فالثَّلْثُ الأوَّلُ مع
أمرائه دَوْلته ووجوهها ؛ والثَّلْثُ الثَّانِي مع جُلَسَائِهِ وَنُدَمَائِهِ وشعرائه ؛
والثَّلْثُ الثَّالِثُ مع خواصِّ نسائه . فكان يُسَمَّى : أبو العمرين قالوا :
وكذلك كان أمير الجيوش بدر الجمالي :
ومن شعر الصَّالِح قوله :

يا مريضَ القلبِ بالذَّنِّ ب ، متى بالعَفْوِ تَهْرَأَ
كلُّما جَدَّدْتَ يَوْمًا تَوْبَةً ضَيَّعْتَ أُخْرَى
تَشْتَهِي الأَجَرَ وَلَا تَفْ حُلُّ مَا يُكْسِبُ أَجْرًا
أُنْصِرِي بَعْدَ ذَهَابِ الْ عُمَرِ تَسْتَأْنِفُ عُمْرًا
وقوله :

يَا مَا شِئًا فَوْقَ الثَّرَى رَفَقًا ، فَسَوْفَ تَصِيرُ تَحْتَهُ
إِنْ قُلْتَ إِنِّي أَعْرِفُ الْ مَوْلَى الْقَدِيرِ ، فَمَا عَرَفْتَهُ
إِنْ كُنْتَ تَعْبُدُ لِلْمَخَا فَةِ وَالرَّجَاءِ ، فَمَا عِبَدْتَهُ ^(٢)

والصَّالِحُ هُوَ الَّذِي بَنَى الجامع ^(٣) خَارِجَ بَابِ زَوَيْلَةَ المعروف به .
وكانَ يَقُولُ : نَدِمْتُ عَلَى ثَلَاثَةٍ : أَحَدُهَا أَنَّنِي بَنَيْتُ الجامعَ بِظَاهِرِ القَاهِرَةِ
وَجَعَلْتُهُ عَوْنًا عَلَى بَابِ زَوَيْلَةَ فَيَضُرُّهَا وَقْتُ الْحَصَارِ ؛ وَالْأُخْرَى تَوَلَّيْتَنِي
شَاوَرُ أَعْمَالِ الصَّعِيدِ ، وَاللَّهِ لَا كَانَ خَرَابُ دَوْلَةِ بَنِي رُزَيْكٍ إِلَّا عَلَى يَدَيْهِ ؛

(١) النكت المصرية ص ٤٨ - ٤٩ ، انماط الحنفا ج ٣ ص ٢٥٢ ، الكامل ج ١١ ص ٢٧٦ .

(٢) انظر النكت المصرية ص ٤٨ .

(٣) عن جامع الصالح : انظر المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٩٣ .

والتالئة أننى أنفقت فى العساكر مائتى ألف دينار لأجل فتح بيت المقدس فتأخرت عن ذلك^(١).

قال : ولما توفى دُفِنَ بدار الوزارة ثم نُقل إلى تربته التى بقرافة مصر .

قال : ولما حضرته الوفاة أحضر ولده رزبك وأوصاه بوصايا كثيرة ، من جملتها أنه لا يعزل شاور ولا يغير عليه مغيراً .

قال : وورثاه الشعراء بقصائد كثيرة ، فيها ما قاله القاضى الأرشد عمارة اليمنى :

أفى أهل ذا النادى عليهم أسائله فأنى لىما بى ، ذاهب العقل ذاهله^(٢)
سمعت حديثاً أحسد إلصم عنده ويذهل وإعيه ، ويخرس قائله

ومنها :

وقد رآبنى من شاهد الحال أننى أرى الدست منصوباً وما فيه كافله
وأننى أرى فوق الوجوه كأنه تدل على أن النفوس ثواكله
دعونى . فما هذا أوان بكانه^(٣) سيايتكم ظل البكاء ووابله

وهى قصيدة طويلة أتى فيها بكل عجيب

قال : ولما مات الصالح خرجت الخلع من القصر لولده ، وتلقب بالملك العادل مجد الإسلام^(٤)

(١) أخبار الدول المنقطعة ص ١١٢ .

(٢) « ذاهب اللب ذاهله » فى الروضتين ج ١ ص ٣١٣ ، النكت العصرية ص ٥٠ ، كنز الدرر ج ٧ ص ١٨ .

(٣) « فما هذا وقت بكانه » فى انماط الحنفا ج ٣ ص ٢٥٢ .

(٤) أخبار الدول المنقطعة ص ١١٢ .

[٩٨] ذكر ظهور حسين بن نزار وقتله

وفي شهر رمضان سنة سبع وخمسين وخمسمائة ورد حسين بن نزار، بن المستنصر بالله ابن الظاهر لإعزاز دين الله من بلاد المغرب، وقد جمع جمعاً عظيماً وتلقب بالمنتصر بالله؛ فخرج إليه الأمير عز الدين حسام بن فضة ابن رزيك على صورة الانضمام إليه واللحاق به. فلما صار عنده في خيمته غدر به وقتله، وحمل رأسه إلى العاضد لدين الله.

وفيهما بنى الأمير أبو الأشبال ضرغام البرج المعروف به بقر الإسكندرية.

ذكر انقراض دولة بني رزيك

قد ذكرنا أن الملك الصالح بن رزيك، والد العادل، لما حضرته الوفاة أوصى ابنه العادل بوصايا كثيرة منها أنه لا يعزل شاور من عمله ولا يحرّكه؛ وحذّره من ذلك فلما كان في سنة سبع وخمسين اجتمع أقارب العادل وحسنوا له عزل شاور عن ولاية الصعيد، فذكرهم بوصية أبيه، فأصروا على عزله، وكان أشدهم في ذلك الأمير عز الدين حسام ابن فضة، فالزم العادل إلى أن كتب كتاباً يستدعى فيه شاور وبأمره بالحضور إلى القاهرة فكتب إليه شاور يستعطفه ويظهر الطاعة والإذلال لسابق الخدمة لأبيه، ومناصحته في القيام بأمر الدولة، ثم قال فيه إن كان القصد أن يلى الأعمال أحدكم فليرسل السلطان من يتسلمها غير عز الدين حسام؛ وإن كان غيركم من الأمراء فأنا أحق به من سواكم؛ وقد سمعتم وصية أبيكم الصالح في حقّي وما كرّره عليكم في أمري

وإقرار أعمال الصَّعيد في يدي . وأرسل الكتاب إلى العادل ، فوقف عليه ، وأوقف عليه أقاربه وأهله . فقالوا : إنَّ أبْقَيْنَه طَمَع في البلاد ولا يحملُ إليك مالا . فقال العادل لهم : المصلحةُ تركُه . فصمُّوا على عزله .

فأحضر العادلُ نصير الدين شيخ الدولة ، وهو من أقاربه ، وخَلَعَ عليه وولاه الأعمال القوصية ، وكتب على يده إلى شاور بتسليم الأعمال إليه ووصوله إلى القاهرة . وتوجَّه نصير الدين . فلما وصل إلى إخميم أقام بها وأرسل الكتاب إلى شاور طيُّ كتابه ؛ فلما وقف شاور على الكتاب أرسل إلى نصير الدين رسولا من جهته برسالة يقولُ له : إنَّ بيني وبينك صُحبة ولا تغترَّ بقول حُسام ، وارجع من حيث أتيت فهو خير لك . فرجع نصير الدين إلى القاهرة ولم يُعاوذه .

وأظهر شاور العصيان على الدولة ، وأحضر جماعة من العُربان من بنى شيبان وغيرهم ، وتوجَّه من الأعمال القوصية ، وجعل طريقه على السواحات ، وخرج منها إلى تروجة ، وحشد العُربان وأنفق فيهم الأموال ؛ فوافقوه وأنطاعوا له ؛ فسار بهم نحو القاهرة . فندب العادل لحرِّبه سيف الدين حُسَيْنًا ، صهره ، ومعه جماعة من الأمراء . فرأسلهم شاور واستمالهم ، وبذل لهم الأموال الجمة ، فمالوا إليه فلما التقوا انحازوا إلى جماعته وفارقوا مُقدِّمهم ، فأنهزم حُسَيْن واستجار بظريف ابن مكنون أمير جذام فأجاره ، وحمله في البحر ؛ فمضى إلى مدينة الرسول ﷺ فمات هناك فندب إليه العادل عز الدين حُسامًا ، فأنهزم منه أيضا .

فعند ذلك خرج العادل من القاهرة وتوجَّه إلى إطيفيح ، واستنصحب أهله وذخائره . واستجار بسليمان بن الفيض اللخمي ، وكان من

أصحاب أبيه الصالح ، فأنزله عنده ؛ ومضى مِنْ وقته إلى شاور وأخبره بخبر العادل ، فندب إليه جماعة فأخذوه أسيراً هو ومن معه ، ونهب أصحاب ابن الفيز ما كان معه . وحمل إلى شاور فوصل إليه في ليلة الجمعة لثلاث بقين من المحرم سنة ثمان وخمسين وخمسمائة . فأمر شاور باعتقاله ؛ وقال لسليمان بن الفيزي : لقد خباك الصالح ذخيرة لولده حين استجار بك فأسلمته لي ، وأنا أخبتك ذخيرة لولدي . ثم أمر به فشق . وسُميت فرقة ابن الفيز غمازة من ذلك اليوم ، فهي تعرف الآن بهذا الاسم . فكانت أيام العادل سنة واحدة وثلاثة أشهر وأياماً . وجميع دولة بني رزيك تسع سنين تقريباً .

[٩٩] ذكر وزارة شاور الأولى وخروجه منها

كانت وزارته في يوم الأحد لثمان بقين من المحرم سنة ثمان وخمسين وخمسمائة . وذلك أنه لما أنهزمت جيوش العادل بن رزيك وهرب هو إلى إطفيح خلت القاهرة منهم ؛ فدخلها شاور ، وحضر بين يدي الخليفة العاضد لدين الله ، فخلع عليه خلع الوزارة ، وسلطنه ، ولقبه بأمير الجيوش . وأطلق شاور لأهل القصور الإطلاقات الكثيرة ، وزادهم على مقرراتهم في أيام بني رزيك واستدعى أموال بني رزيك وودائعهم . وبسط العبد أياماً ، ثم شرع في ظلم الناس ؛ وبسط يده ويد أولاده في الدولة ؛ وقطع أرزاق الأمراء والجند واستخف بهم وبالعاضد . وعتا ولده الكامل وتجبر ، وليس رداء الكبر ، وبذخ في الأموال ، وصرفها في غير وجوه مصارفها ^(١) .

(١) انظر انعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٥٩ ، الكامل ج ١١ ص ٢٩١ ، كنز الدرر ج ٧ ص ٢٥ .

وساءت سيرته في الأمراء فأجمعوا على إخراج العادل من الاعتقال ونصبه في الوزارة . فاتصل ذلك بالكامل بن شاور ؛ فأشار على أبيه بقتل العادل ، فامتنع من ذلك وقال : إنه أولانى خيراً فلا أقتله ، فقتله الكامل من غير إذن أبيه . فعظم ذلك على شاور وعلى الأمراء ، وغضب الأمراء لقتل العادل ، وخرجوا عن شاور ، واقتروا على فرقتين : فكان الضرغام وإخوته وأهله فرقة ، والظهير عز الدين مرتفع وعين الزمان وابن الزيد فرقة .

وكان الضرغام ومن معه أظهر الفرقتين . فخرج على شاور وحاربه ، فجمع شاور أمواله وذخائره وغلمانه ، وخرج ليلاً من القاهرة ، فركب الضرغام في إثره فلحقه عند باب النصر ؛ فقاتله طي بن شاور ، فقتل طي ، وأسر أخوه الكامل ؛ ومضى شاور إلى الشام . وذلك في صبيحة يوم الجمعة ، لثلاث بقين من شهر رمضان من السنة . فكانت وزارته ثمانية أشهر وخمسة أيام ^(١) . والله أعلم .

ذكر وزارة الضرغام بن سوار

قال : ولما توجه شاور إلى الشام عاد الضرغام إلى القصر وأرسل إلى العاضد بما كان من أمر شاور ، ومضى إلى داره بقية ليلته . وجاء إلى القصور من بكرة النهار ، فاستدعاه العاضد لدين الله ، وولاه الوزارة ، ولقبه بالملك المنصور ، واستحلف له الأمراء .

(١) « فكانت وزارته تسعة أشهر » انماط الحنفا ج ٢ ص ٢٦١ .

وأرسل علم الملك بن النحاس إلى الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى، صاحب الشام، يقبض على شاور. فأظهر نور الدين الإجابة لذلك، وباطنه بخلاف ظاهره^(١).

قال: ولما ولي الضرغام الوزارة خرج عليه الأمير على بن الخوَّاص، فظفر به الضرغام، فأشهره بالقاهرة، وصلبه. وأحضر جماعة من الأمراء إلى داره لدعوة عملها، فلما حضروا إليه قبض عليهم وقتلهم^(٢).

ذكر قدوم شاور من الشام وعوده إلى الوزارة ثانيًا وقتل الضرغام

كان قدومه في جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين وخمسمائة. وذلك أنه لما توجه إلى دمشق اجتمع بالملك العادل نور الدين محمود بن زنكى، وحسن له أن يجهز معه جيشا يفتح به مصر؛ ووصفها له ورغبه فيها، والتزم أنه يحمل خزانها^(٣) إليه يستعين بها على قتال الفرنج. فقال إليه، وجهز معه أسد الدين شيركوه بعساكر. فلما قاربوا مصر ندب إليهم الضرغام عسكريًا وقدم عليه أخاه ناصر المسلمين، فلقبهم على بلبس، فانهزم العسكر المصرى وعاد إلى القاهرة.

(١) انعاظ الحنفيا ج ٣ ص ٢٦٣.

(٢) انعاظ الحنفيا ج ٣ ص ٢٦٣.

(٣) «ويكون لنور الدين تلك دخل البلاد» في انعاظ الحنفيا ج ٣ ص ٢٦٤، وانظر أيضًا الروضتين ج ١ ص ٣٣٢.

وسار شاور والعساكر الشامية، فنزل بظاهر القاهرة في آخر الشهر، واجتمع معه خلق كثير من العربان. فعلم الضرغام أنه لا قبيل له بما ذهبه؛ فركب إلى القصر، وطاف به، وجعل ينادى العاضد، وهو يخاف أن ينزل إليه. فأرسل إليه العاضد يقول: أنج بنفسك. فخرج من القاهرة يريد مصر، ودخل شاور وشيركوه إلى القاهرة، وندب جماعة في إثر الضرغام فأدركوه عند مشهد السيدة نفيسة، فقتلوه هناك في يوم الجمعة، لليلتين بقيتا من مجدي الآخرة. وطيف برأسه القاهرة [١٠٠] على رمح، وبقيت جثته ملقاة بين الأكام ثلاثة أيام حتى أكلتها الكلاب. ودفن ما بقي منه عند بركة القيل، وعمل عليه قبة، فكانت مدة ملك الضرغام تسعة أشهر^(١).

وكان فارساً بطلاً، كريماً، عاقلاً، أدبياً، يحب العلماء ويقرّبهم؛ وله مجلس يجتمع فيه أهل العلم والأدب دون غيرهم. وكان حسن الخط. يقال إنه كان يحاكي ابن البواب^(٢) في خطه.

قال: ودخل شاور إلى العاضد لدين الله في مُستَهْل شهر رجب، فعاتبه على ما كان منه في إحضار العسكر الشامي، وحذّره عاقبة ذلك؛ فوعده أنه يصرفهم إلى بلادهم، فقبل ذلك منه، وخلع عليه خلع الوزارة.

(١) اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٦٧ - ٢٧٢، كنز الدرر ج ٧ ص ٢٦، أخبار الدول المنقطعة ص ١١٤.

(٢) هو علي بن هلال، صاحب الخط الجليل المنسوب، وعرف بابن البواب لأن أباه كان بواباً عند بني بويه - وتوفي ابن البواب سنة ٤٢٣ هـ / ١٠٣١ م - وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٤٢ رقم ٤٥٧.

« ويكتب كتابه ابن مقلة » في اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٧١.

وهو محمد بن علي بن الحسين بن مقلة، الكاتب المشهور، المتوفى سنة ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م - وفيات الأعيان ج ٥ ص ١١٣ رقم ٦٩٨.

ذكر غدر شاور بشيركوه

قال : ولما انتصب شاور في الوزارة وتم له ما أراد ، أخذ في التدبير على العسكر الشامي ، وحلف الأمراء ، وتخاذل عن شيركوه ؛ وصار يخرج إليه بوجه عليه آثار الغضب . ففهم أسد الدين شيركوه عنه ، وعلم شاور أنه لا قبل له بشيركوه ، فاستعان بالفرنج ^(١) واستدعاهم من الساحل لنصرته ، ووعدهم بالأموال . واتصل ذلك بأسد الدين فحاصر القاهرة . واتصل خبر شاور بالملك العادل نور الدين ، فكتب إلى أسد الدين وأعلمه بما بلغه من مباطنة الفرنج ، وأمره بالخروج عن الديار المصرية . فأبى ذلك وتوجه إلى بلبس ، واحتوى على بلاد الخوف ، وجعل مدينة بلبس ظهره . فاجتمعت العساكر المصرية ومن أتاهم من الفرنج ، ونازلوا أسد الدين ، وحصروه ببلبس ثلاثة أشهر ، وهو ممتنع بها لم يبرز إليهم ، فبينما هم كذلك إذ ورد الخبر على الفرنج أن نور الدين ملك حارم ^(٢) وسار إلى بانياس ، فرأسلوا شيركوه يسألونه الصلح ؛ فأجابهم إلى ذلك ؛ وخرج من مدينة بلبس ^(٣) ، فلما صار بظاهرها أشار شاور على تلك الفرنج بمهاجمته وقبضه فامتنع مرى ^(٤) ، ملك الفرنج ، وأبى إلا الوفاء بيمينه لشيركوه .

وسار أسد الدين إلى الشام ، وعاد شاور إلى القاهرة ، ومعه طائفة من الفرنج يتقوى بهم . وكان قد بذل لهم على نصرته أربعمائة ألف دينار ، وسأدهم خمس سنين .

(١) المقصود بالملك عموري الأول Amalric I ملك مملكة بيت المقدس الصليبية ١١٦٢ -

١١٧٤ م ٥٥٧ - ٥٦٩ هـ الحركة الصليبية ج ٢ ص ٦٨٤ .

(٢) حارم : حصن تجاه مدينة أنطاكية - معجم البلدان .

(٣) « في أول ذي الحجة » - انطاخ الخنفا ج ٣ ص ٢٧٧ .

(٤) المقصود عموري الأول - أمريك الأول .

وكان دُخُول شاورٍ إلى القاهرة لِسِتْ مَضِيْنٍ من ذى الحجة من السَّنة ؛ واستمرَّ بِمِصرٍ مِنْ غيرِ مُنازَعٍ ، إلى سنة اثنتين وستين وخمسمائة .

ذكر عَوْد أسد الدِّين شيركوه إلى الدِّيار المصرية بالعساكر الشامية وانفصاله

قال المؤرخ : لما انفصل أسد الدِّين شيركوه عن الدِّيار المصرية في سَنَةِ تسعٍ وخمسين ، بَقِيَ عِنْدَهُ منها أمرٌ عظيمٌ . وكان إذا خلا بِنُور الدِّين الشهيد بِرَغْبِهِ فيها . فجهَّزَهُ بالعساكر والحشود ، فسارَ من الشَّام في شهر ربيع الأوَّل سَنَةِ اثنتين وستين وخمسمائة ، فاتَّصل ذلك بِشاورٍ ، فراسَلَ الفرنج وانتصرَ بهم . فخرجَ الفرنج ووقفوا على الطَّرِيق الَّتِي يَسْلُكُهَا شيركوه إلى الدِّيار المصرية ، فعَدَلَ شيركوه عن تِلْكَ الطَّرِيق وجَعَلَهَا عن يمينه ، وسارَ حتَّى نزلَ إطفِيح ، في سادِس شهر ربيع الآخر . وعَبَرَ النِّيل إلى الجَنابِ الغربِيِّ ، ونزلَ الجيزة ، وأقامَ عليها إلى العشرين من جُمادى الأولى . واستَوَلَّى على الغربية وغيرها . فأرسلَ شاورٍ إلى الفرنج يَسْتَحْتِهم ، فاتَّوَه على الصُّعب والدُّلُول ، وقد طَمِعُوا في ملك الدِّيار المصريَّة ^(١) .

فلما تكاملوا بالقاهرة توجَّه أسد الدِّين شيركوه نحو الصُّعيد ، وسارَ شاورٍ والفرنج في آثارهم . فجمعَ أسد الدِّين الأُمراء واستَشَارَهُمْ [في] ^(٢) العبور إلى الجَنابِ الشرقيِّ والْعَوْد إلى الشَّام ، فوافقوه على ذلك ؛ فنهضَ

(١) انماط الحنفا ج ٣ ص ٢٨٢ ، الروضتين ج ١ ص ٣٦٤ ، الكامل ج ١١ ص ٣٢٤ وما

بعدها .

(٢) [إضافة للتوضيح .

شرف الدين بُزْغَش ، أحد الأمراء المماليك النورية ، وكان شجاعاً مقداماً ، وأنكر ذلك كل الإنكار ، وامتنع من الموافقة ، وقال : مَنْ خاف من الأسر أو القتل فلا يخدم الملوك ^(١) ويأكل رزقهم ، ويكون في بيته عند امرأته . وقال : والله لا نزال نقاتل إلى أن نقتل عن آخرنا أو نتنصر . فوافقه أسد الدين ، وجمع عسكره ورتبهم ، وجعل أثقاله في القلب ليكثر بها السواد ولئلا ينهبها أهل البلاد .

فبينما هم في التهيئة إذا بشاور والفرنج قد أقبلوا ، ورتبهم واقتتلوا ، فكانت الهزيمة على شاور والفرنج ^(٢) وتوالت عليهم الحملات من العسكر الشامي ، فتمادت بهم الهزيمة إلى الجيزة ، وشيركوه في آثارهم . وقُتل منهم خلقٌ وغرق كثيرٌ منهم . وأسر أسد الدين [١٠١] صاحب قيسارية ^(٣) .

ودخل شاور والفرنج إلى القاهرة ، ومَلَكَ أسد الدين البرُ الغربي بكماله ؛ وقصد الإسكندرية ليحاصرها . فلما قرب منها خرج إليه أهلها وسلموها إليه من غير مُمانعة ؛ وكان والى التغريوم ذاك نجم الدين بن مصال . فدخل شيركوه البلد ، وأقام بها أياماً قلائل ، واستتاب بها صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب ، وتركه بها ومعه ألف فارس . وتوجه هو إلى الصعيد . فاستولى عليه ، واستخرج أمواله ؛ وضام شهر رمضان بمدينة قوص .

هذا وشاور يتجهز للخروج ويرتب أحواله وأحوال الفرنج ويرمى ماتلف لهم . فلما تكامل ما يحتاج إليه قصد الإسكندرية ، فأخرج أهلها

(١) « الكرك » في الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح من الروضتين ج ١ ص ٣٦٥ .

(٢) « وكانت هذه الواقعة في موضع يعرف بالباين بالقرب من الأشمونين ، في يوم السبت الخامس والعشرين من جمادى الآخرة » — انماط الحفا ج ٣ ص ٢٨٤ .

(٣) هو هيو Hugues — أخبار الدول المنقطعة ص ١١٥ .

الأموال وأنفقوها ، واستعدوا للحصار ؛ فكان في جملة ما أخرجوه للحصار أربعة وعشرون ألف قوس زنبورك وما يناسب ذلك من الآلات .

وسار شاور ومضى ملك الفرنج ، فنازلوا الإسكندرية . فلما رأوا شدة أهلها واجتماعهم على الحصار ، تقدم شاور إليهم وقال : سلموا إلى صلاح الدين ومن معه وأضع عنكم المكوس ، وأعطيكم الأمان . فامتنعوا وقالوا : معاذ الله أن نسلم المسلمين إلى الفرنج والإسماعيلية . فعند ذلك وقع الحصار واشتد على أهل الإسكندرية إلى أن قلت الأقوات .

وبلغ ذلك أسد الدين فسار من الصعيد وجد في السير إلى الإسكندرية ، وكان شاور قد أفسد التركمان الذين مع أسد الدين فصاروا معه ؛ واجتمع لشيركوه طائفة كبيرة من العربان ، فلما علم شاور بقربه خافه ورأسله في طلب الصلح ، وبذل له خمسين ألف دينار ، سوى ما أخذه من خراج البلاد ، على أن يفارق الديار المصرية . فأجاب أسد الدين إلى ذلك^(١) ، وشرط عليهم أن يرجع هو إلى الشام ويرجع الفرنج إلى بلادهم . فاستقرت هذه القاعدة ، وحلف الفرنج عليها .

ففتحت الإسكندرية عند ذلك ، وخرج صلاح الدين يوسف إلى مري ملك الفرنج وجلس إلى جانبه . فدخل شاور عليها ، فقال لمري : سلمت إلى وأعطيك في كل سنة خمسين ألف دينار . فقال مري : نحن إذا حلفنا

(١) « وأرسل شيركوه إلى صلاح الدين يأمره بتقرير الصلح ، ورحل عن مصر إلى الشام » في اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٨٥ .

كما ورد « فصالحوا الملك الناصر على أن يسلم إليهم أسد الدين صاحب قيسارية » في أخبار الدول المنقطعة ص ١١٥ .

وهذا يدل على أن الصلح تم أولا مع صلاح الدين في الإسكندرية .

لا تَغْدِرْ ؛ وَوَبَّخَهُ . وَكَانَ أَسَدُ الدِّينِ قَدْ شَرَطَ عَلَى شَاوَرٍ أَنْ الْفَرَنْجَ
يَرْحَلُونَ وَلَا يَلْتَمِسُونَ مِنَ الْبِلَادِ دِرْهَمًا وَلَا ضَيْعَةً وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ .

قَالَ : وَارْتَحَلَ أَسَدُ الدِّينِ ، وَدَخَلَ مِصْرَ بِرِضَاءِ أَهْلِهَا ، وَسَارَ إِلَى
بَلْبِيسَ . وَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ أَخِيهِ يَوْسُفَ أَنْ يَتَوَجَّهُ فِي الْمَرَاكِبِ إِلَى عَمَّا ، هُوَ
وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْعَسْكَرِ ، وَمَا مَعَهُ مِنَ الْأَنْتِقَالِ ؛ فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَرَكِبَ مِنْ عَمَّا
إِلَى دِمَشْقَ .

هَكَذَا حَكَمَى ابْنُ جَلْبٍ رَاغِبٌ فِي تَارِيخِهِ . قَالَ : وَارْتَحَلَ أَسَدُ الدِّينِ مِنْ
بَلْبِيسَ فِي نِصْفِ شَوَّالٍ ، وَدَخَلَ شَاوَرٌ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا وَعَادَ
إِلَى الْقَاهِرَةِ ، فَدَخَلَهَا فِي مُسْتَهْلَ ذِي الْقَعْدَةِ ، وَتَلَقَّاهُ الْعَاضِدُ لَدَيْنَ اللَّهِ .

وَأَمَّا الْفَرَنْجُ ، فَاسْتَقَرَّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ شَاوَرٍ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ شِخْنَةٌ ^(١) بِالْقَاهِرَةِ
وَتَكُونَ أَبْوَابُهَا بِيَدِ فَرَسَانِهِمْ ، وَيَكُونَ لَهُمْ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِائَةُ أَلْفِ دِينَارٍ .

وَفِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ خَرَجَ يَحْيَى بْنُ الْخِطَّاطِ عَلَى شَاوَرٍ
وَطَلَّبَ الْوِزَارَةَ ؛ فَتَدَبَّرَ شَاوَرٌ عَسْكَرًا لِحَرْبِهِ ، فَانْهَزَمَ وَمَضَى إِلَى بِلَادِ
الْفَرَنْجِ ^(٢) .

(١) شحنة : مصطلح يقصد به ما يوضع في البلد من رجال الأمن لضبطها وحمايتها — القاموس .

(٢) "تعاظ الحنفيا" ج ٣ ص ٢٩٠

ذكر وصول الفرنج إلى القاهرة وحصارها وحريق مصر

قال المؤرخ : وفي سنة أربع وستين وخمسمائة عيَّاد الفرنج إلى القاهرة . وذلك أنهم لما توجهوا في سنة اثنتين وستين رتبوا في القاهرة جماعة من أبطالهم وشجعانهم وفرسانهم ليحموها من عسكر يأتى إليها من الشام ؛ فلما رأوا خلوا مصر من الأجناد راسلوا ملكهم مرى واستدعوه ، وكان من الشجاعة والمكر على أمر عظيم . فامتنع وقال : الرأى ألا نقصدها فإنها طعمة لنا ، وأموالها تحمل إلينا نتقوى بها على قتال نور الدين ؛ وإن قصدناها حمل أصحابها الخوف على تسليمها لنور الدين ، وإن أخذها وجعل فيها مثل أسد الدين شيركوه فهو هلاك الفرنج وخروجهم من الشام . فلم يقبلوا رأيه ، وقالوا : ما يصل عسكر نور الدين إلينا إلا وقد ملكناها . وغلبوا على رأيه .

فتجهز الفرنج وساروا حتى وصلوا إلى مدينة بلبس ونازلوها ؛ فوقع الإرجاف بمصر ؛ وشرع شاور في إنشاء حصن على مصر واستعمل فيه الناس ، فلم يبق أحد إلا وعمل فيه ؛ وحفر خندقا . وملك الفرنج بلبس عنوة وسبوا وقتلوا خلقا كثيرا^(١) . وكان معهم بعض الأمراء المصريين بمن هرب من شاور ، منهم يحيى بن الخياط .

ثم ساروا [١٠٢] إلى القاهرة وأحاطوا بها ، وذلك في العاشر من صفر ، فخاف أهلها إن أهملوا القتال أن يحل بهم ما حل بأهل بلبس ، فجدوا في القتال والاحتراز .

(١) أخبار الدول المنقطعة ص ١١٥ ، اتعاظ الحنفاء ج ٣ ص ٢٩٣ .

قال : ولما قُرب الفرنج من القاهرة أمر شاوَر بنهب مصر وإحراقها ، فأحرقت في تاسع صفر ، ونهبت ؛ وأمر أهلها بالانتقال إلى القاهرة ، فانتقل بعضهم ، وتحصن البعض بالجزيرة ، وتوجه آخرون في المراكب إلى نغرى الإسكندرية ودمياط ، وطائفة إلى الوجه القبلي ؛ وتفرقوا وذهبت أموالهم . كل ذلك قبل نزول الفرنج على القاهرة بيوم .

قال : وبقيت النار تعمل فيها أربعة وخمسين يوماً ؛ إلى حادى عشر شهر ربيع الآخر .

قال : ولما علم العاضد لدين الله عجز أهل القاهرة عن مقاومة الفرنج أرسل إلى الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى يستغيث به ، وسير إليه شعور نسائه في طي الكتب .

وقيل إن شاوَرًا أرسل إلى نور الدين أيضًا .

وأرسل شاوَر إلى مرى ملك الفرنج يذكره بسابق الصعبة والعُهود القديمة ، وقرّر أن يحمل إليه ألف ألف دينار ؛ فأجاب مرى إلى ذلك وقال لأصحابه : نأخذ المال ونتقوى به ونمضى ثم نرجع فلا نبالي بعد ذلك بنور الدين . فاستوثق شاوَر منه بالأيمان وعجل له مائة ألف دينار ، ومأطله بالبيعة ؛ وشرع يجمع له من أهل القاهرة المال ، فلم يحصل له من جهتهم غير خمسة آلاف دينار ليضعفهم .

هذا والرسل تتابع إلى الملك العادل وتستغيثون به . وقرّر له ثلث الديار المصرية .

قال : ولما وصلت الكتب إليه طلب أسد الدين شيركوه من جمص ، فسار منها إلى حلب في ليلة واحدة ، فجهّزه نور الدين وأعطاه مائتي ألف دينار سوى الثياب والسلاح وغير ذلك . فاختر أسد الدين من العسكر ألفى فارس من الأقوياء ، وستة آلاف من بقية العسكر . وأنفق نور

الدين لكل فارس عشرين ديناراً . ثم سار شيركوه ، فكان خروجه من دمشق في منتصف شهر ربيع الأول ؛ وأرذفه نور الدين بجماعة من الأمراء ، منهم مملوكه عز الدين جردك ، وشرف الدين بزهش وعين الدولة الياروقى ، وناصح الدين خمارتكين ، وقطب الدين بنال بن حسان المنبجى ، وغيرهم ^(١) . والله أعلم .

ذكر قدوم أسد الدين شيركوه إلى الديار المصرية ورحيل الفرنج عنها

قال : وقدم أسد الدين شيركوه بالعساكر ، فكان وصوله إلى مصر في يوم الثلاثاء لليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين وخمسمائة . ولما بلغ الفرنج قربه عادوا عن القاهرة إلى بلادهم ، وكان رجوعهم في يوم السبت ثالث شهر ربيع الآخر ، ومعهم من الأسرى اثنا عشر ألف نفس . ودخل أسد الدين القاهرة في سابع شهر ربيع الآخر ، وخرج إليه العاضد لدين الله وتلقاه . وحضر يوم الجمعة التاسع من الشهر إلى الإيوان وجلس إلى جانب العاضد ، وخلع عليه ؛ وفرح الناس بقدومه . وعاد أهل مصر إليها ، وشرعوا في إطفاء النيران وإصلاح ما تشعث . وكانت سقوف جامع عمرو بن العاص بمصر قد احترقت فجدده الملك الناصر صلاح الدين يوسف .

قال : وأمر العاضد أسد الدين بالنزول على شاطئ النيل بالمقس ، ورتب له شاور ولين معه الإقامات الوافرة ، وأظهر له ودًا كبيرًا ، وصار يتردد إليه في كل يوم . فطلب أسد الدين من شاور ما لا يتفق في عسكره . فمطله

(١) انظر الكامل ج ١١ ص ٣٣٨ ، اتعاظ الخفا ج ٣ ص ٢٩٤ .

فسير إليه شيركوه الفقيه عيسى الهكاري يطالبه بالنفقة ويقول له : إن العسكر قد طال مقامهم وطالبوا بالنفقة وتغيرت قلوبهم عليك ، وإني أخشى عليك منهم . فلم يكثر شاور بذلك ، وشرع في المعاطلة فيما كان قرره لنور الدين .

وعزم شاور على أن يصنع دعوة ويحضر أسد الدين وجماعة الأمراء الذين معه إلى داره ، ويقبض عليهم ، ويستخدم من معه من الجند فيمتنع بهم من الفرنج . فنهاه عن ذلك ولده الكامل ، وحلف أنه إن صمم على هذا الأمر عرف به شيركوه . فقال له أبوه : والله إن لم تفعل هذا قتلنا عن آخرنا . فقال الكامل لأبيه : صدقت ، ولأن نقتل ونحن مسلمون خير من أن نقتل وقد ملكها الفرنج ، فإنه ليس بينك وبين [عود]^(١) الفرنج إلا أن يسمعو أن أسد الدين قد قبض عليه ، وحينئذ لو مشى العاضد إلى نور الدين ما أغاثه ، ويملكون البلاد . فترك ما عزم عليه^(٢) . واتصل ذلك بالعاضد فأعلم شيركوه .

[١٠٣] ذكر مقتل شاور

كان مقتله في يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر من السنة .

وذلك أن الأمراء التورية لما رأوا معاطلته بالنفقة وبلغهم أنه قد عمل على القبض عليهم اتفق صلاح الدين يوسف وعز الدين جرديك ، وغيرهما ، على قتله وأعلموا أسد الدين بذلك ؛ فنهاهم عنه . واتفق أن شيركوه خرج لزيارة قبر الإمام الشافعي هذا اليوم ، وحضر شاور له على عادته . فقيل إنه توجه للزيارة ؛ فقال : نتوجه إليه . فتوجه معه يوسف

(١) [إضافة للتوضيح من انعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣٠٠ ، الكامل ج ١١ ص ٣٣٩ .

(٢) انظر انعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣٠٠ ، الكامل ج ١١ ص ٣٣٩ .

وَجُرْدَكَ وَهَما يُسَايرانه ، فَأَنْزَلَاهُ عَنْ فَرَسِهِ ، وَكَتَفَاهُ ، فَهَرَبَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ . فَجَعَلَاهُ فِي خَيْمَةٍ ، وَأَحَاطَ بِهَا جَمَاعَةٌ وَلَمْ يُمْكِنْهُمْ قَتْلُهُ بِغَيْرِ أَمْرِ أَسَدِ الدِّينِ ^(١) . فَحَضَرَ مِنَ الْقَصْرِ جَمَاعَةٌ مِنْ قِبَلِ الْعَاضِدِ ، يَسْتَحِثُّ عَلَى قَتْلِهِ ، وَحَضَرَ أَسَدُ الدِّينِ إِلَى الْمَخِيْمِ وَرُسُلُ الْعَاضِدِ تَتَوَاتَرُ لِأَسَدِ الدِّينِ بِأَمْرِهِ بِقَتْلِهِ . فَقُتِلَ ، وَأُرْسِلَ رَأْسُهُ إِلَى الْعَاضِدِ عَلَى ^(٢) رُمَحٍ .

وَمَضَى أَوْلَادُهُ إِلَى الْقُصُورِ وَاسْتَجَارُوا بِالْعَاضِدِ ، فَقُتِلُوا بَعْدَ الْعُقُوبَةِ الشَّدِيدَةِ ، فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ لِأَرْبَعِ خَلَوْنَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى مِنْهَا . وَهُمْ : الْكَامِلُ ، وَالْمَعْظَمُ ، وَرُكْنُ الْإِسْلَامِ . وَتَأَسَّفَ شِيرَكُوهُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الْكَامِلِ لِأَنَّهُ بَلَغَهُ مَا جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ .

قَالَ : وَلَمَّا قُتِلَ شَاوَرُ اسْتَدْعَى الْعَاضِدُ أَسَدَ الدِّينِ شِيرَكُوهُ ، فَدَخَلَ إِلَى الْقَاهِرَةِ فِي السَّاعَةِ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا شَاوَرُ ، فَرَأَى الْعَوَامَ وَقَدْ اجْتَمَعُوا ، فَهَالَهَ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ مَوْلَانَا الْعَاضِدَ لَدَيْنَ اللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَمْرِهِمْ أَنْ تَنْهَبُوا دُورَ شَاوَرٍ . فَتَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْهُ ، وَنَهَبُوهَا . وَدَخَلَ شِيرَكُوهُ إِلَى الْقَصْرِ ، فَتَلَقَّاهُ الْعَاضِدُ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَ الْوِزَارَةِ ، وَلَقَّبَهُ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ أَمِيرَ الْجَيْوشِ ^(٣) . وَلَمْ تَطُلْ مَدَّتُهُ فِي الْوِزَارَةِ حَتَّى تُوفِيَ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ خَمْسَةِ وَسْتَيْنَ يَوْمًا ؛ وَقَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ صَلَاحُ الدِّينِ يَوْسُفَ ، عَلَى مَا نَذَرَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ الْأَيُّوبِيَّةِ .

(١) « نور الدين » في الأصل ، والتصحيح من الكامل ج ١١ ص ٣٤٠

(٢) انظر انعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣٠١ .

(٣) انظر نص المنشور وما كتبه عليه العاضد بخطه في صبح الأعشى ج ٩ ص ٤٠٦ ، انعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣٠٢ ، الروضتين ج ١ ص ٤٠٢ ، مفرج الكروب ج ١ ص ١٦٥ .

ذكر انقراض الدولة العبيديّة والخطبة للمستضىء بنور الله العباسي

كان انقراض هذه الدولة عند خلع العاضد لدين الله ، وذلك في يوم الجمعة لسبع مضين من المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة .

وكان سبب ذلك أن صلاح الدين يوسف لما ثبتت قدمه في ملك الديار المصرية واستمال الناس بالأموال قتل مؤقن الخلافة جوهرًا ، زمام القصور ، ونصب مكانه قراقوش الأسدي الخصى خادم عمه ، ثم كانت وقعة السودان فأفناهم بالقتل ، على ما نذكره إن شاء الله مستوفى في أخباره . ثم أسقط من الأذان قولهم : « حي على خير العمل » ؛ وأبطل مجلس الدعوة ؛ وضعف أمر العاضد معه إلى الغاية فعند ذلك كتب الملك العادل نور الدين إلى الملك الناصر صلاح الدين يأمره بالقبض على العاضد وأقاربه ، والخطبة للخليفة المستضىء بنور الله^(١) ، وكان المستضىء قد راسله في ذلك . فامتنع صلاح الدين ، وكره إزالة هذه الدولة . فكتب إلى الملك العادل يعتذر ، وقال : إن فعلنا هذا الأمر لآثام من قيام أهل مصر علينا لميلهم إلى هذه الدولة . وكان قصد صلاح الدين أن يتفوى بالعاضد على نور الدين إن هو أراد الدخول إلى الديار المصرية^(٢) .

فلما ورد جوابه على نور الدين بالاعتذار انزعج لذلك ، ورادف رسله إليه يأمره بخلع العاضد والقبض عليه^(٣) .

(١) هو أبو محمد الحسن المستضىء بنور الله . ولى الخلافة العباسية في بغداد في الفترة من ٥٦٦ - ٥٧٥ هـ / ١١٧٠ - ١١٨٠ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٣ .

(٢) انظر الكامل ج ١١ ص ٣٦٨ .

(٣) انظر الروضتين ج ١ ص ٤٩٣ .

فاستدعى الملك الناصر الأمراء واستشارهم في ذلك ، فمِنْهُمْ مَنْ
حذَّره ، ومنهم مَنْ هَوَّنَه عليه . فأحضر الفقيه اليَسع بن يحيى بن اليسع ،
وعرَّفَه الحال . فلَمَّا كان في هذه الجمعة صعد إلى المنبر بجامع مصر قبل
طُلُوع الخطيب ، ودَعَا للمستضى بنور الله ؛ فلم يُنكر عليه أحدٌ . فلَمَّا
كان في الجمعة الثانية أمر الملك الناصر الخطباء بمصر والقاهرة أن يخطبوا
للمستضى بنور الله أبى محمد الحسن ، بن المستنجد بالله العباسى ؛
فخطبوا له .

ثم توفى العاضد لدين الله إثر هذا الخلع ، في يوم عاشوراء من السنة ،
بعد ثلاثة أيام من خلعه . وكان ضعيفاً لما قُطعت خطيبته ، فقال صلاح
الدين : لا تُعَلِّمُوهُ ، فإن عوفى أَعْلَمَنَاهُ ، وإن توفى فلا نفجعه بهذه
الحادثة .

وقال [١٠٤] بعض المؤرخين : إن صلاح الدين لما قطع خطيبته دخل
عليه وقبض عليه واعتقله . فلَمَّا رأى ذلك كان في ذخيرته فص في خاتم ،
فمَضَّه ، فمات لَوَقْتَه . فكان صلاح الدين يقول : ندمت [على] كَوْنِي
دخلتُ على العاضد وفعلتُ به ما فعلتُ ، وكان أجله قد قُرِب .
ولَمَّا مات جلس الملك الناصر للغزاء به . فكانت مدة ولايته إحدى
عشرة سنة وخمسة أشهر وتسعة عشر يوماً ، ومولده في يوم الثلاثاء لعشر
بقيين من المحرم سنة ست وأربعين وخمسمائة ؛ فصره على هذا إحدى
وعشرون سنة إلا أحد عشر يوماً .

وكان له من الأولاد ثلاثة عشر وهم على ؛ وموسى ؛ وعبد الكريم ؛
وأبو الحجاج يوسف ؛ وأبو الفتوح ؛ وإبراهيم ؛ وجعفر ؛ ويحيى ؛ وعبد
القوى ؛ وعبد الصمد ؛ وأبو البشر ؛ وعيسى . فاعتقلهم الملك الناصر
بأجمعهم ، واستمرُّوا في الاعتقال إلى سنة اثنتين وستمائة ، فكان من
أمرهم ما نذكره في أخبار الدولة الأيوبية .

وَوَزَّرَ لَهُ مَنْ ذَكَرْنَا أَخْبَارَهُمْ ، وَهُمْ : الصَّالِح أَبُو الْغَارَاتِ طَلَانِيعُ بْنُ رُزَيْكٍ ؛ ثُمَّ وَلَدَهُ الْعَادِلُ رُزَيْكٌ ، ثُمَّ شَاوَرٌ ؛ ثُمَّ الضَّرْغَامُ ؛ ثُمَّ عَادَ شَاوَرٌ ؛ ثُمَّ أَسَدُ الدِّينِ شِيرَكُوهُ ؛ ثُمَّ الْمَلِكُ النَّاصِرُ صَلَاحُ الدِّينِ يَوْسُفُ .

قَضَاتُهُ : أَبُو الْقَاسِمِ هَبَةُ اللَّهِ بْنِ كَامِلٍ ؛ وَأَبُو الْفَتْحِ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ الْقَوَى ؛ ثُمَّ الْأَعَزُّ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ سَلَامَةَ ؛ ثُمَّ أَعْيَدَ عَبْدِ الْجَبَّارِ ؛ ثُمَّ أَعْيَدَ ابْنُ كَامِلٍ ، ثُمَّ صَرَفَ عَلَى أَيَّامِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ بِالْقَاضِي صَدْرِ الدِّينِ أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ دَرِيَّاسٍ ^(١) .

وَكَانَ الْعَاضِدُ شَدِيدَ التَّشْيَعِ مُتَغَالِيًّا فِي سَبِّ الصَّحَابَةِ ، رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ . إِذَا رَأَى سُنِّيًّا اسْتَحَلَّ دَمَهُ .

جَامِعُ أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ الْعُبَيْدِيَّةِ وَمَدَّتْهَا وَمَنْ مَلَكَ مِنْ مَلُوكِهَا

كَانَتْ مَدَّةُ تَغْلِبِ مَلُوكِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ عَلَى الْبِلَادِ مِنْذُ أَخْرَجَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْعِيُّ عُيَيْدُ اللَّهِ ، الْمَنْعُوتُ بِالْمُهْدِيِّ ، مِنْ سِجِلْمَاسَةَ ، مِنْ سِجْنِ الْيُسْعِ ابْنِ مَدْرَارٍ إِلَى أَنْ مَاتَ الْعَاضِدُ هَذَا مَائَتِي سَنَةٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً وَشَهْرًا ^(٢) . مِنْهَا بِلَادُ الْغَرْبِ ، مِنْذُ دَخَلَ عُيَيْدُ اللَّهِ الْمُهْدِيُّ رَقَادَهُ إِلَى أَنْ وَصَلَ الْمَعَزُّ لِدِينِ اللَّهِ إِلَى الْقَاهِرَةِ أَرْبَعٌ وَسِتُّونَ سَنَةً وَعِشْرَةَ أَشْهُرَ وَخَمْسَةَ وَعِشْرُونَ

(١) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ١١٦ - ١١٧ .

(٢) « مائتين وتسعة وستين سنة وثمانية أشهر وأحد وعشرين يوما » - أخبار الدول المنقطعة ص ١١٧ .

يوماً^(١). وباقى هذه المدة بمصر والشام ، إلى أن انقطعت دعوتهم .
 بخروج عسقلان عن يد المسلمين واستيلاء الفرنج عليها ، في جمادى
 الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، في أيام الظاهر بأعداء الله في وزارة
 عباس بن يحيى بن تميم .

وعدة من ملك منهم أربعة عشر ملكاً تسعوا كلهم بالخلافة ؛ وهم : عبد
 الله المنعوت بالمهدي ؛ ثم ابنه القائم بأمر الله أبو القاسم محمد ؛ ثم ابنه
 المنصور بنصر الله أبو الظاهر إسماعيل ؛ ثم ابنه المعز لدين الله أبو تميم
 معد ، وهو أول من ملك الديار المصرية والبلاد الشامية منهم ، وإليه تنسب
 القاهرة المعزية ؛ ثم ابنه العزيز بالله أبو المنصور نزار ؛ ثم ابنه الحاكم بأمر
 الله أبو علي المنصور ؛ ثم ابنه الظاهر لإعزاز دين الله أبو هاشم ، وقيل أبو
 الحسن ، علي ؛ ثم ابنه المستنصر بالله أبو تميم معد ؛ ثم ابنه المستعلي بالله
 أبو القاسم أحمد ؛ ثم ابنه الأمر بأحكام الله أبو علي المنصور ؛ ثم ابن عمه
 الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد بن محمد بن المستنصر بالله ؛ ثم
 ابنه الظاهر بأعداء الله أبو المنصور إسماعيل بن الحافظ ؛ ثم ابنه الفائز
 بنصر الله أبو القاسم عيسى بن الظاهر ؛ ثم ابن عمه العاضد لدين الله أبو
 محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ لدين الله عبد المجيد بن محمد بن
 المستنصر ؛ وعليه انقرضت دولتهم ، وانتهت أيامهم ، وباد ملكهم ، فلم
 يَعد إلى وقتنا هذا .

قال المؤرخ : ولما خلع العاضد ومات واعتقل الملك الناصر صلاح
 الدين يوسف أولاده بالقصور مر القاضى الأرشد عمارة اليمنى الشاعر
 بالقصور ، وهى مغلقة الأبواب ، مهجورة الجناوب ، خاوية على عروشها ،
 خالية من أنيسها ؛ فأنشأ قصيدته المشهورة التى رثى بها القصور وأهلها ،

(١) « خمسة وستون سنة وأربعة أشهر ونصف » — أخبار الدول المنقطعة ص ١١٧ .

وهي من عيون المرائي [١٠٥] وأولها (١) :
 رميت يادهر كُفَّ المجد بالشُّلَّ
 وجيده بعد حُسْنِ الحُلَى (٢) بالعطل
 سعت في منهج الرأى العشور، فإن
 قَدَرْتُ من عثرات الدهر (٣) فاستقل
 هَدَمْتُ قاعدة المعروف (٤) عن عَجَل
 سَقَيْتُ مُهَلًّا، أما تَمَشَى على مَهَلٍ !
 لَهْفِي وَلَهْفَ بنى الآمال قاطبةً
 على فَجِيعَتِنَا (٥) في أكرمِ الدُّولِ
 قَدِمْتُ مِصرَ فأولتني خلائفُها
 من المكارم ما أُرْبَى على الأمل
 قَوْمٌ عَرَفْتُ بهم كُسْبَ الأُلُوفِ ومن
 جالها (٦) أنها جاءت ولمْ أَسَلْ
 منها :

ياعاذل في هوى أبناءِ فاطمة
 لك الملامةُ إن قَصُرَتْ في عَذَلِي

(١) انظر هذه القصيدة في : الروضتين ج ١ ص ٥٧٠ - ٥٧١ ، مفرج الكروب ج ١ ص ٢١٢ - ٢١٦ ، صبح الأعشى ج ٣ ص ٥٢٦ - ٥٢٨ ، اتعاط الحنفا ج ٣ ص ٣٣٢ - ٣٣٤ .

(٢) « بعد حلَى الحسن » في الروضتين .

(٣) « من عثرات البغي » في الروضتين .

(٤) « قواعد المعروف » في الأصل ، والتصحيح من الروضتين واتعاط الحنفا .

(٥) « على فجيعتها » في مفرج الكروب .

(٦) « كما لها » في المصادر الأخرى .

بالله زُرْسَاحَةَ الْقَضْرَيْنِ ، وَأَبِيكَ مَعِيَ
 عَلَيْهَا ، لَا عَلَى صَفِينٍ وَالْجَمَلِ
 وَقُلْ لِأَهْلِيهَا : وَالله مَا التَّحَمَّتْ
 فَيْكُمْ جِرَاحِي ، وَلَا قِرْجِي بِمَنْدَمِلٍ ^(١)
 مَاذَا تُرَى ^(٢) كَانَتْ الْإِفْرَنْجُ فَاعِلَةٌ
 فِي نَسْلِ آلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى
 هَلْ كَانَ فِي الْأَمْرِ شَيْءٌ غَيْرَ قِسْمَةٍ مَا
 مَلَكْتُمْ بَيْنَ حُكْمِ السُّبْنِيِّ وَالنُّفْلِ
 وَقَدْ حَصَلْتُمْ عَلَيْهَا وَاسْمُ جَدِّكُمْ
 مُحَمَّدٌ ، وَأَبْيَكُمْ غَيْرُ مُنْتَقِلٍ
 مَرَرْتُ بِالْقَضْرِ ، وَالْأَبْوَابُ خَالِيَةٌ
 مِنَ الْوُفُودِ ، وَكَانَتْ قِبْلَةُ الْقَبْلِ
 فَمِلْتُ بِوَجْهِي خَوْفَ مُنْتَقِدٍ
 مِنَ الْأَعَادِي ، وَوَجْهَ السُّودِ لَمْ يَمِلْ
 أَسَلْتُ مِنْ أَسْفَى ^(٣) دَمْعِي غَدَاةً خَلَّتْ
 رَحَابَكُمْ ، وَغَدَتْ مَهْجُورَةَ السُّبُلِ
 أَبْكِي عَلَى مَا تُرَاتِ ^(٤) مِنْ مَكَارِمِكُمْ
 حَالِ الزَّمَانِ عَلَيْهَا ، وَهِيَ لَمْ تُحَلْ

(١) « فَيْكُمْ قِرْجِي وَلَا جِرْجِي مَنْدَمِل » فِي الرُّوضَتَيْنِ ، « فَيْكُمْ جِرْجِي وَلَا قِرْجِي

بِمَنْدَمِل » فِي مَفْرَجِ الْكَرُوبِ وَصَبَحَ الْأَعْشَى .

(٢) « مَاذَا عَسَى » فِي اتِّعَاطِ الْخُفَا .

(٣) « أَسَلْتُ مِنْ أَسْفَى » فِي الْمَصَادِرِ الْآخَرَى .

(٤) « أَبْكِي عَلَى مَا بَدَأَ لِي » وَالتَّصْحِيحُ مِنَ الْمَصَادِرِ الْآخَرَى .

وهي قصيدة مشهورة مطوّلة .
ولما انقرضت هذه الدّولة قامت الدّولة الأيوبية على ما ذكره إن شاء
الله تعالى في أخبار ملوكها والله أعلم .

ذكر أخبار الدولة الأيوبية

وهي دولة السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وأولاده ، ودولة أخيه الملك العادل سيف الدين أبو بكر وأولاده ، رحمهم الله تعالى .

ولنبداً بذكر نسب نجم الدين أيوب والد ملوك الدولة الأيوبية وابتداء حاله وحال أخيه أسد الدين ، وكيف تنقلت بهم الحال إلى أن ملك أسد الدين شيركوه الديار المصرية ، وكيف انتقل الملك من بعده إلى ابن أخيه الملك الناصر صلاح الدين يوسف . ثم نذكر أخبار من ملك من أولاده وأخيه الملك العادل وأولاده في حروبهم وسلمهم إلى حين انقراض دولتهم . وبالله التوفيق

ذكر نسب الملك الأفضل نجم الدين

هو [أبو] ^(١) سعيد أيوب بن شادى بن مروان . هذا هو المقطوع به الذى لا نزاع فيه ، ولا خلاف بين أحد من المؤرخين ونقله أخبارهم .

وقال الملك الأحمجد مجد الدين أبو محمد الحسن ، ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين أبي المفاخر داود ، ابن السلطان الملك المعظم شرف الدين أبي المظفر عيسى ، ابن السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد ، ابن الملك الأفضل نجم الدين أبي سعيد أيوب ، رحمهم الله تعالى ، فى كتابه المترجم بالفوائد الجلية فى الفرائد الناصرية : سمعت من يقول : مروان بن محمد ؛ وقال بعض الناس محمد بن يعقوب .

(١) [] إضافة تتفق مع ما يلى .

وانظر ترجمته فى : الروضتين ج ١ ص ٥٣٣ وما بعدها ، وورد « أبو الإشكر »

فى وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٥٥ رقم ١٠٧ .

وقال شهاب الدين أبو شامة عبد الرحمن في كتابه المترجم بالروضتين
في أخبار الدولتين سمعت من يقول : مروان بن يعقوب (١).

وقال [١٠٦] الملك الأمجد : وقد اختلف في نسبهم على ثلاثة أقوال :
القول الأول : ما قاله عز الدين علي بن الأثير الجزري المؤرخ أن
نجم الدين أيوب من بلد دوين (٢) من أذربيجان ، وأصله من الأكراد
الروادية : وهذا القبيل هم أشرف الأكراد (٣).

قال الملك الأمجد : وهذا شيء يجري على السنة كثير من الناس ، ولم
أر أحدا ممن أدركه من مشايخ بيتنا يعترف بهذا النسب ، لكنهم لا ينكرون
أن نجم الدين كان بدوين .

قال : والمشهور عند بيتنا أن جدنا نزل على الأكراد وتزوج منهم ،
فصارت بيننا وبينهم خؤولة لا غير . ويدل على ذلك أن السلطان الملك
الناصر صلاح الدين يوسف لما ملك البلاد تقدم في دولته جماعة من
الأكراد ، فلم يبق أحد منهم إلا جاء بنوعه وأقاربه ، حتى صار في عصبية
من أهله : والسلطان رحمه الله لم يأت إليه من يمت بقرابة إلا من جهة
النساء فقط : ولو كان من الروادية لكان جميع القبيلة أولاد عمه وإن لم
يكن له ابن عم قريب فيكون ابن عم بعيد قطعاً لأن القبيلة كلها أولاد
رجل واحد . ولا شك أن الدواعي تتوفر على الانتفاء إلى الملك ما لا تتوفر
على الانتفاء إلى الأمراء .

القول الثاني : أنهم من أولاد مروان بن محمد الأموي ، آخر خلفاء
الدولة الأموية .

(١) انظر الروضتين ج ١ ص ٥٣٤ .

(٢) دوين : بفتح أوله وكسر ثانيه ، وباء مثناه من تحت ساكنه وآخره نون ، بلدة من
نواحي أران في آخر حدود أذربيجان بالقرب من تفليس — معجم البلدان .

(٣) انظر الكامل ج ١١ ص ٣٤١ .

قال الملك الأحمَد : وهذا شئٌ أدعاه الملك المعز فتح الدين أبو الفداء إسماعيل بن الملك العزيز ظهير الدين أبي الفوارس سيف الإسلام طغتكين ، ابن أيوب ، باليمن ، لما ملكه بعد أبيه ، وتلقب بالإمام الهادي بنور الله المعز لدين الله أمير المؤمنين . وقال يحيى بن حميد بن أبي طي : قد نقيت عن ذلك فأجمع الجماعة من بني أيوب على أنهم لا يعرفون جداً فوق شادي^(١) .

القول الثالث : ما ذكره حسن بن عمران الجرشي فإنه جاء إلى الملك المعظم وعمل شجرةً لنسب بني أيوب ، فوصله بعل بن أحمد المرّي^(٢) ممدوح أبي الطيب المتنبى الذي يقول فيه :

شرق الجوُّ بالغبار إذا سا ر على بن أحمد القنقسام
وقال أيضا في مدحه :

إنسا بن عوف بن سعد جمرات لا تشتهيها النعام
ولم يُنكر الملك المعظم عليه ذلك بل قبل منه .

قال : وهذا سرُّ النسب الذي عمّله الجرشي ، وهو : أيوب بن شادي ابن مروان بن أبي علي .

قال الملك الأحمَد : قلت : ويحتمل أن يكون أبو علي هذا هو محمد المقدم ذكره - وأبو علي كنية له - ابن عنترة بن الحسن بن علي بن أحمد ابن أبي علي بن عبد العزيز بن هدية بن الحصين بن الحارث بن سفيان بن عمرو بن مرة بن شبة بن غيظ بن مُرة بن عوف بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ، وبقيّة النسب معروف . هذا ما قيل في نسبه . وأما ابتداء حاله :

(١) انظر الروضتين ج ١ ص ٥٣٤ - ٥٣٥ .

(٢) « علي بن محمد » في الأصل ، والتصحيح من بيت الشعر التالي ، ومن كثر الدرر ج ٧

ذكر ابتداء حال الملك الأفضل نجم الدين أيوب وأخيه أسد الدين شيركوه

قال المؤرخ : قدم نجم الدين أيوب وأخوه أسد الدين شيركوه من بلد دوين إلى العراق في خلافة المسترشد بالله^(١) ، وخدموا مجاهد الدين بهروز شحنة بغداد . فرأى من نجم الدين عقلاً ورأياً وحُسن سيرة ، وكان أَسَنُّ من أخيه أسد الدين ، فجعله مجاهد الدين دُزداراً^(٢) بقلعة تَكْرِيت^(٣) ، وكانت له ، فسار إليها ومعه أسد الدين .

وقيل بل كان نجم الدين قد خدم السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي^(٤) ، فرأى منه أمانةً وعقلاً ، وسداداً وشهامةً ، فولاه قلعة تَكْرِيت ، فقام بها أحسن قيام . فلما ولي السلطان مسعود^(٥) أقطع قلعة تَكْرِيت لمجاهد الدين بهروز ، فأقر نجم الدين في الولاية . وكان أتابك عماد الدين زنكي بن آق سنقر ، والد السلطان الشهيد نور الدين لما انهزم من قراجا الساقى في سنة ست وعشرين وخمسمائة ، كما ذكرناه^(٦) ، بلغت به الهزيمة إلى تَكْرِيت ، فقام نجم الدين بخدمته أتم قيام ، وأقام له

(١) هو أبو منصور فضل المسترشد بالله ، ولي الخلافة العباسية في بغداد في الفترة من ٥١٢ - ٥٢٩ هـ / ١١١٨ - ١١٣٥ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٣ .

(٢) « فجعله مستحفظاً » في الكامل ج ١١ ص ٣٤١ .

ودزدار : كلمة فارسية بمعنى حاكم حصن .

(٣) تَكْرِيت : بفتح التاء - بلدة مشهورة بين بغداد والموصل ، ولها قلعة حصينة غربي دجلة - معجم البلدان .

(٤) توفي سنة ٥١١ هـ / ١١١٧ م - انظر نهاية الأرب ج ٢٦ ص ٣٧٠ وما بعدها .

(٥) عن السلطان مسعود وأخباره ، انظر نهاية الأرب ج ٢٧ ص ٣٢ وما بعدها .

(٦) انظر نهاية الأرب ج ٢٧ ص ٣٤ .

السفن إلى أن عَبَر دجلة ، فكان ذلك سبب وُصْلته بالبيت الأتابكي [١٠٧] وتقدمه .

قال : ثم اتفق بين أسد الدين وبين قوارص النصرائي ، كاتب بهروز ، مشاجرة في بعض الأيام ، فكلمه النصرائي بكلمة أمضته ، فضرب عنقه بيده ، ورماه برجله ^(١) فلما اتصل الخبر ببهرز وحضر عنده من حذره من جُراة شيركوه وتمكين نجم الدين واستيخوازه على قلوب الرعايا خاف عاقبة ذلك ، وكتب بالإنكار عليه بسبب ما كان من أخيه ، وعزله . فسار نجم الدين أيوب وشيركوه إلى عماد الدين زنكي في الموصل ، فلما وصلا إليه سرَّ بها وأحسن إليهما ، فأقطعهما الإقطاعات الجليلة ، وشهدا معه حروب الكفار وقتال الفرنج .

فلما ملك زنكي قلعة بعلبك ، في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة جعل نجم الدين دُزْدَارًا بها ؛ فأقام بها إلى أن قُتل عماد الدين زنكي ، في سنة إحدى وأربعين وخمسمائة . وحاصر معين الدين أنر ، صاحب دمشق قلعة بعلبك ، حتى ضاق الأمر على نجم الدين ، فاضطر إلى تسليمها إليه ، وتعوّض عنها إقطاعًا وأملاكًا ؛ وكان عنده من الأكابر الأمراء . واتصل أسد الدين شيركوه بخدمة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ، فجعله مقدمًا على عسكره ، وجعل له حمص والرحبة وغيرها .

فلما تعلقت همة نور الدين بملك دمشق أمر أسد الدين بمكاتبة أخيه نجم الدين أيوب في ذلك ، فرأسله ، فأعان نور الدين على فتح دمشق ؛ فعظم محلها عند نور الدين . فكان نجم الدين إذا دخل عليه جلس من غير أن يؤذن له في الجلوس ، ولم تكن هذه الرتبة لغيره من سائر الأمراء . فلما كان من أمر شاور ما قدمناه وقصد نور الدين محمود أو استغاث به ،

(١) « فجرد أسد الدين سيفه وقتل النصرائي . . . وأخذ النصرائي برجله فالتقى من القلعة » في الروضتين ج ١ ص ٥٣٧ .

أرسل معه أسد الدين بالعساكر ؛ وكان من أمره في المرة الأولى ، في سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، والمرة الثانية ، في سنة اثنتين وستين ، والمرة الثالثة في سنة أربع وستين وخمسمائة [على] ما قدّمنا ذكره في أخبار الدولة العبيدية في أيام العاضد لدين الله .

ذكر وزارة الملك المنصور أسد الدين شيركوه بالديار المصرية ووفاته

كانت وزارته للعاضد لدين الله في يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين وخمسمائة .

وذلك أنه لما كان من أمر شاور ومقتله ما ذكرناه آنفا استدعى العاضد لدين الله أسد الدين شيركوه ، فدخل إلى القاهرة في الساعة التي قُتل فيها شاور ، فرأى من اجتماع العوام ما هالهُ ، فخاف على نفسه ، فقال لهم : أمير المؤمنين يأمرُكم بنهب دارِ شاور . فقصدها الناس ونهبوها ، وتفرّقوا عنه . ولما نزل أسد الدين بدارِ شاور ، وهي دار الوزارة ، لم يجد فيها ما يجلس عليه^(١) .

قال : ولما تفرق الناس للنهب دخل أسد الدين على العاضد لدين الله ، فتلّقه وخلع عليه خلع الوزارة ، ولقبه بالملك المنصور أمير الجيوش ، وكتب له تقليد الوزارة ، وكتب عليه العاضد بخطه عهداً : (عهدٌ لم يُعهد لوزير بمثله ، وتقليدٌ أمر رآك أمير المؤمنين أهلاً لحمله . والحجة عليك عند الله بما أوضحه لك من مرأشده سُبُلُه . فخذ كتاب أمير المؤمنين بقوة ، واسحب ذيل الفخار بأن اعتزرت بخدمتك من

(١) انظر ما سبق تحت عنوان ذكر مقتل شاور .

النَّبوة^(١)؛ «وَاتَّخَذَ الْفُوزَ سَبِيلًا» وَلَا تَنْقُضُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا^(٢).

وخرج من عند العاقد وركب إلى دار الوزارة وسكنها، واستقل بالأمر. واستعمل على الأعمال من يثق به من كفاة أصحابه، وأقطع البلاد لعساكره. وأرسل إلى ديوان الإنشاء بالقصر يطلب من يكتب بين يديه، فأرسل إليه متولى الديوان القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني؛ ووطن رؤساء ديوان المكاتبات أن هذا الأمر لا يتم، وأن^(٣) أسد الدين يقتل عن قريب كما قتل غيره، فأرسلوا إليه القاضي الفاضل وقالوا لعله يقتل معه. فكان من أمره ما كان.

ولم تطل مدة أسد الدين في الوزارة بل انقضت أيامه، وفاجأه حمामه، فتوفى في يوم السبت لثمان بقين من جمادى الآخرة من السنة.

واختلف في سبب وفاته، ف قيل إنه مات فجأة، وقيل بعلّة الخوانيق، وقيل بل سم. فكانت مدة وزارته خمسًا وستين يومًا^(٤)؛ وعمل عزاءه ثلاثة أيام، وحمل إلى المدينة النبوية، على ساكنها أفضل الصلاة

(١) «اعتزت خدمتك إلى بنوة النبوة» في الروضتين ج ١ ص ٤٠٢، اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣٠٢.

(٢) سورة النحل رقم ١٦ جزء من الآية رقم ٩١.
وقارن نص المنشور وما كتب عليه الضد بخطه في صبح الأعشى ج ٩ ص ٤٠٦،
اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣٠٢، الروضتين ج ١ ص ٤٠٢، مفرج الكروب ج ١
ص ١٦٥، تاريخ ابن الفرات المجلد الرابع الجزء الأول ص ٣٤ - ٤٤

(٣) «فان» في الأصل، والتصحيح يتفق مع السياق، وما ورد في الروضتين ج ١ ص ٤٠٣.

(٤) «ثلاثة وستين يومًا» في اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣٠٤.

والسَّلام ؛ ودُفِنَ هناك برباط الوزير [١٠٨] جمال الدِّين وزير
الموصل^(١).

ولما مات أسد الدِّين شيركوه استقرَّ في الوزارة بعْده الملك الناصر
صلاح الدِّين يوسف بن أيوب .

ذكر أخبار الملك الناصر صلاح الدِّين يوسف

ابن الملك الأفضل نجم الدِّين أيوب ووزارته بالديار المصرية

كانت وزارته بالديار المصرية عقب وفاة عمه الملك المنصور أسد
الدِّين شيركوه وقد تناول^(٢) جماعة من الأمراء النورية للوزارة ؛ منهم
عين الدولة الياروقي ، وقطب الدِّين قايمارز ، وسيف الدِّين المشطوب
الهكاري ، وشهاب الدِّين محمود الحارمي ، وهو خال صلاح الدِّين ؛
وخطبها كلُّ منهم لنفسه . فأشار جماعة من المصريين وخوَصَّ العاضد
لدين الله على العاضد أن يولِّي صلاح الدِّين ، وقالوا : إنه أصغر
الجماعة سناً ولا يخرج من تحت أمر أمير المؤمنين . فإذا استقرَّ وضعنا
على العساكر من يستميلهم^(٣) إلينا ، فبقي عندنا من الجند من نتقوى

(١) هو محمد بن علي بن أبي منصور ، جمال الدين أبو جعفر ، وزير الموصل ، توفي سنة

٥٥٩ هـ / ١١٦٣ م - الروضتين ج ١ ص ٣٤٣ - ٣٥٦ ، الكامل ج ١١ ص

٣٠٦ - ٣١٠ ، وفيات الأعيان ج ٥ ص ١٤٣ رقم ٧٠٤ .

(٢) « تناول » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

(٣) « تسليهم » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

به ، ثم نأخذ يوسف بعد ذلك أو نخرجه فإن أمره أسهل من غيره ، فاستدعاه العاضد لدين الله ، وخلع عليه خلع الوزارة . ولقبه بالملك الناصر^(١) ، فلم يقطع أحد من الأمراء الذين كانوا تطاولوا للوزارة ولا خدموه .

وكان الفقيه عيسى الهكاري^(٢) معه ، فسعى مع الأمير سيف الدين على بن أحمد المشطوب حتى استماله إليه ، وقال له : إن هذا الأمر لا يصل إليك مع الباروقي والحارمي وغيرهما . ثم اجتمع بالحارمي وقال له مثل ذلك ، وقال له : إن صلاح الدين ولد أختك ، وعزه وملكه لك ، وقد استقام له الأمر ، فلا تكن أول من سعى في إخراج الأمر عنه . واجتمع بالأمراء واستمالهم . فأطاعه بعضهم وعصى بعضهم .

فأما الباروقي فإنه قال : لا أخدُم يوسف أبداً ، وعاد إلى الملك العادل نور الدين هو وجماعة من الأمراء . وصار صلاح الدين نائباً عن الملك العادل نور الدين ، والخطبة لنور الدين ولا يكاتبه إلا : « بالأمير الأسفهلار^(٣) صلاح الدين وكافة الأمراء بالديار المصرية . يفعلون كذا وكذا » . ويفعل علامته في الكتب ، عظمت أن يكتب اسمه .

ولما وزر صلاح الدين ثبت قدمه ، واستمال قلوب الناس بالأموال فمالوا إليه فقوى أمره ، وضعف أمر العاضد .

(١) انظر نص منشور تعيينه صلاح الدين وزيراً في صبح الأعشى ج ١٠ ص ٩١-٩٨ ، تاريخ ابن الفرات المجلد الرابع الجزء الأول ص ٥٧-٦٣ .

(٢) هو عيسى بن محمد بن عيسى ، الهكاري ، توفي سنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م - وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٩٧ رقم ٥١٦ .

(٣) الأسفهلار : كلمة تركية مركبة بمعنى مقدم العسكر ، وصاحب هذه الوظيفة زمام كل زمام ، وإليه أمر الأجناد ، والتحدث فيهم - صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٧٩ .

ذكر مقتل مؤتمن الخلافة جوهر ، زمام القصور وانتقال وظيفته إلى قراقوش الأسدي وحرب السودان

كان مقتل مؤتمن الخلافة في يوم الأربعاء لخمسٍ بيقين من ذي القعدة ، من سنة أربعٍ وسنينٍ وخمسمائة .

وسبب ذلك أن الملك الناصر شرع في نقض^(١) إقطاع المصريين ، فاتفق هذا الخادم مع جماعة من الأمراء المصريين على مكاتبة الفرنج واستدعائهم إلى الديار المصرية ، والاعتصام بهم على صلاح الدين ومن معه ؛ وأرسل الكتب مع إنسان ، فجعلها في نعلٍ ولَبِسه ، وسار على أنه فقير رث الهيئة . فلما وصل إلى البيضاء^(٢) وجد تركماني ، فأنكر حاله إذ هورث الهيئة جديد المداس . فأخذ مداسه وفَتَقه ، فوجد الكتب فيه ، فحمله بها إلى الملك الناصر ، فوقف عليها ، وكتب الأمر ، وقرر الرجل بالعقوبة ، فأقر أن الكتب بخط رجل يهودي ، فاستحضره ، فأقر بها . ثم قتل صلاح الدين القاصد . واستنصر مؤتمن الخلافة من الملك الناصر ، فلزم القصور واحترز على نفسه ، فكان لا يخرج منها . فلما طال ذلك عليه خرج في هذا اليوم لقصر^(٣) له بالخرقانية ، فأرسل إليه الملك الناصر جماعة فقتلوه ، وأتوه برأسه ، فرتب حينئذ على أزمة

(١) « بعض » في الأصل ، والتصحيح من الروضتين جـ ١ ص ٤٥٠ ، وانظر اتعاظ الحنفا جـ ٣ ص ٣١١ .

(٢) « البئر البيضاء » في الروضتين جـ ١ ص ٤٥٠ ، اتعاظ الحنفا جـ ٣ ص ٣١٢ . وهي موضع قرب بلبس بينها وبين الخانكة على الطريق بين القاهرة وغزة — معجم البلدان .

(٣) « وخرج إلى منظره له على النيل ، بستان بناحية الخرقانية ، قريباً من قلوب » — اتعاظ الحنفا جـ ٣ ص ٣١٢ .

القصور قراقوش الخصى ، وكان من ممالك عمه أسد الدين ليطالعه بما يتجدد بالقصور .

قال : ولما قُتل مؤتمن الخلافة ثار السودان لذلك وأخذتهم الحمية ، وعظم عليهم قتله ، لأنه كان رأسهم ورئيسهم ، فحشدوا واجتمعوا ، فزادت عدتهم على خمسين ألف عبد : وكانوا أشد على الوزراء من العسكر . فندب الملك الناصر العسكر لقتالهم ، وقدم على العسكر أبا الهيجاء السمين : فالتقوا بين القصرين واقتتلوا ، فقتل من الفريقين جمع كثير . [١٠٩] فلما رأى الملك الناصر قوتهم وشدة بأسهم أرسل إلى محلته المعروفة بالمنصورة^(١) ، خارج باب زويلة ، فأحرقها : فاتصل ذلك بهم ، فضعفت نفوسهم ، فانهزموا إلى محلتهم فوجدوا النيران تضرم فيها . وأتبعهم العسكر فمنعهم من إطفائها^(٢) . ودام [القتال]^(٣) بينهم أربعة أيام ، نهاراً وليلاً ، إلى يوم السبت الثامن والعشرين من ذى القعدة : فخرجوا بأجمعهم إلى الجيزة وقد أيقنوا بالهلاك ، وخرج إليهم تورانشاه أخو الملك الناصر فقتلهم ، ولم ينج منهم إلا اليسير . وكتب الملك الناصر إلى ولاية البلاد بقتل من يجدونه منهم ، فقتلوا من عند آخرهم .

وبقى الملك الناصر يخشى من أهل القصر لما فعله بمؤتمن الخلافة جوهر ، فكان جوهر هذا سبب زوال ملك الدولة العبيدية وجوهر القائد سبب ملك المعز للبلاد : فشتان بين الجوهرين .

(١) المنصورة = الحارة المنصورة ، على بنة من ملك في الشارع خارجاً من باب زويلة ، وكانت حارة منسعة جداً فيها مساكن السودانيين ، خربها الأمير خطاب بن موسى بأمر صلاح الدين - بعد هذه الواقعة - وصيرها بسناً - المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١٩ - ٢٠ .

(٢) الطنى ، في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

(٣) [] إضافة للتوضيح .

ذكر الحوادث فى الأيام الناصرية غير الفتوحات والغزوات

لم نقدّم هذه الحوادث التى نذكرها الآن على الغزوات والفتوحات إلا أنها سابقة على ذلك فى التاريخ ، ولأننا أردنا أن نفرّد غزواته وفتوحاته ليأتى الكلام عليها سياقة يتلو بعضه بعضاً ، ولا ينقطع بغيره ، فكان ممّا نذكره :

ذكر وصول الملك الأفضل نجم الدين أيوب

والد الملك الناصر إلى الديار المصرية

كان الملك الناصر قد كتب فى طلب والده ، رحمهما الله تعالى ، فوصل بأولاده وأهله إلى القاهرة فى السابع والعشرين من شهر رجب سنة خمس وستين وخمسمائة ؛ ولما وصل تلقاه الخليفة العاضد لدين الله بظاهر باب الفتوح عند شجرة الإهليلج^(١) ، ولم تجر بمثل ذلك عادة ، فكان يوماً مشهوداً . وخلع العاضد عليه ، ولقبه الملك الأفضل ، وحمل إليه من أنواع التحف والألطف شيئاً كثيراً ؛ وأقطعه الإسكندرية ودمياط والبحيرة ، وأقطع ولده شمس الدولة ، أخا الناصر ، قوص وأسوان وعيذاب ، وكانت عبرتها يوم ذاك مائتى ألف وستة وستين ألف دينار^(٢) .

ذكر إبطال الأذان بحى على خير العمل

قال المؤرخ : ولعشر مضين من ذى الحجة سنة خمس وستين وخمسمائة أمر الملك الناصر أن يسقط من الأذان قولهم « حى على

(١) صحراء الإهليلج : شرقى الخندق فى الرمل ، وكانت تنتهى إليها عمارة الحسينية من جهة باب الفتوح ، وكان بها شجر الإهليلج الهندى فعرفت بذلك ، وهو من جملة بستان ريدان الذى يعرف بالريدانية - المواظ والاعتبار ج ٢ ص ١٣٨ .

(٢) انظر اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣١٧ ، الروضتين ج ١ ص ٤٦٥ ، النواذر السلطانية ص ٣٤ - ٣٥ .

خير العمل ، محمد وعلى خير البشر » . وكانت أول وضعة دخلت على الشيعة والدولة العبيدية ؛ ويشسوا بعدها من خير يصل إليهم من الملك الناصر . ثم أمر أن يذكر في الخطبة بكلام مجمل ، لئليس على الشيعة والعامة : اللهم أصلح العاضد لدينك ^(١) .

ذكر ما أنشأه الملك الناصر صلاح الدين بالقاهرة ومصر من المدارس والخوانق

قال المؤرخ : وفي أول سنة ست وستين وخمسمائة أمر الملك الناصر بهدم دار المعونة ^(٢) المجاورة للجامع العتيق بمصر . ودار المعونة هي المكان الذي يعتقل فيه الناس . وأمر بينائها مدرسة لطائفة الفقهاء الشافعية ، وتعرف هذه المدرسة بأبن زين التجار ^(٣) . وإنما عرفت به لأنه درس بها .

ثم عمر دار الغزل المجاورة لباب الجامع المعروف بباب الزكخته مدرسة للطائفة المالكية ^(٤) ودرس فيها ابن أبي المنصور .

وفيها اشترى تقي الدين عمر بن شاهنشاه ، ابن أخى صلاح الدين ، الدار المعروفة بمنازل العز ^(٥) بمصر ، وبنائها مدرسة للطائفة الشافعية .

(١) اتعاط الحنفا جـ ٣ ص ٣١٧ - ٣١٨ .

(٢) دار المعونة = حبس المعونة ، بالفسطاط - المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ١٨٧ .

(٣) مدرسة ابن زين التجار = المدرسة الناصرية = المدرسة الشريفة : وهي أول مدرسة أنشئت بالفسطاط - المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ٣٦٣ - ٣٦٤ .

وابن زين التجار هو أحمد بن المظفر بن الحسين ، أحد أعيان الشافعية ، توفي سنة ٥١٩ هـ / ١١٩٤ م - المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ٣٦٣ .

(٤) المدرسة القمحية بالفسطاط : بجوار الجامع العتيق (جامع عمرو بن العاص) - المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ٣٦٤ .

(٥) مدرسة منازل العز بالفسطاط : انظر المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ٣٦٤ .

وكانت هذه الدار يسكنها الأمير ناصر الدولة بن حمدان في الأيام
المستنصرية ؛ وقد تقدم ذكر ذلك .

ثم أمر الملك الناصر ببناء مدرسة الشافعي والبيمارستان ، وعمر
الخانقاه المعروفة بسعيد السعداء على ما يأتي ذكر ذلك .

وفي [هذه] ^(١) السنة أيضا أبطل الملك الناصر مجلس الدعوة من
الجامع الأزهر وغيره ، وكان [١١٠] من سنة الدولة العبيدية أن يقيموا
لهم دُعاة كالخطباء والله أعلم .

ذكر تفويض القضاء بالديار المصرية

للقاضي صدر الدين بن درباس

وفي سنة ست وستين وخمسمائة في ثامن عشر جمادى الآخرة
فوض السلطان الملك الناصر القضاء بالديار المصرية إلى القاضي صدر
الدين أبي القاسم عبد الملك بن عيسى بن درباس المارداني ، فاستمر
إلى آخر الأيام الناصرية .

وفي سنة سبع وستين وخمسمائة ، في سابع المحرم قطعت خطبة
العاقد لدين الله ، ومات في يوم عاشوراء كما قدمناه .

وفيها في الثالث عشر من جمادى الأولى كُشِفَ حاصلُ الخزائن
بالقصور ، فوجد فيها ما يزيد على مائة صندوق ، ومن الذخائر النفيسة
ما لا مزيد عليه .

وفيها في صفر أمر الملك الناصر بإبطال المكوس بالقاهرة
والأعمال عن التجار المترددين إليها وإلى ساحل المقسم صادرًا
وواردًا ، فكان مبلغ ذلك مائة ألف دينار عينا .

(١) [إضافة يقتضيها السياق .

وفيها رُسم بتحويل سنة خمس وستين الخراجية إلى سنة سبع وستين الهلالية ، وكانت قد حُوِّلَت في سنة خمسمائة في أيام الأفضل أمير الجيوش^(١) .

ذكر وفاة الملك الأفضل نجم الدين أيوب

كانت وفاته رحمه الله تعالى في يوم الثلاثاء السابع والعشرين^(٢) من ذى الحجة سنة ثمانٍ وستين وخمسمائة . وذلك أنه ركب من داره ، فلما انتهى إلى باب القصر في وسط المحجة شَبَّ به فرسه فسقط عنه ، فحُمِلَ إلى منزله ، فعاش ثمانية أيام ومات فُدْفِنَ إلى جانب قبر أخيه أسد الدين في الدَّار السلطانية ، ثم نُقِلَا إلى المدينة النبوية ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وقبراً في تربة الوزير جمال الدين الأصفهاني وزير الموصل رحمه الله .

وفي سنة تسع وستين وخمسمائة أمر الملك الناصر ببيع الكتب التي بخزانة القصر^(٣) ، فكانت أكثر من مائة ألف كتاب من سائر المصنفات ، فأبيعت بأحسن الأثمان .

ذكر عمارة قلعة الجبل والسور

وفي سنة تسع وستين وخمسمائة أيضاً أمر الملك الناصر بعمارة قلعة الجبل والسور الدائر على القاهرة ومصر ، وجعل مبدأه من شاطئ

(١) انظر ما سبق عن تحويل السنة الخراجية إلى السنة الهلالية .

(٢) « ثامن عشر ذى الحجة » كنز الدرر ج ٧ ص ٥٠ .

ويذكر أبو شامة أن نجم الدين وقع من عل فرسه في ١٨ ذى الحجة ، وتوفي في ٢٧

منه - الروضتين ج ١ ص ٥٣٣ .

(٣) عن خزانة الكتب التي كانت بالقصر انظر الروضتين ج ١ ص ٥٠٧ ، مفرج الكروب ج ١ ص ٢٠٣ .

النَّيل إلى شاطئه . فكان دَوْرُ السَّور على القاهرة ومصر والقلعة تسعة وعشرين ألف ذراع ، وثلاثمائة ذراع وذراعين . من ذلك ما بين قلعة المقسم والبرج بالكوم الأحمر بساحل مصر عشرة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع ؛ ومن القلعة بالمقسم إلى حائط قلعة الجبل ثمانية آلاف ذراع وثلاثمائة ذراع واثنان وتسعون ذراعاً ؛ ومن حائط قلعة الجبل إلى البرج بالكوم الأحمر سبعة آلاف ومائتا ذراع . ودائرُ قلعة الجبل ثلاثة آلاف ومائتا ذراع وعشرة أذرع ، كل ذلك بالذراع الهاشمي . وتولَّى عمارة ذلك الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي ، وحفر في رأس الجبل بئراً يُتوصَّل إلى مائها المعين من دَرَج منحوتة من الجبل ؛ وتوفى الملك الناصر قبل أن تكمل عمارته^(١) .

وفيها أمر ببناء المدرسة عند تربة الإمام الشافعي رحمه الله ، وتولاها الفقيه الزاهد نجم الدين الخبوشاني .

وأمر باتخاذ دارٍ في القصر بيمارستاناً للمرضى ، ووقَّف على ذلك وقفاً . وهذا البيمارستان يُسمَّى في وقتنا هذا البيمارستان العتيق^(٢) .

وفيها أسقط مكوس مكة ، شرفها الله تعالى ، المقررة على الحاج وعوض أميرها عن ذلك في كل سنة ثمانية آلاف إردب قمحاً تُحمل إلى ساحل جدة ، وعيَّن لذلك ضياعاً بالديار المصرية وقرَّر أيضاً حَمْل غلَّتٍ إلى المجاورين بالحرمين الشريفين والفقراء ؛ فقال الشيخ أبو

(١) عن قلعة الجبل انظر المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٠٣ ، وانظر أيضاً كيرزويل : وصف قلعة الجبل (ترجمة جمال محرز) ، كازانوف : تاريخ ووصف قلعة الجبل ، ترجمة أحمد دراج .

(٢) تميَّزَ له عن البيمارستان المنصوري - انظر الأوقاف والحياة الاجتماعية ص ١٥٥ - ١٥٦ .

وعن بيمارستان صلاح الدين انظر المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٠٧ ، صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٦٥ .

الحسين محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي^(١) في ذلك من قصيدة يمدح بها الملك الناصر :

رفعت مكارم مَكْسِ الحجاز	بإنعامك الشايل الفامر
وأمنت أكناف تلك البلاد	فهان السبيل على العابر
وسمت أياديك فياضة	على وارد وعلى صاير
فكم لك بالشرق من حامد	وكم لك بالغرب من شاكر

ذكر قتل جماعة من المصريين

وفي سنة تسع وستين وخمسمائة أيضا ، في ثاني شهر رمضان صلب جماعة ممن أراد الوثوب بمصر من أصحاب الخلفاء العبيديين . وسبب ذلك أن جماعة من شيعتهم ، منهم عمارة اليمنى الشاعر ، وعبد الصمد الكاتب ، والقاضى الأعز سلامة المعروف بالموريس^(٢) ، والقاضى ضياء الدين نصر بن عبد الله بن كامل ، وداعى الدعاة ، وغيرهم من جنود العبيديين ورجال السودان وحاشية القصر ومن وافقهم من الأمراء الصلاحية والجند — اتفق رأيهم على استدعاء الفرنج من جزيرة صقلية ومن سواحل الشام إلى الديار المصرية على شيء بذلوه لهم من المال والبلاد ، وقرروا أن الملك الناصر إذا خرج إليهم بنفسه نار هؤلاء بالقاهرة ومصر وأعادوا الدولة العبيدية ، العلوية بزعمهم ، ويعود من معه من العساكر الذين وافقوهم عنه فلا يبقى له مقام بالبلاد . وإن أقام هو وأرسل العساكر إليهم ناروا به فأخذوه باليد . وقال لهم عمارة : وأنا فقد أبعدت أخاه إلى اليمن خوفا أن يسد مسده ، وتجتمع الكلمة عليه بعده . وأرسلوا إلى الفرنج وتقررت هذه القاعدة بينهم .

(١) توفي سنة ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م — انظر مقدمة رحلة ابن جبير ص ٥ وما بعدها .

(٢) الموريس ، في الكامل ج ١١ ص ٣٩٨ .

قال : وكان ممن أدخلوه معهم في هذا الأمر زين الدين علي^(١) بن نجاة الواعظ ، وهو القاضي ابن نجية ، ثم اختلفوا في وزارة الخليفة ؛ فقال بنو رزيك : يكون الوزير منا . والقاضي ؛ وقال بنو شاور : بل يكون الوزير منا فحضر ابن نجاة إلى الملك الناصر وأعلمه بصورة الحال ، فأمره بمبايئتهم وموافقتهم ، ومطالعتهم بأحوالهم . ففعل ذلك .

ثم وصل رسول من ملك الفرنج إلى الملك الناصر بهدايا ، وهو في الظاهر له وفي الباطن لهؤلاء ، فوضع الملك الناصر عليه من النصارى من داخله وباطنه ؛ فذكر له الحال على جليته ، فأعلم به الملك الناصر . فلما تحققته قبض على هؤلاء وصلبهم ، فكان ممن صلب عمارة اليمنى ، وعبد الصمد الكاتب ، والقاضي الأعز العوريس ، وغيرهم^(٢) .

وجاء عمارة إلى باب القاضي الفاضل لما مُسك ، فاحتجب عنه ، فقال عمارة :

عبد الرحيم قد احتجب

إن الخلاص من العجب^(٣)

ونودى في أجناد المصريين بالرحيل من ديار مصر ومفارقتها إلى أقاصى الصعيد ، واحتاط الملك الناصر على مَنْ بالقصر من سلالة العاضد

(١) هو علي بن إبراهيم بن نجاة ، الفقيه الحنبل ، المعروف بابن نجية ، زين الدين أبو الحسن ، التوفى سنة ٥٩٩ هـ / ١١٦٣ م - شذرات الذهب ج ٤ ص ٣٤٠ ، النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٨٣ .

(٢) عن صلب عمارة الشاعر اليمنى وأصحابه انظر الروضتين ج ١ ص ٥٦٠ - ٥٧٧ . وعن هذه المؤامرة انظر السلوك ج ١ ص ٥٥ - ٥٧ ، البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٨٧ ، الكامل ج ١١ ص ٣٩٨ - ٤٠١ ، مفرج الكروب ج ١ ص ٢٤٣ - ٢٥٩ .

(٣) هو العجب ، في الروضتين ، والكامل .

وأهله . وأما مَنْ كان قد وافقهم من أصحابه فلم يُخاطبهم في ذلك ولا أَوْهمهم أَنَّهُ عَلِمَ بِهِ . وَبَلَغَ ذلك فرنج السَّاحِل فلم يتحركوا من أماكنهم ، وأما فرنج صقلية فإِنهم قصدوا ثغر الإسكندرية على ما نذكره .
وفي سنة سبعين وخمسمائة ، في أوائلها ، خالف الكنز^(١) ، أمير العرب ، على الملك الناصر بصعيد مصر ، واجتمع معه جماعة كبيرة من رعايا البلاد والعربان والسودان وغيرهم ، وقَتَلَ أخا الأمير أبي الهيجاء السمين ، وكان قد توجه لإقطاعه بالصعيد . فعظم قتله على أخيه ، وكان من أكابر الأمراء الناصرية ، فسار إلى قتال الكنز . ونَدَبَ معه الملك الناصر جماعة من الأمراء والعسكر ، فوصلوا إلى مدينة طُود ، وهى على مسافة يوم من مدينة قوص إلى جهة الصعيد ، فامتنع مَنْ بها عليهم ، فقاتلُوهم وظَفَرُوا بهم وقتلوا كثيراً منهم ، وأخربوا البلد ، فهى إلى وقتنا هذا تعرف بطُود الخراب ، وغيطانها عامرة . ثُمَّ سار العسكر منها إلى الكنز ، فقاتلوه ، فَقُتِلَ هو وَمَنْ مَعَهُ من الأعراب ، وأمنت البلاد واستقر أهلها^(٢) .

وفي سنة سبعٍ وسبعين وخمسمائة ظهر بالديار المصرية فآر كثير جداً . قال القاضي الفاضل عبد الرحيم : حَدَّثَنِي مَنْ شاهد هذا الفأر وهو يرْحَلُ من بقعة إلى أخرى فيغطى الأرض بكماها حتى لا يظهر منها شيء ألبنة

(١) كنز الدولة : لقب منحه لأول مرة الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله لحاكم النوبة في عهده أبو المكارم هبة الله بن محمد بن عل عندما قبض على الناصر أبي ركوته وأرسله إلى الحاكم — انظر ما سبق — وكان آخر من لقب منهم بهذا اللقب كنز الدولة المعاصر لصلاح الدين ، والذي قتل سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م — البيان والإعراب ص ٥٠ .
وينو كنز أو الكنوز هم سلالة العرب بعد اختلاطهم بالنوبيين ولا زالت قبيلة الكنوز تعيش حتى اليوم جنوب أسوان — انظر تاريخ دولة الكنوز الإسلامية .

(٢) انظر مفرج الكروب ج ٢ ص ١٦ وما بعدها ، الروضتين ج ١ ص ٦٠٠ وما بعدها .

وأنه شاهده يمرُّ بأماكن فلا يُلِمُّ بها ولا يخرجُ عليها والزُّروع بها محصورة ،
وتمرُّ بأخرى فلا يلبث أن يفسد جميع ما فيها ولا يرتحل عنها وبها شيء من
الزُّرع ولا المقات بالجملة .

وفي سنة تسع وسبعين وخسمائة [١١٢] ظهر بأبوصير السدر^(١) من
أعمال الجيزة بيت أشاع الناس أنه بيت هرمس ، ففتح بحضور القاضى
نظام الدين بن الشهرزورى وأخرج منه أشياء ، من جملتها صور كباش
وضفادع بأزهر ، وقوارير دهنج ، وفلوس من فضة ونحاس ، وأصنام
نحاس وياقوت ، وغير ذلك من الذهب والفضة والتحف القديمة ووجد
فيه خلق كثير من الأموات .

وفي سنة ثمانين وخسمائة في يوم الاثنين مستهل المحرم دُرس في
المدرسة الفاضلية^(٢) التى أنشأها القاضى الفاضل عبد الرحيم بالقاهرة
بدرب ملوخيا ؛ ورُتب فيها لإقراء كتاب الله تعالى الشيخ الإمام العالم
الزكى أبو [محمد]^(٣) القاسم بن فيره الرعيني الشاطبي ؛ وفي التدريس
على مذهبي الشافعي ومالك الفقيه أبو القاسم عبد الرحيم بن سلامة
الإسكندري ، رحمهما الله تعالى .

وحيث ذكرنا هذه النبذة من الحوادث التى اتفقت في خلال دولته ،
فلنذكر ما استولى عليه من البلاد الإسلامية .

(١) أبوصير السدر : من القرى القديمة ، التابعة لمركز الجيزة بمحافظة الجيزة - القاموس
الجغرافى ج ٢ ص ٣ .

(٢) عن المدرسة الفاضلية بالقاهرة ، انظر المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٦٦ .

(٣) [] إضافة لتصحيح الاسم .
وهو القاسم بن فيره ، أبو محمد الشاطبي ، المتوفى سنة ٥٩٠ هـ / ١١٩٤ م - وفيات
الأعيان ج ٤ ص ٧١ رقم ٥٣٧ .

ذكر ما استولى عليه الملك الناصر من البلاد الإسلامية بنفسه وأتباعه

كان من البلاد التي خُطب بها للملك الناصر صلاح الدين يوسف طرابلس الغرب وبعض بلاد إفريقية، منها مدينة قابس^(١).

وسبب ذلك أن شرف الدين قراقوش مملوك تقي الدين عمر^(٢)، ابن أخى الملك الناصر، توجه في سنة ثمان وستين وخمسمائة في طائفة من الأتراك إلى جبال نفوسة^(٣)، واجتمع به مسعود بن زمام المعروف بالبلات، وهو من أعيان أمراء تلك الناحية، وكان خارجاً عن طاعة [ابن]^(٤) عبد المؤمن. فاتفقا وكثرا جمعها، ونزلا على طرابلس الغرب، فحاصراها مدة وضيقا على أهلها، ثم فتحها، فاستولى قراقوش عليها، وأسكن أهلها بقصرها. ثم ملك كثيراً من بلاد إفريقية إلا المهديّة وسفاقس وقفصة وتونس وما والاها من القرى والمواضع. وكثرت جمع قراقوش، فحكم على تلك البلاد، وجمع أموالاً عظيمة وجعلها بمدينة قابس، وقويت نفسه، وطمع أنه يستولى على جميع إفريقية لبعد ابن عبد المؤمن عنها واشتغاله بجهاد الفرنج. ثم جاء نورا به مملوك تقي الدين أيضاً، بطائفة من الترك فزاد بهم قوة إلى قوته. ثم اجتمع الأتراك وعلى

(١) قابس : بكسر الباء الموحدة، مدينة بين طرابلس وسفاقس، على ساحل البحر، غرب طرابلس الغرب - معجم البلدان.

(٢) هو عمر بن شاهنشاه بن أيوب، توفي سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م - وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٥٦ رقم ٥٠١.

(٣) جبال نفوسة : بالفتح ثم الضم والسكون وسين مهملة، جبال في المغرب بين مدينتي طرابلس والقيروان - معجم البلدان.

(٤) [إضافة للتوضيح - انظر ما يل.

وهو أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، الذي تولى زعامة الدولة الموحدية في الفترة من ٥٥٨ - ٥٨٠ هـ / ١١٦٣ - ١١٨٤ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٥٤.

ابن إسحاق الملقب [المعروف بابن غانية]^(١) وملكوا بجاية في سنة ثمانين ، وانقادوا إلى الملقب واستعانوا به ، لأنه من بيت المملكة والرياسة القديمة ، ولقبوه بأمر المسلمين ؛ وقصدوا بلاد أفريقية فملكوها شرقاً وغرباً إلا تونس والمهدية فإن الموحدین حفظوها .

ولما حصل استيلاؤهم على بلاد أفريقية قطعت خطبة أولاد عبد المؤمن وخطب للناصر لدين الله العباسي ؛ وقصدوا مدينة قفصة فتسلموها في سنة اثنتين وثمانين ؛ وأقام بها طائفة من الملقبين والأتراك .

فلما اتصلت هذه الأخبار بالأمير يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن^(٢) اختار من عسكره عشرين ألف فارس من الموحدین ، وسار بهم في صفر سنة ثلاث وثمانين ، فوصل إلى مدينة تونس . وأرسل ستة آلاف مع ابن أخيه فساروا إلى الملقب والأتراك بقفصة ، فهزمهم الملقب ومن معه في شهر ربيع الأول من السنة . فجاء يعقوب بن يوسف بمن معه في نصف شهر رجب منها ، والتفوا على مدينة قابس ، فانهزم الأتراك والملك ، وقتل كثير منهم . وفتح يعقوب قابس ، وأخذ أموال قرأقوش وأهله وحملهم على مراكش . وحصر مدينة قفصة ثلاثة أشهر وبها الترك ، فطلبوا الأمان لهم ولأهل البلد ، فأمنهم وسير الأتراك إلى الثغور لما رأى من شجاعتهم .

هذا ما اتفق لهذه الطائفة ، وإن كانت هذه الفتوحات لا تختص كلها بالدولة الأيوبية ، إلا أنهم كانوا سبباً ، وهم الذين استولوا على البلاد كما ذكرنا فأوردناها في أخبارهم .

(١) [إضافة للتوضيح من الكامل ج ١١ ص ٥٠٧ .

وكان ملكهم بجاية بعد وفاة يوسف بن عبد المؤمن وتولية ابنه يعقوب - انظر وفيات الأعيان ج ٧ ص ٤ .

(٢) ولى في الفترة من ٥٨٠ - ٥٩٥ هـ / ١١٨٤ - ١١٩٩ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٥٤ .

[١١٣] ذكر استيلائه على اليمن

وفي سنة تسع وستين وخسمائة جهّز الملك الناصر أخاه الملك المعظم شمس الدولة تورّان شاه^(١) إلى اليمن ، فسار في مستهل شهر رجب . وكان عمارة اليمنى الشاعر يذكر له البلاد ويحسنها له ويحثه على قصدها ، ويعظم مملكتها . فسار ووصل إلى مكة شرفها الله تعالى ، ومنها إلى زبيد^(٢) وبها صاحبها عبد النبي المتغلب عليها^(٣) . فلما قرب منها ورأى أهلها انهزموا ، فوصل المصريون إلى سور زبيد فلم يجدوا عليه من يمانع عنه ، فنصبوا السلايم وصعدوا عليها إلى السور فملكوا البلد غنوة ونهبوه ، وأسير المتغلب عليها عبد النبي وزوجته المدعوة بالخيرة ، وكانت امرأة سالحة كثيرة الصدقة . وسلم شمس الدولة عبد النبي إلى سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ ، وهو من أمرائه ، وأمره أن يستخرج منه الأموال ، فاستخرج منه شيئاً كثيراً وأظهر دفتان كانت له . ودلتهم الخيرة على ودائع لها كثيرة . ثم أصلح أمر زبيد وخطب بها للناصر لدين الله^(٤) .

ثم سار إلى ثغر عدن ، وهي فُرْضة^(٥) الهند والزنج والحبشة وعمان وكرمان وكش وفارس وغير ذلك ؛ وهي من جهة البر من أمنع البلاد

(١) توفي سنة ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م - وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٠٦ رقم ١٢٧ .

(٢) زبيد : بفتح أوله وكسر ثانيه - مدينة مشهورة باليمن في مواجهة ساحل باب المندب - معجم البلدان .

(٣) هو عبد النبي بن علي بن المهدي ، حكم زبيد في الفترة من ٥٥٨ -

٥٦٩ هـ / ١١٦٢ - ١١٧٣ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٢٠٢ .

(٤) هو أبو العباس أحمد الناصر لدين الله ، الخليفة العباسي في بغداد ، الذي ولي في الفترة من ٥٧٥ - ٦٢٢ هـ / ١١٨٠ - ١٢٢٥ م - تاريخ الدول الإسلامية ص

وأخَصَّنْهَا . وصَاحِبُهَا يَوْمُنَا رَجُلٌ اسْمُهُ يَاسِرٌ (١) ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَقَاتَلَهُ ، فَانْهَزَمَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ ؛ فَسَبَقَهُ بَعْضُ عَسْكَرِ الدَّوْلَةِ فَدَخَلُوا الْبِلَادَ قَبْلَ أَهْلِهَا وَمَلَكَوهُ ، وَأَسِيرَ صَاحِبِهِ . وَقَصَدَ الْعَسْكَرُ نَهْبَ الْبِلَادِ ، فَمَنْعَهُمْ شَمْسُ الدَّوْلَةِ ، وَقَالَ : مَا جِئْنَا لِنُخْرِبَ الْبِلَادَ ، وَإِنَّمَا جِئْنَا لِنَمْلِكُهَا وَنَعْمَرَهَا وَنَنْتَفِعَ بِهَا . ثُمَّ عَادَ إِلَى زَبِيدٍ وَحَصَرَ مَا فِي الْجَبَلِ مِنَ الْحَصُونِ فَمَلَكَ قَلْعَةً تَعْرُزُ وَاسْمُهَا الدَّمُولَةُ ، وَهِيَ مِنْ أَحْصَنِ الْقَلَاعِ ، وَبِهَا تَكُونُ خَزَائِنُ صَاحِبِ الْيَمَنِ . وَمَلَكَ غَيْرَهَا مِنَ الْحَصُونِ وَالْمَعَاقِلِ ، وَاسْتَتَابَ بِشَفَرِ عَدْنِ عَزَّ الدِّينَ عَثْمَانَ الزَّنْجِيلِيَّ ، وَبَزِيدَ سَيْفِ الدِّينِ مِبَارَكَ بْنِ كَامِلِ بْنِ مَنَقْدَ . وَجَعَلَ فِي كُلِّ حَصْنٍ نَائِبًا مِنْ أَصْحَابِهِ .

وَأَحْسَنَ شَمْسُ الدَّوْلَةِ إِلَى أَهْلِ الْبِلَادِ ؛ وَعَادَتْ زَبِيدُ إِلَى أَحْسَنَ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْعِمَارَةِ وَالْأَمْنِ . ثُمَّ عَادَ شَمْسُ الدَّوْلَةِ مِنَ الْيَمَنِ ، وَقَدِمَ إِلَى دِمَشْقَ بَعْدَ أَنْ مَلَكَهَا الْمَلِكُ النَّاصِرُ ، فَوَصَلَ إِلَيْهَا فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ .

ذِكْرُ مَلِكِهِ مَدِينَةِ دِمَشْقَ

قَالَ الْمَوْرُخُ : لَمَّا تَوَفَّى الْمَلِكُ الْعَادِلُ نُورَ الدِّينِ الشَّهِيدَ مُحَمَّدًا (٢) ابْنَ زَنْكِي رَحِمَهُ اللَّهُ ، كَمَا قَدَّمْنَاهُ (٣) فِي أَخْبَارِهِ ، وَوَلَّى بَعْدَهُ وَلَدَهُ الْمَلِكُ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ أَقْرَبُ الْمَلِكِ النَّاصِرِ الْخُطْبَةَ بِاسْمِهِ بَعْدَ أَبِيهِ ، وَلَمْ يَخْطُبْ لِنَفْسِهِ . ثُمَّ اتَّفَقَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ ثِقَلَةِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ مِنْ دِمَشْقَ إِلَى حَلَبَ ، وَلَمْ يُسْتَأْذَنَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ فِي ذَلِكَ وَلَا كُتِبَ لَهُ فِيهِ ؛ فَسَارَ

(١) فِي عَهْدِ مُحَمَّدِ بْنِ عِمْرَانَ ، الَّذِي حَكَمَ عَدْنَ فِي الْفَتْرَةِ مِنْ ٥٦٠ - ٥٦٩ هـ / ١١٦٤ - ١١٧٣ م ، وَكَانَ صَيًّا ، فَتَحَكَّمَ فِي الْبِلَادِ الْوَزِيرُ يَاسِرُ بْنُ بِلَالٍ - تَارِيخُ الدَّوْلِ الْإِسْلَامِيَّةِ ص ٢٠٤ .

(٢) عَنْ وَفَاةِ نُورِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ وَتَرْجُمَتِهِ انْظُرِ الرَّوْضَتَيْنِ ج ١ ص ٥٧٧ - ٥٨٥ .

(٣) لَمْ يَذْكُرِ النُّوَيْرِيُّ فِيهَا سَبْقَ وَفَاةِ نُورِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ وَلَا أَخْبَارَهُ ، وَإِنَّمَا هُوَ يُنْقَلُ حَرْفِيًّا عَنْ غَيْرِهِ .

[الملك الناصر]^(١) من الديار المصرية إلى الشام في شهر ربيع الأول سنة سبعين وخمسمائة ، وَوَصَلَ إلى دمشق في يوم الاثنين سلخ الشهر - وقال ابن شدّاد في سلخ شهر ربيع الآخر^(٢) - وتسلّم دمشق من الأمير شمس الدّين بن المقدّم ونزل بدار العقيقي ، وكانت سكن أبيه ، وأحسن إلى الأمراء وأكرمهم ، وأظهر أنّه إنّما حضر إلى الشّام نصرةً للملك الصّالح ، وليعيد عليه ماأخذه ابن عمه سيف الدّين غازي من بلاده . وأقر خطبته ولم يقطعها ولاخطب لنفسه .

ذكر ملكه مدينة حمص وحماه

قال المؤرخ : ولما ملك دمشق استخلف بها أخاه سيف الإسلام^(٣) طغر تكين بن أيوب ، وتوجّه إلى مدينة حمص في مستهل جمادى الأولى ، فنازلها ، فملك المدينة ولم يشتغل بالقلعة ؛ وترك بالمدينة من يحفظها ويمنع من [في]^(٤) القلعة من التصرف .

وسار منها فوصل إلى مدينة حماة في مستهل جمادى الآخرة ؛ وكان بقلعتها الأمير عزّ الدّين جرديك ، وهو من المماليك النورية ، فامتنع من تسليمها . فأرسل إليه يعرفه ما هو عليه من الطّاعة للملك الصّالح ، فاستخلفه جرديك على ذلك ، وخرج إليه ، وترك أخاه بالقلعة ليحفظها . وتوجّه عزّ الدّين جرديك إلى حلب ليكون سفيراً [١١٤] بين الملك الناصر وبين كُمشتكين فا عتقل بهلب فلما بلغ أخاه ذلك سلم القلعة إلى الملك الناصر فملكها .

(١) [إضافة للتوضيح .

(٢) انظر النواذر السلطانية ص ٥٠ . وانظر الروضتين ج ١ ص ٦٠٢ وما بعدها .

(٣) هو سيف الدين غازي بن مودود الذي ولي حكم الموصل في الفترة من ٥٦٥ - ٥٧٦ هـ / ١١٧٠ - ١١٨٠ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٣٤٦ .

(٤) سيف الدين ، في الأصل ، والتصحيح من مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٠ ، ٢٢ .

(٥) [إضافة تنفق مع السياق ، ومع ما ورد في مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٢ .

ذكر حصره حلب وعوده عنها وملكه قلعة حمص وبعلبك

قال : ولَمَّا بلغ الملك الناصر خبر عَزَّ الدين جَرْدِيك والقَبْض عليه ، توجَّه إلى حلب وحَصَرها في جُمادى الآخرة من السَّنة ، فقاتله أهلها ، وركب الملك الصالح وهو صَبِيٌّ وعمره اثنتا عشرة سنة وجَمَعَ أهل حلب ، وذَكَرَهم بإحسان والده إليهم ، واستنصر بهم في دَفْع صلاح الدِّين ، فبَكُوا وحلَفُوا له على بَذل النفوس والأموال ، وقاتلوا أَشدَّ قتال . وأرسل سَعْد الدِّين كُشْتُكِين إلى سنان ، مقدَّم الإسماعلية ، مالاَ كثيراً على قَتْل الملك الناصر : فسِير إليه جماعةٌ ، فظفر صلاح الدِّين بهم وقتلهم . ورَحَلَ عن حلب في مستَهْل شهر رجب من السَّنة .

وكان سبب رحيله أَنَّ كُشْتُكِين أرسل إلى القومض رِيْمُنْد^(١) الصنجيلي ، صاحب طرابلس ، أن يجهز إلى بلاد صلاح الدِّين من الفرنج مَنْ يَمْنَعُه من الوُصول إليها . فلَمَّا بلغه ذلك فارق حلب وعاد إلى حماة في ثامن الشهر ، بعد نزول الفرنج على حمص بيوم . فلَمَّا سمع الفرنج بقرْبِه رَحَلوا عن حمص ، ووَصَلَ صلاح الدِّين إلى حمص ، ومَلَكَ القلعة بعد حصار . وكان ملكه لها في الحادى والعشرين من شعبان من السَّنة .

ثم سار منها إلى بعلبك ، وكان بها يمن الخادم متوليها من أيام نور الدِّين ، فحَصَرها الملك الناصر ، فطلب يمن الأمان ، فأمنه وتسَلَّمَ القلعة في رابع شهر رمضان .

(١) هو ريموند الثالث أمير طرابلس الصليبي - الحركة الصليبية ج ٢ ص ٧٤٤ ، الكامل ج ١١ ص ٤١٩ ، الروضتين ج ١ ص ٦١١ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٤

ذكر انهزام عسكر سيف الدين غازي من الملك الناصر وحصره حلب ثانيا

قال المؤرخ . كان الملك الصالح كتب إلى عمه سيف الدين غازي يستنجده على قتال صلاح الدين ودفعه فجهز العسكر ضعبة أخيه عز الدين مسعود ، وتأخر هو لما وقع بينه وبين أخيه عماد الدين من الاختلاف الذي قدمناه في أخبار الدولة الأتابكية ^(١) فسارت العساكر السيفية ، واجتمع معها العسكر الحلبي ، وساروا كلهم لقتال الملك الناصر فأرسل إلى سيف الدين يئذله تسليم حمص وحماة وأن يقر بيده مدينة دمشق نهاية عن الملك الصالح ؛ فلم يجب إلى ذلك وقال : لا بد من تسليم جميع ما أخذه من بلاد الشام ويعود إلى مصر .

فلما امتنع سيف الدين من إجابته تجهز عند ذلك للقاء عز الدين مسعود ومن معه وقتالهم ، فالتقوا في تاسع عشر شهر رمضان بقرون حماة ^(٢) ، فلم تثبت عساكر سيف الدين وانهزموا لائلولى بعضهم على بعض . وتبعهم الملك الناصر وغنم معسكرهم ، ووصل إلى حلب وحاصرها ، وقطع خطبة الملك الصالح ، وأزال اسمه .

فلما طال الحصار على من بحلب راسلوه في الصلح على أن يكون له ما بيده من بلاد الشام ولهم ما بأيديهم منها ؛ فأجابهم إلى ذلك ، وانتظم الصلح . فرحل عن حلب في العشر الأول من شوال ووصل إلى حماة ، ووصلت إليه بها رسل الخليفة المستضيء بنور الله ، ومعهم الخلع والأعلام السود وتوقيع من الديوان العزيز بالسلطنة ببلاد مصر والشام .

(١) انظر نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ١٧٠ .

(٢) قرون حماة : منطقة جبلية تشرف على مدينة حماة ، وتتكون من قمتين متقابلتين -

وفيهما ملك قلعة بعرين^(١) في العشر الأول من شوال من صاحبها فخر الدين مسعود بن الزعفراني ، وكان من أكابر الأمراء النورية ، فجاء إلى خدمة الملك الناصر ، وظن أنه يكرمه ويقربه ، فلم ير من ذلك شيئاً ، ففارقته وعاد إلى قلعته . فلما استقر الصلح بين الملكين الناصر والصالح نازل [الناصر]^(٢) بعرين ونصب عليها المجانيق وملكها .

ذكر الحرب بين الملك الناصر وسيف الدين غازي

وانهزام غازي

قد قدمنا انهزام عز الدين مسعود بالعسكر السيفي من الملك الناصر في سنة سبعين وخمسمائة . فلما كان في سنة إحدى وسبعين جمع سيف الدين غازي جميع عساكره وفرق فيهم الأموال ، واستنجد بصاحب حصن كيفا^(٣) وصاحب مارددين^(٤) وغيرهما ، وسار إلى حلب ، واستصحب سعد الدين كُمشتكين مدبر دولة الملك الصالح والعسكر الحلبى .

وكان صلاح الدين في قلعة من العسكر لأنه جهّز أكثر عساكره إلى الديار المصرية فلما بلغه ذلك [١١٥] أرسل يستدعى عساكره ، فلم تلحقه ؛ وأعجلته الحركة ، فسار من دمشق إلى حلب للقاء غازي ومن معه ، فالتقى العسكران بتل السلطان بالقرب من حلب ، في عاشر شوال من السنة .

(١) بعرين = بارين : مدينة وقلعة بين حماة وحلب - معجم البلدان .

(٢) [] إضافة للتوضيح .

(٣) حصن كيفا : بلدة وقلعة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر - معجم البلدان .

(٤) مارددين : بكسر الراء والدال ، قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة ، تشرف على نصيبين - معجم البلدان .

وكان عز الدين زلفندار مقدّم العسكر الموصلى قليل المعرفة بالحروب ، فجعل أعلام صاحبه في هذه من الأرض لا يراها إلا من هو بالقرب منها فلما لم يرها الناس ظنوا أن سيف الدين غازى قد انهزم ، وانهزموا لا يملأ الأخر على أخيه . ولم يقتل من العسكر على كثرته غير رجل واحد . وانهزم سيف الدولة إلى الموصل وترك أخاه عز الدين بحلب^(١) .

قال العماد الأصفهاني : إن سيف الدين غازى كان في عشرين ألف فارس ؛ وخطأه ابن الأثير الجزرى في ذلك وقال إن أخاه مجد الدين أبا السعادات المبارك كان يتولّى كتابة الجيش ، وأنه وقف على جريدة العرّض فكانت ستة آلاف^(٢) .

وإن جمعنا بين قوليهما فنقول : إن الجريدة التى وقف عليها ابن الأثير كانت للجيش المختصّ بسيف الدين غازى خاصّة ، والذى نقله العماد الأصفهاني عن جميع ماصّحبه من سائر الجيوش الحلبية والحضفية ، والمآردينية ، والله أعلم .

ذكر ما ملكه الملك الناصر من بلاد الملك الصالح

بعد هذه الواقعة

قال المؤرخ : لما استولى الملك الناصر على أُنثقال العسكر الموصلّى وغنمها ، واتسع هو وعسكره بها ، سار إلى بُزاعة^(٣) ، فحصرها وملكها^(٤) بعد قتال من يقلعتها ، وجعل بها من يحفظها . ثم

(١) الكامل ج ١١ ص ٤٢٧ - ٤٢٨ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٨ - ٣٩ .

(٢) انظر الكامل ج ١١ ص ٤٢٩ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٤٠ - ٤١ .

(٣) بزاعة : بلدة من أعمال حلب ، في وادى بطنان ، بين منبع وحلب - معجم البلدان .

(٤) وذلك في الثانى والعشرين من شوال - الروضتين ج ١ ص ٦٥٥ .

سار إلى منبج^(١) فحصرها في آخر شوال ، وبها صاحبها قطب الدين ينال بن حسان المنبجي ، وكان شديد العداءة للملك الناصر والتخريض عليه ؛ فملك المدينة وحاصر القلعة وملكها عنوةً ، وأسر صاحبها ينال ، ثم أطلقه ، فسار إلى الموصل ، فأقطعه سيف الدين غازي مدينة الرقة .

ثم سار إلى قلعة عزاز^(٢) فنازلها في ثالث ذي القعدة ونصب عليها المجانيق ، ولازم الحصار ثمانية وثلاثين يوماً وتسلمها في حادي عشر ذي الحجة من السنة^(٣) .

ووثب عليه في مدة الحصار باطنى^(٤) فضربه بسكين في رأسه ، فرد عنه المغفر^(٥) ، وضربه عدة ضربات وقعت في زيق كزاعنده^(٦) .

(١) منبج : بالفتح ثم السكون . بلد قديم ، بينها وبين حلب حوالى ٣٠ ميلاً - معجم البلدان .

(٢) عزاز = أعزاز : بليدة وقلعة شمالى حلب - معجم البلدان .

(٣) انظر الروضتين ج ١ ص ٦٥٥ وما بعدها ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٤٢ وما بعدها ، الكامل ج ١١ ص ٤٢٩ - ٤٣٠ .

(٤) المقصود من إسماعيلية الشام المعروفين بالحشاشين أو الحشيشية - الروضتين ج ١ ص ٦٥٨ .

(٥) المغفر : زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة في الحرب لحماية الرأس - انظر مفرج الكروب ج ٢ ص ٤٤ هامش ٣ .

« فلولاً المغفر الزرد كان تحت القلنسوة لقتله » - الكامل ج ١١ ص ٤٣٠ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٤٤ .

(٦) « طوق كزاعنده » في الروضتين ج ١ ص ٦٥٩ .

كزاعند = كزاعند : لفظ فارسى بمعنى المعطف القصير ، ويلبس فوق الزردية - مفرج الكروب ج ٢ ص ٤٤ هامش ٥ .

ذكر حصره مدينة حلب والصلح عليها

قال : ثم رحل الملك الناصر عن أعزاز ونازل حلب في نصف ذي الحجة ، وحصرها إلى العشرين من المحرم سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة . وترددت الرسائل بينهم في الصلح ، فاستقرت القاعدة بين الملك الناصر وسيف الدين غازي والملك الصالح وصاحب ماريدين وصاحب حصن كيفا ، وتحالفوا أن يكونوا كلهم عوناً على الناكث منهم . فتم الصلح ، وأعاد الملك الناصر إليهم قلعة أعزاز ، ورجع عن حلب .

ذكر نهبه بلاد الإسماعيلية

قال : لما عاد الملك الناصر من حلب قصد بلاد الإسماعيلية في شهر المحرم سنة اثنتين وسبعين لقتالهم ، لأنهم أرادوا قتله : فنهب بلادهم وخرّبها ؛ ونازل قلعة مصياف ^(١) . فأرسل سنان مقدم الإسماعيلية إلى الأمير شهاب الدين الحارمي صاحب حماة ، وهو خال الملك الناصر ، يطلب منه الدخول بينها في الصلح والشفاعة ، وتهذّده بالقتل إن لم يفعل . ففعل ذلك ، وتم الصلح . وتوجّه الملك الناصر إلى دمشق ، ثم رحل منها إلى الديار المصرية لأربع خلون من شهر ربيع الأول ، ووصل إلى القاهرة لأربع بقين منه .

ذكر عبوره الفرات وملكه الديار الجزيرية

وفي سنة ثمان وسبعين ^(٢) وخمسمائة كان الملك الناصر يحاصر بيروت ، فأتته كتب مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين على بن

(١) مصياف = مصياب = مصياث : حصن مشهور للإسماعيلية بساحل الشام قرب طرابلس - معجم البلدان .

(٢) ثمانين وسبعين ، في الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح من مفرج الكروب ج ٢ ص ١١٥ ، الكامل ج ١١ ص ٤٨٢ .

تكنين^(١) مَقَطَع حُرَّانَ يَطْلُبُهُ إِلَى الْبِلَادِ وَيَعِدُّهُ الْمُسَاعِدَةَ . فَسَارَ وَغَبَرَ الْفِرَاتَ ، وَكَاتَبَ مُلُوكَ الْأَطْرَافِ [١١٦] وَوَعَدَهُمْ ، وَبَذَلَ لَهُمُ الْبُذُولَ عَلَى نَصْرَتِهِ فَأَجَابَهُ نَوْرُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ صَاحِبُ حَصْنِ كَيْفَا . فَسَارَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ إِلَى مَدِينَةِ الرُّهَا فَحَصَرَهَا فِي جُمَادَى الْأُولَى ، وَدَاوَمَ الْحَصَارَ ، فَطَلَبَ صَاحِبُهَا فَخْرَ الدِّينِ مَسْعُودَ الزَّعْفَرَانِي الْأَمَانَ ، فَأَتَمَّهُ وَتَسَلَّمَ الْبَلَدَ ، وَصَارَ صَاحِبُهَا فِي خِدْمَتِهِ ؛ وَتَسَلَّمَ الْقَلْعَةَ . فَلَمَّا مَلَكَهَا سَلَمَهَا لِمُظَفَّرِ الدِّينِ صَاحِبِ حُرَّانَ . ثُمَّ سَارَ عَنْهَا إِلَى الرَّقَّةِ وَكَانَ بِهَا مُقَطَّعًا قُطْبُ الدِّينِ يَنَالُ بْنُ حَسَنِ الْمُنْبِجِي ، فَمَلَكَهَا ، وَسَارَ صَاحِبُهَا إِلَى عِزِّ الدِّينِ أَتَابِكِ . وَسَارَ إِلَى الْخَابُورِ فَمَلَكَهُ . بِكَمَالِهِ . ثُمَّ سَارَ إِلَى نَصِيبِينَ ، فَمَلَكَ الْمَدِينَةَ لَوَقْتِهِ ، وَحَصَرَ الْقَلْعَةَ عِدَّةَ أَيَّامٍ ، فَمَلَكَهَا ؛ وَأَقْطَعَهَا لِلْأَمِيرِ أَبِي الْهَيْجَاءِ السَّمِينِ ، وَهُوَ مِنْ أَكَابِرِ الْأَمْرَاءِ ، وَسَارَ عَنْهَا ، وَمَعَهُ نَوْرُ الدِّينِ صَاحِبُ الْحَصْنِ ، فَحَاصَرَ الْمَوْصِلَ فَلَمْ يَظْفَرْ مِنْهَا بِشَيْءٍ لِحَصَانَتِهَا وَكَثْرَةِ مَنْ بِهَا .

ذِكْرُ مَلَكَهِ مَدِينَةِ سِنْجَارَ

قَالَ : ثُمَّ سَارَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مِنَ الْمَوْصِلِ إِلَى سِنْجَارَ ، فَسِيرَ مُجَاهِدًا الدِّينَ قَايِمًا إِلَيْهَا نَجْدَةً مِنَ الْعَسْكَرِ ، فَمَنْعَهُمُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ الْوَصُولَ إِلَيْهَا ، وَأَوْقَعَ بِهِمْ وَأَخَذَ سِلَاحَهُمْ وَدَوَابَّهُمْ ، وَسَارَ إِلَيْهَا وَنَازَلَهَا وَبِهَا شَرَفُ الدِّينِ أَمِيرِ أَمِيرَانَ أَخُو عِزِّ الدِّينِ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ ، فَمَلَكَهَا بِأَمَانٍ بَعْدَ حَصَارٍ عَظِيمٍ . وَسَارَ شَرَفُ الدِّينِ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى الْمَوْصِلِ .

وَاسْتَقَرَّ لِلْمَلِكِ النَّاصِرِ جَمِيعُ مَا مَلَكَهُ فِي هَذِهِ الْوَقْعَةِ بِمَلِكِ سِنْجَارَ^(٢) وَاسْتَنَابَ بِهَا سَعْدُ الدِّينِ بْنُ مَعِينِ الدِّينِ أُنْزَرِ ، وَهُوَ مِنْ أَكَابِرِ الْأَمْرَاءِ .

(١) « عَلَى كَوْجَك » فِي مَفْرَجِ الْكَرُوبِ ج ٢ ص ١١٦ ، « عَلَى بْنِ بَكْتِكِينَ » فِي الْكَامِلِ ج ١١ ص ٤٨٢ .

(٢) « فَلَمَّا مَلَكَ سِنْجَارَ صَارَتْ عَلَى الْجَمِيعِ كَالسُّورِ » - الْكَامِلُ ج ١١ ص ٤٨٨ .

وأحسنهم صورةً ومعنى . وعاد إلى نصيبين ، فلقبهم أهلها وشكروا إليه من أبى الهيجاء السمين فأنكر عليه وعزله .

وسار إلى حران فوصل إليها فى أوائل ذى القعدة ، فكتب عز الدين صاحب الموصل صاحب خلاط ، وهو شاه أرمن^(١) ، واستنجد به على حرب الملك الناصر . فلما بلغه اجتماعهما سار إلى بحرزم^(٢) بالقرب من ماردین .

ذكر ملكه مدينة آمد وتسليمها إلى صاحب حصن كيفا

قال : ثم سار من هذه الجهة الى آمد فوصل إليها فى سابع عشر ذى الحجة^(٣) فنارزها وحاصرها ، ونصب عليها المجانيق . وهى من أحصن البلاد ، يضرب المثل بحصانتها ، وكان صاحبها ابن نيسان فى غاية الشح ييغل ببذل المال ، فملأ أصحابه وتخادعوا عنه . فأخرج نساء إلى القاضى الفاضل^(٤) وسأله أن يأخذ له الأمان ولأهله ، وأن يؤخر ثلاثة أيام حتى ينقل ماله بالبلد من الأموال والذخائر .

فأجابته الملك الناصر إلى ذلك ، وتسلم البلد فى العشر الأول من المحرم سنة تسع وسبعين وخمسمائة . وانقضت الأيام الثلاثة قبل فراغه من نقل أمواله ، فمئيع مما بقى . وسلم الملك الناصر البلد بما فيه إلى نور الدين صاحب الحصن ، وكان فيه من الذخائر ما تزيد قيمته على ألف ألف دينار^(٥) .

(١) « شاهرمن » فى الأصل ، والتصحيح من النوادر السلطانية ص ٥٨ ، الكامل ج ١١ ص ٤٨٨ .

(٢) بحرزم : بلدة فى واد بين ماردین وديسر من أعمال الجزيرة - معجم البلدان .

(٣) « ثلاث بقين من ذى الحجة » فى مفرج الكروب ج ٢ ص ١٣٤ .

(٤) « الأفضل » فى الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح من الكامل ج ١١ ص ٤٩٤ .

(٥) « ألف دينار » فى الأصل ، والتصحيح من مفرج الكروب ج ٢ ص ١٣٦ ، الكامل ج ١١ ص ٤٩٤ .

ذكر ملكه تل خالد وعين تاب

قال : ثم سار الملك الناصر إلى تل خالد من أعمال حلب فحصرها ورمّاها بالمجانيق ، فطلب أهلها الأمان ، فأمنهم ، وتسلمها في المحرم أيضا .

وسار منها إلى عين تاب ، وبها ناصر الدين محمد [بن خمارتكين] ^(١) من أيام نور الدين الشهيد ، فحصرها ، فرأسله في طلب الأمان على أن يكون الحصن بيده ويكون في خدمته . فأجابته إلى ذلك وحلف له عليه ، فنزل إليه واتصل بخدمته ^(٢) .

ذكر ملكه حلب

قال : ثم سار من عين تاب إلى حلب في المحرم أيضا ونزل بالميدان [الأخضر] ^(٣) عدة أيام ثم انتقل إلى جبل جوشن ^(٤) ؛ فنزل بأعلاه وأظهر أنه يريد [أن] ^(٥) يبني مساكن لنفسه ولأصحابه وعساكره ، وأقام أياما والقتال بين العسكرين في كل يوم .

وكان صاحبها عماد الدين زنكي بن مؤدود بن زنكي مجدا في القتال ، فطالبه بعض الجند بأزراقهم ، [١١٧] فاعتذر بقلّة المال عنده ؛ وكان قد شغّ بإخراجه ، فقال له من يريد حفظ حلب يخرج الأموال ولؤوباع حلى نسائه . فجنح إلى تسليمها ، فرأسل الملك الناصر في طلب العوض عنها ؛ سنجار ونصيبين والخابور والرقة وسروج .

(١) [إضافة للتوضيح من الروضتين ج ٢ ص ٤٢]

(٢) « وكان أيضا في المحرم من هذه السنة » - الكامل ج ١١ ص ٤٩٥ .

(٣) [إضافة للتوضيح من مفرج الكروب ج ٢ ص ١٤١ ، الكامل ج ١١ ص ٤٩٦ .

(٤) جبل جوشن : يطل على حلب من غربها - معجم البلدان .

(٥) [إضافة تنفق والسياق .

فَسَلَّمَ^(١) مَثَلُ حَلْبِ وَأَعْمَالِهَا وَتَعَوَّضَ عَنْهَا قَرَى وَمَزَارِعَ ، وَجَرَتْ
 الْإِيمَانُ عَلَى ذَلِكَ . وَتَسَلَّمَهَا الْمَلِكُ النَّاصِرُ فِي ثَامِنِ عَشْرِ صَفَرِ .
 فَسَبَّ النَّاسُ عِمَادَ الدِّينِ زَنْكِي وَأَسْمَعُوهُ الْمَكْرُوءَةَ عَلَى فَعْلِهِ .
 وَاسْتَقَرَّتْ الْحَالُ بَيْنَهُمَا أَنَّ عِمَادَ الدِّينِ يَحْضُرُ إِلَى خِدْمَةِ الْمَلِكِ
 النَّاصِرِ مَتَى اسْتَدْعَاهُ بِنَفْسِهِ وَعَسْكَرِهِ وَلَا يَحْتَجُّ بِحُجَّةٍ .
 قَالَ : وَلَمَّا تَسَلَّمَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ حَلْبَ امْتَدَحِهِ الْقَاضِي مَحْيَى الدِّينِ
 ابْنُ الزُّكِّي ، قَاضِي دِمَشْقَ ، بِقَصِيدَةٍ جَاءَ مِنْهَا :
 وَفَتَحُكُمْ حَلْبًا بِالسَّيْفِ فِي صَفَرٍ مَبْشَرُ بُفْتُوحِ الْقُدْسِ فِي رَجَبِ^(٢)
 فَكَانَ كَذَلِكَ .
 وَنَقَلَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ أَخَاهُ الْمَلِكَ الْعَادِلَ مِنْ نِيَابَةِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ
 إِلَى حَلْبَ ، فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ ، وَأَعْطَاهُ حَلْبَ وَقَلْعَتَهَا وَأَعْمَالَهَا
 وَمَنْبِجَ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا ؛ وَسَبَّرَهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ .

ذَكَرَ فَتْحَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ حَارِمَ

قَالَ : وَلَمَّا فَتَحَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ حَلْبَ كَانَ بِقَلْعَةِ حَارِمِ^(٣) سَرْخُكَ ،
 وَهُوَ مِنَ الْمَمَالِكِ النُّورِيَّةِ ، فَاِمْتَنَعَ مِنْ تَسْلِيمِهَا ، فَرَأَسَلَهُ فِي ذَلِكَ وَخَيَّرَهُ
 فِيمَا يُرِيدُ مِنَ الْقِلَاعِ ، وَوَعَدَهُ الْإِحْسَانَ ؛ فَاسْتَشْطَ فِي الطَّلَبِ . فَتَرَدَّدَتْ
 الرِّسَالُ بَيْنَهُمْ ، فَرَأَسَلَ سَرْخُكَ الْفَرَنْجَ لِيَحْتَمِيَ بِهِمْ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ مَنْ مَعَهُ
 مِنَ الْأَجْنَادِ فَخَافُوا أَنْ يَسَلِّمَهَا لِلْفَرَنْجِ ، فَقَبِضُوا عَلَيْهِ وَاعْتَقَلُوهُ ،
 وَرَأَسَلُوا الْمَلِكَ النَّاصِرَ فِي طَلَبِ الْأَمَانِ ، فَأَجَابَهُمْ وَتَسَلَّمَ الْحِصْنَ وَرَتَّبَ

(١) « فتسلم » في الأصل ، والتصحيح يتفق مع السياق ، وانظر الكامل ج ١١ ص ٤٩٧ .

(٢) انظر الكامل ج ١١ ص ٤٩٧ .

(٣) حارم : بكسر الراء ، حصن وكورة جليلة تجاه أنطاكية ، وهي من أعمال حلب - معجم
 البلدان .

فيه دُزْدَارًا من بعض خَوَاصِهِ^(١)، وأقام الملك الناصر بحلب إلى أن قرّر قواعدها وأقطع أعمالها.

ذكر حصار الموصل

وفى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة حاصر الملك الناصر الموصل. وذلك أنه سار من دمشق في ذي القعدة سنة ثمانين لقصد حصّارها فلما وصل إلى مدينة بلد^(٢) سیر إليه عز الدين صاحب الموصل والدته وابنة عمه^(٣) الملك العادل نور الدين الشهيد وغيرهما من النساء فى جماعة من أعيان الدولة يسألونه المصالحة، وبذلوا موافقته وإنجاده بالعساكر متى طلبها، ليعود عن قصد الموصل. وإنما أرسلهن ظناً منه أنه لو سير ابنة نور الدين إلى الملك الناصر فى طلب الشام أعطاه لأنها ابنة مخدومه. فتلقاهن بالإكرام، وأحسن إليهن، واستشار أصحابه فى ذلك، فكل أشار عليه بموافقتهن.

فقال له الفقيه عيسى الهكاري وعليّ المشطوب: مثل الموصل لا تترك لا امرأة، وإن عز الدين ما أرسلهن إلا وقد عجز عن الحرب. فوافق ذلك هواء فردهن خائبات، واعتذر بأعذار غير مقبولة، وقصد الموصل وحاصرها، وكان بينهم مناوشات فلم يتمكن منها، فندم حيث

(١) انظر الكامل ج ١١ ص ٤٩٨ - ٤٩٩. مفرج الكروب ج ٢ ص ١٤٦، شفاء العيوب ورقة ٢٨ ب، المختصر ج ٣ ص ٦٧.

(٢) بلد: من أعمال بغداد، على نهر دجلة - معجم البلدان.

(٣) «والده وابن عمه» فى الأصل، والتصحيح يتفق مع السياق، من الكامل ج ١١ ص ٥١٢. وأورد ابن واصل هذا الخبر عند مناقلة صلاح الدين للموصل للمرة الثالثة - مفرج الكروب ج ٢ ص ١٧٠ - ١٧١. وما أورده التويرى يتفق مع ما ورد فى الكامل.

لم يحبس النساء . ففي أثناء ذلك توفي شاه أرمن^(١) صاحب خلط ، فأشار عليه أصحابه بفارقة الموصل وقصد خلط ، ففارقها .

ذكر ملكه ميافارقين

(٢) قال : ولما سار الملك الناصر إلى خلط جعل طريقه ميافارقين وكان صاحبها قطب الدين صاحب ماردین قد توفي^(٣) وملك بعده ابنه وهو طفل وكان حكمها إلى شاه أرمن وعسكره بها ؛ فتوفي شاه أرمن أيضا ، فطمع في أخذها ونازلها . فرآها مشحونة بالرجال ، وفيها زوجة قطب الدين المتوفى وبناته ، والمقدم على جيشها أسد الدين برتقش^(٤) ، وكان فيه شجاعة وشهامة . فحصرها الملك الناصر من أول جمادى الأولى ، ونصب عليها المجانيق والعرادات ؛ واشتد القتال فلم يظفر منها بشيء ؛ فرجع عن القوة إلى أعمال الحيلة . فراسل امرأة قطب الدين المقيمة بالبلد يقول إن أسد الدين قد مال إلينا في تسليم البلد ، ونحن نرعى حق أخيك نور الدين فيك بعد وفاته ، ونريد أن يكون لك نصيب ، وأنا أزوج بناتك بأولادى ، وتكون ميافارقين وغيرها لك وبحكمك ، [١١٨] ووضع من أرسل إلى أسد الدين يعرفه أن الخاتون قد مالت للانقياد إلى تسليمها ، وأن من بخلط قد كاتبوه ليسلموها إليه . فسقط في يده ، وضعفت نفسه ، وأرسل إلى الملك الناصر يقترح إقطاعا ومالا ، فأجيب إلى ذلك . وسلم البلد فى سلخ جمادى الأولى ، وعقد نكاح بعض أولاده على بعض البنات .

(١) « شاه أرمن » فى الأصل ، والتصحيح من الكامل جـ ١١ ص ٥١١ . ومفرج الكروب جـ ٢ ص ١٦٨ ، وسيجرى تصحيحها فى المواضع التالية .

(٢) ميافارقين : أهم مدن ديار بكر ، بإقليم الجزيرة — معجم البلدان

(٣) هو قطب الدين إيلغازى بن ألبى . المتوفى سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م ، وخلفه ابن حسام الدين يولق أرسلان — تاريخ الدول الإسلامية ص ٢٥٢ .

(٤) « يرتقش » فى الكامل جـ ١١ ص ٥١٥ .

ذكر عوده إلى بلد الموصل والصلح بينه وبين صاحبها

قال : ولما تسلم الملك الناصر ميثاقين وفرغ من أمرها وتدبير أحوالها ، عاد إلى الموصل لحصارها . فترددت الرسائل بينه وبين عز الدين صاحبها ، ووقع الاتفاق على أن يسلم للملك الناصر شهرزور وأعمالها ، وولاية القرايلى ، وجميع ما وراء الزاب ، وأن يخطب له على منابر بلاده ، ويضرب السكّة باسمه ؛ وتحالفا على ذلك . فتسلم الملك الناصر البلاد ، وسكنت الدهماء .

ورحل إلى حرّان فمرض بها وطال مرضه حتى أيس منه ؛ ثم عوفى . وعاد إلى دمشق فى المحرم سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة .

قال : ولما كان الملك الناصر مريضاً بحرّان كان عنده ابن عمه ناصر الدين محمد [بن] ^(١) شيركوه ، وله من الإقطاع حمص والرحبة ، فسار إلى حمص واجتاز بحلب ، وأحضر جماعة من أخدامها ، ووعدهم ، وأعطاهم مالا ؛ ثم وصل إلى حمص ورأسل جماعة من الدماشقة على تسليم البلد إذا مات الملك الناصر . وأقام ينتظر موته ؛ فتوفى ناصر الدين ليلة عيد الأضحى سنة إحدى وثمانين ، وعوفى الملك الناصر .

[وكان الملك الناصر ^(٢) لما بلغه ما اعتمده ناصر الدين بحلب ومراسلته للدماشقة ، وضع عليه الناصح بن العميد سقاء سماً فمات ، وطلب ابن العميد من الغد فلم يوجد ؛ وسار من ليلته إلى الملك الناصر ؛ فقويت الظنة ^(٣) بذلك .

(١) [إضافة من مفرج الكروب ج ٢ ص ١٧٤ .

(٢) [إضافة تنفق مع السياق . وانظر شفاء القلوب ورقة ١١ ، الكامل ج ١١ ص ٥١٨ .

مفرج الكروب ج ٢ ص ١٧٤ .

(٣) انظر الكامل ج ١١ ص ٥١٨ .

ولَمَّا تُوفِيَ أَعْطَى الْمَلِكُ النَّاصِرُ إِقْطَاعَهُ لَوْلَاهُ شِيرْكُوهُ ، وَعَمَرَهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً . وَخَلَفَ نَاصِرُ الدِّينِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْخِيُولِ وَالْآلَاتِ شَيْئًا كَثِيرًا ، فَحَضَرَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ إِلَى حَمَصٍ وَعَرَضَ تَرْكَهُ ، وَأَخَذَ أَكْثَرَهَا ، وَاسْتَعَانَ بِهِ عَلَى الْجِهَادِ ، وَلَمْ يَتْرِكْ إِلَّا مَا لَخِيرَ فِيهِ .

وحضر شيركوه عند الملك الناصر [بعد موت أبيه بسنة ^(١)] ، فَأَجْلَسَهُ فِي حَجَرِهِ وَسَأَلَهُ إِلَى أَيْنَ انْتَهَى مِنَ الْقُرْآنِ ، فَقَالَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ ^(٢) ، فَاضْطَرَبَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ لِذَلِكَ وَظَنَّ أَنَّهُ عَرَضَ بِفِعْلِهِ ، وَطَلَبَ مُؤَدِّبَهُ وَلَوْحَهُ فَوَجَدَهُ كَذَلِكَ .

فَعَوَّضَهُ عَمَّا أَخَذَهُ مِنْ مَالِ أَبِيهِ الضِّيَاعَ الْخَرَابَ بِالشَّامِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، وَهُوَ الَّذِي يُعْرَفُ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا بِالْخَرَابِ الْأَسَدِيِّ : وَوَرِثَتُهُ إِلَى هَذَا التَّارِيخِ يَبِيعُونَ خَرَابَ ضِيَاعِ الشَّامِ وَالسَّوَادِ وَالْبَلْقَاءِ وَغَيْرَ ذَلِكَ . وَاسْتَوْلَوْا مِنَ الْخَرَابِ عَلَى مَا لَيْسَ فِي كِتَابِهِمْ ، وَأَبَاعُوا مَا لَا هُوَ لَهُمْ ، فَإِنَّهُ قَبْلَ إِنْ الَّذِي اشْتَمَلَ عَلَيْهِ كِتَابُ الْمُبَايَعَةِ أَرْبَعُمِائَةِ ضَبِيعَةٍ ، وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ قَدْ اسْتَوْلَى عَلَيْهَا الْخَرَابُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، فَأَبَاعَ وَرِثَتَهُ جَمِيعَ مَا خَرِبَ بَعْدَ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يَتَضَمَّنْهُ كِتَابُهُمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُمْ يَبِيعُونَهُ لِأَرْبَابِ الْجَاهَاتِ بِأَحْسَنِ الْأَثْمَانِ . وَأَعْرَفَ بِلْدَا يَسْمَى رَمْدَانٍ مِنْ بِلَادِ الْبَلْقَاءِ بِالْقَرَبِ مِنَ الرَّقِيمِ وَالْجَادِيَّةِ وَسَنْجَابِ ^(٣) اشْتَرَاهَا الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ حَسَامُ الدِّينِ لَاجِينَ الْمَنْصُورِي ^(٤) لَمَّا كَانَ يَنْتُوبُ عَنِ السُّلْطَنَةِ بِالشَّامِ .

(١) [إضافة للتوضيح من الكامل جـ ١١ ص ٥١٨ .

(٢) سورة النساء رقم ٤ آية رقم ١٠ .

(٣) قرى في منطقة البلقاء بالقرب من عمان شرقي نهر الأردن - معجم البلدان .

(٤) هو الملك المنصور حسام الدين لاجين ، ولي سلطنة المماليك في الفترة من ٦٩٦ -

٦٩٨ هـ / ١٢٩٧ - ١٢٩٩ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٦٢ .

من الورثة الأسدية بسبعمائة درهم ؛ فلما مات وانتقل بعضُ ميراثه إلى السلطان الملك الناصر^(١) بالولاء الشرعي . وكنت أباشر ديوانه بالشام ، حصلتُ من مُغل هذه البلدة في سنة إحدى وسبعمائة ما أبيع بنيف وعشرين ألف درهم . فانظر إلى هذا التفاوت العظيم .

ذكر غزوات الملك الناصر وما افتتحه

من بلاد الفرنج

وقد رأيت أن أُفرد غزوات الملك الناصر وفتوحاته ونكباته في الفرنج ، ولا أضم ذلك إلى غيره من أخباره ، لأن فيه ما يدل على قوة الإسلام ، وأن الله تعالى لم يزل يؤيد هذا الدين من عبادته بمن يناضل عنه ، ويحمي حوزته ، ويذب عن أهله ، ويستأصل شأفة عدوهم . ونذكر ذلك على الترتيب .

فكان أول ذلك وصول الفرنج إلى ثغر دمياط ورُجوعهم عنه .

كان وصول الفرنج ، خذلهم الله تعالى ، إلى ثغر دمياط في صفر سنة خمس وستين وخمسمائة ، [١١٩] فحاصروا الثغر . وكان سبب ذلك أن أسد الدين شيركوه لما ولي الوزارة للخليفة العاضد لدين الله خافه فرنج الساحل ، فكاتبوا أهل صقلية والأندلس من الفرنج يستمدونهم ويخبرونهم أن أسد الدين قد ملك الديار المصرية ، وأنهم لا يأمنونه على البيت المقدس . فأمدوهم بالمال والرجال والسلاح ، فنازلوا دمياط وضيقوا على أهلها . فأرسل الملك الناصر إليهم العساكر براً وبحراً ، وكتب إلى الملك العادل نور الدين الشهيد بذلك ، ويعرفه^(٢)

(١) هو الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ولي عرش السلطنة المملوكية ثلاث مرات ، وتوفي سنة ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م — تاريخ الدول الإسلامية ص ١٦٢ .

(٢) « ويعرفه إلا أنه لا يمكنه » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق ، وانظر الكامل ج ١١ ص ٣٥١ - ٣٥٢ .

أنه لا يمكنه الخروج من القاهرة لأنه لا يأمن أمر الشيعة وأنهم يثرون بعده ، فيبقى الفرنج أمامه والمصريون خلفه . فأمدّه نور الدين بعسكر ، وخرج نور الدين بنفسه إلى بلاد الفرنج للإغارة عليها ؛ فاستباح أموالها لخلو البلاد الساحلية منهم فلما بلغهم ذلك رجعوا إلى بلادهم بساحل الشام بعد مقامهم على دمياط نيفاً وخمسين يوماً ، ولم يظفروا منها بشيء . وأخرج العاضدُ للملك الناصر في هذه الغزاة ألف ألف دينار مصرية ، سوى الثياب والأسلحة .

ذكر غزوه بلاد الفرنج وفتح أيلة

وفي سنة ست وستين وخمسمائة سار الملك الناصر عن القاهرة وأغار على أعمال عسقلان والرملة ، وهجم على ربض غزة فنهبه . وأتاه ملك الفرنج^(١) في قلعة من العسكر ليرده ، فهزمه الملك الناصر بعد أن أشرف على أسره ، وعاد إلى القاهرة ، وعمل مراكب مفصلة ونقلها على الجمال إلى البحر ، فجمع قطعها وشدها ، وألقاها في الماء . وحصر أيلة براً وبحراً ، وفتحها في العشر الأول من شهر ربيع الآخر ، واستباح أهلها وما فيها ؛ وعاد إلى الديار المصرية^(٢) .

ذكر محاصرة الشوبك وعوده عنها

قال المؤرخ : وفي صفر سنة سبع^(٣) وستين توجه الملك الناصر إلى حصن الشوبك ونازله ، وحصره ، وضيق على من به من الفرنج . ودام القتال ، فطلب أهله الأمان ، واستمهلوه إلى عشرة أيام فأجابهم

(١) المقصود هو الملك عموري الأول (أمريك الأول) ملك مملكة بيت المقدس الصليبية .

(٢) انظر الكامل جـ ١١ ص ٣٦٥ .

(٣) « ست » في الأصل ، والتصحيح يتفق وسير الأحداث ، ويتفق مع ما ورد في الروضتين جـ ،

ص ٥١٨ ، الكامل جـ ١١ ص ٣٧١ .

إلي ذلك . ثم بلغه أن الملك العادل نور الدين جاء من دمشق إلى الشوبك من الجانب الآخر ، فخاف أن نور الدين متى ملك الشوبك قبض عليه ، فعاد إلى الديار المصرية ، وكتب إلى نور الدين يعتذر بمرض أبيه بمصر ، فقبل عذره ظاهراً ، ووقعت الوحشة بينهما باطنا

ذكر وصول [أسطول] صقلية إلى ثغر الإسكندرية وانهزامه

كانت هذه الحادثة في سنة سبعين وخمسمائة ، ولم يكن للملك الناصر بها غزاة بنفسه ولا مباشرة للحرب . وكان سبب وصول هذا الأسطول إلى الثغر ما قدمناه من مكاتبة المصريين الذين صلبهم صلاح الدين الفرنج . فوصل من صقلية مائتا شينى تحمل الرجال ، وست وثلاثون طريدة^(٢) تحمل الخيل ، وست مراكب تحمل آلة الحرب ، وأربعون مركباً تحمل الأزواد . وفى المراكب من الرجال : خمسون ألفاً ومن الفرسان ألف فارس وخمسمائة فارس . وكان المقدم عليهم ابن عم صاحب صقلية . فوصلوا إلى الثغر فى السادس والعشرين من ذى الحجة سنة تسع وستين على حين غفلة ، فخرج إليهم أهل الثغر بعددهم وأسلحتهم ، فمنعهم المتولّى عليهم ، وأمرهم أن يقاتلوا من وراء السور . وطلع الفرنج إلى البر ونصبوا الدبابات^(٣) وقاربوا السور ؛ وقتلهم أهل البلد قتلاً شديداً . وجاء إلى الإسكندرية من كان إقطاعه بالقرب منها .

(١) [إضافة للتوضيح من الكامل جـ ١١ ص ٤١٢ .

(٢) طريدة : سفينة حربية مخصصة لحمل الخيول — معجم السفن الإسلامية .

(٣) الدبابات : أبراج متحركة تستخدم فى مهاجمة الأسوار والحصون — السلوك جـ ١ ص ٥٦ هامش ١ . وانظر مفرج الكروب جـ ٢ ص ١٤ .

وكتب إلى الملك الناصر بذلك ؛ فتجهَّز بنفسه ؛ وقَدَّم من يَعْلَم أهل
الثغر بوصوله ، وكان أهل الثغر قد آنكوا في الفرنج ، وقتلوا وجرحوا
كثيراً منهم ، وحرَقوا الدِّبَابَات .

ولَمَّا علم الفرنج بِمَقْدَم الملك الناصر جَنَحُوا إلى الهرب ،
وأخذتهم سُيُوف أهل الثغر ، وحرَقُوا بعضَ مراكِبِهِمْ ، ونهبُوا خِيَامَهُمْ ،
وأخذوا سلاحهم ؛ وكَثُرَ القَتْلُ فيهم ، وهَرَبَ مَنْ بَقِيَ ؛ واحتَمَى ثلاثمائة
من الفرسان على تلٍّ ، فقاتَلَهُم المسلمون طوال الليل إلى ضُحَى الغد ،
فأَخَذُوا بين أسيرٍ وقتيلٍ .

[١٢٠] ذكر مسيره إلى عسقلان وغيرها

وانهزام عسكره وعوده

وفي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وخمسمائة خَرَجَ الملكُ الناصرُ إلى غَزَةِ
وعسقلان .

وكان رحيله من القاهرة بعد صلاة الجمعة لثلاثِ ليالٍ خَلُونِ من
جُمَادَى الأولى من السَّنَةِ ، فوَصَلَ إلى عَسْقَلَانَ في يومِ الأَرْبَعَاءِ لِلَّيْلِ
بَقِيَتْ من الشهر ، فَسَبَى وَسَلَبَ ، وضربَ أعناقَ الأسرى ؛ وتفرَّقَ
عسكرُهُ لِلإِغَارَةِ على الأعمال .

ثُمَّ سَارَ إلى الرُّمَّةِ في يومِ الجمعةِ مُسْتَهْلِ جُمَادَى الآخِرَةِ ،
فاعتَرَضَهُ الفرنج وقد جَمَعُوا جُمُوعًا كَثِيرَةً ؛ فَكَانَ بَيْنَهُمَا وَقْعَةٌ عَظِيمَةٌ
اسْتُشْهِدَ فِيهَا أَحْمَدُ وَلَدُ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ تَقَى الدِّينِ [عمر] ^(١) ، وَأَسِيرَ
وَلَدُهُ الثَّانِي شَاهَنْشَاهُ ، وَأَقَامَ في الأَسْرِ سَبْعَ سِنِينَ حَتَّى افْتَكَّهُ السُّلْطَانُ
بِمَالٍ كَثِيرٍ . وَأَسِيرَ الْفَقِيهُ عَيْسَى الْهَكَارَى .

(١) [إضافة للتوضيح .

ثم كانت على المسلمين . وذلك أَنَّ العساكر كانت قد تعبَت للحَرْب ، فلما قاربَهم العدوُّ أراد بعضُ الأُمراء أن ينقل الميمنة إلى الميسرة والميسرة إلى القلب ، فلما اشتغلوا بهذه التَّعبئة هجمَ عليهم الفرنج ، فانكسروا وطلبوا الدِّيار المصرية ، وضلُّوا في الطَّرِيق . وعاد السُّلطان ومَنْ معه إلى القاهرة في يوم الخميس منتصف الشهر ^(١) .

ذكر وقعة مرج عيون وانهزام الفرنج وأسر ملوكهم

كانت هذه الوقعةُ في يوم الأحد لثمانٍ خلَوْن من شهر المحرم سنة خمس وسبعمِئتين وخمسمائة ؛ وكان الفرنج في عشرة آلاف مقاتل . فلما التقوا مع المسلمين انهزم ملكُهم مجروحاً عند اللقاء وأسر منهم جماعة ، منهم : مقدَّم الدَّاوية ^(٢) . ومقدَّم الأستبارية ، وصاحب طبرية ، وأخو صاحب جبيل ^(٣) ، وابن القومصية ^(٤) ، وابن بارزان ^(٥) صاحب الرملة ، وصاحب جينين ، وقسطلان يافا ، وابن صاحب مرقية وعدة من خيالة القدس وعكا . وغيرهم من المقدِّمين الأكابر زادت عدَّتُهم على مائتين وسبعمِئتين ، سوى غيرهم ، فنقلهم السُّلطان إلى دمشق .

فأما ابنُ بارزان فإنه بذل في نفسه مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار صوريَّة ، وإطلاق ألف أسير من المسلمين ، والتَّزَم بعاك الفقيه عيسى الهكاري . وأما ابنُ القومصية فافتكته أمه بخمسة وخمسين ألف

(١) نظر الكامل جـ ١١ ص ٤٤٢ - ٤٤٣ ، مفرج الكروب جـ ٢ ص ٥٨ وما بعدها .

(٢) هو بلدوين الرابع ملك مملكة بيت المقدس الصليبية - الحركة الصليبية جـ ٢ ص ٧٦٠ .

(٣) هو أودو سانت أماند - تاريخ الحروب الصليبية - جـ ٢ ص ٦٧٨ .

(٤) « وأخوه صاحب جبيل » في مفرج الكروب جـ ٢ ص ٧٦ ، الكامل جـ ١١ ص ٤٥٥ .

(٥) المقصود هو ابن كوتيسه طرابلس - تاريخ الحروب الصليبية جـ ٢ ص ٦٧٨ .

(٦) هو بلدوين إبلين .

دينارٍ صُوريّة . وأما مقدّم الداويّة فإنه هلك ، فطُلبت جُثته بإطلاق ألف أسير من مقدّمي المسلمين (١) .

قال : وفي هذا اليوم ظفّر الأسطول المصري ببسطة (٢) كبيرة للفرنج ، فاستولى عليها وعلى أخرى ، وعاد إلى الثغر بألف أسير . واهه أعلم .

ذكر هدم بيت الأحزان

كان الفرنج قد عمروا حصن بيت الأحزان في مدّة مقام الملك الناصر على بعلبك واشتغاله بأمرها ؛ فبنّوه على مخاضة بيت الأحزان ، وبينه وبين صَفد وطبريّة نصف يوم .

وكان في بنائه ضررٌ عظيمٌ على المسلمين ، فبذل لهم الملك الناصر في هدمه مائة ألف دينار ، فأبوا ذلك . فجهز إليه الجيش ، فوصل إلى المخاضة يوم السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة خمس وسبعين ، والحصن مبنّى دونها من الغرب . فنصبوا عليه المجانيق بعد العصر من يوم الأحد ، فما جاء الليل إلا وقد استولوا على الباشورة (٣) . ثم أدارحوه النُقوب ، فاستمرّت إلى يوم الخميس ، ليست بقين من الشهر . فهُدم الجدار ، ودخل العسكر الحصن وغنموا ما فيه ؛ فكان ما غنموا من أنواع السّلاح الجديدة مائة ألف قطعة ؛ وأسروا سبعمائة أسير ، ومن أسرى المسلمين مائة . ثم هُدم الحصن إلى الأساس ، وكان سمكه عشرة أذرع (٤) .

(١) انظر مضمار الحقائق ص ١٦ - ١٨ ، وانظر تاريخ الحروب الصليبية ج ٢ ص ٦٧٦ -

٦٧٩ ، الشرق الأوسط والحروب الصليبية ص ٨٠٤ - ٨٠٥ .

(٢) بطسة = بطشة : مركب حربية كبيرة - معجم السفن الإسلامية .

(٣) الباشورة : الحائط الخارجى للحصن - مفرج الكروب ج ٢ ص ٨١ هامش ١ .

(٤) انظر مفرج الكروب ج ٢ ص ٨٠ - ٨٦ ، الكامل ج ١١ ص ٤٥٥ - ٤٥٨ ، مضمار

الحقائق ص ٢٤ - ٢٦ .

قال : ولما عمر الفرنج بيت الأحران قال النشو أحمد الدمشقي :
هلاكَ الفرنج أنى عاجلا
وقد آن تكسير صلبانها
ولولم يكن قد دنا حتفها
لما عمرت بيت أحرانها^(١)

ذكر مسير الملك الناصر إلى بلاد الأرمن

[١٢١] [وفى سنة ست وسبعين وخمسمائة ، توجه الملك الناصر إلى بلاد الأرمن . وذلك أن ابن لاوون^(٢) ملك الأرمن كان قد استمال قوماً من التركمان ، فلما أتوه وهم آمنون أسرهم . فدخل الملك الناصر إلى بلاده واستولى على قلعة تعرف بالمانقير^(٣) ، وهدمها إلى الأساس ، وأخذ ما فيها من الآلات . ووجد المسلمون في أرضها صهريجاً مملوءاً من الآلات الذهب والفضة والنحاس . فبذل ابن لاوون جملة من المال ، وأنه يطلق الأسرى ، ويشتري خمسمائة أسير من بلاد الفرنج ويطلقهم . فأجابه السلطان إلى ذلك ، وأخذ رهينة عليه . ثم عاد إلى الديار المصرية ، وأقام بها إلى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة^(٤) .

ذكر مسيره إلى الشام والإغارة على طبرية وبيسان

وما كان من الظفر بمراكب الفرنج ببحر عيذاب

وفى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة توجه السلطان الملك الناصر لقصد الشام عند وفاة الملك الصالح بن الملك العادل نور الدين . فأغار

(١) الكامل ج ١١ ص ٤٥٧ .

(٢) هو روبين الثالث - الشرق الأوسط والحروب الصليبية ص ٧٧٨ .

(٣) المناكير في مفرج الكروب ج ٢ ص ٩٩ .

(٤) انظر الكامل ج ١١ ص ٤٦٦ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٩٨ - ٩٩ ، النواذر السلطانية ص ٥٤ .

على طبرية ويّسان في العشر الأوسط من شهر ربيع الأول ، فانتصر بعد قتال .

وفيها كان الظفر بالفرنج يبحر عيذاب^(١) . وذلك أنّ البرنس صاحب الكرك^(٢) عمل أسطولاً بالكرك ، ونقل قطعته إلى بحر أيلة ، وجمعها وألقاها في البحر ، وشحنها بالمقاتلة ، فساروا في البحر واقتربوا فرقتين : فرقة حصلت أيلة ، وفرقة توجهت إلى عيذاب . وأفسدوا السواحل ، ونهبوا ، وأخذوا ما وجدوه من المراكب الإسلامية ومن فيها من التجار . وجاءوا على حين غفلة ، فرأى الناس مالم يعهّدوه ، فإن هذا البحر لم ير الناس فيه فرنجياً قط ، لا تاجراً ولا مقاتلاً قبل هذا الوقت .

وكان الملك العادل ينوب عن أخيه الملك الناصر بالديار المصرية ، فعبر أسطولاً وجّه في جماعة من المسلمين ، ومقدمهم حسام الدين لؤلؤ الخاص ، فسار في طلبهم . وأبتدأ بالمركب التي على أيلة ، فظفر بها ، وقتل بعض من فيها وأسر بعضهم . وتوجه لوقته بعد ظفره بهم إلى الذين توجهوا إلى عيذاب ، وكانوا قد عزموا على الدخول إلى الحجاز وأخذ الحاج ، والدخول بعد ذلك إلى اليمن ، فوصل لؤلؤ إلى عيذاب فوجدهم قد نهبوا ما وجدوه بها وتوجهوا ، فسار في أثرهم ، فبلغ رايغ والحوراء فأدركهم بها ، وأوقع بهم . فلما تحققوا العطب خرجوا إلى البر واعتصموا ببعض تلك الشعاب ، فنزل من مراكبه وقاتلهم في البر أشد قتال ، وأخذ خيلاً من الأعراب الذين هناك فركبها ، وقاتلهم ، فظفر بهم وقتل أكثرهم ؛ وأسر من بقي ، وأرسل

(١) المقصود ميناء عيذاب على البحر الأحمر .

(٢) هو المعروف في المصادر العربية باسم أرناط ، وفي المصادر الأوربية باسم ريجنالد

شاتيون — الشرق الأوسط والحروب الصليبية ص ٧٨٠ .

بعضهم إلى مَنى لِيُنْحَرُوا بِهَا عُقُوبَةً لَهُمْ عَلَى قَصْدِهِمُ الْبَيْتَ الْحَرَامَ .
وعاد إلى مصر ببقية الأسرى ، فقتلوا ^(١) .

ذكر الإغارة على الغور

قال : ولما ملك الملك الناصر حلب وعاد إلى دِمَشْق ثم رحل منها في ثامن جُمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وخمسمائة نزل على بَيْسَانَ فوجد أهلها قد ارتحلوا عنها ، فنهبها العسكر الناصري وتفرقوا بما فيها ، وحرقوا ما لم يمكنهم أخذه . وسار بهم حتى أتى الْجَالُوت ، وهي قرية عامرة وعندها عينٌ جارية ، فعَبَّأ أصحابه عندها للقتال ، ورحل إلى الْفُؤَلَةِ ^(٢) ، ووقع القتال بينه وبين الفرنج ، وكان الظفر له . ثم عاد إلى دِمَشْق ، فوصل إليها في يوم الخميس الرابع والعشرين من جُمادى الآخرة من السنة .

وتوجَّه إلى الكرك في هذه السنة ، وعاد .

ثم جمع العساكر المصرية والحلبية وغيرها وقصد الكرك في سنة ثمانين وخمسمائة ، وهي الدفعة الثانية : فجمع الفرنج فارسهم وراجلهم للذَّبِّ عنها ، ففارقها السلطان ، وجَهَّز طائفةً إلى نابلس فنهبوها وعادوا إليه ^(٣) .

ذكر غزوة الكرك والشوبك

وفتح طبرية ومجدل يابا ويافا

قال العمادُ الأصفهاني في البرقي الشامي : وفي سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة برز الملك الناصر من دِمَشْق في أول المحرم ، في العسكر

(١) انظر مفرج الكروب ج ٢ ص ١٢٧ - ١٣٢ ، الكامل ج ١١ ص ٤٩٠ - ٤٩١ .

(٢) الفؤلة : قرية معروفة بالقرب من عين جالوت - معجم البلدان ، النوار السُلْطانية ص ٦٢ .

(٣) انظر النوار السُلْطانية ص ٦١ - ٦٣ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ١٤٨ - ١٥١ ، الكامل ج ١١ ص ٥٠٢ .

العرمرم ، ومضى بأهل الجنة لجهاد أهل جهنم . فلما وصل إلى رأس الماء^(١) أمر ولده الأفضل بالمقام عندها ليجتمع عنده الأمراء الواصلون من الجهات . وسار السلطان [١٢٢] إلى بصرى ، ثم منها إلى الكرك ، ورعى الزروع وقطع الأشجار . ثم سار إلى الشوبك وفعل مثل ذلك . ووصل إليه العسكر المصري ففرقه على قلعتى الكرك والشوبك . وأقام إلى أن انقضى من السنة شهران ، والملك الأفضل مقيم برأس الماء ، وقد اجتمعت عنده العساكر ، فتقدم إلى سرية منهم بالفارة على أعمال طبرية ، فانتهوا إلى صفورية^(٢) فخرج إليهم الفرنج فقاتلهم ، فكان الظفر للمسلمين ، وهلك مقدم الأسيبار ؛ وعادوا إليه فكانت مقدمة النصر المبين .

وانتهت البشائر إلى الملك الناصر وهو بنواحي الكرك والشوبك ، فسار بمن معه في يوم الجمعة سابع عشر ربيع الأول ، وعرضهم في اثني عشر ألف فارس . وعزم على دخول الساحل ، فانتهى إلى ثغر الأقحوانة^(٣) فاجتمعت الفرنج في زهاء خمسين ألفا ، ونزلوا على مرج صفورية بأرض عكا ، فلم يتقدموا عنها . فتقدم السلطان إلى الأمراء أن يقيموا في مقابلتهم ، ونزل هو بمن معه من خواصه على طبرية وشرع في نقب سورها ، فهدموه في ساعة من نهار ، وامتنعت القلعة بمن فيها .

فلما اتصل بالفرنج فتح طبرية تقدموا ، وذلك في يوم الخميس ثالث شهر ربيع الآخر ، فترك السلطان على طبرية من يحفظ قلعتها ، وتقدم بالعسكر ، فالتقى على سطح جبل طبرية الغربى منها . وحال

(١) رأس الماء : موضع في حوران ، على مسافة ٢٠ ميلاً شمال درعا — معجم البلدان .

(٢) صفورية : قرب طبرية — معجم البلدان .

(٣) ثغر الأقحوانة : على شاطئ بحيرة طبرية — معجم البلدان .

بينهما الليل ، فباتا إلى صبيحة يوم الجمعة ، فتصانما بأرض قرية اللوبيا ؛ واستمرت الحرب بينهما إلى الليل فكانت من أعظم الحروب . ثم باتا إلى صبيحة يوم السبت ، فالتقيا .

فلما عاين القومص^(١) أن الدائرة تكون على طائفته هرب في أوائل الأمر قبل اشتداده ، وسار نحو صور ، فتبعه جماعة من المسلمين ، فنجوا بمفرده . ثم انهزمت طائفة أخرى فتبعها أبطال المسلمين ، فلم ينح منها واحد . واعتصمت الطائفة الأخرى بتل حطين ، فضايقهم المسلمون وأشعلوا حولهم النيران ، فقتلهم العطش ، فأسير مقدمهم ، وقتل الباقون وأيسروا ، وألقى الله عليهم الخذلان .

قال القاضي أبو المحاسن ابن شداد : لقد حكى لى من أتق به أنه لقي بحروران شخصاً واحداً ومعه طنبُ خيمة فيه نيف وثلاثون أسيراً^(٢) . وأما القومص الذى هرب فإنه وصل إلى طرابلس ، وأصابه ذات الجنب ، فأهلكه الله .

قال : وبات السلطان بالمنزلة ، ونزل يوم الأحد على طبرية وتسلم قلعتها فى بقية يومه ، وأقام بها إلى يوم الثلاثاء .

قال : ولما يسر الله هذا الفتح كتب السلطان إلى أخيه الملك العادل سيف الدين بمصر يبشّره به ، وأمره بالمسير إلى بلاد الفرنج من جهة مصر يعمّن بقى عنده من العساكر ، ومحاصرة ما يليه منها ؛ فسارع إلى ذلك ، وسار ونازل حصن مجدليابة^(٣) وفتحها ، وغنم ما فيه ، ثم سار إلى يافا وفتحها عنوة ، وقتل وسبى ، وأسر وغنم ..

(١) المقصود ريموند صاحب طرابلس .

(٢) النوادر السلطانية ص ٧٧ .

(٣) « يافا » فى الأصل . والتصحيح يتفق وعنوان هذه الفقرة ، وما ورد فى الكامل جـ ١١ ص

ذكر فتح عكا ونابلس وحيفا وقيسارية وصفورية والناصرة ومعليا والقولة والطور والشقيف وغير ذلك

قال ابن شدّاد : ثم رحل السلطان طالبا عكا . وكان نزوله عليها في يوم الأربعاء سلخ شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين . وقتلها بكرة الخميس مستهل جمادى الأولى ، فأخذها ، واستنقذ من كان فيها من الأسارى ، وكانوا زهاء أربعة آلاف ؛ واستولى على ما فيها من الأموال والذخائر .

ثم تفرقت العساكر في بلاد الساحل فأخذوا نابلس ، وحيفا ، وقيسارية ، وصفورية ، والناصرة ، ومعليا ، والقولة ، والطور ، والشقيف وقلاعاً تلى هذه كثيرة ؛ وكان ذلك لخلوها من الرجال فأنهم عنهم القتل والأسر^(١) .

ذكر فتح تبنين وصيدا وصرفند وبيروت وجبيل

قال : ثم أرسل السلطان [ابن] أخيه تقي الدين إلى تبنين ، فضابقتها ، وكتب إلى السلطان أن يأتيه بنفسه ، فوصل إليها ونازلها يوم الأحد الحادى عشر من جمادى الأولى ، فسأل من بها الأمان واستمهلوا خمسة أيام لينزلوا بأموالهم ، وأعطوا الأسارى ، فخرجوا إليه ، فسر بهم وكسأهم . وخلص في تلك السنة [١٢٣] من الأسرى أكثر من عشرين ألف أسير ، ووقع في أسره من الكفار مائة ألف .

قال : ثم رحل السلطان من تبنين إلى صيدا ، فاجتاز في طريقه بصرفند فأخذها بعد قتال .

(١) النوادر السلطانية ص ٧٩ . وانظر الكامل ج ١١ ص ٥٣٩ وما بعدها .

(٢) [] إضافة من الكامل ج ١١ ص ٥٤١ .

ثم سار إلى صيدا ، ففارقها صاحبها وتركها خالية ، فتسلّمها ساعة
 وُصُوله إليها لتسع بقين من جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين
 وسار من يومه نحو بيروت فقاتل أهلها على سورها وظنوا أنهم قد
 قدروا على حفظه ، فدخلها المسلمون من الجانب الآخر ، فسألوا
 الأمان فأمّنتهم على أنفسهم وأموالهم ، وتسلّمها في التاسع والعشرين
 من الشهر .

وأما جُبَيْل فكان صاحبها في جملة الأسرى الذين نُقلوا إلى
 دمشق ، فسأل إطلاقه وتسلّمها ، فأحضره مقيّداً ، فسلم البلد وأطلق
 أسرى المسلمين ، وأطلقه السلطان . ^{جروب} معين التاريخ
 لأهل التاريخ
 ذكر فتح عسقلان وما يجاورها

قال : وسار السلطان إلى عسقلان والرملة وغزة والدّاروم وغير
 ذلك .

فنزل على عسقلان في يوم الأحد سادس عشر جمادى الآخرة ،
 ونصب عليها المجانيق ، فسلموها على خروجهم بأموالهم سالمين ؛
 وذلك في يوم السبت سلخ جمادى الآخرة ^(١) .
 ثم تسلّم حصون الدّاروة وهي غزة ، والدّاروم ، والرملة ، وتينى ،
 وبيت لحم ، ومشهد الخليل ، ولد ، وبيت جبريل ^(٢) .

قال : وكان بين فتح عسقلان وأخذ الفرنج لها من المسلمين
 خمس وثلاثون سنة ، فإن العدو استولى عليها في السابع والعشرين من
 جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة .

(١) انظر مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٠٩ - ٢١٠ ، الكامل ج ١١ ص ٥٤٥ . النواذر السلطانية
 ص ٨٠ .

(٢) مفرج الكروب ج ٢ ص ٢١٠ ، الكامل ج ١١ ص ٥٤٦ .

قال العماد : وفوض السلطان القضاء والحكم والخطابة وجميع المناصب الدينية بمدينة عسقلان وأعمالها إلى جمال الدين عبد الله بن عمر الدمشقي ، وهو المعروف بقاضى اليمن .

ذكر فتح البيت المقدس

قال المؤرخ : لما فرغ السلطان الملك الناصر من أمر عسقلان وما بجاورها سار إلى البيت المقدس ، فكان وصوله إليه فى يوم الأحد الخامس عشر من شهر رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة . وكان به البطريرك المعظم عندهم ، وهو أعظم شأنًا من ملكهم ، وبه أيضًا ياليان بن بارزان صاحب الرملة ومن خلص من فرسان الفرنج من حطّين ، واجتمع به أهل عسقلان وغيرها ، كلهم يرى الموت عليه أهون من أن يملك البيت المقدس .

فنزل السلطان بالجانب الغربى وأقام خمسة أيام يطوف حول البلد لينظر من أين يقاتله . ثم انتقل إلى الجانب الشمالى يوم الجمعة ، العشرين من الشهر ، وكانت عدة من به من المقاتلة ستين ألفًا غير النساء والصبيان فنصب السلطان المجانيق فى تلك الليلة ، ونصب الفرنج على السور مجانيق أيضًا ، وقاتلوا أشد قتال رآه الناس لأن كلا من الفريقين يرى ذلك عليه من الواجبات لا يحتاج فيه إلى سلطان . وكانت خيالة الفرنج يخرجون فى كل يوم إلى ظاهر البلد فيقاتلون ويبارزون . وتوالى الزحف ، ونقب المسلمون السور مما يلى وادى جهنم .

فلما رأى الفرنج ذلك أخذوا إلى طلب الأمان ، وبعثوا جماعة من أكابرهم فى ذلك : فامتنع الملك الناصر من ذلك وقال : لا أفعلُ بهم إلا كما فعلتم بأهله حين ملكتموه فى سنة إحدى وسبعين وأربعمئة من

الْقَتْلَ وَالسَّبْيَ . فَلَمَّا رَجَعَ الرَّسُلُ إِلَيْهِمْ ، أَرْسَلَ بِالْيَانِ بْنِ بَارْزَانَ يَطْلُبُ الْأَمَانَ لِنَفْسِهِ لِيَحْضُرَ إِلَى الْمَلِكِ النَّاصِرِ ، فَأَمَنَهُ ، فَحَضَرَ إِلَيْهِ وَسَأَلَهُ الْأَمَانَ ، فَلَمْ يُجِبْهُ ، وَاسْتَعْطَفَهُ فَلَمْ يَتَعَطَّفْ ، وَاسْتَرْحَمَهُ فَلَمْ يَرْحَمْهُ . فَلَمَّا أَيْسَ مِنْهُ قَالَ لَهُ مَا مَعْنَاهُ : أَيُّهَا السُّلْطَانُ ، أَعْلَمُ أَنَّ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ فِي خَلْقٍ كَثِيرٍ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ، وَإِنَّمَا يَفْتَرُونَ عَنِ الْقِتَالِ رَجَاءَ الْأَمَانِ ، وَهُمْ يَكْرَهُونَ الْمَوْتَ وَيَرْغَبُونَ فِي الْحَيَاةِ ؛ فَإِذَا رَأَيْنَا أَنَّ الْمَوْتَ لَا بُدَّ مِنْهُ وَاللَّهُ لَنَقُتِلَنَّ أَهْبَاءَنَا وَنِسَاءَنَا ، وَنُحْرَقَ أَمْوَالُنَا وَأَمْتِعَتُنَا ، فَلَا نَتْرَكُكُمْ تَغْنَمُونَ مِنْهَا دِينَارًا وَاحِدًا وَلَا دِرْهَمًا ، وَلَا تَسْبُونَ وَلَا تَأْسِرُونَ رَجُلًا وَلَا امْرَأَةً . [١٢٤] فَإِذَا فَرَّغْنَا مِنْ ذَلِكَ أَخْرَبْنَا الصَّخْرَةَ وَالْمَسْجِدَ الْأَقْصَى ؛ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْمَوَاضِعِ الشَّرِيفَةِ ؛ ثُمَّ نَقْتُلُ مَنْ عِنْدَنَا مِنْ أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ ، وَهُمْ خَمْسَةُ آلَافٍ ، وَلَا نَتْرِكُ لَنَا دَابَّةً وَلَا حَيَوَانًا إِلَّا قَتَلْنَاهُ . ثُمَّ نَخْرِجُ إِلَيْكُمْ ، كُلُّنَا ، فَنَقَاتِلُكُمْ قِتَالًا مَنْ يَرِيدُ بِحِمِي دَمِهِ وَنَفْسِهِ ، فَلَا يَقْتُلُ الرَّجُلُ مَنَا حَتَّى يَقْتُلَ ؛ فَإِمَّا أَنْ نَمُوتَ أَعْزَاءَ أَوْ نَنْظُرَ كِرَامًا .

فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ كَلَامَهُ اسْتَشَارَ عِنْدَ ذَلِكَ أَصْحَابَهُ ، فَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِمُؤَافَقَتِهِمْ .

وَوَقَعَ الصَّلَاحُ عَلَى أَنْ يَسْلَمُوا أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ ، وَيَهْذُلُوا عَنْ كُلِّ رَجُلٍ مِنَ الْفَرَنْجِ عَشْرَةُ دَنَانِيرَ ، وَعَنْ كُلِّ امْرَأَةٍ خَمْسَةَ ، وَعَنْ كُلِّ طِفْلٍ وَطِفْلَةٍ دَيْنَارَيْنِ ، يَسْتَوِي فِي ذَلِكَ الْغَنِيُّ وَالْفَقِيرُ . وَهَذَا ابْنُ بَارْزَانَ فِي الْفُقَرَاءِ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ مِنْ مَالِهِ ، وَعَلَى أَنْ تَكُونَ الْمُدَّةُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، فَمَنْ آدَى ذَلِكَ قَبْلَ الْمُدَّةِ خَلَصَ وَمَنْ تَأَخَّرَ اسْتَرْقِيَ .

وَتَسَلَّمَ السُّلْطَانُ الْمَدِينَةَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ السَّابِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ شَهْرِ

رجب . وكان يوماً مشهوداً ، ورفعت الأعلام الإسلامية على الأسوار^(١) ،
ورتب السلطان على أبواب البلد أمناء من الأمراء يأخذون من أهله
ما استقر عليهم ، فخانوا ، ولو أدوا الأمانة لامتلات الخزائن .

قال : وصلى الملك الناصر الجمعة الثانية في رابع شعبان في قبة
الصخرة ، وكان الخطيب والإمام القاضي محيي الدين ابن الزكي قاضي
دمشق^(٢) .

ثم رتب له خطيباً وإماماً ونقل إليه المنبر الذي كان عمله الملك
العاقل نور الدين بحلب يرسم البيت المقدس إذا فتحه . وكان بين عمله
وفتح البيت المقدس ما يزيد على عشرين سنة .

ثم تقدم أمر السلطان بعمارة المسجد الأقصى ومحو ما كان الفرنج
صنعوه من الصور على عاداتهم ، ونقل إليه المصاحف ، وطهره من
أدناس الكفر ، رحمه الله تعالى ، وتقدم بعمل الرُّبُط والمدارس ، وجعل
دار الأستبار مدرسة للشافعية^(٣) .

ذكر رحيله ومحاصرة صور

قال المؤرخ : وأقام السلطان الملك الناصر بالبيت المقدس إلى
الخامس والعشرين من شعبان من السنة ، ثم سار لقصد محاصرة صور
وقد اجتمع فيها خلق كثير من الفرنج . وقدم إليها المراكيس^(٤) في

(١) انظر مفرج الكروب ج ٢ ص ٢١١ - ٢١٧ ، الكامل ج ١١ ص ٥٤٦ - ٥٥٣ ، النوار
السلطانية ص ٨١ - ٨٢ .

(٢) هو محمد بن علي بن محمد ، محيي الدين بن الزكي ، توفي ٥٩٨ هـ / ١٢٠١ م - وفاته
الأعيان ج ٤ ص ٢٢٩ رقم ٥٩٤ .

(٣) مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٣٠ .

(٤) هو كتراد ابن ماركيز مونتيفرات - تاريخ الحروب الصليبية ج ٢ ص ٧٦٢ - ٧٦٣ .

البحر بأموال عظيمة ؛ وكانت عادته أن يحضر إلى البيت المقدس بأموال يفرقها ، فلما حضر في هذا الوقت ووصل عكا فرأها قد خرجت عن أيدي الفرنج سار إلى صور فملكها ، وأنفق ما معه على من بها ، فقوى أمره وانحاز إليه جميع من خلص بالأمان من سائر البلاد . فأنفق على سور صور وخنادقها ، وعمقها ، فصارت كالجزيرة في البحر لا يمكن الوصول إليها .

فوصل الملك الناصر إلى عكا في مستهل شهر رمضان ، فأصلح من شأنها ، ثم رحل عنها ونازل صور في تاسع شهر رمضان ونزل على نهر بالقرب من البلد ؛ ثم نزل على تل يقارب صور في الثاني والعشرين من الشهر ، وقسم القتال على العسكر لكل جمع منهم وقت معلوم . واستدعى الأسطول المصري ، وكان بعكا ، فجاءه عشر شوان ، وكان للفرنج في البحر مراكب فيها رماة الجروح^(١) والزنبوركات^(٢) يرمون من دنا من البحر . فاستطال الأسطول عليها ، وأحاط بهم المسلمون وقتلوا براً وبحراً ؛ ثم أغفلوا أمرهم فملك الفرنج من الشواني خمسة وأسرؤا مقدمها^(٣) .

ثم كانت حروب كثيرة ووقائع .

ثم رحل السلطان عنها في آخر شوال ، وهو أول كانون^(٤) ، وسار إلى عكا ، وأذن للعساكر بالعود إلى أوطانهم للراحة في الشتاء والعود في الربيع ، فعادت عساكر الشرق والموصل والشام ومصر ، وبقي

(١) المجرخ - الجروح : أنواع من السهام - انظر مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٤٢ هامش ٤ .

(٢) الزنبورك - الزنبوركات : نوع سنيك من السهام - مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٤٤ هامش

(٣) مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٤٢ - ٢٤٤ ، الكامل ج ١١ ص ٥٥٣ - ٥٥٥ .

(٤) ديسمبر ١١٨٧ م .

السُّلطان في عَكَا في حَلَقَتِهِ وَخَاصَّتِهِ ، وَرَدَّ أَمْرَهَا إِلَى الْأَمِيرِ عَزِ الدِّينِ جُرْدِيك (١) .

ذَكَرَ فَتْحَ هُوَيْنِ

قال المؤرخ : كان السُّلطان لما فَتَحَ ثِيْنِيْنِ اَمْتَنَعَ مَنْ يَهُوَيْنِ مِنْ تَسْلِيمِهَا ، وَهِيَ مِنْ أَحْصَنِ الْقَلَاعِ وَأَمْنَمَهَا ، فَرْتَبَ عَلَيْهَا مَنْ يَحْصُرُهَا ؛ فَطَلَبَ مَنْ بِهَا الْأَمَانَ لَمَّا كَانَ السُّلطانُ يَحَاصِرُ صُورَ ، فَأَمْنَمَهُمْ ، وَنَزَلُوا مِنْهَا وَتَسَلَّمَهَا (٢) .

[وَاتَّفَقَ أَنْ فَتَحَ هَذِهِ الْمَدْنَ وَالْحَصُونِ جَمِيعَهَا مِنْ جَبَلَةٍ إِلَى سَرْمِينِيَّةٍ ، مَعَ كَثَرَتِهَا ، كَانَ فِي سِتِّ جَمْعٍ مَعَ أَنَّهَا فِي أَيْدِي أَشْجَعِ النَّاسِ] (٣) [١٢٥] وَأَشَدَّهُمْ عَدَاوَةً لِلْمُسْلِمِينَ ، فَيَسِّرَ اللَّهُ فَتْحَهَا فِي أَيْسَرِ مَدَّةٍ .

(١) انظر الكامل جـ ١١ ص ٥٥٥ - ٥٥٧ .

(٢) مفرج الكروب جـ ٢ ص ٢٤٧ .

(٣) رغم تتابع أرقام أوراق المخطوط ، فإن الكلام غير متصل فيما بين ورقم ١٢٤ وورقة ١٢٥ ، والفقرة المضافة من الكامل جـ ١٢ ص ١٣ - ١٤ لمواصلة تتابع الأحداث ، وتتفق مع السياق الذي أورده النويري في بداية الورقة ١٢٥ ، أما المدن والحصون التي تشير إليها هذه الفقرة فهي :

- ذكر فتح جبلة - مفرج الكروب جـ ٢ ص ٢٥٨ ، الكامل جـ ١٢ ص ٧ .
- ذكر فتح بكسر ائيل - مفرج الكروب جـ ٢ ص ٢٥٩ ، الكامل جـ ١٢ ص ٨ .
- ذكر فتح اللاذقية - مفرج الكروب جـ ٢ ص ٢٥٩ ، الكامل جـ ١٢ ص ٩ .
- ذكر فتح صهيون - مفرج الكروب جـ ٢ ص ٢٦١ ، الكامل جـ ١٢ ص ١٠ .
- ذكر فتح الشفر وبكاس - مفرج الكروب جـ ٢ ص ٢٦٤ ، الكامل جـ ١٢ ص ١٢ .
- ذكر فتح سمرمانية - مفرج الكروب جـ ٢ ص ٢٦٤ ، الكامل جـ ١٢ ص ١٣ .

ذكر فتح حصن برزية

قال : ولما رحل السلطان من قلعة النغر سار إلى قلعة برزية ^(١) ، وبحصانتها يضرب المثل ، وهى تقابل حصن أفامية ^(٢) وتناصفها فى أعمالها ، وبينهما بحيرة تجتمع من ماء العاصى ، ومن عيون تنفجر من جبل برزية وغيره .

وكان أهلها أضر شىء على المسلمين يقطعون الطريق ويبلغون فى الأذى .

فنزّل السلطان شرقها فى رابع عشرى الشهر ^(٣) ، وركب من الفد وطاف عليها لينظر موضعاً يقاتلها منه ، فلم يجده إلا من جهة الغرب . وهذه القلعة لا يمكن أن تقاتل من جهتى الجنوب والشمال ألبتة ، فإن جبلها لا يصعد إليه من هاتين الجهتين ؛ وأما الجانب الشرقى فيمكن الصعود منه لغير مقاتل لصعوبته وارتفاعه ؛ وأما جهة الغرب فإن الوادى المطيف بجبلها قد ارتفع هناك ارتفاعاً كثيراً حتى قارب القلعة بحيث يصل منه حجر المنجنيق والسهم . فنزّله المسلمون ونصبوا المجانيق ، ونصب أهل القلعة منجنيقاً ، فرأى السلطان المجانيق لا تفيد ، فتركها وعزم على الزحف ومكائرتها بالرجال ؛ فقسّم العسكر ثلاثة أقسام ، يزحفون بالنوبة . فطال ذلك على أهلها وعجزوا عن مقاتلتهم فملكها المسلمون عنوة ونهبوا وأسروا وسبوا ، وأخذوا صاحبها وأهله ، وأمسّت خالية خاوية . وألقى المسلمون النار فى بعض البيوت فاحترقت ^(٤) .

(١) برزية = برزويه : حصن قرب الساحل على سن جبل شامق - معجم البلدان .

(٢) أفامية : حصن على سواحل حصن . يقابل برزية - معجم البلدان .

(٣) هو شهر جمادى الآخرة سنة ٥٨٤ هـ - الكامل ج ١٢ ص ١٤ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٦٥ .

(٤) الكامل ج ١٢ ص ١٤ - ١٧ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٦٥ - ٢٦٧ ، النوادر السلطانية ص ٩٢ - ٩٣ .

ذكر فتح قلعة دَرَبَسَاك

قال : ثم رَحَلَ السُّلْطَانُ بعدُ فُتُوحَ بَرَزِيَّةَ من الغَدِ فَأَتَى جِسْرَ الحديدِ ، وهو على العاصي بالقرب من أَنْطَاكِيَّةَ ، فَأَقَامَ هناكَ حَتَّى وَاثَاءُ من تَخَلَّفَ عَنْهُ مَنْ عَسَكَرَهُ ثُمَّ سَارَ إِلَى قَلْعَةِ دَرَبَسَاكَ ، فَنَزَلَ عَلَيْهَا فِي ثَامِنِ شَهْرِ رَجَبِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَهِيَ مِنْ أَحْصَنِ مَعَاقِلِ الدَّائِيَّةِ وَقَلَاعِهِمُ الَّتِي يَدْخُرُونَهَا عِنْدَ نَزُولِ الشَّدَائِدِ بِهِمْ . فَنَصَبَ عَلَيْهَا الْمِجَانِيْقَ ، وَتَابَعَ الرَّمْيَ بِالْحِجَارَةِ ، فَهَدَمَ قِطْعَةً يَسِيرَةً مِنْ سُورِهَا ؛ ثُمَّ أَمَرَ بِالزُّحْفِ عَلَيْهَا وَمُهَاجَمَتِهَا ؛ فَتَوَالَى الزُّحْفُ وَالْقِتَالُ ، وَتَقَدَّمَ النِّقَابُونَ فَنَقَبُوا مِنْهَا بُرْجًا وَعَلَقُوهُ فَسَقَطَ ، وَطَلَبَ أَهْلُهُ الْأَمَانَ فَأَمَّنَّهُمْ عَلَى أَلَا يَخْرُجُوا مِنْهَا بِغَيْرِ ثِيَابِهِمْ خَاصَّةً ، فَخَرَجُوا كَذَلِكَ ، وَتَوَجَّهُوا إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ ، وَتَسَلَّمَهُ فِي تَاسِعِ عَشْرِ شَهْرِ رَجَبِ ^(١) .

ذكر فتح قلعة بَغْرَاسَ

قال : ثُمَّ سَارَ عَنْ دَرَبَسَاكَ إِلَى قَلْعَةِ بَغْرَاسَ ، فَحَصَرَهَا بعدُ أَنْ اخْتَلَفَ أَصْحَابُهُ فِي حَصْرِهَا ، فَعِنْتَهُمْ مَنْ أَشَارَ بِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ نَهَى عَنْهُ وَقَالَ هُوَ جِصْنٌ حَصِينٌ ، وَقَلْعَةٌ مَنِعَةٌ ، وَهُوَ بِالْقَرَبِ مِنْ أَنْطَاكِيَّةَ . فَسَارَ إِلَيْهَا وَجَعَلَ أَكْثَرَ عَسَكَرِهِ مُقَابِلَ أَنْطَاكِيَّةَ يُغَيِّرُونَ عَلَى ضِيَاعِهَا ، وَبَقِيَ هُوَ فِي بَعْضِ أَصْحَابِهِ عَلَى الْقَلْعَةِ وَنَصَبَ عَلَيْهَا الْمِجَانِيْقَ فَلَمْ يَوْثُرْ فِيهَا ، فَغَلَبَ عَلَى الظُّنُونِ تَعَذَّرَ فَتَحَهَا . فَبَيْنَمَا هُمْ فِي ذَلِكَ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْقَلْعَةِ يَطْلُبُ الْأَمَانَ لِرَسُولٍ ، فَأَعْطِيَهُ ، وَجَاءَ رَسُولٌ يَطْلُبُ الْأَمَانَ لِأَهْلِهَا ، وَسَلَّمَهَا عَلَى قَاعِدَةِ دَرَبَسَاكَ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى مَا طَلَبُوا . وَعَادَ

(١) الكامل ج ١٢ ص ١٧ - ١٨ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٦٧ - ٢٦٨ ، النواير السلطانية

الرَّسُولَ ومعه الأعلام السُّلْطَانِيَّةُ فَرُفِعَتْ عَلَى رَأْسِ الْقَلْعَةِ ، وَتَسَلَّمَهَا السُّلْطَانُ وَأَمَرَ بِتَخْرِيبِهَا فَخَرِبَتْ ^(١) .

ذكر الهدنة بين المسلمين وبين صاحب أنطاكية

قَالَ : وَلَمَّا فَتَحَ السُّلْطَانُ بَغْرَاسَ قَصْدِ حِصَارِ أَنْطَاكِيَّةٍ فَجَاءَتْهُ رُسُلٌ بِيَمِينِهِ تَسْأَلُهُ الْهَدَنَةَ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ بِحَيْثُ يُطْلَقَ جَمِيعُ مَنْ عِنْدَهُ مِنْ أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ . فَاسْتَشَارَ السُّلْطَانُ أَصْحَابَهُ ، فَأَشَارَ أَكْثَرُهُمْ بِذَلِكَ لَيْسَ تَرْجِيحَ الْعَسْكَرُ وَبَجَدُوا [١٢٦] مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ ، فَأَجَابَ إِلَى ذَلِكَ وَوُقِعَتِ الْهَدَنَةُ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ أَوَّلَهَا تَشْرِينَ الْأَوَّلِ ^(٢) .

وَتَوَجَّهَ السُّلْطَانُ إِلَى حَلَبٍ فَوَصَلَ إِلَيْهَا فِي ثَالِثِ شَعْبَانَ ، وَفَرَّقَ الْعَسَاكِرَ الشَّرْقِيَّةَ : عِمَادَ الدِّينِ زَنْكِيَّ بْنَ مَوْدُودٍ صَاحِبَ سَنْجَارٍ ، وَعَسْكَرَ الْمَوْصِلِ ، وَغَيْرَهُمَا . ثُمَّ رَحَلَ إِلَى دِمَشْقَ فَدَخَلَهَا فِي أَوَّلِ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ .

ذكر فتح الكرك والشوبك وما يجاورهما

قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ السُّلْطَانَ كَانَ قَدْ جَعَلَ عَلَى الْكَرْكِ مَنْ يَحْصُرُهُ ، وَهُوَ سَعْدُ الدِّينِ كَمْشِبِي ^(٣) ، فِي أَوَّلِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ ؛ فَلَا زَمَّ الْحِصَارِ هَذِهِ الْمُدَّةَ الطَّوِيلَةَ حَتَّى نَفَذَتْ ذَخَائِرُ الْفَرَنْجِ ، وَأَكَلُوا دَوَابَّهُمْ . فَرَأَسَلُوا الْمَلِكَ الْعَادِلَ أَخَا السُّلْطَانِ ، وَكَانَ السُّلْطَانُ قَدْ جَعَلَهُ بِتِلْكَ النَّوَاحِي فِي تَجْمَعٍ مِنَ الْعَسْكَرِ ، وَسَأَلُوهُ الْأَمَانَ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى سَعْدِ الدِّينِ مُقَدِّمِ الْعَسْكَرِ فَتَسَلَّمَ الْقَلْعَةَ مِنْهُمْ وَأَمَّنَهُمْ .

(١) الكامل جـ ١٢ ص ١٨ - ١٩ ، مفرج الكروب جـ ٢ ص ٢٦٨ - ٢٦٩ ، النوادر السلطانية ص ٩٣ - ٩٤ .

(٢) شهر أكتوبر ١١٨٨ م - شعبان ٥٨٤ هـ - الكامل جـ ١٢ ص ١٩ - ٢٠ .

(٣) « كمشيا » في مفرج الكروب جـ ٢ ص ٢٧١ .

وتسلم أيضا ما قارب هذا الحصن من الحصون وهو الشوبك ،
وهرمز ، والوعيرة ، والسلع فأمنت القلوب من تلك الجهة^(١) .

ذكر فتح قلعة صفد

قال : ولما وصل السلطان إلى دمشق أشير عليه أن يفرق العساكر ،
فقال : إن العمر قصير والأجل غير مأمون ، وقد بقي بيد الفرنج هذه
الحصون : صفد والكوكب ، ولا بد من الفراغ من ذلك فإنهما في وسط
بلاد الإسلام . وأقام بدمشق إلى منتصف شهر رمضان من السنة ، وسار
إلى قلعة صفد ، فحصرها ونصب عليها المجانيق ، ودأب الرمي ليلاً
ونهاراً ، فسألوا الأمان ، فأمنهم وتسلمها ، وخرج أهلها إلى صور^(٢) .

ذكر فتح كوكب

قد قدمنا^(٣) أن السلطان كان قد جعل على كوكب الأمير قايمار
النجمي^(٤) . فلما حصر السلطان صفد أرسل من بؤور من الفرنج نجدة
من جهاتهم إلى كوكب ، وهم مائتا رجل من الشجعان ، فظفر بهم
قايمار فقتلهم عن آخرهم ، وأرسل إلى السلطان المقدّمين عليهم ، وهما
رجلان من فرسان الأسيبتار ، فأمر بقتلها ، فقال أحدهما ما أظن أننا
ينالنا سوء بعد أن رأينا وجهك الصبيح . فعفا عنهما واعتقلهما .

ولما ملك صفد سار عنها إلى كوكب وشدد الحصار ووالى الزحف ،
وأشرف على أخذها ، فسأل الفرنج الأمان فأمنهم وأطلقهم ، وتسلم

(١) الكامل ج ١٢ ص ٢٠ - ٢١ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٧١ - ٢٧٢ .

(٢) وذلك في رابع عشر شهر شوال ٥٨٤ هـ - مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٧٢ .

(٣) لم يذكر النويري ذلك من قبل ، ولكنه ينقل عن غيره . وقد تكرر ذلك في أكثر من موضع .

(٤) هو قايمار بن عبدالله النجمي ، صادم الدين ، توفي سنة ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م - البداية

والنهاية ج ١٣ ص ٢٣ ، الدارس ج ١ ص ٥٧٢ وما بعدها .

الحِصْنِ فِي مُنْتَصَفِ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ .

فَالْتَحَقَ مَنْ كَانَ بِهِ بَصُورٌ فَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُمْ وَكَثُرُوا ، لِأَنَّهُ اجْتَمَعَ عِنْدَهُمْ شُجْعَانُ الْفَرَنْجِ وَكُمَاتُهُمْ . وَتَابَعُوا الرِّسْلَ إِلَى مَلُوكِ الْفَرَنْجِ بِالْأَنْدَلُسِ وَصِقْلِيَّةِ وَالْجَزَائِرِ يَسْتَفِيتُونَ بِهِمْ وَيَسْأَلُونَ الْأَمْدَادَ ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا نَذَكَرَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

قَالَ : ثُمَّ سَارَ السُّلْطَانُ إِلَى الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ فَعِيْدَ فِيهِ عِيْدَ الْأَضْحَى . ثُمَّ سَارَ مِنْهُ إِلَى عَكَا وَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ انْسَلَخَتِ السَّنَةُ ^(١) .

وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ثَارَ بِالْقَاهِرَةِ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الشَّيْعَةِ ، وَنَادَاوْا بِشُعَارِ الْعُلَوِيِّينَ ، وَصَاحُوا : يَا لَعَلِّي ^(٢) وَسَلَكُوا الدُّرُوبَ يُنَادُونَ ، ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّ أَهْلَ الْبَلَدِ يُلْبُونَ دَعْوَتَهُمْ وَيَخْرِجُونَ مَعَهُمْ ، فَيُعِيدُونَ الدَّوْلَةَ الْعَبِيدِيَّةَ وَيَمْلِكُونَ الْبَلَدَ وَيُخْرِجُونَ مَنْ بِالْقَصْرِ مِنَ الْعُلَوِيِّينَ ؛ فَلَمْ يُجِبْهُمْ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ .

فَلَمَّا خَافَ سَعِيْهُمْ تَفَرَّقُوا فَأَخَذُوا . وَكُتِبَ بِذَلِكَ إِلَى السُّلْطَانِ فَأَهْنَأَهُ وَأَزْعَجَهُ .

فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي الْفَاضِلُ عَبْدُ الرَّحِيمِ : يَنْبَغِي أَنْ يَفْرَحَ السُّلْطَانُ بِذَلِكَ وَلَا يَحْزَنَ ، حَيْثُ عَلِمَ مِنْ بَوَاطِنِ رَعِيَّتِهِ الْمَحَبَّةَ لَهُ وَالنُّصِيْحَةَ . وَتَرَكَ الْمَيْلَ إِلَى عَدُوِّهِ . وَلَوْ وَضَعَ السُّلْطَانُ جَمَاعَةً يَفْعَلُونَ مِثْلَ هَذِهِ الْحَالَةِ لَيَعْلَمَ بَوَاطِنُ أَصْحَابِهِ وَرَعِيَّتِهِ وَخَسِرَ الْأَمْوَالُ الْجَلِيَّةُ لَكَانَ قَلِيلًا فَسُرِّيَ عَنْهُ .

(١) الكامل جـ ١٢ ص ٢٢ - ٢٣ ، مفرج الكروب جـ ٢ ص ٢٧٢ - ٢٧٦ ، التوادر السلطانية ص ٩٦ .

(٢) « يال علي » في مفرج الكروب جـ ٢ ص ٢٧٦ ، الكامل جـ ١٢ ص ٢٤ .

(٣) « وغير الأموال » في الأصل ، والتصحيح من الكامل جـ ١٢ ص ٢٤ .

[١٢٧] ذكر فتح شقيف ارنوم

وفى شهر ربيع الأول سنة خمس وثمانين وخمسمائة سار السلطان إلى شقيف ارنوم^(١)، وهو من أمتع الحصون، ليحصره، ونزل بمرج عُيون فنزل صاحب الشقيف، وهو أرناط^(٢) صاحب صيدا، إلى السلطان؛ وكان من أكثر الناس دهاء ومكرًا فقال: أنا محب لك ولدولتك، ومعترف بإحسانك، وأخاف أن يطلع المركيس على ما بيني وبينك فينال أولادى وأهلى منه أذى، فإنهم عنده بؤور؛ وأحب أن تمهلنى حتى أتوصل إلى تخليصهم من عنده، وحينئذ أحضر أنا وهم إلى عندك ونسلم الحصن إليك، ونكون فى خدمتك، نقنع بما تعطينا من الإقطاع. فأجابه السلطان إلى ذلك وظن صدقه، واستقر الأمر بينهما أن يسلم الشقيف فى جمادى الآخرة.

وأقام السلطان بمرج عُيون ينتظر الأجل وهو قلق مفكرًا لقرب انقضاء الهدنة بينه وبين صاحب أنطاكية فأمر تقي الدين ابن أخيه أن يسير فيمن معه من عساكره ومن يأتيه من بلاد الشرق ويكون مقابل أنطاكية لئلا يغير صاحبها على ما يجاوره من بلاد الإسلام عند انقضاء الأجل.

وكان السلطان أيضًا منزعج الخاطر لما بلغه من اجتماع الفرنج بؤور وما يصل إليهم من الأمداد، وأنهم اجتمعوا فى خلق كثير وخرجوا من مدينة صور إلى ظاهرها؛ فخاف أن يترك الشقيف وراء ظهره. وكان أرناط فى هذه المدة يشتري الأقوات من سوق العسكر، والسلاح، وغير ذلك مما يحصن به شقيقه، فيبلغ السلطان فلا يتركه بحسن ظنه. وكان قصد أرناط المطاولة إلى أن يظهر الفرنج من صور.

(١) شقيف ارنوم = شقيف ارنون: قلعة حصينة بين بانياس والساحل - معجم البلدان.

(٢) واسمه رينالد، ويعرف برينجالد صاحب صيدا - الشرق الأوسط والحروب الصليبية ٨٧٠.

فلما قاربَ الأجل تقدّم السلطان إلى الشقيف ، واستدعى أرناط
وقد بقي من الأجل ثلاثة أيام ، فجاءه ، فتحدّث معه في تسليم الحصن ،
فاعتذر بأولاده وأهله وأنّ المركيس لم يمكنهم من المجيء إليه ، وطلب
المهلة مدّة أخرى . فحينئذٍ تحقق السلطان مكّره وخداعه ، فأخذه
وحبسه ، وأمره بتسليم الشقيف فطلب قسيساً وحمله رسالة سرّاً ، وأظهر
أنّه أمره بتسليمه ؛ فامتنع من بالحصن من تسليمه : فسرّ أرناط إلى
دمشق وسجنه ، وتقدّم إلى الشقيف وضيق على من به ، وترك عليه من
يحفظه ويمنع من الوصول إليه . فتسلّمه في يوم الأحد خامس عشر
شهر ربيع الأول سنة ست وثمانين ، وأطلق صاحبه^(١) .

ذكر مسير السلطان من مرج عيون إلى صور وما كان عليها من الوقائع

قال : وجاءت السلطان كتب أصحابه الذين جعلهم يزكاً^(٢) في
مقابلة الفرنج على مدينة صور يخبرونه أنّ الفرنج قد اجتمعوا على
عبور الجسر الذي لصور ، وعزّموا على حصار صيدا . فسار جريدة في
شجعان أصحابه ، فوصل إليهم بعد أن كانت الوقعة بين الفرنج وبين
اليزك .

وذلك أنّ الفرنج خرجوا من مدينة صور ، فلقبهم اليزك على مضيق
وقاتلهم ومنعواهم ، وكانت حرباً شديدة ، وأسير من الفرنج جماعة ،
منهم سبعة رجال من فرسانهم المشهورين ، وقتل من المسلمين

(١) الكامل جـ ١٢ ص ٢٧ - ٢٨ ، مفرج الكروب جـ ٢ ص ٢٨٢ - ٢٨٤ ، النوار السطانية
ص ٩٧ .

(٢) اليزك : طلائع الجيش - صبح الأعشى جـ ١٠ ص ١١٠ .

جماعة . ثم عجز الفرنج عن الوصول إلى صيدا فعادوا إلى صور واقه أعلم^(١) .

ثم كانت لهم وقعة ثانية بعد وصول السلطان مع المتطوعة . وذلك أن السلطان لما جاء إلى صور أقام مع اليزك في خيمة صغيرة ينتظر عودة الفرنج للخروج ؛ فركب في بعض الأيام في عدة يسيرة لينظر إلى مخيم الفرنج من الجبل ، فظن من هناك من المتطوعة أنه قصد الغزاة ، فساروا مجدين وأوغلوا في أرض العدو وبعدوا [١٢٨] عن المعسكر ، وخلفوا السلطان وراء ظهرهم ؛ فبعث من يردهم فلم يرجعوا . وظن الفرنج أن وراءهم من يحميهم فأحجموا عنهم ؛ فلما علموا بانفرادهم حملوا عليهم حملة رجل واحد ، فقتل منهم جماعة من المعروفين ؛ فشق ذلك على السلطان والمسلمين . وكانت هذه الواقعة في تاسع جمادى الأولى .

فلما رأى السلطان ذلك انحدر من الجبل بمن معه ، وحمل على الفرنج فردهم إلى الجسر ، فرموا بأنفسهم في الماء ، ففرق منهم مائة دارع سوى من قتل . وعادوا إلى مدينة صور ، فعادا السلطان إلى تبينين ثم إلى عكا .

ثم كانت وقعة ثالثة في يوم الاثنين ثامن جمادى الآخرة صبر فيها الفريقان^(٢) .

ذكر مسير الفرنج إلى عكا ومحاصرتها

قال المؤرخ : لما كثر جمع الفرنج بصور ، على ما ذكرناه من أن السلطان كان كلما فتح حصناً أو مدينة بالأمان سار أهلها إلى صور

(١) مفرج الكروب جـ ٢ ص ٢٨٤ - ٢٨٥ . الكامل جـ ١٢ ص ٢٩ .

(٢) انظر تفصيل هذه الواقعة الثالثة في الكامل جـ ١٢ ص ٣٠ - ٣١ .

بأموالهم وأهليهم ، اجتمع بها منهم عالمٌ كثير لا يُحصَوْنَ ، وأموالٌ كثيرة ، ثم إن الرهبان والقُسُوس لبسوا السواد وأظهروا الحزن على خروج البيت المقدس عنهم ، وتابَعَهُم جماعةٌ من المشهورين . فأخذهم البطرك^(١) ودخل بهم إلى بلاد الفرنج يطوفُها بهم ويستنجِدُون أهلها ويستجيرون بهم ، ويحتنونهم على الأخذ بثأر البيت المقدس .

وصوَّروا صُورَةَ المسيح عليه السَّلام وصُورة رجل أعرابي والعَرَبِيُّ يضربه بين جماعةٍ ، وقالوا : هذا المسيح يضربه محمد نبي المسلمين ، وقد جَرَّحه وقتله^(٢) .

فعمَّظ ذلك على الفرنج وحشدوا ، حتَّى النساء ، فإنَّهم كانَ معهم على عَكَا عَدَّةٌ من النساء يبارِزن الأقران . ومن لم يستطع أن يخرج استأجر عنه أو يعطيهم مالا . فاجتمع لهم من الرجال والأموال مالا . يُحصى كثرة .

واجتمعوا بصُور والبَحْر يُمدُّهم بالأموال والأقوات والعُدَد والذَّخائر ، فضاقت عليهم مدينة صُور ، باطنُها وظاهرُها ؛ فأرادوا قَصْد صَيْدا ، فكان من رُدِّهم ما ذكرناه .

فاتَّفَقوا على قَصْدِ عَكَا ومُحَاصَرَتِها ؛ فساروا إليها بفارسهم ورَاجِلِهِمْ ، ولزَمُوا البَحْرَ في مسيرهم ، لا يفارقونه في السَّهْلِ والوعر ، ومراكِبُهُمْ تسَافِرُهُمْ وفيها السَّلاح والذَّخائر . فكان رَحِيلُهُمْ من مدينة صُور في ثاني شهر رجب سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، ونزُولُهُمْ

(١) « البترك » في الأصل .

والمقصود رئيس أساقفة صور وهو جوسبوس Goscus الشرق الأوسط والحروب الصليبية ص ٨٨٣ .

(٢) انظر مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٨٨ ، الكامل ج ١٢ ص ٣٢ ، الروضتين ج ٢ ص ١٤١ .

على عكا في مُنتَصَف الشَّهر . فتخطَّف المسلمون مِنْهم في مسيرهم وأخذوا مَنْ انفرد .

وجاء الخبر إلى السُّلطان برحيلهم ، فسار حتى قاربهم . ثم نزلوا على عكا قبل وُصُوله إليها ، ونازلوها من سائر جهاتها براً وبحراً ، فلم يبقَ للمسلمين إليها طريق . ونزل السُّلطان عليهم وضرب خيمته على تل كيسان^(١) وامتدَّت ميمنته إلى تل العياضية وميسرته إلى النهر الجاري^(٢) ، ونزلت الأتقال بصُفُورِيَّة . وسير الكتب إلى الأطراف يستدعى العساكر ، فأناه عسكر الموصل ، وديار بكر ، وسنجار ، وغيرها من بلاد الجزيرة . وأناه تقي الدين ابن أخيه ، ومظفر الدين بن زين الدين صاحب حرَّان والرَّها . فكانت الأمداد تأتي المسلمين في البرِّ وتأتي الفرنج في البحر .

وكان بين الفريقين مدَّةٌ مقامهم على عكا حروبٌ كثيرة .

نحن نذكر المشهورَ منها على سبيل الاختصار ؛ وأمَّا الحروب التي تكون بين بعض هؤلاء وبعض هؤلاء ، والمناوشات ، فلو شرَّحناها لَطَالَ بها الكتاب لأن مدَّة هذا الحصار كانت ثلاث سنين وشهراً .

وكان ابتداء القتال في مُسْتَهَلَّ شعبان من السَّنة . فقاتلهم السُّلطان في ذلك اليوم ولم يبلِّغْ منهم غرضاً ؛ ثم باكرهم القتال واستدار عليهم من سائر جهاتهم إلى أن انتصف النَّهار ، وصبر الفريقان أعظم صبر . فحمل تقي الدين من الميمنة على مَنْ يليه مِنْهم وأزاحهم عن مواقفهم ، فركب بعضهم بعضاً لا يُلَوِي الأخ على أخيه ، والتجأوا إلى مَنْ يليهم من أصحابهم . وانكشف نصفُ البَلَد ، وملك تقي الدين مكانهم ، ودخل

(١) تل كيسان : بفتح الكاف وياء ساكنة : موضع في مرج عكا من سواحل الشام — معجم البلدان .

(٢) هو نهر بالس .

المسلمون البلد وخرجوا منه ، واتصلت الطريق وزال الحصار . وأدخل السلطان إلى البلد [١٢٩] مَنْ أَرَادَ مِنَ الرِّجَالِ ، وَمَا أَرَادَ مِنَ الذَّخَائِرِ . والأموال ، والسَّلاح ؛ فكان مِنْ جُمْلَةٍ مِنْ أَمْرِهِ السُّلْطَانُ بِالذَّخُولِ إِلَيْهَا الأمير حسام الدين أبو الهيجاء السَّمين . وَقُتِلَ مِنَ الْفَرَنْجِ فِي هَذَا الْيَوْمِ خَلْقٌ كَثِيرٌ .

ثم كانت بينهم وقعت في ثامن شعبان ، وتاسعِهِ ، وعَاشِرِهِ ، وحَادِي عَشْرِهِ . ثُمَّ كَانَتْ وَقْعَةٌ فِي تَاسِعِ عَشْرِ شَعْبَانَ بَيْنَ أَهْلِ عَكَا وَالْعُدُوِّ قُتِلَ مِنْ فِي الطَّائِفَتَيْنِ وَجُرِحَ .

ثم كانت الوقعة الكبرى في الحَادِي والعشرين من شعبان وذلك أن الفرنج اجتمعوا وتشاوروا ، وقالوا إن العسكر المصري إلى الآن ما قِيمَ وهذا فَعَلَ السُّلْطَانُ ، فَكَيْفَ إِذَا قَدِمَتْ عَسَاكِرُهُ فَأَجْمَعُوا رَأْيَهُمْ عَلَى مُنَاجَزَةِ الْحَرْبِ . وَكَانَتْ عَسَاكِرُ السُّلْطَانِ مَتَفَرِّقَةً : مِنْهَا طَائِفَةٌ فِي مُقَابَلَةِ أَنْطَاكِيَّةٍ تَمْنَعُ صَاحِبَهَا مِنَ الْإِغَارَةِ عَلَى الْأَعْمَالِ الْحَلِيبَةِ ؛ وَطَائِفَةٌ عَلَى حَمَصٍ فِي مُقَابَلَةِ طَرَابُلُسٍ ؛ وَطَائِفَةٌ تَقَاتِلُ مَنْ بَقِيَ بِصُورٍ ؛ وَطَائِفَةٌ بِالذِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ لِحِمَايَةِ ثَغَرِي الْأِسْكََنْدَرِيَّةِ وَدِمِيَاطٍ ، وَمَنْ بَقِيَ مِنَ الْعَسْكَرِ الْمِصْرِيِّ إِلَى الْآنَ لَمْ يَصِلْ ؛ وَهَذَا مِمَّا أَطْمَعَ الْفَرَنْجَ فِي الظُّهُورِ .

قال : وأصبح المسلمون في هذا اليوم على عَادَتِهِمْ ؛ مِنْهُمْ مَنْ يَتَقَدَّمُ إِلَى الْقِتَالِ وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَيْمَتِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ تَوَجَّهَ فِي حَاجَتِهِ . فَخَرَجَ الْفَرَنْجُ مِنْ مَعَسِكَرِهِمْ كَالْجَرَادِ الْمُنْتَشِرِ قَدْ مَلَأُوا الْأَرْضَ ، فَكَانَتْ وَقْعَةٌ عَظِيمَةٌ ابْتَدَاؤُهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ أُنْزِلَ اللَّهُ نَصْرَهُ عَلَيْهِمْ ، فَهَزَمُوا الْفَرَنْجَ أَقْبَحَ هَزِيمَةٍ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ عَشْرَةُ آلَافٍ ، وَقُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْمَوْقِعَةِ مِنَ الْعِلْمَانِ وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ مِائَةً وَخَمْسُونَ ، وَمِنَ الْمُعْرِوفِينَ الْأَمِيرُ مَجْلَى بْنُ مَرْوَانَ ،

والظهير أخو الفقيه عيسى [الهكاري]^(١) ، وكان والى البيت المقدس ، جمَعَ العلم والدين والشجاعة ، والحاجب خليل الهكاري ، وجمال الدين بن رَوَاحَة الحموي ، ولم يكن بالمصاف . وأسير من الفرنج مقدّم الدَاوِيَة او كان السلطان قد أسره فيما تقدّم وأطلقه ، فقتله الآن .

قال : وأمر السلطان بجمع القتلى وإلقائهم فى النهر الذى يشرب منه الفرنج .

قال العباد الأصفهاني رحمه الله : ومن العجب أن الذين ثبتوا فى هذه الواقعة لم يبلغوا ألفاً ، ردّوا مائة ألف ، وآتاهم الله قوة بعد ضعف . قال ابن الأثير : وأخذ فى جملة الأسرى ثلاث نسوة فرنجيات كن يقاتلن على الخيل ، فلما أسرن وألقى عنهن السلاح عُرفن^(٢) .

ذكر رحيل السلطان عن منزله وتمكن الفرنج من حصار عكا

كان رحيله فى رابع شهر رمضان من السنة . وسبب ذلك أنه لما قُتِل من الفرنج هذه المقتلة العظيمة جافت الأرض منهم وتغيّر الهواء ، وحدث للأمزجة فساد ، وحصل للسلطان مرض القولنج ، وكان يعتريه ، فأشار عليه الأمراء والأطباء بالانتقال ، وقالوا لو أراد الفرنج أن ينصرفوا لما قدروا فإنا قد ضيقنا عليهم ؛ والرأى أن ينتقل عن هذه المنزلة ، فإن رحلوا فقد كُفينا شرهم ، وإن أقاموا عُدنا إلى القتال ، فوافقهم . وكان بشئ الرأى .

(١) [إضافة للتوضيح .

(٢) الكامل ج ١٢ ص ٣٩ .

ورحل السلطان إلى منزلة الخروبة^(١)، وكتب إلى أهل عكا يعلمهم بسبب رحيله ويحثهم على حفظ البلد وغلق أبوابها.

قال: ولما رحل السلطان بعساكره عن تلك المنزلة أمن الفرنج وانبسطوا، وأنبتوا، وعادوا إلى حصار عكا في البر والبحر، وشرعوا في حفر خندق عليهم يكون بينهم وبين المسلمين إن قصدوهم وعملوا سوراً من تراب، وجاءوا بما لم يكن في الحسبان. هذا والسلطان قد اشتد به المرض فلم يستقل منه إلى أن تكامل حفر الخندق وعمل السور من ترابه.

ذكر وصول العسكر المصري في البر [١٣٠] والأسطول في البحر

قال: وفي منتصف شوال سنة خمس وثمانين وصلت العساكر المصرية ومقدمها الملك العادل سيف الدين. فلما وصلت قويت قلوب الناس، وأحضر من آلات الحصار شيئاً كثيراً. ثم وصل بقده الأسطول المصري في خمسين قطعة ومقدمهم الأمير حسام الدين لؤلؤ، وكان شهماً شجاعاً، مقداماً ميمون النقيبة، خبيراً بقتال البحر؛ فوصل بغتة، فوقع على بطشبة كبيرة للفرنج، فغنمها وأخذ ما فيها من الأموال الكثيرة والميرة، وعبر بذلك إلى عكا؛ فسكنت نفوس الناس بذلك. وقال العماد: إنه ظفر ببطشتين^(٢).

(١) الخروبة: تل في الطريق بين صفورية وعكا، في منطقة الجبال التي تشرف على السهل بهذا المنطقة — معجم البلدان.

(٢) مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٠٥.

ذكر خير ملك الألمان وما كان من أمره إلى نهايته

قال العماد الأصفهاني : ونعى الخير بوصول ملك الألمان^(١) إلى قسطنطينية في ثلاثمائة ألف مقاتل على قصد العبور إلى بلاد الإسلام . فاستنفر الملك الناصر الجيوش والعساكر من كل جهة ، وجهز القاضي بهاء الدين شداد وأمره بالمسير إلى الديوان العزيز ببغداد^(٢) وأن يمر على صاحب سنجار^(٣) ، وصاحب الموصل^(٤) ، وصاحب إربل^(٥) ، ويستدعيهم بأنفسهم وعساكرهم .

قال ابن شداد : فسرت في حادي عشر شهر رمضان سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، وأبلغت الرسائل ، فأجابوا إلى ذلك ، فعُدت في خامس شهر ربيع الأول سنة ست وثمانين ، وسبقت العساكر^(٦) .

ثم وصلت العساكر عند انقضاء الشتاء في شهر ربيع الأول وأمدّه الخليفة بجمل من النفط الطيار وجملين من القنا ، وتوقع بعشرين ألف دينار يقبض على الديوان العزيز من التجار ، وخمسة من الزرايين .

(١) هو الامبراطور فردريك بربروسا - الشرق الأوسط والحروب الصليبية ص ٨٨٦ .

(٢) كان الخليفة في ذلك الوقت الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيء ، الذي ولى الخلافة العباسية في الفترة من ٥٧٥ - ٦٢٢ هـ / ١١٨٠ - ١٢٢٥ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٣ .

(٣) هو عماد الدين زنكي بن مودود ، الذي ولى سنجار في الفترة من ٥٦٦ - ٥٩٤ هـ / ١١٧٠ - ١١٩٧ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٣٤٧ .

(٤) هو عز الدين مسعود بن غازي ، الذي ولى حكم الموصل في الفترة من ٥٧٦ - ٥٨٩ هـ / ١١٨٠ - ١١٩٣ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٣٤٦ .

(٥) هو زين الدين يوسف بن علي الذي حكم إربل في الفترة من ٥٦٣ - ٥٨٦ هـ / ١١٦٨ - ١١٩٠ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٣٤٩ .

(٦) النواحر السلطانية ص ١١٥ .

وكان العدو قد اضطلع ثلاثة أبرجة من الخشب والحديد كالجبال وألبسها الجلود المسقاة بالخل ، فيسر الله تعالى على المسلمين إحراقها ، وذلك في الثامن والعشرين من شهر ربيع الأول .

قال : وكان السلطان قد كتب إلى مضر بعمارة الأسطول وإحضاره إلى عكا ، فوصل في يوم الخميس ثامن الشهر ، فكانت الحرب في هذا اليوم في ثلاثة مواضع في البحر ، والحصار في البر ، وكان النصر بحمد الله للمسلمين .

هذا ما كان من أمر السلطان لما بلغه خبر ملك الألمان .

وأما ملك الألمان فقال ابن الأثير في تاريخه الكامل :

وفي سنة ست وثمانين وخمسمائة خرج ملك الألمان من بلاده . وهم طائفة من الفرنج من أكثرهم عدداً وأشدهم بأساً ، وكان قد أزعجه ملك المسلمين البيت المقدس ، فجمع عساكره وسار بهم ، وطريقه في مسيره على القسطنطينية . فأرسل ملك الروم^(١) بخبره إلى السلطان ، ووعدته أنه لا يمكنه من العبور إلى بلاده . فلما وصل ملك الألمان إلى القسطنطينية عجز ملكها عن منعه من العبور لكثرة جموعه ، لكنه منع عنهم الميرة ، فقلت أزواده ؛ وساروا حتى عبروا خليج القسطنطينية ، وصاروا على أرض بلاد الإسلام ، وهي مملكة الملك قليج أرسلان بن مسعود السلجوقي^(٢) . فلما وصلوا إلى أوائلها ناز عليهم التركمان [فمازالوا]^(٣) يسايرونهم ، فيقتلون من انفرد منهم ويسرقون ماقدروا

(١) هو إسحاق الثاني أنجليوس ، الذي ولي عرش الدولة البيزنطية في الفترة من ١١٨٥ -

١١٩٥ م - تاريخ الحروب الصليبية ج ٢ ص ٨٥١ .

(٢) هو قليج أرسلان بن مسعود ، عز الدين ، الذي ولي سلاجقة الروم في الفترة من ٥٥١ -

٥٨٨ هـ / ١١٥٦ - ١١٩٢ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٣٢١ .

(٣) [إضافة تتفق والسياق - من الكامل ج ١٢ ص ٤٨ .

عليه : فنالهم لذلك مشقة عظيمة ، وهلك كثير منهم من الجوع والبرد وكثرة الثلوج .

فلما قاربوا مدينة قونية خرج إليهم الملك قطب الدين ملكشاه بن قَلج أرسلان [ليمنعهم] ^(١) فعجز عن ذلك ، فعاد إلى قونية ، فأسرعوا السير في أثره فنأزلوا قونية وأرسلوا إليه هدية وطلبوا منه أن يأذن للرعية في بيع الأقوات عليهم ، فأذن في ذلك .

• وطلبوا من الملك قطب الدين أن يأمر رعيته بالكف عنهم وأن يجهز معهم جماعة من أمرائه رهائن ، فخافهم ، وسلم إليهم نيفا وعشرين أميراً كان يكرههم . فساروا بهم معهم ، ولم يمتنع اللصوص وغيرهم من أذاهم ؛ فقبض ملك الألمان على من معه من الأمراء وقبضهم ، فمنهم من مات في أسره ومنهم من فدى نفسه ^(٢) .

قال ابن شداد : وأعوزهم الزاد وعراهم جوع عظيم ، وعجزوا عن حمل أقمشتهم ، فجمعوا عدداً كثيرة وسلاحاً [١٣١] وجعلوا ذلك بيدراً ^(٣) وأضرموا فيه النار ، لعجزهم عن حمله ، ولئلا ينتفع به غيرهم . قال : وبقيت بعد ذلك رابية من حديد ^(٤) .

قال ابن الأثير : ثم سار إلى أن أتى إلى بلاد الأرمن ، وصاحبها يومئذ لافون ^(٥) بن اصطفانه بن ليون الأرمني ، فأمدهم بالأقوات والعلوفات ، وحكمهم في بلاده ، وأظهر الطاعة لهم . ثم سار إلى

(١) [إضافة من الكامل جـ ١٢ ص ٤٨ .

(٢) انظر الكامل جـ ١٢ ص ٤٨ - ٤٩ .

(٣) البيدر : الجرن أو المخزن - القاموس .

(٤) النوادر السلطانية ص ١٢٣ .

(٥) هو ليو الثاني بن سديفاني بن ليو الأول - تاريخ الحروب الصليبية ص ٢٣٨ - ٨٣٩ .

أنطاكية ، وكان في طريقهم نهر^(١) فنزلوا عنده ، وعَبَرَ ملكهم إليه لِيَقْتَسِلَ فيه ، ففرق في مكان لا يَبْلُغُ الماءُ وسطَ الرَّجُلِ فيه . وكفى الله شره^(٢) .

وقال ابنُ شَدَّاد : إنه لما وصل إلى طرسوس سَبَحَ في النهر فمَرِضَ من شِدَّةِ بَرْدِ الماءِ فمات ؛ ولما مات سَلَفُوهُ في خل وجمَعُوا عِظَامَهُ في كيس ليحملوها إلى القُدُس ويدفنوها به^(٣) .

قال ابن الأثير : وكان معه ولدٌ كبير فملك بعده وسار إلى أنطاكية ، فاختلف أصحابه عليه ؛ وأحبَّ بعضهم العُودَ إلى بلاده فتخلف عنه ، ومال بعضهم إلى تملك أخ له فعاد أيضا ، وسار هو فيمَن بَقِيَ معه . فمَرَضَهُمْ ، وكانوا ثِيْفًا وأربعين ألفًا وقع فيهم الوباء والموت ، فوصلوا إلى أنطاكية وكانهم قد نَبَشُوا من القبور فتبرم بهم صاحبها وحسن لهم المسير إلى عكا . فساروا على اللاذقية وجبلة وغيرها من البلاد التي ملكها المسلمون ؛ وخرج أهل حلب وغيرها إليهم وأسروا منهم خلقا كثيرا ، ومات أكثر مِمَّنْ أسر^(٤) .

قال : وبلغوا إلى طرابلس وأقاموا بها أياما فكثر فيهم الموت ، فلم يَبْقَ منهم إلا نحو ألف رجل ، فركبوا في البحر إلى الفرنج الذين على عكا .

ولما وصلوا ورأوا ما نالهم في طريقهم وما هم فيه من الاختلاف عادوا إلى بلادهم ، ففَرِقت بهم المراكب ، فلم يَبْجُ منهم أحد^(٥) .

(١) هو نهر سالف .

(٢) الكامل ج ١٢ ص ٤٩ .

(٣) النوادر السلطانية ص ١٢٣ - ١٢٤ .

(٤) الكامل ج ١٢ ص ٤٩ .

(٥) الكامل ج ١٢ ص ٤٩ - ٥٠ .

وقال ابن شدّاد : إنهم لما وصلوا إلى أنطاكية طلب ابن ملكهم من صاحبها قلعتها لينقل إليها أمواله وخزائنه وأثقاله ، فسلمها إليه طمعاً في ماله ، وكان كذلك ، فإنه لم يعد إليه واستولى الإبرنس على ما فيها (١) .

قال : وجاءت فرقة منهم إلى حصن بغراس وظنوا أنه للفرنج ، ففتح لهم وإلى الحصن الباب وتسلم منهم الأموال ، وأسّر جماعة منهم وقتل . وخرج إليهم العسكر الحلبي فقتل منهم وأسّر . ثم أخذ من بقي منهم على طريق طرابلس فخرج عليهم من باللاذقية وجبله ، فقتلوا منهم وأسروا .

ثم ركب ملك الألمان في البحر من طرابلس بمن بقي معه لِقْصْد عكا ، في أواخر شعبان ، فثارت عليهم ريح كسرت منهم ثلاث مراكب ، ووصل الباقيون إلى صور ثم إلى عكا في سادس شهر رمضان سنة ست وثمانين ؛ وكان لِقْدُومهم وقْعٌ عظيم (٢) .

وسياتي ذكر ما تجدد بعد وصولهم إلى عكا إن شاء الله تعالى . فلنذكر ما كان قبل وُصُولهم من الوقائع .

ذكر الوقعة العادلية على عكا

كانت هذه الوقعة في يوم الأربعاء العشرين من جمادى الأولى سنة ست وثمانين .

قال ابن شدّاد : لما بلغ السلطان وُصُول ملك الألمان إلى بلاد الأرمن جهّز بعض العساكر إلى البلاد المتاخمة لطريق عسكر العدو .

(١) النوادر السلطانية ص ١٣٦ .

(٢) النوادر السلطانية ص ١٣٩ - ١٤٠ .

وتقدّم أمره بهذم سورطبرية وهذم يافا وأرسوف وقيسارية ، وهذم سور صيدا وجبيل ونقل أهلها إلى بيروت . فلما علم الفرنج أن العساكر قد تفرقت نهضوا للقتال بغتة وهجموا على الميمنة وفيها مخيم الملك العادل ، فلما بصّر بهم ركب فيمن معه ، وتلاحقت به العساكر ، واقتتلوا ، فكانت من أعظم الوقائع ، قُتل فيها خلق كثير من الفرنج .

قال : ولقد خُضت في الدماء بدائتي واجتهدت أن أعدهم فما قدرت على ذلك لكثرتهم وتفرقتهم ؛ وشاهدت منهم امرأتين مقتولتين . وكانت هذه الوقعة فيما بين الظهر والعصر في الميمنة وبعض القلب ، ولم نفقد من المسلمين فيها غير عشرة غير معروفين ^(١) .

قال : ولما أخبر من بعكا من المسلمين بهذه الوقعة خرجوا إلى مخيم العدو من البلد ، وجرى بينهم مقتلة عظيمة انتصر فيها المسلمون ، ونهبوا ما كان بخيام الفرنج من الأقمشة وغيرها ، حتى الطعام الذي في القدور ، وسبوا النساء .

قال : واختلف الناس في عدد من قُتل من الفرنج في هذه الوقعة ، فقليل ثمانية آلاف ، وقيل سبعة آلاف ، ولم ينقصهم حارر عن خمسة آلاف ^(٢) .

[١٣٢] ذكر وصول الكندهري إلى عكا نجدة للفرنج وماجدّده من آلة الحصار

قال : ثم وصل الكندهري ^(٣) في البحر نجدة للفرنج في عدد كثير أضعاف ما نقص منهم ، ففرق الأموال واستخدم ؛ ونصب المجانيق على

(١) النوادر السلطانية ص ١٢٩ - ١٣١ .

(٢) النوادر السلطانية ص ١٣٠ - ١٣١ .

(٣) هو هنري تروى كونت شامبانيا ، وهو ابن أخى ملك فرنسا من جهة أبيه ، وابن أخى ملك

انجلترا الأعمى - الشرق الأوسط والحروب الصليبية ص ٩١٢

عكا فحرقها المسلمون ؛ ثم نصب منجنيقين فأحرقا في أول شعبان ، وكان قد أنفق عليهما ألف دينار وخمسمائة دينار ، وأسير من الفرنج سبعون في هذا اليوم ومن جُمَلَتهم فارس كبير عندهم فقتله المسلمون^(١)

ثم جهز الفرنج بطشاً لمحاصرة بُرج الذبان^(٢) ، وهو برج في وسط البحر على باب ميناء عكا ، فعمدوا إلى بطشة من البطش وعملوا بُرجاً على صاريها وملأوه حطباً ونفطاً على أنهم يُلحقون البطشة بِبُرج الذبان ، ثم يُحرقون البرج الذي على الصاري . وجعلوا في البطشة قُوداً كثيراً حتى يُلْقَوْه في البرج إذا اشتعلت فيه النيران . وعينوا بطشة ثانية وملأوها حطباً على أنها تدخل بين المراكب الإسلامية ثم يلهيونها فتحترق هي والبطش الإسلامية وجعلوا في بطشة ثالثة جماعة من المقاتلة . وقدموا البطشة نحو البرج ، وكان الهواء مُسعداً لهم ، فلما أحرقوا البطشة والبُرج الذي قصدوا بهما إحراق بطش المسلمين وبُرج الذبان انعكس الهواء عليهم بإذن الله تعالى ، فاحترقت البُطشتان ، وانقلبت الثالثة بِمن فيها من المقاتلة . والله أعلم^(٣) .

ذكر ما كان من أمر الفرنج بعد وُصول ابن ملك الألمان إلى عكا وما اتخذوه من آلات الحصار

قال : ولما وصل ابن ملك الألمان القائم في الملك بعد أبيه إلى عكا كان وصوله إليها في سادس شهر رمضان سنة ست وثمانين

(١) النوادر السلطانية ص ١٣٤ - ١٣٥ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٣٥ .

(٢) برج الذبان : برج في وسط البحر مبنى على الصخر على باب ميناء عكا ، يجرس الميناء ، ومتى عبره المركب أمن غائلة العدو - مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٣٥ .

(٣) النوادر السلطانية ص ١٣٨ - ١٣٩ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٣٥ - ٣٣٦ .

وخمسمائة . فكان أول ما بدأ به أنه خرج إلى يَزْكِيَّة السَّلْطَان وقَاتَلَهُمْ ، فقتل من أصحابه وجرح خلق كثير ، وانكسروا ورجعوا إلى المخيم غروب الشمس من ذلك اليوم ؛ وقتل من المسلمين اثنان وجرح جماعة . فلما عاين ذلك رجع إلى قتال مَنْ في البلد ، واتخذ من آلات الحصار ما لم يُرَ قبل ذلك مثله ، فكان ممَّا أحدثه آلة عظيمة تسمى دَبَابَة يَدْخُل من تحتها المقاتلة ، وهي من الخشب الملبس بصفائح الحديد ، ولها مِنْ تحتها عجلٌ يحرُّك من داخلها حتى تنطح السُّور بشدَّة عظيمة فتهدمه بتكرار نطحها ، وآلة أخرى وهي قبو فيه رجالٌ تسحبُه وفيه كَبَشٌ ، ورأس تلك الآلة ممددة شبه سكة المحراث ، ورأس الكبش مدور ، هذا يهدم بثقله ، وتلك تهدم بحدتها وثقلها ، وهي تسمى سفودا^(١) ، وأعد السَّائِر^(٢) والسَّلَالِيم وغير ذلك ؛ وأعد في البحر بطشة عظيمة وصنع فيها بُرجاً بخرطوم إذا أرادوا قلبه على السُّور بحركة انقلب بحركات ويُبقي طريقاً إلى المكان الذي ينقلبُ عليه تمشي عليها المقاتلة ، ونصب المجانيق وحكمها على السُّور ، وتوالت حِجَارَتُهَا حتى أثرت فيها أثراً بيناً فأخذ المسلمون سهْمَيْنِ عَظِيمَيْنِ من سِهَام الجُرُوح وأحرقوا نِصَالَهُمَا حتَّى بقيَا كالشعلة من النَّار ثم رُمِيَا في منجنيق الفرنج فاحترق ، واتصل لهبهُ بالآخر فأحرقه^(٣) .

ثم زحف العدو على البلد في شهر رَمَضان في خلق كثير ، فأهلهم أهل البلد حتى سحبوا آلتهم المذكورة وقاربوا أن يُلصقوها بالسُّور ويحصل منهم في الخندق جماعة كثيرة ، فأطلقوا عليهم الجُرُوح

(١) مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٣٤ .

(٢) ستارة : سائر ؛ وتتخذ من الجلود واللباد ، وتبل بالخل والشب والنطرون لوقاية الأبراج والدبابات الحشبية والسفن من قذائف النفط — مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٠٣ هامش ٥ .

(٣) انظر التوادر السلطانية ص ١٤٠ - ١٤١ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٣٦ .

والمجانيق والسُّهَامَ والتيران ، وفتحوا الأبواب وهجموا على العدو من كل مكان ، وكبسُوهم في الخندق ، فأنهزموا ؛ ووقع السيف فيمن بقي في الخندق منهم . ثم ألقوا النار في كبشهم ، فاحترق ، وسرَّت ناره إلى السُفُود فاحترق أيضًا ، وعلق المسلمون في الكبش الكلايب الحديد فسحبوه وهو يشتعل ، فحصل عندهم ، فأطفأوه بالماء . ووُزن ما كان عليه من الحديد فكان مائة قنطار بالشَّامى [١٣٣] فكان هذا اليوم من أحسن أيام الإسلام^(١) .

قال : واستأنف الفرنج عَمَل دبابة أخرى وفي رأسها شُكْلٌ عظيم يُقال له الكبش ، وله قرنان في طُول الرُمح كالْعُمدِ الغلاظ ، وسُقُوفها هي والكبش بأعمدة الحديد ، ولَبَسُوا رأس الكبش بعد الحديد بالنحاس ، فلم يَبْقِ للنار عليها سبيل ؛ وشحنوها بالرجال . فنصب المسلمون عليها المجانيق ورموها بالحجارة ، فأبعدت الرجال من حولها ، ثم رموها بحُزْمِ الحطب فأحرقوا ما بين القبرتين ، وخسفها المنجنيق ، وخرج أهل عكا فقطعوا رأس الكبشين .

قال : وفي العشر الأوسط من شهر رَمَضان أَلْقَتِ الرِّيحُ بَطَشَتَيْنِ فِيهِمَا رَجَالٌ ونساءٌ وصبيانٌ ، ومِيرةٌ عظيمةٌ وأغنامٌ ، فغَنِمَهما المسلمون^(٢) .

وكان في إحداها امرأةٌ محتشمةٌ كثيرةُ الأموال ؛ واجتهد الفرنج في استِنقاذها فلم يُجَابُوا لذلك .

وكان بينهم في بَقِيَّةِ السَّنةِ عدَّةُ وقائعٍ يطول شرحها .

(١) مفرج الكروب جـ ٢ ص ٣٣٧ .

(٢) النوادر السلطانية ص ١٤٣ - ١٤٤ ، مفرج الكروب جـ ٢ ص ٣٣٧ .

وفى سابع ذى الحجة هُدِمَتْ قطعةٌ عظيمةٌ من سور عكا فسُدِّها المسلمون وقاتلوا عليها قتالاً شديداً حتى أُحْكِمُوا بناءَها .

وفى ثانى ذى الحجة هلك ابنُ ملك الألمان وكند كبيرٌ ، ومرض الكندهرى ، ووقع فيهم فناءٌ عظيم . والله أعلم .

ذكر وصول ملك افرنسيس

كان وصولُهُ فى ثانى عشر شهر ربيع الأول سنة سبع وثمانين وخمسمائة فى ست بَطْشٍ عظامٍ مشحونة بالمقاتلة^(١) ؛ وكان ملكاً مطاعاً فيهم ، ووعدَهم بالأمداد خلفه . وكان معه باز عظيمُ الخلق أبيض اللون ، فطار من يده وسَقَطَ على سور عكا ، فأخذَه المسلمون وأنفذوه إلى السلطان ؛ فبَدَلَ الفرنج فيه ألفَ دينار فلم يُجَابُوا لذلك .

قال : وزحف الفرنج على عكا فى يوم الخميس الرابع من جمادى الأولى سنة سبع وثمانين ، ونصبوا عليها سبعَةً مجانيق . وبلغ من مُضايقتهم لها أنهم كانوا يُلْقُونَ فى خندقِها ما يموت من دوابهم وما يؤيس منه مَن أنخنه الجراح . وأنقسم أهلُ البلد أقساماً : قسم ينزلون إلى الخندق ويقطعون الدواب ليسهل نقلها ، وقسم ينقلون ذلك إلى البحر ، وقسم يذُبُّون عنهم ، وقسم فى المنجنيقات وحراصة الأسوار .

قال : وكانوا قد صنَعُوا دَبَابَةً عظيمةً أربع طبقات ، الأولى من الخشب ، والثانية من الرصاص ، والثالثة من الحديد ، والرابعة من

(١) هبط الملك فيليب أغسطس ملك فرنسا إلى المعسكر الصليبي أمام عكا فى ٢٠ إبريل سنة ١١٩١ . الشرق الأوسط ١٩٢٢

النحاس ؛ فكانت تعلو على السور وتركب فيها المقاتلة ؛ وقرؤها من السور فكاد أهل البلد يطلبون الأمان ؛ فأعان الله على حرقها^(١) .
وكان في جمادى الأولى عدة وقعات .

قال : ولما حُرقت دُبابات الفرنج وكباشهم وأبرجتهم الخشب وستائرهم أقاموا أمام خيامهم مما يلي عكا تلاً مُستطيلاً عاليًا من التراب ، فكانوا يقفون وراءه ويحولونه ليقربوه من السور ؛ إلى أن صار بينه وبين السور مقدار نصف غلوة سهم . فلم تعمل فيه النار .

ذكر وصول ملك الإنكلتير

كان وصوله إلى عكا في ثالث عشر جمادى الأولى من السنة^(٢) بعد أن ملك في مسيره قبرص عنوة ؛ ووصل في أربعين قطعة . ولما قديم توالى الزحف والقتال . ثم مَرَضَ مرضاً شديداً وجرح الإفرنسيس ، وهم مع ذلك لا يدعون القتال . هذا واللصوص يدخلون عليهم في خيامهم وسرقون أقمشتهم ويخطفونهم ، فكانوا يدخلون على الرجل من الفرنج وهو نائم فيوقظونه ، ويشيرون إليه بالسلاح : إن تكلمت ذبحناك ، ويحملونه [١٣٤] ويخرجون به إلى عسكر المسلمين . فعلوا ذلك مراراً كثيرة .

قال : ثم ترددت الرسائل من الفرنج إلى السلطان مدافعة بسبب مَرَضِ الإنكلتير ؛ ثم استأذن في إهداء جوارح ، وقال إنها قد ضعفت وتغيرت من البحر ، وطلب أن يسير لها دجاج وطير تأكله لتقوى به ثم

(١) مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٥١ - ٣٥٢ .

(٢) وصل الملك رتشارد قلب الأسد ، ملك إنجلترا في ٧ يونية ١١٩١ م - الشرق الأوسط

والحروب الصليبية ص ٩٢٢ .

هدى للسلطان . ففهم السلطان أنه يحتاج ذلك لنفسه لأنه حديث عهد بمرض ، فسير إليه ذلك . ثم أرسل في طلب فاكهة وثلج ، فأرسل إليه . وهم مع ذلك يحاصرون البلد أشد حصار ^(١) .

ذكر استيلاء الفرنج على عكا

قال : ثم اشتد الحصار في سابع جمادى الآخرة ، فركب السلطان بالعسكر وجرى قتال عظيم إلى الليل ، ولم يطعم في ذلك اليوم ؛ ولما حال بينها الليل عاد إلى خيامه . ثم باكر القتال ، فوصلت مطالعة من بالبلد يذكرون أن العجز قد بلغ بهم الغاية ، وأنهم في الغد متى لم يعمل ما يمنع العدو طلبوا الأمان وسلموا البلد . فرأى السلطان مهاجمة العدو ، فلم يساعده العسكر . فضعت نفوس أهل البلد ، وتمكن العدو من الخنادق فملكوها ، ونقبوا السور وأحرقوه ، ف وقعت بدنة من الباشورة ودخل العدو إليها ، فقتل منها زهاء مائة وخمسين نفسا ؛ وكان منهم ستة من أكابرهم ، فقال أحدهم : لا تقتلوني حتى أرحل الفرنج عنكم . فقتل رجل من الأكراد وقتل الخمسة ، فناداهم الفرنج من الغد احفظوا الستة فإننا نطلقكم كلكم بهم . فقالوا : قد قتلناهم . فقوى عزم الفرنج على عدم المصالحة وأنهم لا يطلقون من في البلد إلا بإطلاق جميع الأسرى الذين في أيدي المسلمين ، وتعاد إليهم البلاد الساحلية .

فصالحهم من بالبلد على أنهم يسلمون إليهم البلد وجميع ما فيه من الآلات والعُدَد والمراكب ، ومائتي ألف دينار ، وألف وخمسمائة أسير

(١) مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٥٥ .

تجاهيل الأحوال ، ومائة أسير مُعَيَّنِينَ ، وصليب الصُّلْبُوت ؛ على أنهم يخرجون بأنفسهم ونسائهم وذُراريهم ، ومَآمِعهم من أموالهم وأقمشتهم .

فكتبوا في ذلك إلى السُّلطان ، فأنكر هذا الأمر واستعظمه ؛ وعزم على أن يكتب بالإنكار على مَنْ بعثوا . وجمع أمراءه وأصحاب المشورة ، فها شعر المسلمون إلا وقد ارتفعت أعلام الكُفر وُصُلبانُه على أسوار البلد ؛ وذلك ظهر نهار الجمعة السابع عشر من جُمادى الآخرة ، سنة سبع وثمانين وخمسمائة .

فعظمت المصيبةُ على المسلمين وتحبَّز المسلمون إلى بعض أطراف البلد . ثم ترددت الرِّسائل بينها على تقرير القاعدة في خلاص مَنْ بعثوا من المسلمين ، فاستقرت الحالُ على مائة ألف دينار وستمائة أسير وصليب الصُّلْبُوت . وأنفذوا نقايهم وعاینوا الصُّليب في ثامن عشر شهر رَجَب ؛ ثم طلبوا أن يسلم ذلك إليهم فإذا صار عندهم أطلقوا الأسرى ؛ فامتنع السُّلطان من ذلك إلا بعد تسليم الأسرى .

فلما رآوه قد امتنع منه أخرجوا خيامهم إلى ظاهر الخنادق في الحادى والعشرين من الشهر ؛ ثم ركبوا في وقت العصر في اليوم السابع والعشرين من شهر رَجَب سنة سبع وثمانين ، وجمعوا الأسرى ، وحملوا عليهم سُملة الرجل الواحد ، فقتلوه صبراً ، طعنًا بالرَّمح وضرباً بالسيف ، رحمة الله عليهم ؛ ولم يبقوا من المسلمين إلا أكابرهم . فلما اتصل الخبر بالسُّلطان حمل المسلمون عليهم ، وجرت بينهم حربٌ عظيمةٌ دام القتال فيها طول النهار . وتصرف السُّلطان فيما كان قد حصله من المال ، وأعاد الأسرى إلى أماكنهم ، وردَّ صليب الصُّلْبُوت إلى مكانه ^(١) .

(١) مفرج الكرب ج ٢ ص ٣٥٥ - ٣٦٤ ، النوادر السلطانية ص ١٦٦ - ١٧٢ ، الكامل ج -

١٢ ص ٦٦ - ٦٨ ، وانظر المختصر ج ٢ ص ٧٩ - ٨٠ .

ذكر ما كان بعد أخذهم عكا

قال : ثم سار الفرنج إلى صُوب عسقلان في مستهل شعبان ، وسار السلطان في عراضهم ، والمسلمون يتخطفونهم ويقتلون منهم ويأسرون ؛ وكل أسير جرى به إلى السلطان أمر بقتله . ثم كانت وقعة عظيمة في تاسع شعبان عند رحيلهم من قيسارية ، انتصر فيها المسلمون . ثم رحل السلطان فنزل شعراء أرسوف . وطلب ملك الإنكليز الاجتماع بالملك العادل خلوة ، فاجتمعا ، فأشار بالصلح . وكان حاصل كلامه [١٣٥] أنه قد طال بيننا القتال ونحن في نصرة فرنج الساحل ، ورأى الصلح ، ويرجع كل منا إلى مكانه . فقال له الملك العادل : على ماذا يكون الصلح ؟ قال : على أن تسلموا لأهل الساحل ما أخذ منهم من البلاد . فأبى الملك العادل ^(١) .

ثم كانت وقعة أرسوف في يوم السبت رابع عشر شعبان ؛ وكانت الدائرة فيها على الفرنج ^(٢) .

ذكر هدم عسقلان

قال : ثم رحل السلطان بعد وقعة أرسوف في تاسع عشر شعبان ، ونزل بالرملة ، واستشار أصحابه في أمر عسقلان ، فأشاروا عليه بتخريبها خشية أن يستولى العدو عليها وهي عامرة ، فتكون سببا لأخذ البيت

(١) انظر النواذر السلطانية ص ١٨٢ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٦٧ .

(٢) النواذر السلطانية ص ١٨٣ - ١٨٤ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٦٧ - ٣٦٨ .

المقدس وقطع طريق مصر . فعلم السلطان عجز المسلمين عن حفظها لقرب عهدهم بقتال عكا ؛ فسار حتى أتى عسقلان ، وأمر بتخريبها ، وكان هو وولده الملك الأفضل يستعملان الناس في الخراب خشية من حضور العدو فيتعذر هدمها ، ثم حرقها بالنار ؛ والأخبار تتواتر من جهة العدو بعمارة يافا . واستمر الخراب والحريق إلى سلخ شعبان ^(١) .

ثم رحل السلطان عنها يوم الثلاثاء ، ثاني شهر رمضان فنزل على الرملة يوم الأربعاء ، وأمر بتخريب حصنها وتخريب كنيسة لد . وركب جريدة إلى القدس الشريف ، فوصل إليه في يوم الخميس .

وفي يوم الجمعة ثاني عشر شهر رمضان من السنة كانت بينهم وقعة انتصر فيها المسلمون .

قال : ثم سار السلطان إلى الرملة في سابع شوال وأقام بها عشرين يوماً ، فجرت وقعات ؛ منها وقعة في ثامن شوال ، وفي سادس عشره ، والدائرة فيها على العدو .

وفي ثامن عشر شوال اجتمع الملك العادل والإنكثير على طعام ، وانفصلا ^(٢) على توأد ، وسأله الاجتماع بالسلطان فامتنع السلطان من ذلك .

ثم رحل الفرنج في ثالث ذي القعدة إلى الرملة ، وأظهروا قصد بيت المقدس والحرب مستمرة بين المسلمين وبينهم . ورحل السلطان إلى القدس في الثالث والعشرين من ذي القعدة بنية المقام به ، وشرع في تحصينه .

(١) النوادر السلطانية ص ١٨٧ - ١٨٨ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٦٩ - ٣٧٠ .

(٢) « وانفصلوا » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

ذكر وقوع الصلح والهدنة العامة بين المسلمين والفرنج

قال : ولم تزل الحرب قائمة والمراسلات متصلة بينهم على طلب الصلح ، والسُّلطان لا يرضى بما يختارونه ، وهم لا يُوافقون على ما يريدُه السُّلطان ، إلى الحادي والعشرين من شعبان سنة ثمانٍ وثمانين وخمسمائة ، فوُقعت هدنة عامة في البرِّ والبحر ، وجُهل لهم من يافا إلى قيسارية إلى عكا إلى صور ، وأدخلوا في الصلح طرابلس وأنطاكية . وأُخرج من عمل يافا الرملة ومجدل يابا^(١) ومن عمل عكا الناصرة وصفورية واشترط خراب عسقلان . ووقعت المصالحة مدة ثلاث سنين وثلاثة أشهر^(٢) ، أولها مُبتدأ أيلول الموافق لهذا التاريخ ، وذلك بعد سؤال ملك الإنكلتير وتكرار رسائله .

قال : ثم أمر السُّلطان أن يُهادي في الطرقات والأسواق : ألا إن الصلح قد انتظم ، فمن شاء من بلادنا يدخل بلادهم ومن شاء من بلادهم يدخل بلادنا فليفعل .

ووقع له عزم الحج في ذلك المجلس^(٣) .

ثم أمر بإرسال مائة نقاب لتخريب سور عسقلان وإخراج الفرنج منها ، فخرَّبَت . وكان يوم الصلح يوماً مشهوداً واختلط العسكران .

ثم اشتدَّ المرض بالإنكلتير فرحل ليلة الأربعاء التاسع والعشرين من شعبان وسار معه الكندهرى إلى جهة عكا ، ولم يبق بيافا [١٣٦]

(١) مجد لياية : قرية قرب الرملة - معجم البلدان .

(٢) « وثمانية أشهر » في الكامل ج ١٢ ص ٨٥ .

(٣) انظر النوادر السلطانية ص ٢٣٥ .

إلا مريضاً أو عاجزاً . ثم أذن السلطان للناس في الرجوع إلى أوطانهم ، فسار عسكرُ إربل والموصل وسنجار ؛ وقوى عزمه على الحج .

ثم عاد السلطان إلى القدس ورتب أحواله وعين الكنيسة التي في شارع قمامة للبيمارستان ونقل إليه العقاقير والأدوية ؛ وأدار سُور القدس . وأقام بالقدس إلى يوم الأربعاء رابع شوال ، وخرج في يوم الخميس خامس الشهر قاصداً دمشق . فلما انتهى إلى طبرية وصل إليه بهاء الدين قراقوش الأسدي وقد خلص من الأسر ، فاستصحبه معه وكشف القلاع والحصون ، ودخل إلى دمشق في يوم الاثنين السادس عشر من شوال سنة ثمانٍ وثمانين وخسمائة ؛ وجلس الناس يوم الخميس ؛ وأنشده الشعراء ؛ وكان مجلساً عاماً ، وعمَّ الناس فيه بَعْدَهِ . ولم يَزَلْ كذلك إلى أن مات ، رحمه الله تعالى .

ذكر وفاة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب

كانت وفاته رحمه الله تعالى بعد صلاة الصبح يوم الأربعاء لثلاثِ بَقيِن من صَفَر سنة تسعٍ وثمانين وخسمائة .

وكان مولده بقلعة تكريت في شهور سنة اثنتين وثلاثين وخسمائة ؛ فكان عمره سبعاً وخمسين سنة تقريباً . ومدة ملكه منذ وَلِيَ وزارة العاضد لدين الله ولقب بالملك الناصر لثمانِ بَقيِن من جُمادى الآخرة سنة أربعٍ وستين وخسمائة وإلى هذا التاريخ أربعاً وعشرين سنة وثمانية أشهر وخمسة أيام ؛ ومنذ خلع العاضد في سابع المحرم سنة سبعٍ وستين وخسمائة اثنتين وعشرين سنة وشهراً واحداً وعشرين يوماً .

وكان ابتداء مرضه يوم السبت سادس عشر صفر؛ ونال المسلمون لوفاته من الألم ما لا يُعبر عنه. ولما مات دُفن بقلعة دمشق في منزله؛ وما زال ابنه الأفضل يترؤى في موضع ينقله إليه، فشرع في بناء تربته عند مسجد القَدَم^(١) وبني عندها مدرسة للشافعية. وأمر ببناء التربة في سنة تسعين وخمسمائة؛ فاتفق وصول ابنه العزيز تلك السنة من الديار المصرية للحصار، فخرّب ما كان قد ارتفع من البناء. ثم أمر بعمارة القبة في حدّ جامع دمشق، فعُمرت ونُقل إليها يوم عاشوراء سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة؛ ومشى الأفضل أمام تابوته وأخرج من باب القلعة على دار الحديث إلى باب البريد^(٢)، وأدخل منه إلى الجامع، وصلى عليه قدام باب السر، صلى عليه القاضي محيي الدين محمد بن علي بإذن الأفضل. ثم حمل إلى لحده، وألحده الأفضل وجلس في الجامع ثلاثة أيام.

وكان الملك الناصر رحمه الله كريماً جواداً شجاعاً، حسن الأخلاق، مضت أكثر أيامه في الجهاد في سبيل الله تعالى.

قال ابن شدّاد: لما مات السلطان لم يخلف في خزانته من الذهب والفضة إلا سبعة وأربعين درهماً ناصرية وجراماً^(٣) واحداً ذهباً صورياً، ولم يخلف ملكاً في سائر أنواع الأملاك. وحسب ما وقّبه من الخيل في مدة مُقامه على عكا فكان تقديره اثني عشر ألف رأس؛ ولم يكن له فرس يركبه إلا وهو موهوب أو موعود به، وصاحبه يلازمه في طلبه؛ وما حضر

(١) مسجد القدم، جنوبي الحصباء بدمشق

(٢) باب البريد: أحد أبواب الجامع الأموي بدمشق. الدارس ج ٢ ص ٣٧١ وما بعدها.

(٣) «جرما واحدا» في مفرج الكروب ج ٢ ص ٤٢٦. وانظر أيضاً الفتح القمى ص ٦٢٩، حيث ذكر «ولم يخلف في خزانته سوى دينار واحد وستة وثلاثين درهماً»

اللقاء إلا استعار فرساً فركبه . وكان لا يلبس إلا ما يحل كالكتان والقطن والصوف . وكان له ركعات يصلّيها من الليل^(١) .

وخلف رحمه الله من الأولاد ، على ما نقله العماد الأصفهاني وغيره سبعة عشر ولدا : الملك الأفضل نور الدين أبو الحسن [على]^(٢) ، وهو أكبرهم ؛ والملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان ؛ والملك الظاهر غياث الدين ، وقيل شهاب الدين ، أبو منصور غازي ؛ والملك الظافر مظفر الدين أبو العباس خضر ؛ والملك المعز فتح الدين أبو يعقوب يوسف^(٣) ؛ والملك الأعز شرف الدين أبو يوسف^(٤) يعقوب [١٣٧] والملك المؤيد نجم الدين أبو الفتح مسعود ؛ والملك الزاهر مجير الدين أبو سليمان داود^(٥) ؛ والملك المفضل قطب الدين أبو محمد موسى^(٦) ؛ والملك الأشرف عز الدين محمد^(٧) ؛ والملك المحسن شهاب الدين^(٨) أبو العباس أحمد ؛ والملك الجواد ركن الدين أبو سعيد أيوب ؛ والملك المظفر^(٩) فخر الدين أبو منصور تورانشاه ؛ والملك العادل نور الدين أبو المظفر

(١) النوادر السلطانية ص ٧ وما بعدها .

(٢) [إضافة للتوضيح من مفرج الكروب ج ٢ ص ٤٢٣ .

(٣) « إسحاق » في مفرج الكروب ج ٢ ص ٤٢٥ ، الروضتين ج ١ ص ٧١٠ .

(٤) « أبو سيف » مفرج الكروب ج ٢ ص ٤٢٤ .

(٥) « والملك الزاهر محيي الدين أبو الفتح سليمان مسعود » في الأصل . والتصحيح من مفرج

الكروب ج ٢ ص ٤٢٤ ، الروضتين ج ١ ص ٧١٠ .

(٦) « أبو موسى قطب الدين » في الروضتين ج ١ ص ٧١٠ .

(٧) « عزيز الدين » في الروضتين ج ١ ص ٧١٠ ، و « نصير الدين » في مفرج الكروب ج ٢

ص ٤٢٥ .

(٨) « بين الدين » في مفرج الكروب ، و « ظهير الدين » في الروضتين ، و « زين الدين » في

شفاء القلوب ورقة ٥٤ أ .

(٩) « المعظم » في مفرج الكروب ، والروضتين ، وشفاء القلوب .

ملكشاه^(١) ؛ والملك المنصور نُصرة الدين مروان^(٢) ؛ والملك الصالح
معين الدين إسماعيل^(٣) ؛ وعماد الدين شادي ، ويسمى عمر ؛ وابنة
صغيرة^(٤) .

ذكر من ملك الممالك التي كانت جارية في ملك السلطان
الملك الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله تعالى
من أولاده وإخوته وأقاربه وألزامه بعد وفاته

استقرَّ ملكُ دمشق وما معها للملك الأفضل نور الدين أبي الحسن
على ، وهو أكبر أولاده ووليَّ عهده ، وعنده أخواه شقيقاه الملك الظاهر
خضر والملك الأفضل موسى^(٥) .

واستقرَّ ملكُ الديار المصرية للملك العزيز عماد الدين أبي الفتح
عثمان .

واستقرَّ ملكُ حلب وما يليها للملك الظاهر غياث الدين غازي ،
وعنده أخوه الملك الزاهر داوود ، فجعله من قبله على البيرة .

واستقرَّ ملك حمص والرحبة [وتدمر]^(٦) للملك المجاهد أسد الدين
شيركوه بن محمد بن شيركوه ، وهو ولد ابن عم السلطان الملك الناصر .

(١) « الملك الغالب أبو الفتح ملكشاه » في مفرج الكروب ، والروضتين ، وشفاء القلوب .

(٢) « الملك المنصور أبو بكر » في مفرج الكروب ج ٢ ص ٤٢٥ ، و« نصرة الدين مروان » في
الروضتين ج ١ ص ٧١١ .

(٣) لم يرد ذكره في مفرج الكروب والروضتين .

(٤) « وأما البنت فهي مؤنسة خاتون ، تزوجها الملك الكامل محمد » الروضتين ج ١ ص
٧١١ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٤٢٦ ، شفاء القلوب ورقة ٧٤ أ .

(٥) « الأفضل » في الأصل ، والتصحيح يتفق مع ما سبق .

(٦) [إضافة من مفرج الكروب ج ٣ ص ٤ .

واستقر ملك حماة وسَلَمِيَّة والمَعْرَة وَمَنْبِيج للملك المنصور ناصر الدين محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب .

واستقر ملك حرَّان والرُّها ومِثاقَريق والرَّقة وقلعة جعبر والكرك والشَّوبك للملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب ، وهو أخو السُّلطان .

واستقر ملك بعلبك للملك الأجدد [بهرامشاه] ^(١) بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب .

واستقر ببيعرين وأقاميه وكَفَرطَاب عز الدين [إبراهيم] ^(٢) بن شمس الدين بن المقدم .

واستقر بصُهيون ناصر الدين [منكورس بن خمارتكين] ^(٣) غلام أبي قبيس .

واستقر بتلّ باشر بدر الدين دُلْدُرم بن ياروق .

واستقر بَعِينتاب ناصر الدين شحنة حلب .

هذه الممالك التي كانت جارية في ملك السُّلطان الملك الناصر رحمه الله .

فلنذكر الآن أخبار الديار المصرية ومن ملكها بعد وفاة السُّلطان الملك الناصر ، ونجعل ما يقع لهؤلاء الملوك ، أو في ممالكهم ، من الحوادث في ضمن أخبار ملوك الديار المصرية ؛ وننبه عليها بالتراجم ، على ما نفق عليه إن شاء الله تعالى .

(١) [إضافة من مفرج الكروب ج ٣ ص ٤ .

(٢) [إضافة من مفرج الكروب ج ٣ ص ٤ .

(٣) [إضافة من مفرج الكروب ج ٣ ص ٤ .

ذكر أخبار الملك العزيز عماد الدين أبي الفتح عثمان ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب

وهو الثاني من ملوك الدولة الأيوبية بالديار المصرية ^(١) ملك الديار المصرية عندما وصل إليه الخبرُ بوفاة والده السلطان الملك الناصر ، رحمه الله تعالى ، وذلك في شهر ربيع الأول سنة تسع وثمانين وخمسمائة .

ولما ملك أحسن السيرة وأطلق جميع ما كان يؤخذ من التجار وغيرهم من المكوس على اسم الزكاة . وجَهَّز إلى البيت المقدس عشرة آلاف دينار لتصرف في مصالحه ؛ وأكرم أصحاب أبيه وعاملهم الأفاضل أخوه صاحب دمشق بخلاف ذلك ، فمالت القلوب إلى الملك العزيز ونفرت عن الملك الأفضل . فاستشعر الأفضل من أمرائه ، وعزم على القبض عليهم ؛ فبلغهم الخبر ففارقوه ، واتصلوا بخدمة أخيه الملك العزيز بالديار المصرية في بقية السنة . فأكرمهم وقربهم ^(٢) وكان منه ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر استيلاء الفرنج على جبيل

[١٣٨] كان استيلاؤهم على حصن جبيل في مستهل صفر سنة تسعين وخمسمائة بمواطأة ممن كان فيه . وذلك أن الحصن كان عدة من فيه خمسة عشر رجلاً ، فندب متولى البلد منهم عشرة لجباية الجزية ، وخرج متولى الحصن إلى الحمام ، فاستصحب أحد الخمسة الذين تأخروا

(١) ولد الملك العزيز عثمان بدمشق في ٨ جمادى الأولى سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م — السلوك ج ١ ص ١١٤ .

(٢) عن أسباب الوحشة بين الآخرين — انظر مفرج الكروب ج ٣ ص ١٤ - ١٥ .

بالحصن معه ، وبقي به أربعة من الأكراد ، فأغلقوا باب الحصن . وتوجه أحدُهم إلى الفرنج الذين بالتيرون فأخبرهم بخلو الحصن ، وكان به حذاد نصراني ، فصعد هو والثلاثة إلى أعلى الحصن . فلما عاد الوالي منعوه من الدخول ورموه بالحجارة ، فكسروا يده ، وقالوا هذه القلعة قد صارت للقومص . وجاء أهل التيرون بالليل فطردوا من كان بالباشورة من المسلمين .

ووصل ابن ريمون أخو صاحب جبيل وتحدثوا مع الأكراد ، فنزل أحدهم إليهم وقرّر معهم أن يُعطوا نصف ما بالحصن من سائر الخواصل وغيرها ، وأن تكون لهم ثلاثة ضياع من عمل طرابلس ؛ واستحلفهم على ذلك . وتسلموا الحصن . فرتب الفرنج فيه من الجرّجية^(١) ألفاً وخمسين جرّجياً^(٢) .

فلما اتصل الخبرُ بالسُلطان الملك العزيز عظم عليه ، وأخرج خيامه في يوم الأحد العشرين من شهر ربيع الأول ، وأمر بالاستعداد للخروج إلى الشام لاستنقاذ جبيل من الفرنج ، وأرسل شمس الخلافة رسولا إلى الفرنج بسبب إعادة جبيل فتوجه في سادس عشر شهر ربيع الآخر .

وفي سنة تسعين وخمسمائة ، لسبع بقين من شهر ربيع الأول ، عُزل القاضي صدر الدين بن درباس وقوض القضاء بالديار المصرية للقاضي زين الدين أبي الحسن علي بن يوسف بن عبد الله بن رمضان الدمشقي ؛ فرلّى سنة وعُزل في سنة إحدى وتسعين وخمسمائة ، وأعيد القاضي صدر الدين . وقيل بل ولي القاضي يحيى الدين محمد بن عبد الله بن أبي عصرون ، وعُزل في يوم الأحد سادس عشر المحرم سنة اثنتين وتسعين

(١) المقصود رماة السهام الجرّجية .

(٢) انظر تاريخ الحروب الصليبية ج ٣ ص ١٧٠ ، ص ١٧٧ .

وخمسمائة . وأعيد القاضي زين الدين الدمشقي فولى سنة ، ثم عزل ،
وأعيد القاضي صدر الدين إلى أن توفى فى سنة خمس وستمائة والله أعلم .

ذكر مسير الملك العزيز إلى الشام والصلح بينه وبين أخيه الملك الأفضل وعوده إلى القاهرة

قال : وفى تاسع عشر شهر ربيع الآخر سنة تسعين وخمسمائة توجه
الملك العزيز إلى الشام وترك بالقاهرة من الأمراء بهاء الدين قراقوش
وصيرم ، وجَهَّز ثلاثة عشر لواءً إلى ثغرنا الإسكندرية ودمياط ومعهم
سبعمائة فارس . واستصحب معه من الأمراء سبعة وعشرين أميراً عدتهم
تقدير ألفى فارس ، ومن الحلقة ألف فارس . فلما انصل بالأفضل خروجه
استعد وأنفق النفقات الوافرة ، وخرج إلى رأس الماء فى سبعمائة فارس ،
ولما وصل الملك العزيز إلى الفور احتاط على الخاص الأفضلى به ، وشرع
فى إقطاع أعمال الشام . وجَهَّز من أمرائه : قايماز ، وعشرين أميراً ،
منهم ، جهار كس ، وميمون القصرى ، وسنقر الكبير ، والشجاع الخادم ،
والجناح ، وجرديك . فتقدموا ووقفوا على أطراف العسكر الشامى ،
فرجع الأفضل إلى دمشق وغُلقت أبواب البلد لما قرب العسكر المصرى
منها .

وتقدم العزيز وترك ثقله بمسجد القصب بظاهر دمشق ، ونزل هو
بالكُسوة ^(١) ؛ فاستنجد الأفضل بعنه الملك العادل فحضر إلى دمشق ،
وحضر الظاهر من حلب ، وناصر الدين صاحب حماة ، وأسد الدين

(١) الكُسوة : قرية هى اول منزل تنزله القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر .

صاحب حمص ، وعسكرُ الموصل وغيره . فلما رأى العزيز اجتماعهم علم أن لا قُدْرَةَ له بهذا الجمع ، وكتب إلى عمه العادل يقول : أنا ما خرجتُ من الديار المصرية إلا لاستنقاذ جُبَيْل من الفرنج ، قبلقني أن الملك الأفضل حالف الفرنج على ، واستنصر بهم ، ووعدهم أن يُعيد البلاد إليهم ، فاقترض ذلك سَوَقًا إليه . [١٣٩] وبلغنا أنك تدخل بيننا وبينه ، وحوشيت من ذلك ، وأنا خيرُ لك من غيري . وإن أردت أن تكون السلطان ورئيس الجماعة فأنا راضٍ بذلك .

وكتب لأخيه الملك الظاهر وغيره من [حكام] ^(١) الممالك وتردّت الرسائل بينهم .

وتقرّرت الحال على أن يكون للملك العزيز البيت المقدس وما جاوره من أعمال فلسطين ؛ وأن تكون دمشق وطبرية وأعمال الغور للملك الأفضل ؛ وأن يُعطى الأفضل لأخيه الملك الظاهر جبلة واللاذقية ؛ وأن يكون للملك العادل بالديار المصرية إقطاعه الأول ، وأن يُخطب للملك العزيز ببلاده وتُنقش السُّكّة باسمه ؛ وأن الملك العزيز يمده بألف فارسٍ إعانة له على فتح خلاط .

واجتمع الملك العادل بالملك العزيز ، وتزوج العزيز ابنته ، وجاء الملك الظاهر صاحب حلب إلى أخيه الملك العزيز . وتقرّرت قواعد الصلح . وتأخر الملك العزيز إلى الكُسوة ثم إلى مرج الصفر ^(٢) ، ومرض به ثم أفاق .

ولما عزم على العود إلى الديار المصرية خرج لودّاعه سائر الملوك الذين حضروا لنصرة الأفضل ، ثم خرج إليه الأفضل في سبع شعبان

(١) [إضافة تتفق والسياق .

(٢) « مرج الصفر » من نواحي دمشق ، إلى الجنوب الغربي منها — معجم البلدان .

وأدركه بنيق ، وهي أعلى الغور ، فأكرمه الملك العزيز ، وبألغ في احترامه وساله الأفضل أن يرجع إلى دمشق ليزور قبر أبيه ، فأجاب إلى ذلك ؛ ثم أشار عليه أصحابه ألا يفعل ، فامتنع . وعاد الأفضل ، وسار العزيز إلى الديار المصرية فدخلها في أواخر شعبان .

وفي مستهل جماد سنة تسعين وخمسمائة هبت رياح عاصفة بالقاهرة من وقت العصر ، وسقط في ثالث الشهر برد كثير أكبره قدر البيض وأصغره قدر النبق ، وصار على جبل المقطم منه شيء كثير كالجبل الثاني ؛ ونقل الناس منه مدة أربعة أيام ؛ ثم سأل حتى ملأ الخندق ، ودخل الماء من المرامي التي في السور إلى القاهرة ، وعلا ، حتى خيف على البلد .

ذكر خروج الملك العزيز لقصد الشام ثانيا ورجوعه وقصد العادل والأفضل الديار المصرية وما تقرر من القواعد

كان سبب ذلك أن الملك الأفضل قلّد وزارة دمشق لضيء الدين ابن [(١)] الأثير الجزري وحكّمه في البلاد ، فقصد الأمراء بالأذى والإطراح ، وتشاغل الأفضل عنهم . ففارق خدمة الأفضل [فارس الدين] [(٢)] ميمون القصري [وشمس الدين] [(٣)] وسنقر الكبير وعز الدين سامة ، وغيرهم . وحضر بعض هؤلاء إلى الديار المصرية وانضموا إلى الملك العزيز ، وقالوا له : إن الأفضل مسلوب الاختيار ؛ وحرّضوه على قصد دمشق ؛ فخرج إليها في سنة إحدى وتسعين وخمسمائة .

[(١)] إضافة من مفرج الكروب ج ٣ ص ١٠ ، السلوك ج ١ ص ١٢٣ .

[(٢)] إضافة من مفرج الكروب ج ٣ ص ١١ .

[(٣)] إضافة من مفرج الكروب ج ٣ ص ١١ .

فلما اتصل خبرُ خروجه بالأفضل ركبَ من دمشق في رابعِ مُجَادَى الأولى وتوجّه إلى عمّه الملك العادل ، وهو بقلعة جَعْبَر ، واستنجد به ، وسار إلى أخيه الملك الظاهر بحلب واستنجد به أيضاً ، فركبَ الملكُ العادلُ وجَدَّ في السير إلى دمشق خوفاً أن يسبقه العزيز إليها . وكاتبَ الملكُ العادلُ الأمراءَ الذين صُحِبَوا العزيز ، وكان العزيز قد نَزَلَ بمنزلة القَوَارِ على مرحلتين من دِمَشق ، واستمالهم وحذَّره من العزيز ، فمالوا إليه ، واستمالوا أبا الهيجاء السمين ، وفارقوا العزيز وقصَّدوا دمشق ؛ وذلك في يوم الاثنين رابعِ رَبيعِ شِوَال من السَّنة .

فلما وصلوا إلى دِمَشق اتَّفَقَ العادلُ والأفضل ، وتحالفاً على قَصْدِ العزيز وانتزاعِ الدِّيارِ المصريَّة منه ، على أن يكونَ ثُلُثُ الدِّيارِ المصريَّة لِلْمَلِكِ العادلِ إقطاعاً والثُّلُثَانِ لِلْمَلِكِ الأفضل . وساروا في طلبِ العزيز ، فَرَجَعَ إلى الدِّيارِ المصريَّة وجَدَّ في السير ودخلَ القاهرة ^(١) .

قال : ولما وصلَ العادلُ والأفضلُ إلى القدس سلَّماء وأعماله وما يجاوره من أعمالِ السَّاحِلِ لأبي الهيجاء السمين ، فرُبَّ فيه نَوَابِه ، وسار معها إلى الدِّيارِ المصريَّة . فنَزَلَ الملكُ العادلُ على بلييس ، وكان السعرا ما شيا ^(٢) فاستظهر العزيز عليهم .

[١٤٠] قال : ولم يكن غرضُ العادلِ قَصْدَ مِصْرٍ وإنما خَشِيَ على الملكِ العزيز من الأمراء أن يقتلوه ويستولوا على الدِّيارِ المصريَّة ، فقصدها لهذا السبب .

ولما ضاقت الميرةُ على العسكرِ الشَّامِيِ وقلَّتْ أزوادهم نَدِمُوا على وُصُولِهِمْ إلى الدِّيارِ المصريَّة ؛ فَأَرْسَلَ الملكُ العادلُ إلى القَاضِيِ الفاضلِ

(١) انظر تفصيل ذلك في مفرج الكروب ج ٣ ص ٤٦ - ٤٩ .

(٢) « وكانت أيام زيادة النيل ، والأسعار غالية ، والعلف متعلراً في السلوك ج ١ ص ١٢٦ .

عبد الرحيم في الاجتماع به ، فأذن له العزيز في ذلك ؛ فخرج إليه ، فاستبشر الناس بخروجه رجاء وقوع الصلح . وركب العادل وتلقاه على قراسخ ^(١) ، فاجتمعا ، واستقرت القواعد على أن يكون إقطاع العادل بمصر على عادته ، وأن تكون إقامته عند الملك العزيز بالقاهرة ، وأن يعفو [العزيز] ^(٢) عن الأسدية والأكراد .

واجتمع العادل بالأفضل وأمره بالرجوع إلى دمشق . ثم اجتمع الأفضل بالعزيز ، واستقر الصلح بينها ، وأهدى العزيز إليه هدايا جليلة المقدار . ورجع الأفضل إلى دمشق ومعه أبو الهيثم السمين ، فدخلها في المحرم سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة .

ولم تطل المدة إلى أن بلغ الملك العادل عن الأفضل ما استوغر خاطره ، فعند ذلك قرر ، مع الملك العزيز ، أن يجهز العساكر لتمهيد قواعد الملك بالشام وسائر البلاد ، وأتفقا على أن يكون العزيز بدمشق والعادل ينبؤ عنه بالديار المصرية .

ذكر ملك الملك العزيز دمشق وخروج الأفضل إلى صرخد

قال : ولما اتفق الملك العادل والملك العزيز على ما قرراه تجهز [الملك العادل] ^(٣) للمسير إلى دمشق وبرز بخيابه من القاهرة في يوم السبت

(١) المقصود أنه سار عدة أميال لاستقباله .

(٢) [إضافة للتوضيح ، وانظر مفرج الكروب ج ٣ ص ٥٢ ، السلوك ج ١ ص ١٢٨ .

(٣) [إضافة للتوضيح — انظر ما يلي عند الحديث عن خروج العزيز .

مستهل شهر ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة [في] ^(١) ثلاثة آلاف فارس . ثم برز الملك العزيز في يوم الثلاثاء ، رابع الشهر ، وظاهر خروجه ودأعه لعنه الملك العادل ، وحث العساكر المجردة على الخروج . وأقام ببركة الحب .

فلما كان في العشرين من الشهر اتصل بالملك العادل عن الملك الأفضل أنه كاتب الأسدية ، وأنه قبض على أموال كانت للعادل بدمشق ، وأطلق رهائن كانت عند نوابه ، وأنه وافق الظاهر صاحب حلب ؛ فقرر مع الملك العزيز أن يتوجها جميعاً يأخذاً دمشق من الأفضل وحلب من الظاهر ، فانفقاً على ذلك وعقداً بينهما يمينا .

وشرع الملك العزيز في تجهيز رجال الحلقة والأعيان ، ورحل هو وعنه الملك العادل من البركة في يوم الثلاثاء ثامن جمادى الأولى ، فحصل للعادل ضعف في هذا النهار منعه عن الحركة . وكان وضولها إلى بلييس في سابع عشر الشهر ، وكملت صحة العادل في العشرين من الشهر ، وسار إلى الشام على مهل ورفق .

فلما تحقق الملك الأفضل قصدهما لبلاده استشار شيوخ دولته ، فأشاروا عليه أن يستقبل أخاه وعنه ويسلم لها الأمر ؛ وأشار وزيره ضياء الدين ابن الأثير الجزري بالتصميم والمخالفة ، فرجع إلى رأيه ، وحضن البلد ، وفرق الأمراء على الأسوار . فلما رأى شيوخ الدولة وأكابرها أنه لم يرجع إليهم واعتمد على رأى وزيره راسلوا الملك العزيز والملك العادل في انتهاز الفرصة ؛ فركبا بعساكرهما وتأهباً في يوم الأربعاء السادس والعشرين من شهر رجب وخرج أهل دمشق لقتالهم ؛ والتقوا في السابع والعشرين من الشهر . فلم يكن بأسرع من انهزام العسكر

(١) [إضافة تنفق والسياق .

الشامي . وتبعهم العزيز والعاذل حتى ألجأهم إلى سور البلد ، ودخلوا دمشق ^(١) ، وتبعهم العسكر ، فملكوا البلد .

فبعدها ركب الملك الأفضل إلى خيمة أخيه الملك العزيز ، واجتمع به بظاهر دمشق .

قال : ودخل الملك العادل ومن معه باب توما والباب الشرقي ، ونزل بالدار الأسدية . ودخل الملك العزيز من باب الفرج وبات في دار عمته الحسامية ^(٢) . وملك العزيز دمشق وأقيمت له الخطبة في يوم الجمعة الثامن والعشرين من الشهر .

قال : ولما ملك الملك العزيز دمشق ندم على ما كان قرر من إقامته بالشام وتمكين عمه الملك العادل من الديار المصرية واعتذر [١٤١] إلى أخيه الملك الأفضل في السر . فأظهر الأفضل سره لمن معه فظنوا أن هذه خديعة . فأرسل إلى العادل وأعلمه برسالة العزيز ، فعتبه العادل ، فأنكر الحال ^(٣) . وخرج الأفضل إلى صرخد ^(٤) وقرر له في كل سنة مائتي ألف درهم من صرخد وغيرها ، وهو كاره لذلك . وسأل أن يكون بمكة ؛ وينقطع إلى الله تعالى ، وينزل عن الملك ، فلم يجبه العزيز .

وكان خروج الأفضل من دمشق إلى صرخد يوم الاثنين ، ثاني شعبان سنة اثنتين وتسعين ، فكانت مدة ملكه لدمشق ، منذ وفاة والده إلى أن ملكها العزيز ، ثلاث سنين وخمسة أشهر .

(١) « من دمشق » في الأصل . والتصحيح يتفق مع السياق .

(٢) « وبات عند عمته ست اشام بنت أيوب — المعروفة بالحسامية — والدة حسام الدين بن لاحق ، وإليها تنسب مدرسة ست الشام بدمشق » — مفرج الكروب ج ٣ ص ٦٣ - ٦٤ .

(٣) انظر مفرج الكروب ج ٣ ص ٦٦ - ٦٧ .

(٤) صرخد : قلعة حصينة ، من أعمال دمشق ، ملاصقة لبلاد حوران — معجم البلدان .

وَدَخَلَ الْمَلِكُ الْعَزِيزُ قَلْعَةَ دِمَشْقَ وَاسْتَقَرَّ بِهَا فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ رَابِعِ شَعْبَانَ مِنْ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ ، وَجَلَسَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِدَارِ الْعَدْلِ وَأَسْقَطَ مِنَ الْمَكُوسِ بِدِمَشْقَ مَا هُوَ مَقَرَّرٌ عَلَى سُوقِ الرَّقِيقِ وَسُوقِ الدُّوَابِّ وَدَارِ الْبَطِيخِ ، وَالْمَلَاهِي ، وَالْعَصِيرِ ، وَالْفَحْمِ ، وَالْحَدِيدِ ، وَسَبْكِي الْفُولاذِ وَالزَّجَاجِ .

قال : وهرب ضيَاءُ الدِّينِ ابْنُ الْأَثِيرِ وَنُهَيْتُ دَارَهُ .

وَنُودِيَ فِي دِمَشْقَ أَنَّ يَلْبَسُ أَهْلُ الذِّمَّةِ الْعِمَائِمَ الْغِيَارَ لِيُعْرِفُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَلِكَ الْعَزِيزَ لَمَّا جَلَسَ بِدَارِ الْعَدْلِ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ لَهُ هَيْئَةٌ حَسَنَةٌ ، فَمَا شَكَ الْعَزِيزُ أَنَّهُ مِنَ الْأَشْرَافِ ، فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ ذِمِّيٌّ أَمَرَ بِذَلِكَ .

قال : وَلَا طَافَ الْمَلِكُ الْعَزِيزُ عَمَهُ الْمَلِكَ الْعَادِلَ إِلَى أَنْ قَامَ بِدِمَشْقَ فِي النَّيَاطَةِ ، فَأَجَابَ إِلَى ذَلِكَ بَعْدَ امْتِنَاعٍ . وَسَلَّمَ دِيوَانَ دِمَشْقَ لَصَفِيِّ الدِّينِ ابْنِ شُكْرٍ ^(١) كَاتِبَ الْعَادِلِ .

وَفَارَقَ الْمَلِكُ الْعَزِيزُ دِمَشْقَ فِي الْعَشْرِ الْأَوْسَطِ مِنْ شَعْبَانَ ، وَعَادَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ بَعْدَ أَنْ اسْتَخْلَفَ الْمَلِكَ الْعَادِلَ وَسَلَّمَهُ إِلَيْهِ دِمَشْقَ وَمَا هُوَ مِضَافٌ إِلَيْهَا مِنَ الْقَلَاعِ وَالْحِصُونِ وَالْأَعْمَالِ ؛ وَالْخُطْبَةِ وَالسَّكَّةَ بِاسْمِ الْمَلِكِ الْعَزِيزِ .

وَدَخَلَ الْعَزِيزُ إِلَى الْقَاهِرَةِ جَرِيدَةً فِي رَابِعِ شَهْرِ رَمَضَانَ ؛ وَفَوَّضَ شَدَّ الْأُمُومِ وَالْخُطَابِ عَلَيْهَا لِلْأَمِيرِ فَخَرَ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ جَهَارَكُوسَ ؛ وَضَمَّنَ الْخُمُورَ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِسَبْعَةِ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَتَجَاهَرُ النَّاسُ بِهَا وَظَهَرَ

(١) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ ، صَفِيُّ الدِّينِ ابْنُ شُكْرٍ ، وَزِيرُ الْمَلِكِ الْعَادِلِ الْأَيُّوبِيِّ ، ثُمَّ وَزِيرُ الْمَلِكِ الْكَامِلِ الْأَيُّوبِيِّ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٦٢١ هـ / ١٢٢٥ م — السُّلُوكُ ج ١ ص ٢٢٠ .

الفساد وفشا في الناس ؛ واجتمع الرجال والنساء في شهر رمضان من غير استتار ، سيما في الخليج وساحل مصر ؛ ورتب ضمان الخمر في النفقة على طعام السلطان ؛ وهذه من البلايا التي لم يُسمع بمثلها ، فإن عادة الملوك والأكابر [أن]^(١) يجتهدوا أن يكون مأكُلهم من أجل الجهات كالجوالي^(٢) وما يُناسِبُها . وبسبب إطلاق الخُمور كثر القتل بالقاهرة والجراحات ، وخُطف العمامة والأمتعة والمآكل من الأسواق .

قال المؤرخ : وغلّت الأسعار في هذه السنة بالديار المصرية ، واشتد الأمر على الناس ، وكثر الوباء ، وبلغ القمح كل أردب بدينارين ، وأُظن الدينار ثلاثة عشر درهما وثلاث درهم ، وهذا كان نهاية الغلاء في ذلك العصر .

ولقد وصف^(٣) الفاضل من عظم ما حلّ بالناس غلو السعر أمراً عظيماً فكيف لو أدرك الفاضل الديار المصرية في سنة خمس وتسعين وستمائة وقد أبيع القمح سعر الأردب ثلاثة عشر ديناراً ونصف دينار وأبيع الفروج بخمسين درهماً ، ورطل البطيخ الأخضر بأربعة دراهم ، والسفرجلة بثلاثين درهماً^(٤) .

قال المؤرخ : وفي سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة كانت وفاة الشيخ السيد الشريف عبد الرحيم^(٥) ، قدس الله روحه ونور ضريحه ، بقنا من أعمال قوص ودُفن بجبانته ، وضريحه معروف هناك من أعظم مزارات

(١) [إضافة بقضيتها السياق .

(٢) الجوالي : مصطلح بمعنى الجزية المفروضة على أهل الذمة .

(٣) « وصل » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

(٤) يقارن التويرى بالفترة التي عاصرها .

(٥) هو عبد الرحيم بن أحمد بن حجّون القناني ، المتوفى سنة ٥٩٢ هـ / ١١٩٦ م — الطالع

السعيد ص ٢٩٧ رقم ٢٣٠ .

أهل الصَّلاح بالدُّنيا .

ومَّا نُقِلَ من كلامه ، قدسَ الله روحه ، وَقَدْ سَمِعَ المؤذِّن يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، فقال الشيخُ شَهِدْنَا بما شَهِدْنَا . ومن كلامه : لا يستطيع العارفُ أن يوصلَ إلى مَنْ لا يعرفُ حَقِيقَةَ ما عَرَفَ ، كما لا يستطيع البصيرُ أن يوصلَ إلى الأكْمَه^(١) (حَقِيقَةُ الألوان . وعُرضَ هذا الكلامُ على الشيخِ عزِّ الدِّينِ عَبْدَ العزيز^(٢) بن عبد السَّلام ، رحمه الله ونفع به ، فقالَ هَذَا كَلَامٌ مَنْ غَرِقَ في الحَقِيقَةِ .

[١٤٢] ذكر استيلاء الفرنج على بيروت

وفي يوم الجمعة عاشر ذى الحِجَّةِ سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة مَلَكَ الفرنج مدينةَ بَيرُوت من المسلمين وسبَّبَ ذلك أنَ فرنج السَّاحِلَ راسَلُوا مَلِكَ الألمان^(٣) في سنة اثنَين وتسعين وخمسمائة ، وكان قد مَلَكَ جزيرة صقلية ، وعَرَفُوهُ أَنَّ المسلمين قد اسْتَغْلَوْا بحرب بعضهم بعضًا ؛ فأقبل في مراكبه^(٤) إلى عكا . وصادَفَ ذلك سَقُوطُ الكُنْدَهري^(٥) ملك عكا من

(١) الأكْمَه : الذي يولد أعمى - اللسان .

(٢) هو عبد العزيز بن عبد السلام الشافعي ، شيخ الإسلام عز الدين أبو محمد ، توفي سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م - طبقات الشافعية الكبرى ج ٨ ص ٢٠٩ رقم ١١٨٣ .

(٣) هو الامبراطور هنري السادس ، الذي عمل على استعادة مكانة الألمان في الأرض المقدسة ، فأرسل حملة ألمانية عاجلة على رأسها أدولف وكتراد - انظر تاريخ الحروب الصليبية ج ٣ ص ١٦٩ .

(٤) انظر الهامش السابق .

(٥) هو هنري كونت - شامبانيا . ولقي مصرعه في ١٠ سبتمبر ١١٩٧ م - تاريخ الحروب الصليبية ج ٣ ص ١٧٢ .

شُبَاكِ فَهْلَكَ ، فَمَلَكَ مَلِكُ قَبْرِص ^(١) عَكَا ، وَخَرَجَ إِلَى بَيْرُوتَ فَمَلَكَهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَ بِهَا عَزَّ الدِّينَ أَسَامَةَ . فَعَمَّرَهَا الْفَرَنْجَ وَلَمْ تَزَلْ بِأَيْدِيهِمْ إِلَى أَنْ فَتَحَهَا الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ ^(٢) فِي سَنَةِ تِسْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، عَلَى مَا نَذَرَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَخْبَارِ دَوْلَةِ التُّرْكِ .

وَفِيهَا خَرَجَتِ الْمَرَكَبُ الْحَرْبِيَّةُ لِقَصْدِ بِلَادِ الْفَرَنْجِ ، فَوَجَدُوا بَطْشًا لِلْفَرَنْجِ فَمَلَكَوْهَا ، فَوَجَدَ الْمُسْلِمُونَ فِيهَا أَمْوَالًا جَلِيلَةً .

وَفِيهَا أَنْشَأَ الْأَمِيرُ فَخْرُ الدِّينِ إِيَّازْجَهَارْكَسَ النَّاصِرِيَّ الْقَيْسَارِيَّةَ الْمَعْرُوفَةَ بِهِ بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَجَاءَتْ مِنْ أَحْسَنِ الْأَنْبِيَةِ ^(٣) .

ذِكْرُ وَفَاةِ سَيْفِ الْإِسْلَامِ بَنِ آيُوبَ مَلِكِ الْيَمَنِ وَمَلِكِ وَلَدِهِ شَمْسِ الْمُلُوكِ

وَفِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ الثَّلَاثِ مِنْ شَوَّالِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ تَوَفَّى الْمَلِكُ الْعَزِيزُ سَيْفُ الْإِسْلَامِ طُغْتَكِينَ بَنِ آيُوبَ ، أَخُو السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ [صِلَاحِ الدِّينِ] ^(٤) بِالْمَنْصُورَةِ الَّتِي أَنْشَأَهَا بِالْيَمَنِ . وَكَانَ قَدْ طَرَدَ وَلَدَهُ شَمْسَ الْمُلُوكِ [إِسْمَاعِيلَ] ^(٥) إِلَى الْحِجَازِ . فَلَمَّا سَمِعَ بِوَفَاةِ وَالِدِهِ سَارَ إِلَى الْيَمَنِ وَمَلَكَ بَعْدَهُ .

(١) « ملك الألمان » في الأصل ، والتصحيح من تاريخ الحروب الصليبية ج ٣ ص ١٧٤ .

(٢) هو الأشرف خليل بن قلاوون .

(٣) قيسارية جهار كس بالقاهرة : انظر المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٨٧ .

(٤) [إضافة للتوضيح .

(٥) [إضافة للتوضيح ، وانظر مفرج الكروب حيث ورد به أن أباه أبعده إلى الشام — ج ٣

وإلى سيف الإسلام هذا يُنسب البستان^(١) الذى كان بظاهر القاهرة ، وهو الآن عمائر تُعرف أرضها بحكر سيف الإسلام .

ذكر وفاة الملك العزيز وشيء من أخباره

كانت وفاته في ليلة الأحد العشرين^(٢) من المحرم سنة خمس وتسعين وخمسائة بداره بالقاهرة .

وكان قد خرج إلى الفيوم لقصد الصيد إلى ذات الصفا ، فحم ، فعاد إلى القاهرة واشتد مرضه ، فمات . وقيل إنه ساق خلف الصيد فكبا به فرسه مرة بعد أخرى ، فمات بعد ثلاث . ودُفن بداره بالقاهرة [وكان مولده بالقاهرة]^(٣) في ثامن جمادى الأولى سنة سبع وستين ، وقال الفاضل في جمادى الآخرة . فكانت مدة عمره سبعا وعشرين سنة وثمانية أشهر واثني عشر يوما ؛ ومدة ملكه خمس سنين وعشرة أشهر وعشرين يوما .

وكان رحمه الله عادلاً كريماً بالمال ، بخيلاً على طعامه شجاعاً حسن الأخلاق .

وخلف من الأولاد أحد عشر ولداً ، وهم الملك المنصور محمد ، القائم بعده ؛ وعلى ، وعمر ، وإبراهيم ؛ وعيسى ؛ ومحمود ؛ ورعاه ، ويوسف ؛

(١) بستان سيف الإسلام : شرقى بركة الفيل فيما بين البركة والجبل الذى عليه قلعة الجبل - المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١٣٣ ، الانتصار ق ٥ ص ٤٥ .

(٢) « السابغ والعشرين » في مفرج الكروب ج ٣ ص ٨٣ ، السلوك ج ١ ص ١٤٤ .

(٣) [إضافة تتفق مع السياق من الروضتين ج ١ ص ٧٠٩ ، مفرج الكروب ج ٢ ص

ويونس ؛ وولدان صغيران . ولم يخلف في خزائنه ذهباً ولا دراهم إلا بعض قماش ليس بالطائل .

ذكر سلطنة الملك المنصور محمد بن الملك العزيز ابن الملك الناصر وهو الثالث من ملوك الدولة الأيوبية بالديار المصرية

[١٤٣] مَلِك الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ الْعِشْرِينَ^(١) مِنَ الْمَحْرَمِ سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسَمِائَةٍ بِوَصِيَّةٍ مِنْهُ . وَلَمَّا مَاتَ الْمَلِكُ الْعَزِيزُ كَانَ عَمُّهُ الْمَلِكُ الْعَادِلُ يُحَاصِرُ مَآرِدِينَ فَاجْتَمَعَتِ الْأُمَرَاءُ الصَّلَاحِيَّةُ وَعَقَدُوا الْأَمْرَ لِوَلَدِهِ وَلَقَّبُوهُ بِالْمَلِكِ الْمَنْصُورِ ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يُلَقَّبُ بِالنَّاصِرِ وَإِنَّمَا تَرَكُوا النَّاصِرَ لِمُوَافَقَتِهِ لَقَبِ الْخَلِيفَةِ^(٢) وَرَكِبَ فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنَ الْمَحْرَمِ ، وَشَقَّ الْقَاهِرَةَ مِنْ بَابِ زَوِيلَةَ إِلَى بَابِ النَّصْرِ ، وَالْأُمَرَاءُ فِي خِدْمَتِهِ . وَكَتَبَ الْأُمَرَاءُ إِلَى الْمَلِكِ الْعَادِلِ يَعْرِضُونَهُ فِي ابْنِ أَخِيهِ الْمَلِكِ الْعَزِيزِ ، وَيَذْكُرُونَ اتِّفَاقَهُمْ عَلَى تَنْصِيبِ^(٣) وَلَدِهِ فِي السُّلْطَانَةِ بَعْدَهُ ، وَأَنْتَهُمْ عَلَى طَاعَةِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ .

ثم اجتمع الأمراء الأسدية والصلاحية بظاهر القاهرة وقالوا : إن الذي فعلناه من حفظ الملك العزيز في ولده هو نعم الرأي ، وإنما هو صغير السن لا يفهم ما يقال له ، ولا يقوم بأعباء الملك ، ولا بد لنا من كبير من

(١) « حادى عشر المحرم » في السلوك ج ١ ص ١٤٦ ، وهو يتناقض مع ما سبق وروده في السلوك من أن وفاة العزيز كانت في ٢٧ محرم — انظر السلوك ج ١ ص ١٤٤ ، ١٤٦ .

(٢) هو أبو العباس أحمد الناصر لدين الله ، الذى ولى الخلافة العباسية فى الفترة من ٥٧٥ - ٦٢٢ هـ / ١١٨٠ - ١٢٢٥ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٣ .

(٣) « نصب » فى الأصل ، والتصحيح يتفق مع السياق .

هَذَا الْبَيْتُ يُرِيهِ وَيَكْفُلُهُ وَيُدِيرُ أحوالَ الدَّوْلَةِ ، وَلَيْسَ لَهَا مِثْلُ الْمَلِكِ الْعَادِلِ ، وَهُوَ الْآنَ مَشْغُولٌ بِبِلَادِ الشَّرْقِ . وَقَصَدُوا أَنْ يَكْتُبُوا إِلَيْهِ وَيَسْتَدْعُوهُ فِكْرَةً بَعْضُهُمْ شِدَّةَ أَخْلَاقِهِ وَمُمَاقَاتَتَهُ^(١) لِلْجَنْدِ فَعَدَلُوا عَنْهُ وَاتَّفَقُوا عَلَى اسْتِدْعَاءِ الْمَلِكِ الْأَفْضَلِ مِنْ صَرَخَدَ .

وَأَنْ يَتَوَلَّى أَتَاهِكِيَّةَ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ وَأَنْ يَنْوِبَ عَنِ الْأَفْضَلِ إِلَى حِينَ وَصُولِهِ ، أَخُوهُ الْمَلِكُ الظَّافِرُ خُضَرَ ، فَاسْتَقَرَّ ذَلِكَ^(٢) .

وَكُتِبُوا إِلَى الْأَفْضَلِ وَذَلِكَ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ سَادِسَ عَشَرَ صَفَرَ مِنْ السَّنَةِ وَنَزَلَ الْمَلِكُ الظَّافِرُ بِدَارِ السُّلْطَنَةِ فِي الْقَاعَةِ الْعَزِيزِيَّةِ ، وَقَامَ بِنِيَابَةِ السُّلْطَنَةِ .

قَالَ : وَلَمَّا وَصَلَ كِتَابُ الْأَمْرَاءِ إِلَى الْأَفْضَلِ خَرَجَ مِنْ صَرَخَدَ فِي لَيْلَةِ الْأَرْبَعَاءِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ صَفَرٍ ، وَسَلَكَ الْبَرْيَّةَ إِلَى الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ .

ذِكْرُ وَصُولِ الْمَلِكِ الْأَفْضَلِ إِلَى الْقَاهِرَةِ وَاسْتِقْرَارِهِ فِي تَدِيرِ دَوْلَةِ الْمَنْصُورِ

كَانَ وَصُولُهُ إِلَى الْقَاهِرَةِ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ السَّابِعِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ؛ فَبَرَزَ النَّاسُ لِلِقَائِهِ ، وَزُيِّنَتْ الْمَدِينَةُ ، لِقُدُومِهِ . وَلَمَّا دَخَلَ أَقْرَأَ الْخُطْبَةَ بِاسْمِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ ابْنِ أَخِيهِ ، وَنَقَّشَ السَّكَّةَ بِاسْمِهِ ، وَكَانَ الْأَفْضَلُ يُذَكِّرُ بَعْدَهُ . وَكَتَبَ إِلَى عَمِّهِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ يَبْذُلُ لَهُ الطَّاعَةَ وَالْإِنْقِيَادَ إِلَى أَمْرِهِ

(١) مَا قَتَ الرَّجُلُ : أَبْغَضَهُ أَشَدَّ الْبُغْضِ ، وَالْمُمَاقَاتَةُ مِنَ الْمَشَارَكَةِ : أَيُّ أَنَّ الْبُغْضَ مُتَبَادِلٌ بَيْنَ الْعَادِلِ وَالْجَنْدِ مِنَ الصَّلَاحِيَةِ — الْقَامُوسُ .

(٢) « وَأَقِيمَ الْمَلِكُ الظَّافِرُ مَظْفَرَ الدِّينِ خُضَرَ بْنِ السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ مُبَاشِرَ نِيَابَةِ السُّلْطَانَةِ حَتَّى يَقْدَمَ الْأَفْضَلُ » — السُّلُوكُ ج ١ ص ١٤٦ .

قال : ولما وصل الملك الأفضل إلى بلييس خرج فخر الدين إيازجهار كس وزين الدين قراجا على أنها يلتقيانه ، فتوجها إلى الملك العادل . ثم خرج في يوم وُصوله الأمير شمس الدين ^(١) سراسنقر بماليكه وجماعة من أصحابه والتحق بالملك العادل ، وسار إليه ، إلى مَاردين .

ذكر مسير الملك الأفضل إلى الشام وحصار دمشق وعوده عنها وخروجه عن الديار المصرية

قال : ولما استقرَّ الأفضل في تدبير الدولة بالديار المصرية ، ولم يبقَ للملك المنصور معه إلا الشركة في الخطبة ، حملهُ أصحابه على قصد دمشق وحضرها ، وقالوا : هي لك بوصية أبيك الملك الناصر ، فغزم على المسير إليها ، وأمر العساكر بالاستعداد لذلك . وبرَز إلى المخيم ببركة الحبُّ ، هو وابن أخيه الملك المنصور ، في يوم السبت العشرين من جمادى الأولى من السنة واستحثَّ العسكر على الخروج .

ووصل إليه في يوم الأربعاء ، السادس من جمادى الآخرة ، رسول من أخيه الملك الظاهر صاحب حلب وهو يُلومُه على إنفاذ الرُّسل بالطاعة للعادل ، ويقول : إن أكثر الناس كانوا منصرفين عنه فانصرفوا إليه ، وحثه على سرعة قصد دمشق ؛ ويقول : اغتنم الفرصة مادام العادل في حصار ما ردين ؛ ووَعده بالوصول إليه فأكد ذلك ما عنده ، وأقام ببركة الحبُّ وهو يحثُّ العسكر على سرعة الحركة ، إلى ثانی شهر رَجَب ، فرحل عنها .

(١) « أسد الدين » في السلوك ج ١ ص ١٤٧ ، ومفرج الكروب ج ٣ ص ٩٢ .

وفي مدة مقامه ببركة الحب أحضر قاضي القضاة والشهود،
وأشهدهم على نفسه [١٤٤] أنه وقف المطرية^(١) ومنية الباسل^(٢) والرّباع
المسوغة والمستمرة بيد الدّيون على عمارة سور القاهرة ومصر
واليمنارستان بالقاهرة .

قال : ولما وصل الأفضل إلى بليس احتاط على ما كان باسم العادل
وألزّاه بالديار المصريّة ؛ وأقطعه ، ثم قبض على أخيه الملك المؤيد وقبّده
وأعادته إلى القاهرة ، فاعتقل بالقلعة . وتنادى الملك الأفضل في سيّره إلى
دمشق . هذا ما كان منه .

وأما الملك العادل فإن سراسنقر النّاصري وصل إليه بما يريدين
واستحثه على العود إلى دمشق ، فأوصى ولده الملك الكامل بمحاصرتها .
وفارقها العادل لخمس بقين من شهر رجب ، ووصل إلى دمشق في يوم
الاثنين حادى عشر شعبان ، وأخذ في تحصين البلد . ووصلت العساكر
المصرية في يوم الخميس ، ورتب الأطلاب وسار الملك المنصور بن الملك
العزیز في القلب وزحف على البلد فأخذ قصر حجاج والشاغور . وكان
العادل لما شاهد إقبال العساكر أمر بإحراق قصر حجاج ، فأحرق ،
واحترق فيه عدّة مساجد وأطفال . وأحاطت العساكر المصريّة بدمشق ،
ودخلها جماعة منهم من باب السّلامة ، وانتهوا إلى السوق الكبير ،
وخرجوا من باب الفراديس . وقدم الأفضل الميدان الأخضر^(٣) ثم تأخّر
إلى ميدان الحصى ؛ واستقر بهذه المنزلة أكثر من ستة أشهر .

(١) المطرية : من ضواحي القاهرة - القاموس الجغرافى ق ٢ ج ١ ص ١١ .

(٢) منية الباسل = المنيا = منية الباسك = من إقليم الاطفيحية ، وهى حاليا تابعة لمركز الصف
بمحافظة الجيزة - القاموس الجغرافى ق ٢ ج ٣ ص ٣١ .

(٣) « وسير الأفضل بالديوان الأخضر » فى الأصل ، والتصحيح من مفرج الكروب ح ٣ ص
٩٥ ، السلوك ج ١ ص ١٤٨ .

وكاتب الملك العادل جماعة من الأمراء المصريين ، ففارقوه ودخلوا إلى دمشق فأكرمهم .

ثم وصل الملك الظاهر صاحب حلب ومعه أخواه الظافر والمعرّ وجاءهم الملك المجاهد صاحب حمص ، وعسكر حماة دون سلطانها^(١) ، وحسام الدين بشارة صاحب حمص بانياس ، وكان من أكابر الدولة ، فأشار بالصلح .

قال : ولما حاصر الملك الأفضل دمشق منع من يدخل إليها بشيء من الميرة ، وقطع عنها الأنهار ؛ فاشتد الأمر على أهل دمشق ، واستغاثت الرعايا على العادل ، وتسلطوا عليه ، وحملوه على تسليم البلد . وانتقل أكثر من في البلد إلى العسكر ، ونصبوا به أخصاصاً ومساكن ؛ وأقيمت الأسواق به .

فلما اشتد الأمر على العادل كتب إلى الظاهر يستميله وقال : أنا أسلم البلد إليك دون غيرك ، فنيح الخبر إلى الأفضل ، فاضطرب رأيها ، وقيل بل كتب إليهما يقول : أنا أسلم البلد إليكما بعد سبعة أشهر فأجاباه إلى ذلك . وقيل إنه كان يكتب إلى الأفضل يقول الظاهر قد صالحني ، وإلى الظاهر بمنزل ذلك .

واتفق في فساد حال الأفضل أن جماعة الأمراء كان بأيديهم إقطاعات بالديار المصرية جليلة المقدار ، فحسدّهم آخرون عليها ، فكانوا يأتون إلى الملك الأفضل ويقولون : إن فلاناً قد عزم على قصد عمك العادل والانضمام إليه ، ويأتون لذلك الأمير فيقولون : إن الأفضل قد عزم القبض عليك ، ويأتي ذلك الأمير إلى الأفضل فيرى في وجهه أثر التغير لما نقل عنه ، فلا يشك ذلك الأمير في صدق الناقل فالتحق به جماعة من الأمراء

فبينما الأفضل كذلك إذ قَدِمَ الملكُ الكاملُ بنُ الملكِ العادلِ من الشرقِ ، في تاسعِ عشرِ صفرِ سنةِ ستِ وتسعينِ وخمسمائةَ ، بالمساكرِ والتركمانِ فاشتدَّ به عضدُ أبيه . وتأخرَ الأفضلُ مِن معه إلى سَفْحِ جَبَلِ العَقَبَةِ ، ثم انتقلَ إلى مَرَجِ الصُّفْرِ في يومِ الاثنينِ ثانیِ عَشْرِ صفرٍ ؛ وعَادَ الظَّاهِرَ والمجاهدَ^(١) .

واشتدَّ البردُ على العسْكرِ المِصرى فعادَ الأفضلُ إلى الدِّيارِ المِصریَّةِ ، وساقَ العادلُ بعساكره في أثره . فكانَ وُصُولُ الأفضلِ إلى بلبیسِ في حادى عشرى شهرِ ربيعِ الأولِ فأشارَ عليه أصحابه بالإقامةِ بها . قالَ : ولَمَّا وَصَلَ الملكُ العادلُ إلى تَلِّ العُجُولِ^(٢) أقامَ به حتَّى اجتمعَ إليه أصحابه ، ورأسَلَ الأفضلَ ، فعاظَنَحوابه أَنه لا يصلحُ حتَّى يفارقَ الأمراءَ الصلاحيةَ .

فلَمَّا اتصلَ ذلكَ بالصلاحيةِ غضبوا وعزموا على المسيرِ إليه . هذا والأفضلُ على بلبیسِ ، وقد تفرقَ معظمُ أصحابه إلى إقطاعاتهم وجماعةٍ منهم باطنوا الملكَ [العادل]^(٣) .

(١) كان يتولى حاة وتوايحها المنصور محمد بن تقي الدين عمر ، وذلك في الفترة من ٥٨٧ - ٦١٧ هـ / ١١٩١ - ١٢٢٠ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٤٧ .

(٢) تل العجول : بالقرب من غزة - معجم البلدان .

(٣) [] إضافة يقتضيها السياق . انظر مفرج الكروب ج ٣ ص ١٠٨ ، السلوك ج ١ ص ١٥٠ .

وعند هذا الموضع تنتهى اللوحة ١٤٤ وهى آخر ما وجد من جـ ٢٦ من مخطوط نهاية الأرب . ومن الأرجح أن هناك ورقة أخرى مفقودة فيها ذكر للأحداث التى تربط بين ما جاء فى هذه الورقة وبداية الجزء التالى من المخطوط والذى يبدأ بالكلام عن أخيار الملك العادل ودخوله القاهرة فى ٢٢ ربيع الآخر سنة ٥٩٦ هـ . وذلك تحت عنوان : « ذكر أخيار السلطان الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب وسلطته » .

[ومضى الملك العادل يطوى المراحل إلى أن دخل الرمل وبلغ الملك الأفضل ذلك ، فرام جمع عساكره ، فتعذر ذلك عليه لفرقهم في أخبارهم ، وتشتتهم في الأماكن التي يربعون فيها خيلهم ، فخرج في جمع قليل ، ونزل السانح .

ووصل الملك العادل ، وضرب معه مصافا ، فانكسر عسكر الملك الأفضل ، وولوا منهزمين لا يلوون على شيء .

ثم سار الملك العادل بالعساكر ، ونزل بركة الجب ، وسير إلى الملك الأفضل يقول له : « أنا لا أحب أن أكرس ناموس القاهرة ، لأنها أعظم معاقل الإسلام ، ولا تمهوجنى إلى أخذها بالسيف ، واذهب الى صرخد وأنت آمن على نفسك » .

فاستشار الملك الأفضل الأمراء فرأى منهم تخاذلا ، فأرسل إلى عمه يطلب منه أن يعوضه عن الديار المصرية بالشام ، فامتنع من ذلك ، فطلب أن يعوضه حران والرها فامتنع ، فطلب منه جاني وجبل جور وميفارقين وسميساط ، فأجاباه إلى ذلك ، وتسلم القاهرة منه . [(١)]



[انتهى الجزء السادس والعشرون من كتاب : نهاية الأرب في فنون الأدب ، يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء السابع والعشرون ، والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل] (٢) .

(١) [إضافة لربط أحداث نهاية هذا الجزء بالأحداث التالية في بداية الجزء التالي - مفرج

الكروبيد جـ ٣ ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(٢) خاتمة للجزء تتفق وسياق خاتمة الجزء السابق من كتاب نهاية الأرب .

١١ ١١ ٢٥١ ٢٥٩ ١٦ ٥٨

مختصرات مصادر ومراجع التحقيق

تحتوى القائمة التالية على أسماء المصادر والمراجع الإضافية ومختصراتها التى استلزمها تحقيق الجزء الثامن والعشرين من كتاب نهاية الأرب للنويرى .^(١)
أولا : القرآن الكريم .

ثانيا : المصادر والمراجع :

(١) اتعاظ الحنفا = المقرئى (أحمد بن على ، ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م) :

— اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء .

٣ أجزاء — تحقيق جمال الدين الشيال — محمد حلمى محمد أحمد — القاهرة
١٩٦٧ — ١٩٧٣ .

(٢) أخبار الدول المنقطعة = ابن ظافر (جمال الدين بن على ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) :
أخبار الدول المنقطعة — دراسة تحليلية للقسم الخاص بالفاطميين — تحقيق
أندريه فريه .

المعهد العلمى الفرنسى بالقاهرة ١٩٧٢ .

(٣) أخبار مصر = المسبى (محمد بن عبيد الله بن أحمد ، ت ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م) :
— الجزء الأربعون من أخبار مصر .

تحقيق أيمن فؤاد سيد ، وتبارى بيانكى — القسم التاريخى .

المعهد العلمى الفرنسى بالقاهرة ١٩٧٨ .

(١) تحقيقاً لهوامش التحقيق استغلطنا مختصرات فى الإشارة إلى المصادر والمراجع ، وفى هذه القائمة أثبتنا
مختصرات المصادر والمراجع ، وأمام كل مختصر اسم المصدر أو المرجع

- (٤) الإشارة = ابن الصيرفي (علي بن منجب بن سليمان ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م) :
 — الإشارة إلى من نال الوزارة .
 تحقيق عبد الله مخلص .
 المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة ١٩٢٤ .
- (٥) الاعتبار = أسامة بن منقذ ، ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) :
 — كتاب الاعتبار .
 نشره فيليب حتى .
 جامعة برنستون — الولايات المتحدة ١٩٣٠ .
- (٦) أعلام الإسكندرية = جمال الدين الشيال :
 — أعلام الإسكندرية — القاهرة ١٩٦٧ .
- (٧) افتتاح الدعوة = القاضي النعمان (النعمان بن محمد بن منصور بن حيون ، ت ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م) :
 — كتاب افتتاح الدعوة .
 تحقيق فرحات الدشراوى — تونس ١٩٧٥ .
- (٨) الانتصار = ابن دقماق (إبراهيم بن محمد ، ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م) :
 — الانتصار بواسطة عقد الأمصار .
 نشر فولرز — بولاق ١٣٠٩ هـ / ١٨٩٣ م .
- (٩) البداية والنهاية = ابن كثير (إسماعيل بن عمر ، ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣ م) :
 — البداية والنهاية — ١٤ جزء — بيروت ١٩٦٦ .
- (١٠) تاريخ الحروب الصليبية = رنسمان :
 — تاريخ الحروب الصليبية — ترجمة السيد الباز العريفي .
 ٣ أجزاء — بيروت ١٩٦٧ — ١٩٦٩ .

- (١١) تاريخ الدول الإسلامية = أحمد السعيد سليمان
 — تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة —
 جزآن — دار المعارف — القاهرة ١٩٦٩ .
- (١٢) تاريخ دولة الكتوز الإسلامية = عطية القوصي
 — تاريخ دولة الكتوز الإسلامية — القاهرة ١٩٧٦ .
- (١٣) تاريخ ابن الفرات = ابن الفرات (محمد بن عبد الرحيم المصري ، ت ٨٠٧ هـ /
 ١٤٠٤ م) :
 — تاريخ الدول والملوك .
 المجلد الرابع — البصرة ١٩٦٧ .
 المجلد ٧ — ٩ — بيروت ١٩٣٦ — ١٩٤٢ .
- (١٤) تاريخ مدينة الإسكندرية = جمال الدين الشيال
 — تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي —
 القاهرة ١٩٦٧ .
- (١٥) تاريخ ووصف قلعة القاهرة = كازانوفا :
 — تاريخ ووصف قلعة القاهرة — ترجمة أحمد دراج — القاهرة ١٩٧٤ .
- (١٦) تكملة تاريخ ابن البطريق = يحيى بن سعيد الأنطاكي .
 — تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي
 نشر كراتشكوفسكي — ١٩٢٤ .
- (١٧) الحركة الصليبية = سعيد عبد الفتاح عاشور
 — الحركة الصليبية — جزآن —
 القاهرة ١٩٦٢ .

(١٨) حسن المحاضرة = السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) :

— حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة —

جزءان — القاهرة ١٩٦٧ .

(١٩) خزانة السلاح = مجهول

خزانة السلاح ، مع دراسة عن خزائن السلاح ومحتوياتها — نشر نبيل محمد عبد العزيز

القاهرة ١٩٧٨ .

(٢٠) ذيل تاريخ دمشق = ابن القلانسي (أبو يعلى حمزة بن أسد التميمي ، ت ٥٥٥

هـ / ١١٦٠ م) :

— ذيل تاريخ دمشق — نشر أمدروز —

بيروت ١٩٠٨ .

(٢١) رحلة ابن جبير = محمد بن أحمد بن جبير ، ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) :

— رحلة ابن جبير — بيروت ١٩٦٤ .

(٢٢) الروضتين = أبو شامة (عبد الرحمن بن اسماعيل ، ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٨ م) :

— الروضتين في أخبار الدولتين .

الجزء الأول تحقيق محمد حلمي محمد أحمد —

القاهرة ١٩٥٦ — ١٩٦٢ .

(٢٣) السلوك = المقرئ (أحمد بن علي ، ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م) :

— كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك .

ح ١ — ٢ تحقيق د . محمد مصطفى زيادة —

القاهرة ١٩٣٤ — ١٩٥٨ .

(٢٤) سيرة ابن طولون = الهلوى (عبد الله بن محمد بن عمير، ت بعد ٣٣٠ هـ / ٩٤١ م :

— سيرة أحمد بن طولون — تحقيق محمد كرد علي —
دمشق ١٣٥٨ هـ .

(٢٥) شذرات الذهب = ابن العماد الحنبلى (عبد الحى بن أحمد بن محمد، ت ١٠٨٩ هـ — ٢٦٧٨ م) :

شذرات الذهب فى أخبار من ذهب — ٨ أجزاء — بيروت .

(٢٦) الشرق الأوسط والحروب الصليبية = السيد الباز العرينى
— الشرق الأوسط والحروب الصليبية — القاهرة ١٩٦٣ .

(٢٧) شفاء القلوب = الحنبلى :

— شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب .

مخطوط مصور بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٣١ .

(٢٨) صبح الأعشى = القلقشندى (أحمد بن على، ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) :

صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء — ١٤ جزء —

القاهرة ١٩١٩ — ١٩٢٢ .

(٢٩) الطالع السعيد = الادفوى (جعفر بن ثعلب، ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) :

— الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد —

تحقيق سعد محمد حسن — القاهرة ١٩٦٦ .

(٣٠) طبقات الشافعية الكبرى = السبكى (عبد الوهاب بن على، ت ٧٧١ هـ /

١٣٧٠ م) :

— طبقات الشافعية الكبرى — ١٠ أجزاء — القاهرة ١٩٧٦ .

- (٣١) العبر = الذهبي (محمد بن أحمد ، ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م) :
 — العبر في خبر من غبر ، نشر صلاح الدين المنجد وفؤاد السيد — ٥ أجزاء —
 الكويت ١٩٦٠ — ١٩٦٦ .
- (٣٢) العقد الثمين = الفاسي (محمد بن أحمد الحسني المكي ، ت ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨ م) :
 — العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين .
 تحقيق فؤاد السيد — ٨ أجزاء — القاهرة ١٩٥٩ — ١٩٦٩ .
- (٣٣) عقد الجمان = العيني (محمد بن أحمد ، بدر الدين ، ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) :
 — عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان .
 مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ .
- (٣٤) القاموس الجغرافي = محمد رمزي :
 — القاموس الجغرافي للبلاد المصرية .
 قسمان في ٥ أجزاء — القاهرة ١٩٥٣ — ١٩٦٣ .
- (٣٥) القاموس المحيط = الفيروز آبادي (محمد بن يعقوب الشيرازي ، ت ٨٠٣ هـ /
 ١٤٠٠ م) :
 ٤ أجزاء — القاهرة ١٩٥٢ .
- (٣٦) قوانين الدواوين = ابن محاق (الأسعد شرف الدين أبو المكارم ت ٦٠٦ هـ /
 ١٢٠٩ م) :
 — كتاب قوانين الدواوين — تحقيق عزيز سوريال عطية — مصر ١٩٤٣ .
- (٣٧) الكامل = ابن الأثير (علي بن أبي الكرم ، ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م) :
 — الكامل في التاريخ .
 ١٣ جزء — بيروت ١٩٨٣

(٣٨) كنز الدرر = ابن أبيك الدوادارى (أبو بكر بن عبد الله ، ت بعد ٧٣٦ هـ / ١٢٣٥ م) :

— كنز الدرر وجامع الفرر .

الجزء السادس : الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية .

— تحقيق صلاح الدين المنجد — القاهرة ١٩٦١ .

الجزء السابع : الدر المطلوب في أخبار بنى أيوب .

— تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور — القاهرة ١٩٧٢ .

(٣٩) الكواكب السيارة = ابن الزيات (محمد الأنصارى ت ٨١٤ هـ / ١٤١١ م) :

— الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة .

بولاق ١٣٢٥ هـ .

(٤٠) لسان العرب = ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى ، ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م) :

— لسان العرب — ٢٠ جزء — بولاق ١٣٠٠ — ١٣٠٨ هـ .

(٤١) المختصر = أبو الفدا (إسماعيل بن علي ، ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) :

— المختصر في أخبار البشر — ٤ أجزاء — استانبول ١٩٢٨ .

(٤٢) المسلمون والبيزنطيون = أحمد عبد الكريم سليمان .

— المسلمون والبيزنطيون في شرقى البحر المتوسط .

الجزء الأول — القاهرة ١٩٨٢ .

(٤٣) مصر في عصر الإخشيديين = سيدة إسماعيل كاشف .

— مصر في عصر الإخشيديين — القاهرة ١٩٧٠ .

(٤٤) مضمار الحقائق = محمد بن عمر بن شاهنشاه الأيوبي ، ت ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م) :

— مضمار الحقائق وسر الخلائق — تحقيق حسن حبشى — القاهرة ١٩٦٨ .

- (٤٥) معجم البلدان = ياقوت (ياقوت الحموى ، ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) :
 — معجم البلدان — ٥ مجلدات — بيروت .
- (٤٦) معجم البلدان الليبية = الطاهر أحمد الزاوى .
 — معجم البلدان الليبية .
 طرابلس — ١٩٦٨ .
- (٤٧) معجم السفن الإسلامية = درويش النخيل .
 — السفن الإسلامية على حروف المعجم .
 القاهرة ١٩٧٩ .
- (٤٨) المغرب = البكرى (أبو عبيد ، ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) :
 — المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب — نشر دى سلان — الجزائر ١٨٥٧ .
- (٤٩) مفرج الكروب = ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم ، ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م) :
 — مفرج الكروب في أخبار بني أيوب .
 ج ١ — ٣ نشر جمال الدين الشيال — القاهرة ١٩٥٣ — ١٩٦٠ .
- (٥٠) الملل والنحل = الشهرستاني (محمد عبد الكريم) :
 — الملل والنحل — تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل — ٣ أجزاء — القاهرة ١٩٦٨ .
- (٥١) المنتقى من أخبار مصر = ابن ميسر (محمد بن على بن يوسف جلب راغب ، ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م) :
 — المنتقى من أخبار مصر .
 تحقيق أمين فؤاد سيد .
 المعهد العلمى الفرنسى بالقاهرة ١٩٨١ .

- (٥٢) المواعظ والاعتبار = المقرئى (أحمد بن على ، ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م) :
 — المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار —
 جزءان — بولاق ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٤ م .
- (٥٣) النجوم الزاهرة = ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ، ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م) :
 — النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة .
 ١٦ جزء — القاهرة ١٩٢٩ — ١٩٧٢ .
- (٥٤) نصوص من أخبار مصر = ابن المأمون (موسى بن المأمون البطانحى ، ت ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م) :
 — نصوص من أخبار مصر .
 تحقيق أمين فؤاد سيد .
 المعهد العلمى الفرنسى بالقاهرة ١٩٨٣ .
- (٥٥) النكت العصرية = عمارة اليمنى (أبو الحسن نجم السدين ، ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م) :
 — كتاب النكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية — باريس ١٨٩٧ م .
- (٥٦) نهاية الأرب = النوبرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) :
 — نهاية الأرب فى فنون الأدب .
 ٢٧ جزء — مطبوع بالقاهرة ١٩٢٣ — ١٩٨٥ .
- (٥٧) النوادر السلطانية = ابن شداد (يوسف بن رافع ، بهاء الدين ، ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م) :
 — النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية —
 تحقيق جمال الدين الشيال — القاهرة ١٩٦٤ .

(٥٨) وصف قلعة الجبل = كرزويل :

— وصف قلعة الجبل — ترجمة جمال محمد محرز — القاهرة ١٩٧٤ .

(٥٩) وفيات الأعيان = ابن خلكان (أحمد بن محمد ، ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) :

— وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان —

٨ أجزاء — تحقيق إحسان عباس — بيروت ١٩٦٨ — ١٩٧٢ .

(٦٠) الولاة والقضاة = الكندي (محمد بن يوسف ، ت ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م) :

— كتاب الولاة وكتاب القضاة ، صححه رفق كست — بيروت ١٩٠٨ .

جزوب
مَعِينُ التَّارِخِ
لأهل التَّارِخِ

محتويات الكتاب
 الباب الثاني عشر من القسم الخامس
 من الفن الخامس
 أخبار ملوك الديار المصرية
 الدولة الطولونية

الصفحة	الموضوع
١١	خروج أحمد بن طولون إلى الشام سنة ٢٦٤ هـ ذكر عصيان العباس بن أحمد بن طولون
١٤	على أبيه وما كان من أمره
١٦	ذكر خلاف لؤلؤ على أحمد
١٩	ذكر وفاة أحمد بن طولون وشيء من أخباره وسيرته
	ذكر ولاية أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون
٢٢	وهو الثاني من ملوك الطولونية
	ذكر مسير إسحاق بن كنداجق ومحمد بن
٢٣	أبي الساج إلى الشام
٢٤	ذكر وقعة الطواحين
	ذكر اختلاف محمد بن أبي الساج وإسحاق بن كنداجق
٢٦	والخطبة لخمارويه بالجزيرة
٢٧	ذكر الاختلاف بين خمارويه ومحمد بن أبي الساج والحرب بينهما ..
٢٨	ذكر الدعاء لخمارويه بطرسوس
٢٨	ذكر الفتنة بطرسوس

الصفحة	الموضوع
	ذكر زواج المعتضد بالله بابنة خمارويه بن
٢٩	أحمد بن طولون
٣٠	ذكر مقتل أبي الجيش خمارويه
	ذكر ولاية أبي العشائر جيش بن أبي الجيش
٣١	خمارويه بن أحمد بن طولون ، وهو الثالث من الملوك الطولونية ..
٣٢	ذكر عصيان دمشق على جيش ، وخلاف جنده وقتله
	ذكر ولاية أبي موسى هارون بن أبي الجيش خمارويه
٣٣	ابن أحمد بن طولون ، وهو الرابع من ملوك الدولة الطولونية ..
٣٤	ذكر انقراض الدولة الطولونية
	ذكر أخبار من ولي مصر بعد انقراض الدولة الطولونية وإلى قيام
	الدولة الإخشيدية من الأعمال وملخص ما وقع في أيامهم من
٣٧	الحوادث
٣٧	ذكر إبراهيم الخليجي وما كان من أمره
٣٩	ذكر استيلاء حباسة على الإسكندرية
	ذكر وصول أبي القاسم بن المهدي إلى الديار المصرية واستيلائه على
٤٠	الإسكندرية والفيوم والأشمونين
	ذكر أخبار الدولة الإخشيدية وابتداء أمر من قام بها ،
	وكيف كان سبب ملكه وقيامه ومن ملك بعده
٤٤	إلى أن انقرضت أيامهم
٤٨	ذكر مسير الإخشيد إلى الشام ووفاته وشيء من أخباره وسيرته ..
٤٩	ذكر ولاية أبي القاسم أنوجور
٥٠	ذكر قيام أبي نصر غلبون بن سعيد المغربي وما كان من أمره ...
٥٢	ذكر وفاة الوزير أبي بكر بن الماذرائي وشيء من أخباره ومآثره ..
	ذكر وفاة أبي القاسم أنوجور وولاية أخيه
٥٣	أبي الحسن علي بن الإخشيد

الموضوع	الصفحة
ذكر ولاية أبي المسك كافور الخصى الإخشيدى واستقلاله	
بملك مصر دون شريك ولا منازع	٥٤
ذكر أخبار الدولة العبيدية التى انتسب ملوكها إلى الشرف والحقوا	
نسبهم بالحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما	٦٣
ذكر ابتداء أمرهم وأول من قام منهم	٦٦
ذكر أخبار أبى عبد الله الشيعى داعى المغرب وما كان من أمره ،	
وكيف ظهر وما فتحه من بلاد المغرب	٧٧
ذكر انتقال أبى عبد الله الشيعى عن بنى سكتان	
إلى بنى عصمة بتازرات	٨٥
ذكر تغلب أبى عبد الله الشيعى على مدينة بيلة	٩١
ذكر الحرب بين أبى عبد الله الشيعى وبين	
أبى حوال محمد بن أبى العباسى	٩٢
ذكر تغلب أبى عبد الله الشيعى على مدينة سَطِيف	٩٣
ذكر خروج إبراهيم بن حنبش إلى بلد كتامة	٩٤
ذكر هرب زيادة الله إلى المشرق	٩٦
ذكر رجوع أبى عبد الله الشيعى إلى أفريقية	٩٧
ذكر خروج أبى عبد الله الشيعى إلى سجلماسة	٩٨
ذكر ابتداء الدولة العبيدية وأخبار المهدي عبيد الله	
وما كان من أمره منذ خرج من الشام إلى أن	
ملك البلاد وتسلم الأمر من أبى عبد الله الشيعى	١٠٠
ذكر رحيل عبيد الله من الشام ووصوله إلى سجلماسة	١٠٠
ذكر أخبار أبى عبد الله الشيعى وأخيه أبى العباس وما كان من	
أمرهما بعد قيام عبيد الله المهدي إلى أن قتلها	١٠٦
ذكر أخبار من خالف على عبيد الله وما كان من أمرهم	١١٠
ذكر بناء مدينة المهدي	١١١

الصفحة	الموضوع
١١٢	ذكر خروج أبي القاسم إلى بلاد المغرب وبنائه مدينة المسيلة ...
١١٣	ذكر وفاة عُثَيْد الله المهدي وشيء من أخباره
١١٣	ذكر بيعة القائم بأمر الله
١١٦	ذكر وفاة القائم بأمر الله وشيء من أخباره
١١٧	ذكر بيعة المنصور بنصر الله
١١٨	ذكر وفاة المنصور بنصر الله وشيء من أخباره
١١٩	ذكر بيعة المعز لدين الله
	ذكر خبر إرسال القائد جوهر الكاتب بالعساكر
١٢٢	إلى الديار المصرية
١٢٢	ذكر خبر وصول جوهر القائد بالعساكر إلى الديار المصرية
	ذكر إقامة الخطبة ، وضرب السكة بمصر للمعز لدين الله
١٣١	وما قيل في الدعاء له على المنبر ، وما نقش على السكة
١٣٤	ذكر خروج تبر الإخشيدى والقبض عليه
١٣٥	ذكر فتوح الشام
١٣٦	ذكر مقتل جعفر بن فلاح واستيلاء القرامطة على دمشق
	ذكر خروج المعز لدين الله من بلاد الغرب إلى الديار المصرية ،
١٣٩	وما رتبته ببلاد المغرب قبل مسيره
١٤٥	ذكر مكاتبة المعز لدين الله القرمطى ، وجواب القرمطى له ...
١٥٠	ذكر فتوح طرابلس الشام
١٥١	ذكر وفاة المعز لدين الله وشيء من أخباره
١٥٣	ذكر بيعة العزيز بالله
١٥٤	ذكر الحرب بين أفتكين التركى وعساكر العزيز بالله
١٥٧	ذكر حرب أفتكين وأسرهم
١٥٨	ذكر فتوح اللاذقية

الصفحة	الموضوع
١٥٩	ذكر فتح قنسرين ومحص
	ذكر وفاة العزيز بالله وشيء من أخباره وأخبار وزيره
١٦٣	يعقوب بن كلث ومن ولي بعده
١٦٥	ذكر أخبار الوزير يعقوب بن كلث
١٦٧	ذكر بيعه الحاكم بأمر الله
١٦٨	ذكر القبض على الوزير عيسى بن نسطورس النصراني وقتله ..
١٦٩	ذكر مخالفة منجوتكين بدمشق وحر به وأسره وسبب ذلك
	ذكر الفتنة بين المشاركة والمغاربة ،
١٧١	وهرب ابن عمار وما كان من أمره
١٧٤	ذكر قتل برجوان الخصى
	ذكر ما فعله الحاكم بأمر الله وأمر به من الأمور الدالة
١٧٦	على اضطراب عقله بعد أن استقل بالأمر بمفرده
١٧٦	ذكر بناء الجامع المعروف بجامع راشدة
	ذكر بناء الجامع المعروف بالحاكم الذي هو
١٧٧	بين باب النصر وباب الفتوح بالقاهرة
١٨٠	ذكر أبي ركة وظهوره ، وما كان من أمره إلى أن قتل
	ذكر خروج آل الجراح على الحاكم ومتابعتهم لأبي الفتوح
١٨٥	الحسن بن جعفر الحسني وما كان من أمرهم
١٨٨	ذكر تفويض السفارة والوساطة لأحمد بن محمد القشوري وقتله
١٩١	ذكر هدم كنائس الديار المصرية
١٩٢	ذكر البيعة بولاية العهد لأبي القاسم عبد الرحيم
١٩٣	ذكر إحراق مصر وقتال أهلها
	ذكر غيبة الحاكم بأمر الله وعدمه ، والسبب الذي نقل في إعدامه ،
١٩٤	وشيء من أخباره وسيرته غير ما تقدم

الموضوع	الصفحة
ذكر مولد الحاكم ومدة عمره وملكه وأولاده وكتابه ووسائطه	
وفضائه ونقش خاتمه	٢٠١
ذكر بيعة الظاهر لإعزاز دين الله	٢٠٢
ذكر مقتل الحسين بن دؤاس	٢٠٤
ذكر وفاة الظاهر لإعزاز دين الله على بن الحاكم بامر الله	
وشىء من أخباره	٢٠٧
ذكر بيعة المستنصر بالله	٢٠٩
ذكر عود حلب إلى ملك ملك الديار المصرية	٢١٢
ذكر الوحشة الواقعة بين الوزير أبى القاسم الجرجاني ،	
وأمر الجيوش أنوشكين الدزبرى	٢١٢
ذكر ظهور سكين المشبه بالحاكم وقتله	٢١٣
ذكر وفاة الوزير صفى الدين أبى القاسم أحمد بن على الجرجاني	
وشىء من أخباره	٢١٤
ذكر مقتل أبى سعيد التسترى وعزل الوزير	
وقتله ووزارة ابن الجرجاني	٢١٦
ذكر القبض على الوزير أبى محمد	
الحسن بن على بن عبد الرحمن اليازورى وقتله ،	
وشىء من أخباره	٢٢١
ذكر الفتنة الواقعة التى أوجبت خراب الديار المصرية	٢٢٤
ذكر الوحشة الواقعة بين ناصر الدولة والأتراك	٢٢٧
ذكر الحرب بين ناصر الدولة والأتراك	٢٣٠
ذكر الصلح بين ناصر الدولة والأتراك	٢٣٠
ذكر الحرب بين ناصر الدولة وتاج الملوك شادى	
وما كان من أمر ناصر الدولة إلى أن قتل	٢٣١
ذكر الغلاء الكائن بالديار المصرية	٢٣٣

الموضوع	الصفحة
ذكر قدوم أمير الجيوش بدر الجمالى إلى مصر	
واستيلائه على الدولة	٢٣٤
ذكر هلاك عرب الصعيد وقتل كنز الدولة	٢٣٦
ذكر بناء باب زويلة بالقاهرة	٢٣٨
ذكر وفاة أمير الجيوش بدر الجمالى وولايه ولده الأفضل	٢٣٩
ذكر وفاة المستنصر بالله وشىء من أخباره	٢٤٠
ذكر بيعة المستعلى بالله	٢٤٣
ذكر ما اتفق لتزار ومن معه	٢٤٥
ذكر استيلاء أمير الجيوش على البيت المقدس	٢٤٦
ذكر استيلاء الفرنج على ما تذكره من البلاد الإسلامية	
بالساحل والشام والبيت المقدس	٢٤٧
ذكر ملكهم مدينة أنطاكية	٢٤٨
ذكر مسير المسلمين لحرب الفرنج وما كان من أمرهم	٢٥٣
ذكر ملكهم معرة النعمان	٢٥٥
ذكر استيلائهم خذلم الله تعالى على البيت المقدس	٢٥٦
ذكر ظفر المسلمين بالفرنج	٢٥٩
ذكر قتل كندفرى وملك أخيه بغدوين وما استولى عليه الفرنج	
من البلاد وهى : حيفا وأرسوف وقيسارية والرها وسروج	٢٦٠
ذكر أخبار صنجيل الفرنجى وما كان منه فى حروبه وحصار	
طرابلس والطوبان وملك انطرسوس	٢٦١
ذكر ملك الفرنج جبيل وعكا	٢٦٢
ذكر ملك الفرنج طرابلس وبيروت	٢٦٤
ذكر ملك الفرنج جبلة ويُنْيَاس	٢٦٧
ذكر ملكهم مدينة صيدا	٢٦٨
ذكر استيلائهم على حصن الأثارب وحصن زردنا	٢٦٩

الصفحة	الموضوع
٢٧٠	ذكر حصر مدينة صور وفتحها
٢٧٣	ذكر وفاة المستعلى بأحكام الله
٢٧٤	ذكربيعة الأمر بأحكام الله
٢٧٥	ذكر إنشاء ديوان التحقيق
٢٧٦	ذكر حل الإقطاعات وتحويل السنة
٢٧٧	ذكر أخذ الفرما وهلاك بغدوين الفرنجي صاحب القدس
٢٧٨	ذكر نصب ثغر عيذاب
	ذكر مقتل الأفضل شاهنشاه أمير الجيوش بن
٢٧٩	أمير الجيوش بدر الجمالي وشيء من أخباره
٢٨٨	ذكر تفويض أمور الدولة وإمرة الجيوش للمأمون البطائحي
٢٩١	ذكر القبض على المأمون
٢٩٢	ذكر أخبار أبي نجاح بن فنا النصراني الراهب وقته
٢٩٤	ذكر مقتل الأمر بأحكام الله وشيء من أخباره
٢٩٦	ذكربيعة الحافظ لدين الله
	ذكر قيام أحمد بن الأفضل الحافظ وما كان من أمر أحمد
٢٩٦	إلى أن قتل
٢٩٨	ذكربيعة الحافظ لدين الله الثانية
٢٩٩	ذكر الخلف بين أبنئ الحافظ لدين الله
٣٠٠	ذكر مقتل حسن بن الحافظ
٣٠٠	ذكر وزارة بهرام الأرمني
٣٠٢	ذكر خروج بهرام من الوزارة ووزارة رضوان ابن الوحشى
٣٠٤	ذكر خروج رضوان من الوزارة وما كان من أمره إلى أن قتل
٣٠٦	ذكر وفاة بهرام الأرمني
٣٠٧	ذكر وفاة الحافظ لدين الله وشيء من أخباره
٣١٠	ذكربيعة الظافر بأعداء الله

الصفحة	الموضوع
٣١١	ذكر قيام العادل بن السَّلاو ووزارته ومقتل ابن مصال
	ذكر ما فعله الفرنج بالفرما وما جهَّزه العادل
٣١٣	من الأسطول إلى بلادهم
٣١٤	ذكر مقتل العادل بن السَّلاو وسلطنة ربيبه عباس
٣١٥	ذكر مقتل الظافر بأعداء الله وأخويه
٣١٨	ذكر بيعة الفائز بنصر الله
٣١٨	ذكر خروج عباس من الوزارة وما آل إليه أمره
٣١٩	ذكر وزارة الصالح أبي الغارات طلائع بن رُزَيْك
٣٢٢	ذكر وفاة الفائز بنصر الله
٣٢٢	ذكر بيعة العاضد لدين الله
	ذكر مَقْتَل الملك الصالح طلائع بن رُزَيْك ، وقيام ولده
٣٢٤	الملك العادل رُزَيْك
٣٢٨	ذكر ظهور حسين بن نزار وقتله
٣٢٨	ذكر انقراض دولة بني رزيك
٣٣٠	ذكر وزارة شاور الأولى وخروجه منها
٣٣١	ذكر وزارة الضَّرغام بن سوار
٣٣٢	ذكر قدوم شاور من الشام وعُودَه إلى الوزارة ثانياً وقتل الضَّرغام ..
٣٣٤	ذكر غدر شاور بشيركوه
	ذكر عُوْد أسد الدين شيركوه إلى الديار المصرية بالعساكر
٣٣٥	الشامية وانفصاله
٣٣٩	ذكر وصول الفرنج إلى القاهرة وحصارها وحريق مصر
	ذكر قدوم أسد الدين شيركوه إلى الديار المصرية
٣٤١	ورحيل الفرنج عنها
٣٤٢	ذكر مقتل شاور

الصفحة	الموضوع
	ذكر انقراض الدولة العبيدية والخطبة
٣٤٤	للمستضىء بنور الله العباسى
٣٤٦	جامع أخبار الدولة العبيدية ومدتها ومن ملك من ملوكها
٣٥١	ذكر أخبار الدولة الأيوبية
٣٥١	ذكر نسب الملك الأفضل نجم الدين
	ذكر ابتداء حال الملك الأفضل نجم الدين أيوب وأخيه
٣٥٤	أسد الدين شيركوه
	ذكر وزارة الملك المنصور أسد الدين شيركوه
٣٥٦	بالديار المصرية ووفاته
	ذكر أخبار الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك
٣٥٨	الأفضل نجم الدين أيوب ووزارته بالديار المصرية
	ذكر مقتل مؤتمن الخلافة جوهر زمام القصور
٣٦٠	وانتقال وظيفته إلى قراقوش الأسدى وحرب السودان
٣٦٢	ذكر الحوادث فى الأيام الناصرية غير الفتوحات والغزوات
	ذكر وصول الملك الأفضل نجم الدين أيوب والد
٣٦٢	الملك الناصر إلى الديار المصرية
٣٦٢	ذكر إبطال الأذان بحى على خير العمل
	ذكر ما أنشأه الملك الناصر صلاح الدين بالقاهرة
٣٦٣	ومصر من المدارس والخوانق
	ذكر تفويض القضاء بالديار المصرية للقاضى
٣٦٤	صدر الدين بن درباس
٣٦٥	ذكر وفاة الملك الأفضل نجم الدين أيوب
٣٦٥	ذكر عمارة قلعة الجبل والصور
٣٦٧	ذكر قتل جماعة من المصريين
	ذكر ما استولى عليه الملك الناصر من
٣٧١	البلاد الإسلامية بنفسه وأتباعه

الصفحة	الموضوع
٣٧٣	ذكر استيلائه على اليمن
٣٧٤	ذكر ملكه مدينة دمشق
٣٧٥	ذكر ملكه مدينة حمص وحماء
٣٧٦	ذكر حصره حاب وعوده منها وملكه قلعة حمص وبعليك
	ذكر انهزام عسكر سيف الدين غازى من الملك الناصر
٣٧٧	وحصره حلب ثانيا
٣٧٨	ذكر الحرب بين الملك الناصر وسيف الدين غازى وانهزام غازى
	ذكر ما ملكه الملك الناصر من بلاد الملك الصالح
٣٧٩	بعد هذه الواقعة
٣٨١	ذكر حصره مدينة حلب والصلح عليها
٣٨١	ذكر نهبه بلاد الإسماعيلية
٣٨١	ذكر عبوره الفرات وملكه الديار الجزيرية
٣٨٢	ذكر ملكه مدينة سنجار
٣٨٣	ذكر ملكه مدينة آمد وتسليمها إلى صاحب حصن كيفا
٣٨٤	ذكر ملكه تل خالد وعين تاب
٣٨٤	ذكر ملكه حلب
٣٨٥	ذكر فتح الملك الناصر حارم
٣٨٦	ذكر حصار الموصل
٣٨٧	ذكر ملكه ميافارقين
٣٨٨	ذكر عوده إلى بلد الموصل والصلح بينه وبين صاحبها
٣٩٠	ذكر غزوات الملك الناصر وما افتتحه من بلاد الفرنج
٣٩١	ذكر غزوة بلاد الفرنج وفتح أيلة
٣٩١	ذكر محاصرة الشوبك وعوده عنها
٣٩٢	ذكر وصول أسطول صقلية إلى ثغر الإسكندرية وانهزامه
٣٩٣	ذكر مسيره إلى عسقلان وغيرها ، وانهزام عسكر وعوده

الصفحة	الموضوع
٣٩٤	ذكر وقعة مرج عيون وانهمام الفرنج وأسر ملوكهم
٣٩٥	ذكر هدم بيت الأحزان
٣٩٦	ذكر مسير الملك الناصر إلى بلاد الأرمن
	ذكر مسيره إلى الشام والإغارة على طبريه وبيسان ،
٣٩٦	وما كان من الظفر بمراكب الفرنج ببحر عيذاب
٣٩٨	ذكر الإغارة على الغور
	ذكر غزوة الكرك والشوبك وفتح
٣٩٨	طبريه ومجدل يابا ويافا
	ذكر فتح عكا ونابلس وحيفا وقيسارية وصقورية والناصر
٤٠١	ومعليا والفولة والطور والشقيف وغير ذلك
٤٠١	ذكر فتح تبنين وصيدا وصرند وبيروت وجبيل
٤٠٢	ذكر فتح عسقلان وما يجاورها
٤٠٣	ذكر فتح البيت المقدس
٤٠٥	ذكر رحيله ومحاصرة صور
٤٠٧	ذكر فتح هونين
٤٠٨	ذكر فتح حصن برزية
٤٠٩	ذكر فتح قلعة دريساك
٤٠٩	ذكر فتح قلعة بغراس
٤١٠	ذكر الهدنة بين المسلمين وبين صاحب أنطاكية
٤١٠	ذكر فتح الكرك والشوبك وما يجاورهما
٤١١	ذكر فتح قلعة صفد
٤١١	ذكر فتح كوكب
٤١٣	ذكر فتح شقيف أرنوم
	ذكر مسير السلطان من مرج عيون إلى صور
٤١٤	وما كان عليها من الوقائع

الصفحة	الموضوع
٤١٥	ذكر مسير الفرنج إلى عكا ومحاصرتها
٤١٩	ذكر رحيل السلطان عن منزله وتمكن الفرنج من حصار عكا ..
٤٢٠	ذكر وصول العسكر المصرى فى البر والأسطول فى البحر
٤٢١	ذكر خبر ملك الألمان وما كان من أمره إلى نهايته
٤٢٥	ذكر الوقعة العادلة على عكا
	ذكر وصول الكندهرى إلى عكا نجدة للفرنج
٤٢٦	وما جده من آلة الحصار
	ذكر ما كان من أمر الفرنج بعد وصول ابن ملك الألمان
٤٢٧	إلى عكا وما اتخذوه من آلات الحصار
٤٣٠	ذكر وصول ملك افرنسيس
٤٣١	ذكر وصول ملك الإنكلتبر
٤٣٢	ذكر استيلاء الفرنج على عكا
٤٣٤	ذكر ما كان بعد أخذهم عكا
٤٣٤	ذكر هدم عسقلان
٤٣٦	ذكر وقوع الصلح والهدنة العامة بين المسلمين والفرنج
٤٣٧	ذكر وفاة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب
	ذكر من ملك الممالك التى كانت جارية فى ملك السلطان
٤٤٠	الملك الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله تعالى
	ذكر أخبار الملك العزيز عماد الدين أبى الفتح عثمان ابن الملك
٤٤٢	الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب
٤٤٢	ذكر استيلاء الفرنج على جبيل
	ذكر مسير الملك العزيز إلى الشام والصلح بينه وبين
٤٤٤	أخيه الملك الأفضل وعوده إلى القاهرة
	ذكر خروج الملك العزيز لقصد الشام ثانيا ورجوعه
٤٤٦	وقصد العادل والأفضل الديار المصرية وما تقرر من القواعد ..
٤٤٨	ذكر ملك الملك العزيز دمشق وخروج الأفضل إلى صرخد

الموضوع	الصفحة
ذكر استيلاء الفرنج على بيروت	٤٥٣
ذكر وفاة سيف الإسلام بن أيوب ملك اليمن	
وملك ولده شمس الملوك	٤٥٤
ذكر وفاة الملك العزيز وشيء من أخباره	٤٥٥
ذكر سلطنة الملك المنصور محمد بن الملك العزيز بن	
الملك الناصر وهو الثالث من ملوك الدولة الأيوبية بالديار المصرية	٤٥٦
ذكر وصول الملك الأفضل إلى القاهرة	
واستقراره في تدبير دولة المنصور	٤٥٧
ذكر مسير الملك الأفضل إلى الشام وحصار دمشق وعوده	
عنها وخروجه عن الديار المصرية	٤٥٨

انتهى بحمد الله الجزء الثامن والعشرون - من تجزئة المطبوع - من
كتاب نهاية الأرب ، ويليهِ - إن شاء الله تعالى - الجزء التاسع
والعشرون .

مطبع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٥٧٩/١٩٩٢

ISBN 977- 01- 2945- 3